د. نهى القاطرجي

الإغتصاب

دراسة تاريخية نفسية اجتماعية

55678

كلية الآداب وزراعي للدراسات العليا
المكتبة

الاغتصاب

دراسة تاريخية نفسية اجتماعية

د. نهى القاطرجي

الاغتصاب

دراسة تاريخية نفسية اجتماعية

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1423 هـ ـ 2003 م

مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

بيروت ـ الحمرا ـ شارع اميل اده ـ بناية سلام ـ ص.ب. 113/6311

تلفون 791123 (01) ـ تلفاكس 791124 (01) بيروت ـ لبنان

بريد الكتروني majdpub@terra.net.lb

ISBN 9953-427-44 -5

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد والشكر

الحمد والشكر أوجهه أولاً إلى رب العالمين الذي أمدّني بالعون والصبر على إتمام هذا العمل، كما أمدّني بالتوفيق والرضا لأنه هو القائل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

والشكر أجهه ثانيا إلى كل من له فضل في ظهور هذ العملإن كان عن طريق النصح والإرشاد أو التوجيه والإشراف.

واخص بالشكر عائلتي، التي شملتني برعايتها المعنوية والمادية طوال سنوات العمل على هذا البحث.

(1) سورة التكوير، الآية 29.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فإن جريمة اغتصاب الإناث تعتبر من الجرائم الخطيرة التي تواجه المجتمعات الحديثة، نظراً لما تتضمنه من تعدّيات وتحدّيات تطال المجتمع بكافة عناصره السياسية والقانونية والاجتماعية.

وقد كان لتفاقم خطر هذه الجريمة واستخدامها كسلاح فتاك أثره في اختيار هذا الموضوع كمجال للبحث ، إذ إن تعرض فتيات البوسنة للاغتصاب من قبل الجنود الصرب، وما حصل في أثناء ذلك من وحشية، وما نتج عن هذه الجرائم من حالات حمل وإنجاب لأولاد غير شرعيين، وما ترافق مع هذا الواقع المفروض من إهمال عالمي لمأساة شعب كامل، وتحطيم أسر عديدة، قد ترك أثراً في نفوس الناس الأمر الذي استدعى ضرورة إبداء رأي الشرع الإسلامي وحكمه في هذه الجريمة الشنعاء.

وكان القصد من وراء البحث في هذه الجريمة الوصول إلى عدة أهداف، منها:

- 1 - بيان العوامل المختلفة التي تساعد على ارتكاب هذا المنكر، وكيفية العمل على القضاء على هذه العوامل، أو التخفيف من آثارها.

- 2 - بيان العوامل العضوية التي تدفع بالمجرم لارتكاب جرمه،

وبيان الطرق التي يمكن اتباعها لإصلاح المجرم وإعادة تأهيله.

ـ 3 ـ بيان الوضع النفسي الذي ينتاب الضحية بعد الاغتصاب، والذي يترك بصماته على نفسية الضحية أو يؤدي إلى تدمير حياتها بشكل كلّي.

ـ 4 ـ بيان خطورة هذه الجريمة على المجتمع بشكل عام، وبيان ما ينتج عنها من حالات تؤدي إلى التدمير الشامل، عملاً بسنّة الله في خلقه حيث يقول ﷻ:

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[1].

وقد واجَهَتِ البحث صعوبات عدة من أهمها:

ـ 1 ـ صعوبة الحصول على مقابلات مع ضحايا الاغتصاب، إما بسبب تستر كثير منهن على مصيبتهن ورفضهن الإبلاغ عن الجرم، وإما بسبب عدم رغبتهن في معاودة الذكريات الأليمة.

ـ 2 ـ إعراض المراجع الطبية عن إعطاء معلومات عن الضحايا التي جرى علاجها في مستشفياتهم، فقد رفضت عدة مستشفيات إعطاء تفاصيل عن الحالات التي وردت إليها متمسكة بعدة حجج، منها:

ـ أ ـ عدم تسجيل حالة الضحية التي تدخل إلى المستشفى تحت خانة الاغتصاب، بل تسجيلها تحت خانة المرض الذي أُدخلت من جرائه إلى المستشفى كالنزيف مثلاً.

ـ ب ـ عدم وجود حالات اغتصاب لديها، مع أن بعض هذه المستشفيات كانت مختصة بالأمراض النفسية والعصبية.

ـ 3 ـ إعراض المراجع الأمنية عن المساعدة في إعطاء بيانات عن بعض حالات الاغتصاب، مما استدعى التعويض عن هذا النقص باتِّباع منهجين:

---

(1) سورة الإسراء، الآية 16.

- أ - الاطلاع على ملفات قلم محكمة التمييز، حيث تمَّ الحصول على وقائع بعض قضايا الاغتصاب التي حصلت منذ عام 1988، باعتبار أن الملفات التي تسبق هذا التاريخ مفقودة بسبب لبحرب اللبنلنية.

- ب - الاستعانة بأعداد صحيفة النهار من تاريخ 27/ 7/ 1991 لغاية تاريخ 17/ 11/ 1995، وقد تمَّ الاعتماد على هذه الصحيفة بالذّات لأنها اعتادت فرز القضايا الأمنية المتعلقة بالقضايا الجنسية في فقرة خاصة منفصلة عن التقرير الأمني اليومي.

- 4 - ندرة الكتب العربية التي تحدثت عن موضوع الاغتصاب بشكل منفصل عن باقي الجرائم الجنسية، كما أن أغلب هذه الكتب تحدثت عن هذه الجريمة من الناحية القانونية أو من الناحية الشرعية، مع إغفال للناحية النفسية والاجتماعية التي تنتج عن مثل هذه الجرائم. لذلك تم التعويض عن هذا النقص باتِّباع منهجين:

- أ - الاستعانة ببعض الكتب الأجنبية التي تظهر فيها بعض الإحصاءات والآثار النفسية والاجتماعية التي تتركها هذه الجريمة على النفس والمجتمع.

- ب - الاستعانة بما تنشره الصحف عن بعض الجرائم التي وقعت في العالم، إضافة إلى أحدث الاكتشافات العلمية التي تساهم في القضاء على هذه الجريمة، مما جعل رقعة البحث تمتد لتتناول دولاً عربية وغربية متعددة.

ومع تجاوز هذه الصعوبات بالسُّبل التي يسّرها المولى سبحانه وتعالى فإنه لابد من الإشارة إلى أن هذا البحث ليس سوى تعريف بأسباب ومخاطر هذه الجريمة على المجتمعات، وبيان بعض الحلول الإسلامية التي يجب العودة إليها من أجل بناء مجتمع إسلامي سليم، بإذن الله، آملة من الله ﷻ أن ييسر عناصر بناء هذ المجتمع في وقت قريب، وآملة منه أيضاً ان يتقبل عملي هذا ويجعله في ميزان حسناتي وحسنات كل من ساعد على إتمامه، فإنه سميع مجيب.

الباب الأول

عرض تاريخي لجذور جريمة الاغتصاب

الفصل الأول

جريمة الإغتصاب عند الأمم القديمة

تمهيد

تنتشر في العصر الحالي الجرائم الجنسية بشكل عام وجريمة الاغتصاب بشكل خاص، لدرجة أنه نادراً ما تصدر الصحف اليومية من دون ذكر لحادثة اغتصاب حصلت في لبنان أو حتى في العالم بشكل عام، وقد أدى تفاقم هذا الجرم إلى تخوّف العلماء في مختلف المجالات من ازدياد هذه الظاهرة وما تخلفه من آثار مضرة على المستوى الفردي والجماعي،

والواقع أن جريمة الاغتصاب ليست حديثة العهد، بل هي قديمة قِدَمَ التاريخ، وإن تفاوتت نسب انتشارها بتفاوت المجتمعات وقدرة السلطات على ضبط الأمن من جهة، وتأمين الحاجات الضرورية لمواطنيها من جهة أخرى، ومن هنا تأتي أهمية دراسة تاريخ الأمم السابقة كعنصر مهم لا يجوز على أي باحث في أي مجال كان إغفاله.

فوائد الاطلاع على التاريخ

تنتشر في الأوساط الشعبية الأمثال التي تُتَنَاقَل من جيل إلى جيل عبر التاريخ، وأبرز هذه الأمثال المثل القائل: «إن التاريخ يُعيد نفسه»، وهذا أمر يمكن ملاحظته عبر الاطلاع على أخبار الأمم القديمة، لذلك فمن المفيد لكل باحث في مختلف المجالات معرفة هذه الأخبار لعدة فوائد منها:

أولاً: الاطلاع على ما توصل إليه العلماء الذين سبقوه، فيوفر بذلك على نفسه عناء البحث من جديد، ويبدأ ببحثه من حيث انتهى غيره.

ثانياً: الاستفادة من التجارب الفاشلة التي مرّ بها غيره، فيجنّب نفسه الوقوع في سلبياتها.

وذكر ابن حزم فوائد أخرى لا تختص بالعلماء المتخصصين بل يمكن أن يستفيد منها كل إنسان، ومنها:

«**أولاً**: الزهد في الدنيا، بمعرفة تقلبها بأهلها ومصاير الملوك الظالمين الذين لم ينفعهم حشدهم للأموال والجيوش.

ثانياً: القدوة الحسنة، إذ يقف المرء على حَمْدِ المتقين الأخيار للفضائل فيرغب فيها، ويسمع ذَمَّهُمْ للرذائل فيكرهها، ويقرأ أخبار الصالحين فيحب أن يكون منهم، وأخبار المفسدين فيمقت طرائقهم.

ثالثاً: العبرة بالفناء، ودثور الحصون والمدائن، وتعاقب الأجيال وانتقال الأحوال من عمران إلى خراب»[1].

وسنة الفناء والدمار أوضحها الله سبحانه وتعالى بقوله:

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[2].

والله سبحانه وتعالى في هذه الآية يحث عباده على دراسة تاريخ الأمم السابقة للمعرفة والاعتبار، فمعرفة مصير الأمم التي خالفت منهج الله وعصته في عقائدها وأفعالها تدفع الإنسان المفكر إلى تجنب الوقوع في مثل هذا المصير... لأن الله سبحانه وتعالى أوضح أن ما أصاب الأمم السابقة سيصيب كل من يتبع خطاها وأوضح أن الدمار الذي أصاب هذه الأمم «هو جزاء من يفعل ذلك ... تلك سنة حتمية لا تبديل لها ولا

---

(1) ابن حزم، رسائل ابن حزم الأندلسي، تحقيق إحسان عباس، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1407هـ، 1987م.، ص10.

(2) سورة آل عمران، الآية 137.

تحويل، إنما يقع الاختلاف في المدة التي تسبق التدمير أي في مدة الإملاء»[1].

يقول تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

أولاً: تحديد عمر الأمم

كتب الله سبحانه وتعالى الموت والفناء على كل مخلوق من مخلوقاته، وكل مخلوق مهما طال به العمر فإن مصيره الموت، وكذلك الدول فإنها مهما طال حكمها فإن مصيرها الزوال يقول تعالى:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[3].

وقد حدّد ابن خلدون عمر الدولة بثلاثة أجيال، «والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط، فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشؤ إلى غايته، قال تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[4].

ولهذا قلنا أن عمر الشخص الواحد هو عمر الجيل، ويؤيده ما ذكرناه في حكمة التيه الذي وقع في بني إسرائيل، وان المقصود بالأربعين فيه فناء جيل الأحياء ونشأة جيل آخر... وإنما قلنا إن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال لأن الجيل الأول لم يزالوا على خُلُق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد، فلا

---

(1) قطب، محمد، حول التفسير الاسلامي للتاريخ، المجموعة الإعلامية، جدة - المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ، ص91.

(2) سورة الحج، الاية 48.

(3) سورة الأعراف ،الآية 34.

(4) سورة الأحقاف، الآية 15.

تزال بذلك سَوْرة العصبية محفوظة فيهم ... والجيل الثاني متحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة، ومن الشظف إلى الترف والخصب، ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكَلِّ الباقين عن السعي فيه، ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء، وتؤنَس منهم المهانة والخضوع، ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا اعتزازهم وسعيهم إلى المجد ... وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن، ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من مَلَكة القهر، ويبلغ فيهم الترف غايته بما ينتقوه من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عيالاً على الدولة ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة، وينسون الحماية والمدافعة والمطالبة، ويلَّبِسون على الناس في الشارة والزي وركوب الخيل وحسن الثقافة يموهون بها وهم في الأكثر اجبن من النسوان على ظهورها... فهذه كما ترى ثلاثة أجيال فيها يكون هرم الدولة وتخلفها، ولهذا كان انقراض الحسب في الجيل الرابع»[1].

وهذه النتيجة تتوافق مع ما توصل إليه علماء التاريخ وعلماء الأنثروبولوجيا (علم السُّلالات)، من أن «طريقة انحلال المدنيات واحدة، حتى أن الإنسان ليتساءل، كما فعل أحد الشعراء، إن كان التاريخ الذي امتلأت به المجلدات العديدة صفحات كثيرة أو هو في الحقيقة صفحة متكررة»[2].

ثانياً: أسباب زوال الأمم

يعتبر التفسير الذي قدّمه ابن خلدون عن كيفية سقوط الأمم تفسيراً بيّناً، وهو يؤكد على دور انحلال الأخلاق في زوال الأمم، «فلقد كان الرومان أيام سقوطهم ذوي عقول أرقى من عقول أجدادهم القاهرين،

---

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت - لبنان، الطبعة السادسة، 1406هـ 1987م.، ص170.

(2) لوبون، غوستاف، سر تطور الأمم، ترجمة أحمد زكي زغلول باشا، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ .، 1987م.، ص146.

ولكنهم سقطوا لأنهم فقدوا صفتهم الأخلاقية، فأضاعوا المثابرة والعزيمة والجلد الذي لا يعرف الوَهْنَ، وفقدوا القدرة على التفاني في نصرة المطلب واحترام القوانين إلى حد التقديس، وتلك الصفات هي التي كانت السبب في عظمة آبائهم الأولين»[1].

وتخسر الأمم أخلاقها على ثلاثة مراحل:

المرحلة الأولى: الترف وانتشار أسباب الراحة.

المرحلة الثانية: التمازج والتوالد مع الأمة المنهزمة.

المرحلة الثالثة: العدوان على أعراض الناس وأموالهم.

المرحلة الأولى: الترف وانتشار أسباب الراحة: تتّسم الأمة المهاجِمة بالشجاعة والبسالة، وهي صفات نادراً ما تتفق مع الترف والتنعم، فإذا حصل الإنسان على النعيم والراحة خشي من فقدانهما، لذلك فإنه يتخلى عن كثير من مبادئه الأخلاقية بغية الحفاظ عليهما، ولذلك نجد الأمة إذا تغلبت و «مَلَكَتْ ما بأيدي أهل الملك قبلها، كثر رياشها ونعمتها فتكثر عوائدهم ويتجاوزون ضرورات العيش وخشونته إلى نوافله ورقته وزينته، ويذهبون إلى اتباع من قبلهم في عوائدهم وأحوالهم، وتصير تلك النوافل عوائد ضرورية في تحصيلها، وينزعون مع ذلك إلى رقة الأحوال في المطاعم والملابس والفرش والآنية ويتفاخرون في ذلك ويفاخرون فيه غيرهم من الأمم»[2].

وهكذا تفقد الأمة قليلاً قليلاً أخلاقها ... و يصبح الترف خُلُق الأمة الجديد.

المرحلة الثانية: التمازج والتوالد مع الأمة المنهزمة من الطبيعي بعد أن يستقرّ الأمر بيد الأمة الغالبة أن يحصل تمازج واختلاط بين الأمة الغالبة والمغلوبة، ويكون من نتائج هذا الاختلاط التزاوج بين الأمتين وحصول التوالد، «فإذا طال الأمد على التوالد تولّد من فعله أمة جديدة

(1) لوبون غوستاف، سر تطور الأمم، م.س.، ص 36.

(2) ابن خلدون، المقدمة، م. س. ص167.

ذات صفات جسمانية ونفسية جديدة، وتكون الأخلاق المتولدة على هذا النحو متقلبة ضعيفة في مبدئها ولا تثبت إلا بتقادم فعل الوراثة فيها، فأول أثر لتوالد أمتين هو إبادة روح كل منهما، أعني مجموع المشاعر والأفكار العامة التي هي سر قوة الشعوب وبدونها لا توجد أمة ولا وطن»[1].

المرحلة الثالثة: العدوان على أعراض الناس وأموالهم يعتبر العدوان هو التصرف الطبيعي للحاكم إذا فقد قيمه وأخلاقه وباتت غرائزه وشهواته هي المسيطرة عليه، وخاصة في حال مرّت الدولة بظروف مالية قاسية نتيجة تبذير الأموال من قبل الحكام، فإذا وصلت الدولة إلى هذه المرحلة فانه دليل من الله سبحانه وتعالى على قرب نهايتها، يقول تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[2].

يقول ابن العربي في تفسير هذه الآية: «أمرنا بالعدل فخالفوا، ففسقوا بالقضاء والقدر، فهلكوا بالكلمة الحاقّة عليهم»[3].

ويؤكد هذا الكلام ابن خلدون بقوله: «العدوان على الناس في أموالهم وحَرُمِهِم ودمائهم وأسرارهم وأعراضهم ... يفضي إلى الخلل والفساد دفعة واحدة وتنتقض الدولة سريعاً بما ينشأ عنه من الهرج المفضي إلى الانتفاض»[4].

من خلال ما سبق يمكن استخلاص عدة فوائد من وراء ذكر نماذج عن فساد الأمم القديمة، ومن هذه الفوائد:

ـ 1 ـ أخذ العبرة من التاريخ القديم والاستفادة من تجارب الأمم السابقة، منعاً للوقوع فيها من جهة، وتبياناً لسنة من سنن الله في خلقه، وهي سنة تدمير كل من خالف منهجه.

---

(1) لوبون، غوستاف، سر تطور الأمم، م. س.، ص47.

(2) سورة الاسراء، الآية 16.

(3) ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق محمد البجاري، دار إحياء الكتب العربية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1377هـ، 1958 م.، ج3، ص 1104.

(4) ابن خلدون، المقدمة، م.س.، ص290.

- 2 - لفت النظر إلى أن الاعتداء على الأعراض والأموال والأنفس إنما يكثر في المجتمعات التي تفقد قيمها الأخلاقية، وترفع شعارات دنيوية كشعار حرية المرأة وحرية الرأي.

- 3 - التحذير من عقاب الله سبحانه وتعالى لخَلْقِه المخالفين لمنهجه، حيث يعتبر انتشار الفساد والاعتداء على الأعراض إيذاناً من الله سبحانه وتعالى بانتهاء الدولة.

المبحث الأول
الفساد عند الأمم القديمة

1 - الفساد في التاريخ المصري

يعتبر المناخ الذي يسيطر على مصر من العوامل المؤثرة في اعتبار المؤرخين أن الشعب المصري يتمتع بقدرات جنسية عالية، وهذه الصفة كانت موجودة منذ القدم، وكان المصريون القدامى «يتحدثون عن الشئون الجنسية بصراحة لم نعهدها في التقاليد المتأخرة من عهدهم، وكانوا يزينون هياكلهم بصور ونقوش قليلة البروز تظهر فيها أجزاء الجسم كلها واضحة أتم الوضوح، وكانوا يقدمون لموتاهم من الأدب الفاحش ما يسليهم في قبورهم»[1].

1 - المرأة في التاريخ المصري

كانت المرأة في مصر تتمتع بحياة عائلية مستقرة «منظمة ذات مستوى رفيع من الوجهة الأخلاقية»[2].

وكانت الأسرة المصرية «موسومة بأعراف تُحِلُّ المرأة في مركز مرموق، بل في مركز الصدارة أحياناً، فغالباً ما انتسب الأبناء إلى أمهاتهم انتسابهم إلى آبائهم، وإذا ما توفي الزوج، وليس بين أبنائه من بلغ سن

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة - مصر، الطبعة الثانية، 1956 م.، ج2، ص98.

(2) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م.س.، ج2، ص95.

الرشد انتقلت سلطته إلى امرأته، حتى في علائق الأسرة بالدولة»[1].

2 ـ الرجل في التاريخ المصري

كانت الدعارة منتشرة في مصر، وقد زعم هيرودوت «أن الفرعون المصري الشهير خوفو .. لم يبن هرمه الأكبر المعروف باسمه إلا بإجبار ابنته على الدعارة .. فسجنها في ماخور وحدد سعرها لكل رجل يريد أن يجامعها .. على أن تخصص كل هذه الأموال لاستكمال بناء الهرم .. وقبلت الابنة القيام بتلك المهمة لكن دون أن تنسى مطالبة كل من مارس معها الجنس بأن يهديها حجراً.. وفي النهاية جمعت تلك الأحجار وبنت بها هرماً صغيراً لا يطاول هرم أبيها ولا يناطحه»[2].

ولم يقتصر الأمر على الفراعنة، بل انتشر الاختلاط الإباحي بين الشباب والشابات في الحدائق العامة مثل «حدائق اليوسس Eleusis وحدائق كانوبس Canobus بضواحي الإسكندرية، وفيها كان روادها ينغمسون في حياة بوهيمية إباحية صاخبة، فكنت ترى جموعاً من الرجال والنساء، آناء الليل وأطراف النهار، يستقلون الزواحف وقد أطلقوا لأنفسهم العنان في الغناء والرقص، مع التحررالتام من كافة حدود السلوك القويم والتقاليد المرعية»[3].

ولم يقتصر الأمر على الغناء والرقص بل تعداه إلى العلاقات الجنسية العابرة التي لم يعتبرها المصريون «علاقات عهر وزنى، فهذه العلاقات لا تدان بوصفها فسقاً، على ألا ترتكب قطعاً في أحد الهياكل أو المعابد أو أحد الأماكن المقدسة»[4].

---

(1) كروزيه، موريس، تاريخ الحضارات العام، منشورات عويدات، المجلد الأول، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1964م.، ص73.

(2) ايوب، ياسر، الانفجار الجنسي في مصر، دار سفنكس للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى، 1995م.، ص94.

(3) فلنذرزتيري، و. م، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، بدون رقم طبعة، 1975م.، ص 20.

(4) فريشاور بول، الجنس في العالم القديم، ترجمة فائق دحروج، الحضارات الشرقية، دار علاء الدين، دمشق - سورية، الطبعة الثالثة، 1993م.، ج1، ص 132.

وكان من مظاهر الفساد أيضاً انتشار «الراقصات الشبيهات بأمثالهن في اليابان، يقبلن إلى أرقى مجتمعات الرجال ليقدمن للمجتمعين ضروب التسلية والمتعة الجسمية، وكن يرتدين ملابس شفافة أو يكتفين أحياناً بالتزين بالخلاخل والأساور»[1].

وكان لانتشار الفساد الخلقي دور في سن العقوبات على الجرائم الخلقية، فكانت عقوبة الزنا الجلد وجدع الأنف، يقول المؤرخ ديودورس، إن عقوبة «الزنا من غير إكراه كانت ألف جلدة للزاني، وجدع أنف الزانية»[2].

2 ـ الفساد في التاريخ البابلي

1 ـ الفساد في العقائد

تميّزت بعض الأعياد البابلية بالإباحية الجنسية، ففي «كل ربيع بعد أن تستقبل الحقول المحروثة بذورها، يحتفل رجال سومر ونساؤها بانبعاث تموز الذي يبجلونه بوصفه إله الإنجاب والتوالد، رمز الرجولة التي تهفو إليها آلهة الأرض. ولا تقترن النساء أثناء أعياد الخصوبة هذه بأزواجهن فحسب، بل يجامعن أيضاً من شئن من الرجال، إذ يمنح الزوج زوجه حق الاقتران بالرجل الذي تشتهي، شريطة أن تحرص على إسقاط نطف من تعشق على الأرض كي لا تحبل»[3].

2 ـ المرأة في التاريخ البابلي

تمتعت الفتاة بالحرية الجنسية قبل الزواج وسُمح لها «بزيجات تجريبية تنتهي متى شاء أحد الطرفين أن ينهيها، ولكن المرأة في هذه الحالات كان من واجبها أن تلبس زيتونة، من حجر أو طين محروق، دلالة على أنها محظية ... وكانت الحرية المباحة للأفراد قبل الزواج يتبعها إرغام شديد

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج2، ص 99.

(2) فلندرزتيري، و. م، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، م. س، ص 184.

(3) فريشاور، بول، الجنس في العالم القديم، م. س، ص 64.

على الاستمساك بالوفاء الزوجي بعده»[1].

وبلغ من شدة حرصهم على المحافظة على العلاقات الزوجية أن فرضوا العقوبات على الزنى، ومن هذه العقوبات أنه «لو ضبطت زوجة رجل تضاجع رجلاً آخر يُربط الاثنان ويلقيان في النهر، أما إن رغب زوج المرأة مسامحة زوجته والعفو عنها، فللملك الحق في العفو عن مواطنه الآخر»[2].

3 ـ الفساد في التاريخ اليهودي

1 ـ الفساد في العقائد

جاءت التوراة ببعض الأحكام التي هدفت إلى محاربة الفساد والقضاء على كل من ينتهك حرمات الآخرين، ففرضت عقوبة القتل على الزاني والزانية، فجاء في سفر التثنية: «إذا وُجد رجلٌ مضطجعاً مع امرأةٍ زوجةَ رجلٍ يُقتل الاثنان، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة، فيُزع الشر من إسرائيل»[3].

إلا ان هذه الأحكام ظلت مجرد أحكام لأن لليهود كتابا آخر يعتبرونه أعظم من التوراة وهو «التلمود»، فقد قال الحاخام (روسكي) المشهور: «التفت يا بني إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفاتك إلى شريعة موسى»[4].

2 ـ المرأة في التاريخ اليهودي

يعتقد اليهود بأن المرأة أدنى مستوى من الرجل، بل وكثيراً ما

---

(1) ديورانت، ول، م. س، م.س، ص 231 . 232.

(2) مجموعة من المؤلفين، شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة أسامة سداسة، دار علاء الدين، دمشق . سورية، الطبعة الثانية، 1992م.، ص112.

(3) سفر التثنية، الاصحاح 22، عدد 22.

(4) نصر الله، يوسف حنا، الكنز المرصود في قواعد التلمود، دار نظام للصحافة والنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الثانية، 1388هـ .، 1968م.، ص 42.

يعتبرونها دنسة كما في حالة الحيض، لذلك فهم يحرمون على الرجل الاقتراب من امرأته في حالة الحيض، فجاء في العهد القديم: «لا تقترب إلى امرأة في نجاسة طمثها لتكشف عورتها»[1].

والدم الذي تفقده المرأة في فترة الحيض لا يجعلها دنسة فحسب بل و«كافرة» أيضاً، وفي البدء كانت عقوبة العلاقات الجنسية أثناء فترة الطمث الموت، وفي وقت لاحق نقرأ «وأية امرأة كان بها سيلان، أي سيلان دم في جسدها، تبقى سبعة أيام في نجاسة طمثها، وكل من لمسها يكون نجساً حتى المساء، وكل من مسّ مضجعها يغسل ثيابه ويستحم في الماء ويكون نجساً حتى المساء وان ضاجعها رجل فصارت عليه نجاسة طمثها، يكون نجساً سبعة أيام، وكل مضجع يضطجع عليه يكون نجساً»[2].

إضافة إلى ذلك جعل التلمود المرأة كقطعة من اللحم يحق للرجل الاستمتاع بها كيف يشاء، ومن هذه التعاليم: «ليس للمرأة اليهودية أن تبدي أدنى شكوى إذا زنى زوجها في المسكن المقيم فيه معها.

ولما قال الحاخام (يوحنان) إن اللواط[3] بالزوجة غير جائز عارضوه في ذلك قائلين أن الشرع لم يحرّم هذا الأمر، بل قالوا إنه لا يخطئ اليهودي مهما فعل مع زوجته وأية طريقة اتبعها نحوها بأمر الزواج، فهي له بالنسبة للاستمتاع بها كقطعة لحمة اشتراها من الجزار، يمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية على حسب رغبته، ويضربون لذلك مثلاً أن امرأة حضرت إلى الحاخام وشكت له أن زوجها يأتيها خلاف العادة، فأجابها: (لا يمكنني أن أمنعه عن هذه المسألة يا ابنتي، لأن الشرع قدمك قوتاً لزوجك)»[4].

---

(1) العهد القديم، سفر اللاويين، الاصحاح الثامن عشر، عدد 7.

(2) فريشاور بول، الجنس في العالم القديم، م. س، ص 248.

(3) اللواط: اصطلاح متعارف عليه، وسيتم استخدامه في النصوص الواردة في هذا الكتاب قي بعض الأحيان، ولكن الأصح شرعاً ولغة هو: «عمل قوم لوط عليه السلام» أحيانا تجنباً للصق هذه الفاحشة بإسم النبي لوط عليه السلام.

(4) نصر الله، يوسف حنا، الكنز المرصود في قواعد التلمود، م. س، ص 90 ـ 91.

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية
المكتبة

3 ـ الرجل في التاريخ اليهودي

شجع الحاخامات الرجل اليهودي على الفساد، ولم يكتفوا بذلك بل كانوا القادة الذين يحثون أتباعهم على تقليدهم، فقال «الرابي كرونر: إن التلمود يصرح للإنسان (يعني اليهودي) أن يُسْلِم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه أن يقاومها، ولكنه يلزم أن يفعل ذلك سراً، لعدم الضرر بالديانة!!

وذكر في التلمود عن كثير من الحاخامات كالرابي (راب) و(ونجمات): إنهم ينادون في المدن التي يدخلونها عما إذا كان يوجد فيها امرأة تريد أن تُسْلِم لهم نفسها مدة أيام.

وجاء في التلمود أيضاً عن الرابي (أليعازر) أنه فتك بكل نساء الدنيا، وإنه سمع مرة أن واحدة تطلب صندوقاً ملآناً من الذهب حتى تُسْلِم نفسها لمن يعطيها إياه، فحمل الصندوق وعَدَّى سبعة شلالات حتى يلبيها لها»[1].

4 ـ الفساد في التاريخ الفارسي

1 ـ الفساد عند الفرس

ابتدأ الفساد عند الفرس بفساد الملوك الذين «اتخذوا لأنفسهم حيث يقيمون، بيوتاً للحريم، في سوسة وفي عواصم البلدان الخاضعة لهم، وجرى العرف أن من حق المرأة التي تبرهن على موهبتها الخاصة[2] أن تشاطر السادة الكبار مضجعهم أكثر من مرة»[3].

وكان لانجراف الرجل وراء ملذاته وإهماله لزوجته أن عمدت بعض النساء إلى «علاقات مِثليةٍ «السُّحاق»، لأن مثل هذه الممارسات الجنسية الشَّبَقِّية لم تحظرها «الأفستا»[4] فهي لا تصيب البتة من غرور الرجال، ولا تنال من اعتدادهم بأنفسهم، بل كانوا يصفحون عن مثل هذه العلاقات بين

---

(1) نصر الله، يوسف حنا، الكنز المرصود في قواعد التلمود، م.س، ص90.

(2) لم يحدد الكاتب ماهية هذه الموهبة.

(3) فريشاور، بول، الجنس في العالم القديم، م. س، ص 97.

(4) الأفستا: كتاب المعرفة والحكمة.

النساء بوصفها ألعاباً بسيطة غير مؤذية»[1].

2 ـ عقوبة الزنا واللواط

سن المشرعون الفرس العقوبات في محاولة منهم للمحافظة على المبادئ الأخلاقية، «فكان الاستمناء باليد يعاقب عليه بالجلد»[2].

وكانت الأفستا «ترى في اللواط شذوذاً وجريمة شنعاء لا يجوز بأي حال من الأحوال الصفح عنها»[3].

أما عقوبة الزنى فهي القتل، لأن من يرتكب هذا الفعل هو «أحق بالقتل من الأفاعي الزاحفة والذئاب العاوية»[4].

5 ـ الفساد في التاريخ الهندي

1 ـ الفساد في العقائد

اكتسب الفساد في التاريخ الهندي طابعاً دينياً، إذ كان يتم بإشراف ومشاركة الكهان والكاهنات في المعابد، «ففي الأصقاع الجنوبية كانت رغبات الرجل الشهواني يُشبعها له من كان يطلق عليهن «خادمات الله» طائعات في ذلك أوامر السماء، وما خادمات الله أو «دافارلس» كما يسموهن .. إلا العاهرات، وفي كل معبد في «تامل» مجموعة من النساء المقدسات اللاتي يَستخدمهن المعبد أول الأمر في الرقص والغناء أمام الأوثان، ثم من الجائز أن يُستخدمن بعد ذلك في إمتاع الكهنة البراهمة، وبعض هؤلاء النسوة، فيما يظهر، قد حصرن حياتهن على عزلة المعابد وكهانها، وبعضهن الآخر قد وسّع من نطاق خدماته بحيث يشمل كل من يدفع أجراً لمتعته، على شريطة أن يدفعن لرجل الدين جزءاً من كسبهن عن هذا الطريق»[5].

---

(1) فريشاور، بول، الجنس في العالم القديم، م. س، ص 98.
(2) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج2، ص 440.
(3) فريشاور، بول، الجنس في العالم القديم، م. س، ص 95.
(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج2، ص 440.
(5) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج3، ص 175.

2 ـ المرأة في التاريخ الهندي

كان لزواج الفتاة الباكر وتشديد العقاب على الزانية أكبر الأثر في تقليل نسبة الفساد عند المرأة، وهو إن وجد فيمكن ملاحظته عند الكاهنات وبعض الخليلات من الطبقات الدنيا.

3 ـ الرجل في التاريخ الهندي

جرت العادة، كما عند كل الأمم السابقة، أن يتمتع الرجل الهندي بحرية أكبر من حرية المرأة، «فنرى أن الرجل المثالي، سواءً كان برفقة أصدقائه أو بدونهم، كان يتوجه إلى الحدائق العامة ممتطياً صهوة جواده ويسير وراءه بعض من خدمه، حيث يشاهد عراك الديكة وعصافير السمان وصراع الأكباش، ويمضي سهرته عند الاقتضاء مع خليلته فيتنزهان في ضوء القمر ويتناولان طعامهما في الغابة إذا ما اخضوضبت البراعيم ويلعبان ألعاباً جماعية، وقد حظر على الرجل ممارسة الكاما (الحب) مع امرأة تنتمي إلى طبقة أعلى من طبقته، أو مع امرأة من طبقته إذا ما كانت ملكاً لرجال آخرين، غير أنه كان يتمتع مع ذلك بحرية زائدة تخوله اللهو مع الخليلات وأن يمرح مع نساء من الطبقات الدنيا أقصين عن طبقاتهن أو تزوجن للمرة الثانية»[1].

6 ـ الفساد في التاريخ الصيني

اتصف المجتمع الصيني كغيره من المجتمعات بالصفات المتناقضة، ومنها التشدد في المحافظة على العفة من جهة، وتسهيل البغاء والعلاقات الجنسية خارج إطار الزواج من جهة ثانية.

1 ـ المرأة في التاريخ الصيني

اهتم الصينيون بعفة الفتاة، وكانت «العفة تعدّ من الفضائل السامية، وكان الآباء يحرصون عليها أشد الحرص في بناتهم، وقد نجحوا في غرس هذه الفضيلة في البنات نجاحاً منقطع النظير يدل عليه أن البنات الصينيات

(1) فريشاور، بول، الجنس في العالم القديم، م. س، ص 192.

كن في بعض الأحيان يقتلن أنفسهن إذا اعتقدن أن شرفهن قد تلوث بأن مسهن رجل مصادفة»[1].

2 ـ الرجل في التاريخ الصيني

إن المطالبة بالعفة المذكورة سابقاً كانت مقصورة على النساء دون الرجال، إذ إنهم غير مطالَبين بها، فكثيراً ما يتردد الرجل الصيني على المواخير، و«يعتقد أهل فرموزا[2] نوعاً من النار، ولكن لمجازاة من لم يذهبوا عراة في بعض الفصول، ومجازاة من لبسوا ثياباً من كتان لا من حرير، ومن ساروا من غير أن يشاوروا تغريد الطيور، وهم لا يعدّون من الذنوب إدمان المسكرات والفسوق مع النساء، حتى أنهم يعتقدون أن دعارة أولادهم مما يرضي آلهتهم»[3].

وكان من نتيجة إباحة الدعارة بين الأولاد ان انتشرت «في الصين بكثرة بيوت متخصصة لدعارة الرجال، والآباء يبيعون اولادهم في سن الرابعة، وذلك لتدريبهم على هذه المهنة»[4].

7 ـ الفساد في التاريخ الياباني

شارك اليابانيون اسلافهم في بعض المعتقدات، ومنها المحافظة على العفة، إلا إنه وُجد عندهم أيضاً بعض التحرر في تصرفات بعض الأديبات اللواتي يكتبن الروايات والقصص الإباحية.

1 ـ المرأة في التاريخ الياباني

من القيم التي حافظ عليها اليابانيون عفة المرأة التي كانت «فضيلة

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج4، ص 267.

(2) فرموزا: جزيرة أقيمت عليها «الصين الوطنية» بعد انتصار الشيوعية على الأرض الصينية الأم في البر الآسيوي، وتسمى الآن «تايوان».

(3) مونتسكيو، روح الشرائع، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة، 1953م.، ج2، ص 189.

(4) MACMILIAN WESTERMARK, EDWARD, THE ORIGIN AND DEVELOPPEMENT OF THE MORAL IDEAS, LONDON, TOME 2, P: 4

مرغوباً فيها، حتى لقد قتل بعض نساء الطبقة العليا أنفسهن حين تعرضت بكارتهن للخطر»[1].

إلا أنه قد عُرفت أيضاً بعض النساء الأديبات اللواتي كتبن الأدب الإباحي الفاحش، ومن هؤلاء النسوة «السيدة سي شوناجون» في كتابها «صور من الوسادة» حيث صورت في بعض المواضع من كتابها «الأوضاع الصحيحة التي ينبغي مراعاتها عند اقتراف الخطيئة»[2].

2 ـ الرجل في التاريخ الياباني

تمتع الرجل الياباني بحرية جنسية حتى ولو كان متزوجاً، وكثيراً ما كان «آلاف الرجال، وكثير منهم أزواج محترمون، يحتشدون ليلاً في «يوش وارا (أي حي الزهر)» «في طوكيو، ففي ذلك الحي منازل خرجت على النظام، يسكنها خمسة عشر ألف امرأة زانية رُخِّص لهن بالزنا ومَهَرْنَ فيه، تَراهنّ في الليل جالسات وراء «شيش» نوافذهن، فاخرات الثياب، بيضاوات بما وضعنه على أجسادهن من مساحيق، مستعدات للغناء والرقص والدعارة لمن ليس له امرأة عشيرة من الرجال، أو لمن ساءت عشيرته منهم»[3].

وعرفت اليابان أيضاً فتيات الجيشا وهن شبيهات بطائفة الغواني في اليونان، كما وجد أيضاً «جيشا خاص بالرجال يتواجدون في المقاهي حتى منتصف القرن التاسع عشر»[4].

8 ـ الفساد في التاريخ اليوناني

مرّت الأمة اليونانية بمرحلتين هامتين، المرحلة الأولى هي مرحلة البناء والازدهار، والمرحلة الثانية هي مرحلة الزوال والفناء، ولا بد في

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج5، ص 65.

(2) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج5، ص 65.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة م. س، ج5، ص 65.

(4) WESTERMARK, EDWARD, THE ORIGIN AND DEVELOPPEMENT OF THE MORAL IDEAS, TOME2, P : 463.

التحدث عن تلك المرحلتين من التفريق بينهما وذلك من أجل بيان أسباب الانهيار الخلقي في كلتا المرحلتين.

امتازت المرحلة الأولى بالقوة نتيجة للتمسك بالقيم والمبادئ الأخلاقية «وكانت العقائد الخرافية من أقوى العوامل في تدعيم المبادئ الأخلاقية وإن كانت هذه المبادئ متأصلة في القصص الشعبي والمعارف الشعبية أكثر من تأصلها في العقيدة الدينية»[1].

بينما امتازت المرحلة الثانية بانتشار الأخلاق البورجوازية وفقدان المبادئ الخلقية، والابتعاد عن الاهتمام بشؤون العائلة والأسرة، وانتشار الشذوذ الجنسي.

1 ـ المرأة في التاريخ اليوناني

كان عمل المرأة في العصر اليوناني يقتصر على الاهتمام بشؤون بيتها وأسرتها، وكانت الفتاة تنتقل «مباشرة من البيت الوالدي إلى البيت الزوجي لا تخرج منه إلا نادراً ... أما واجبات الزوجة الأولى فهي إدارة شؤون البيت الداخلية، والاعتناء بالملابس، والعناية بأولادها الذكور الذين يخرجون من ولايتها في سن السابعة، والإناث اللواتي يبقين معها حتى زواجهن، فالشؤون الاجتماعية والفكرية، ولا سيما السياسية، لا تعود إليها، إذا قصدت تحاشي الفضيحة»[2].

وكثيراً ما كان الزوج يسمح لها «إذا تحجبت الحجاب اللائق بها وصَحِبها من يُوثَق به، أن تزور أقاربها وأخِصّاءها، وأن تشترك في الاحتفالات الدينية، ومنها مشاهدة التمثيل»[3].

وحدث فيما بعد تطور كبير في وضع المرأة أدى إلى حصولها على حرية أكبر في التعليم وحتى في التنقل، «ولم تعد تربية البنات محصورة في الأمهات وحدهن في الحَرَم الذي ليس له أي اتصال بالخارج. فهن على

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج8، ص25.
(2) كروزيه، موريس، تاريخ الحضارات العام، م. س، م1، ص357.
(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج7، ص118.

غرار إخوتهن يختلفن إلى المدارس وحتى إلى محلات الرياضة. فنتج عن ذلك أن حياة النساء من الطبقة الميسورة غدت أوفر حرية، أجل لم يتلق كثير منهن العلوم النظرية العالية، ولكننا نعرف عدة شاعرات، وليس الحديث بعدئذ في الأدب والفلسفة والفن وقفاً على بعض المتحررات المتقدمات، فقد بدأت اقتسارات الزمن الماضي بالتراخي، أجل لم تظهر سيدات المجتمع الراقي في الولائم، ولكن أصبح باستطاعتهن أن يخرجن إلى المدينة دون أن يرافقهن أحد، وقد سمح لهن أزواجهن بالتقاء رجال غير أنسبائهن، ولذلك فقد تطورت الأخلاق نحو أدب أسمى وأرقى[1] وتعود إلى هذا العهد بعض عادات المجاملة، كتقبيل الأيادي»[2].

وحدث في نهاية العصر أن قامت «حركة تهدف إلى تحرير المرأة، فنرى بوريديز يدافع عن النساء في خطب جريئة وغمزات خفيفة»[3].

2 ـ الرجل في التاريخ اليوناني

كان الرجل اليوناني يتمتع بصفات متناقضة، فنجده يدعو إلى الشجاعة والرجولة ويعتز بهما ويقوم بحقهما كما نجده يدعو إلى الاعتدال وعدم الإفراط بشيء ولا يقوم بحقهما.

إذ إن الرجل الأثيني العادي «رجل شهواني ولكنه رجل ذو ضمير حي، فلا يرى خطيئة في مَلاذِّ الجسم ويجد فيها الجواب العاجل للتشاؤم الذي يخيم عليه في فترات تفكيره، وهو مغرم بالخمر ولا يستحي أن يسكر منها بين الفينة والفينة، يحب النساء حباً جثمانياً لا يكاد يشعر بأن فيه خطيئة ما»[4].

ومن هذا التناقض الذي تمتع به الرجل الأثيني الطلب إلى النساء المحترمات أن يكن عفيفات قبل الزواج بينما يحق له أن يتخذ خليلة

---

(1) هذا الرقي هو من وجهة نظر الكاتب، بينما العكس هو الصحيح، فالحجاب وعدم الاختلاط هو الصواب من الناحية الدينية والخُلقية.

(2) كروزيه، موريس، تاريخ الحضارات العام، م. س، م1، ص 445.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج7، ص 118.

(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج 7، ص 98 ـ 99.

يعاشرها معاشرة الأزواج، وفي ذلك يقول دمستين : «إننا نتخذ العاهرات للذة، والخليلات لصحة أجسامنا اليومية، والأزواج ليلدن لنا الأبناء الشرعيين ويُعنين ببيوتنا عناية تنطوي على الأمانة والإخلاص»[1].

والملاحظ في هذا التعريف أن هناك نوعين من النساء إضافة إلى الزوجات في حياة الرجال هما: الخليلات والعاهرات. والخليلات كن يتمتعن بحماية الرجال المتزوجين الذين «لا ينابهم لهذا السبب عقاب أخلاقي أكثر من تأنيب زوجاتهم في بيوتهم وشيء قليل من سوء السمعة في المدينة»[2].

أما العاهرات فكن أكثر من أن يُحصين، «ومنهن من اشتهرن بثقافتهن الرفيعة، فهذه «إسباسيا» الميلية التي لم يستنكف سقراط من إكرامها، والتي جعل منها بريكليس رفيقة حياته بعد أن طلق زوجته الشرعية، والتي لا يحط من منزلتها في أعيننا سوى العلاقة التي ربطتها بعد وفاة عاشقها العظيم بتاجر أغنام استهوته السياسة هو أيضاً»[3].

وما أشبه ذلك العصر بهذا العصر، حيث من الملفت أن أكثر الراقصات يحاولن الحصول على الدرجات العلمية العالية، حتى أن منهن من يحملن شهادات دكتوراه في علوم لا تمت إلى الرقص بصلة.

- **عِشق الرجل اليوناني للغلمان** اشتهر الرجل اليوناني إضافة إلى حياته الماجنة مع الخليلات والعاهرات بعشقه للغلمان، وفسر أرسطوطاليس هذه الظاهرة بأن الأولاد في أثينة في عصر بركليز «كانوا يؤخذون من أجنحة الحريم في البيوت حيث تقضي النساء المحصَنات حياتهن، أو ينشئون عادة في صحبة أولاد مثلهم أو رجال ... كذلك كانت حياة الغلمان الجامعة في إسبارطة، واشتراكهم في الطعام، واجتماعهم في الأسواق العامة والملاعب الرياضية، وفي مدارس الألعاب في أثينة، وحياة منظمات الشباب، كانت هذه كلها لا يرى فيها الشباب إلا صور الذكور، وحتى

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج7، ص 114.
(2) دسورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج7، ص 103.
(3) كروزيه، موريس، تاريخ الحضارات العام، م. س، م1 ص 357.

الفن نفسه لا يكشف عن الجمال النسوي قبل عهد بركليز»[1].

ومما يثير العجب أن الفلاسفة كانوا من أكبر المشجعين على هذا الانحراف الجنسي، فيقول أفلاطون «فقط الصغار الذين يستسلمون جسداً وروحاً مؤهلين ليصبحوا رجال دولة»[2].

3 ـ نتائج الفساد الخلقي

كان من نتائج انتشار الفساد الخلقي في اليونان أن تغيرت الأخلاق والصفات، «وأضحت الحياة في بلاد اليونان أدق مما كانت وأكثر تهذيباً، وكانت النساء يتمتعن بقسط أوسع من الحرية في غدوهن ورواحهن ويبعثن في الرجال الميل إلى الظرف والرشاقة، فأخذوا يحلقون لحاهم، وخاصة في بيزنطية ورودوس، حيث كانت القوانين تحرم هذا العمل وتعدّه تشبهاً بالنساء»[3].

وكان من نتائج هذا الفساد أيضاً أن قلّ عدد السكان، بسبب انتشار الشذوذ الجنسي من جهة، وبسبب هروب الرجل من الزواج من جهة ثانية، وكان الرجل في حال زواجه يعزف عن الإنجاب ويقتصر على ولدين كحد أقصى، وقد وصف «بوليب» الكاتب الذي عاش في القرن الثاني قبل الميلاد الوضع بقوله: «نلاحظ اليوم، في كافة أنحاء اليونان نقصاً في الأولاد والرجال تفغر معه المدن ويُشلّ إنتاجها ... أما السبب فواضح والدواء ففي أنفسنا، إن الرجال يعزفون عن الزواج وعن تربية أولادهم حباً بالتظاهر وحباً بالمال وجبناً، فهم إن رَبَّوا لا يُربون أكثر من ولدين حرصاً منهم على الحفاظ على الثروة وعلى تربيتهما في ظل حياة هانئة متخنثة، وهكذا فإن الداء الخفي قد برز فجأة. فإذا لم يكن هنالك سوى ولد أو ولدين، وإذا ما قضت الحرب أو المرض عليهما فمن الجلي المحتم أن تفغر البيوت ... ولا يختلف اثنان على القول أن تلافي ذلك منوط بنا

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج7، ص 109 ـ 110.

(2) 1 PICAT, JEAN, VIOLENCES MEURTRIERES ET SEXUELLES, PRESSES UNIVERSAIRES DE FRANCE, PARIS, 1982,P:102.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج8، ص 25.

وحدنا، إما بتغيير ما هو هدف التنافس بيننا وإما باعتماد شرائع ترغم على تربية الأولاد الذين يبصرون النور»[1].

وما أشبه اليوم بالأمس حيث يُلاحظ أن غالبية الأسر اليوم لا تُكثر من إنجاب الأولاد بحجة تربيتهم التربية السليمة،وتأمينهم لكافة حاجاتهم المعيشية.

9 ـ الفساد في التاريخ الروماني

مرّ العهد الروماني كما مرّ غيره من العهود بمرحلتين متتاليتين، مرحلة الازدهار والقوة ثم مرحلة الفناء والزوال.

1 ـ المرأة في التاريخ الروماني

كانت المرأة في بداية هذا العهد مطالبة بالعفة، وكان «يُطلب إلى الفتيات في جميع الطبقات الحرة أن يحافظن على بكارتهن»[2].

إلا ان هذا لا يعني أن تبقى المرأة أسيرة المنزل، «فكانت النساء ينتقلن في الشوارع محمولات في الهوادج» يعرضن أنفسهن من كل ناحية للناظرين، «وكن يتحدثن إلى الرجال في الأروقة والمنتزهات والحدائق وساحات المعابد، ويرافقنهم إلى المآدب العامة والخاصة، وإلى المُدَرَّجات ودور التمثيل.

وبعد مرور الزمن حصلت النساء على حرية أكثر جعلتهن يفضلن الزيجات العرفية فراراً من وصية الأزواج عليهن، وبذلك أصبن ثراء عظيماً وتمتعن بحرية التصرف، وجاهدن جهاداً صادقاً للتحرر من القيود التي فرضت على المبالغ التي يمكن إنفاقها على زينتهن»[3].

---

(1) كروزيه، موريس، تاريخ الحضارات العام، م. س، م1، ص 449.

(2) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج9، ص 141.

(3) هامرتن، جون، تاريخ العالم، مطبعة مصر، مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، المجلد الثالث، ص 478.

2 ـ الرجل في التاريخ الروماني

كان الرجل الروماني محافظاً على حبه للحياة الأسرية، «وظلت الأخلاق الجنسية عند الرجل العادي واحدة لم يطرأ عليها تغيير من بداية التاريخ إلى نهايته، ظلت خشنة طليقة ولكنها لا تتعارض مع الحياة الناجحة في ظل الأسرة»[1].

إلا ان محافظة الرجل الروماني على أسرته لم تمنعه من الخيانة الزوجية والبحث عن الخليلات، وقد «انتشرت عادة اتخاذ الخليلات بين الطبقات العليا»[2].

وكان تفضيل الروماني للخليلات يعود إلى عدم تمتع سيدات روما بوجه عام بقدر «كاف من الثقافة والتعليم يؤهلهن لمشاركة أزواجهن الحياة مشاركة فعلية، ولهذا فضَّل الرجال صحبة النسوة اللامعات المتحللات من القيود الأخلاقية»[3].

ومع الزمن اخذ الزنا بالانتشار في روما مترافقاً مع الدعارة، واشتد التنافس بين النساء والرجال، وكان اللواط «محرماً بحكم القانون ولكنه كان مباحاً بحكم العادة، واسع الانتشار لا يُرى فيه مسبة ولا عار»[4].

10 ـ الفساد في التاريخ المسيحي

أساء المسيحيون إلى المرأة وتميزوا باحتقارها واعتبارها أصل كل شر، لذلك جرت الدعوة إلى اعتزالها وعدم الاقتراب منها، إلا أن هذه الأفكار كانت مجرد نظريات أطلقها رجال الكنيسة، مدافعين بذلك عن الرهبنة وداعين إليها، أما في الواقع فكانت هناك إباحية جنسية بين أفراد الشعب، وكان الفسق في الأديرة من مميزات ذلك التاريخ.

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج9، ص141.
(2) هامرتن، جون، تاريخ العالم، م. س، م3، ص 492.
(3) هامرتن، جون، تاريخ العالم، م. س، م3، ص 492.
(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج10، ص315.

1 ـ المرأة في التاريخ المسيحي

تعرضت المرأة عبر التاريخ المسيحي إلى الاحتقار نتيجة لانتشار آراء بعض القديسين الذين نبذوا المرأة واعتبروها أصل كل خطيئة، ومن أقوال الآباء الكنسيين في المرأة وفي العلاقات الزوجية: المرأة باب جهنم، طريق الفساد، إبرة العقرب، حليفة الشيطان، وكم من الآباء الكنسيين رددوا «أفضل الاجتماع بالشيطان على الاجتماع بالمرأة لأنها تقتادني حتماً إلى الخطيئة»[1].

وقد بلغ من احتقار بعض المثقفين للمرأة أن اعتقدوا بمقولة: «إن المرأة بسبب طبيعتها الشيطانية تستطيع أن تقيم اتصالاً مباشراً مع الشيطان»[2].

وكانت الكنيسة تتشدد في طلب العفة في العلاقات الزوجية، إلا انه مع ذلك عُرفت «العلاقات الجنسية قبل الزواج، وفي خارج نطاق الزواج، وكانت منتشرة انتشارها في أي وقت بين أقدم الأزمنة والقرن الثاني عشر، ذلك إن غريزة النساء المختلطة كانت تتعدى الحدود التي تقيمها الشرائع الزمنية والكنسية، وكانت بعض النساء يعتقدن إن ورعهن في آخر الأسبوع يكفر عن مرحهن وخطئهن»[3].

2 ـ الرجل في التاريخ المسيحي

انتشر الفسق بين الشباب المسيحي على رغم انتشار الآراء الكنسية الداعية إلى العفة قبل الزواج، «إلا أن الشاب في العصور الوسطى كان من أكبر الظن قد ذاق أنواعاً من الصلات الجنسية قبل بلوغه السادسة عشرة من عمره»[4].

---

(1) صارجي، بشارة، العلاقات الجنسية والدين، دار القلم، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1974 م .، ص 42.

(2) صارجي، بشارة، العلاقات الجنسية والدين، م. س، ص45.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج16، ص 179.

(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج16، ص 178.

ولم يقتصر الفساد على الطبقات الوسطى والصغرى، فقد أشار فارس لاتورلاندري la tour landry إلى «انتشار الفسق بين بعض الشباب من أبناء الأشراف، وإذا أخذنا بأقواله فان بعض رجال الطبقة التي ينتمي إليها كانوا يفسقون في الكنائس بل «على المذبح نفسه»[1].

وكان الرجال يعتبرون الذهاب إلى الكنيسة تسلية لهم، ينظرون إلى النساء الجالسات في الشرفات العليا وقد تَزَيَّن بأجمل الثياب وتَحَلَّين بكامل جواهرهن يتحادثن ويتضاحكن...

فكانوا «يجلسون في صحن الكنيسة يرنون بأبصارهم إلى النساء ويناقشون الأحداث الجارية، وكانت جلجلة الضحك وهدير التصفيق كثيراً ما توقف العظة بعض الوقت، وقد يتعرض الواعظ الذي لا يعجب الجمهور لأن يُجْلِيه صفير الاستهزاء عن منصته»[2].

3 ـ الفساد في الأديرة

امتد الفساد وانتشر في العصور الوسطى حتى استشرى داخل الأديرة، وذلك لسببين:

1 ـ دخول كثير من الراهبات «الأديرة على رغم منهن ووجدن متاعب من حياة التقى والصلاح»[3].

أما الرهبان فكانوا يعينون من قِبل سيد إقطاعي أو ملك، «ولم يكن هؤلاء الرهبان يتقيدون بقيود الأديرة، فكانوا يستمتعون بالصيد والقنص، وألعاب الفروسية، وينغمسون في السياسة»[4].

وقد استدعى الأمر تدخلاً من قبل الأساقفة للحد من مغامرات بعض رجال الدين، حيث بُعث أحدهم للحد من مغامرات رئيس دير بيتربورو الذي اقترف «جريمة الزنا مع ثلاث نساء باعتبار ذلك الأمر عادياً مألوفاً.

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج16، ص 179.
(2) هامرتن، جون، تاريخ العالم، م. س، م4، ص 329.
(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج16، ص 149.
(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، ج 16، م. س، ص 110.

وبالرغم من أن الأسقف الزائر برأه رسمياً بذلك الإجراء الرخيص، ألا وهو حلّه من الخطيئة، فانه عاقب في ذات الوقت اثنتين من بين النسوة الثلاث»[1].

2 ـ تحريم الكنيسة الزواج على الرهبان، فإن «مجمع «كليرمونت» الذي عقد في سنة 1095 لم يكتف بتأييد قرار تحريم الزواج على القسيس بل وطالب المتزوجين منهم بسرعة ترك زوجاتهم»[2].

وكان من نتائج هذا القرار أن التجأ الرهبان إلى طريقين لإشباع حاجاتهم الجسدية.

الطريق الأول: الزنا واتخاذ العشيقات والمحظيات، وكثيراً ما كانوا «يتخذون من جلسة الاعتراف ومما يطلعون عليه من أسرار المعترِفات وسيلة لإكراههن على الاستسلام لهم، فأصبحت الكنائس مسرحاً لأشد الأعمال فحشاً وفجوراً وأكثرها انحلالاً وانحطاطاً»[3].

الطريق الثاني: اللواط وإتيان البهائم الذي انتشر في أثناء الحروب الصليبية، «وقد كتب هنري رئيس دير كليرفو عن فرنسا في عام 1177 يقول: «إن سدوم القديمة قد أخذت تقوم فوق أنقاضها»، واتهم فيليب الجميل رهبان المعبد بانتشار اللواط بينهم. وفي كتب التوبة الدينية التي تصف وسائل التكفير عن الذنوب ذكر لضروب الفحش من بينها البهيمية، وكانت الصلات الجنسية من هذا النوع إذا كشفت عوقب الطرفان المشتركان فيها بالإعدام، وفي سجلات البرلمان الإنجليزي ذكر لطائفة من الكلاب، والمعز، والبقر، والخنازير والإوز حُرقت حية هي ومن ارتكب معها الفحشاء

---

(1) كولتون، ج . ج، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، دار المعارف، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1964 م.، ص 143.

(2) رنسيمان، ستيفان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1967م.، ص 156.

(3) المجدوب، أحمد علي، العادات الجنسية في المجتمعات الغربية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1991م.، ص 204.

من الآدميين، كذلك كثرت مضاجعة المحارم في تلك الأيام»[1].

المبحث الثاني
الاغتصاب عند الأمم القديمة

1 ـ الاغتصاب في العصور البدائية

يعتبر الاغتصاب في العصر الحالي جريمة يعاقب عليها القانون، إلا أن هذا الحكم لا يشمل كل الحالات التي جرى فيها الاغتصاب، إذ إن جرائم الاغتصاب التي تقع في الحروب لا يعاقب عليها القانون غالباً، بل كثيراً ما يشجع رجال القانون والحكّام المقاتلين على القيام بها، ومن هنا كان من الضروري استعراض نظرة الشعوب القديمة للاغتصاب مع تبيان أنواع الاغتصاب المتعارفة عندهم، مميزين بذلك بين ما يعتبر جريمة وما يُعتبر عرفاً مسموحاً به، بل مُلزم تنفيذه، وذلك قبل البحث في جريمة الاغتصاب في الفقه الإسلامي في العصر الحالي في فصول قادمة إن شاء الله.

1 ـ الاغتصاب في أنظمة الزواج

يعتبر أخذ الزوجة بالقوة عرفاً قديماً هدفه إثبات رجولة الزوج وإجبار الزوجة على الخضوع له، كما يهدف أخذ الزوجة بالخطف والشراء إلى إثبات ملكية الزوج على زوجته.

وقد مرّ الزواج في العصور البدائية بعدة مراحل، فكان من أنظمة الزواج الأولى أن ينتقل الزوج للعيش مع عشيرة زوجته التي أراد الزواج بها، و«لما تطور نظام الأسرة الأبوية سُمح للخطيب أن يأخذ عروسه معه إلى عشيرته على شرط أن يقيم فترة معلومة قبل ذلك في خدمة أبيها...»[2].

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج16، ص 178 ـ 179.

(2) ذكر القرآن الكريم حادثة مماثلة حصلت مع نبي الله موسىﷺ حيث طلب منه والد العروس أن يبقى في خدمته مدة زمنية تتراوح بين ثمان وعشر سنوات، يقول تعالى على لسان موسى: (قالَ إنّي أريدُ أن انكِحَك إحدى ابنتيَّ هاتينِ على أن تأجُرني ثمانِيَ حِجَج فإن أتممتَ عشراً فمن عِندك وما أريدُ أن أشقَّ عليك ستجدني إن شاءَ اللهُ من الصالحين) سورة القصص ،الآية 27.

لكن الخطيب كان أحياناً يقتضب الأمر باصطناعه للقوة الصريحة الغاشمة، وكان من حسنات الرجل وميزاته أن يأخذ زوجته من أهلها قسراً، فذلك يجعل منها أمَة رخيصة من جهة، كما يستولدها عبيداً من جهة أخرى، وهي إذا ما ولدت له هؤلاء الأطفال العبيد ازدادت بعبوديتها له صلة وربطاً»[1].

إلا أن هذا النوع من الزواج تغيّر نوعاً ما عندما زادت الثروة، «وبات أيسر على الخطيب أن يدفع لوالد العروس هدية ثمينة أو مبلغاً من المال ثمناً لابنته من أن يخدم عشيرة غير أهله للحصول عليها، أو يخاطر بما عسى أن يترتب على اغتصابها من قتال وإراقة للدماء، وكان نتيجة ذلك أن أصبح الزواج بالشراء تحت إشراف الوالدين هوالقاعدة السائدة في المجتمعات الأولى، وحدثت خلال ذلك حلقات وسطى تمّ منها الانتقال، فأهل ماليزيا[2] كانوا يسلبون زوجاتهم سلباً لكنهم كانوا يعودون بعدئذ فيجعلون هذه السرقة مشروعة بأن يدفعوا لأسرة الزوجة مبلغاً من المال»[3].

إلا أن هذه الأنواع من الزواج، سواء كان الزواج بالخطف أو بالشراء تعتبر نوعاً من أنواع الاغتصاب لأنه «لا تكاد تقع فيها على أثر من الحب والعاطفة»[4].

والزواج في هذه الحالة مجرد صفقة لمن يدفع أكثر، ففي أوغندا[5] مثلاً تستقبل ولادة الابنة «بصورة أفضل من استقبال الابن، لأن الابنة بالنسبة إلى الأب، هي زيادة مستقبليه على قطعانه»[6].

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج1، ص 73.

(2) ماليزيا: في جنوب شرق آسيا.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م.س، ج1، ص74.

(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م.س، ج1، ص 76.

(5) أوغندا: في شرق وسط أفريقيا.

(6) يولم، دنيز، الحضارات الأفريقية، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، 1988م.، ص127.

هذا وقد ذكرت كتب التاريخ نوعين من الاغتصاب كانا يحصلان في حالة الزواج، النوع الأول الزواج بالخطف والاغتصاب، والنوع الثاني الاغتصاب الذي يحصل في الليلة الأولى من الزواج.

أ ـ الزواج بالخطف وبالاغتصاب

نشأ الزواج بالخطف والاغتصاب نتيجة أسباب ثلاثة هي:

السبب الأول: سبي النساء في الحروب وجد الأقدمون أن سبي النساء في الحروب من أسهل الطرق للحصول على الزوجة، «فالنساء عند هنود أميركا الشمالية جزء من أسلاب الحرب، ولقد كان هذا السبي للنساء من الشيوع بحيث ترى الأزواج وزوجاتهم في بعض القبائل يتكلمون لغات مختلفة، فلا يفهم الزوج لغة زوجته ولا الزوجة لغة زوجها»[1].

ووجدت هذه العادة أيضا نتيجة رحلات الصيد، فمن عادات «الياكوت «yackut» إذا كان الرجل يتصيد مع رجال آخرين ووجدوا امرأة جميلة، يبحثون عن مكان صيد زوجها فيلحقونه ويضربونه ويقتلونه ويأخذون منه زوجته، وإذا عجزوا عن أخذها بالقوة لجأوا إلى الاحتيال، فيخرجونها من المنزل عن طريق مساعدتهم زوجها بإحضار طريدة الصيد إلى منزلها، فيخطفونها من المنزل بالقوة»[2].

وفي «شرقي شاطئ الغرين لاند[3] « green land» الطريقة الوحيدة للحصول على زوجة هي بالدخول إلى خيمتها وجرها من شعرها أو أي شيء يمكنه الإمساك بها وأخذها إلى بيته، والنتيجة هي معركة عنيفة حيث أن الفتاة تدعي الخجل وعدم الرغبة في الزواج خوفا من فقدان سمعتها وتواضعها»[4].

---

(1) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج1، ص 73.

(2) WESTERMARK EDWARD, THE HISTORY OF HUMAN MARRIAGE, MACMILLIAN AND CO P:243.

(3) غرينلاند: في اقصى شمال غرب أوروبا.

(4) WESTERMARK, EDWARD, THE ORIGIN AND DEVELOPPEMENT OF THE MORAL IDEAS, TOME 2, P 435

السبب الثاني: رفض الوالد تزويج الفتاة كان خطف الفتاة يتم في بعض الحالات بعد أن يرفض الوالد تزويج ابنته، فيتم الخطف بالاتفاق مع بعض أقارب الفتاة. «تذكر الروايات أنه كان من الشائع قديماً بين قبائل «الشوكي» التي تسكن شمال شرق آسيا أن يعمد جماعة من الشباب إلى القبض على فتاة ما علناً ويوثقونها، ثم يحملونها إلى الرجل الذي يرغب في الزواج منها، وذلك بعد أن يرفض والدها تزويجه، وقد يشترك في هذه العملية أقارب «الزوجة المخطوفة». وفي مثل هذه الحالات فإن الحادثة لا تترك روحاً عدوانية عند الأب، فقد كان الوالدان بعد ذلك يحضران مراسيم العرس ويطلبان الفدية، امرأة مقابل امرأة»[1].

ولعل زواج الخطيفة المعروف عند النصارى في لبنان ينتمي إلى هذه الجذور، حيث يعمد الخطيبان بالاتفاق مع الأهل إلى الزواج خطيفة توفيراً لتكاليف الزواج الباهظة.

السبب الثالث: المحافظة على العادات والتقاليد كانت الفتاة تؤخذ في بعض الأحيان بالقوة أمام جميع المدعوين في ليلة الزفاف، وذلك إثباتاً لرجولة العريس، «ففي بعض القبائل الأفريقية يجتمع أفرادها رجالاً ونساءً وأطفالاً حول الفتاة المخطوبة وهي جالسة بجانب والدها، ثم يشرع الجميع في عزف الموسيقى والغناء والرقص، وهنا يظهر الخطيب فجأة ويهجم على عروسه ويختطفها بالقوة، محاولاً النجاة بها بين صراخ النساء والأطفال ومحاولة الرجال والشباب إنقاذها من يديه، فإذا تمكن من النجاة بها وإسكاتها لتكف عن الصراخ والعويل بالضرب، فانه يكون جديراً حقاً بالزواج منها في الحال، ويستمر الاحتفال وتنهال الهدايا والهبات والتهاني على العريس، أما إذا لم يستطع الفرار بالفتاة، فانه لن يجرؤ بعد ذلك على طلب الزواج منها أو بغيرها. وغالباً ما يضطر إلى الهجرة والابتعاد عن ذلك الجو الذي أدركه فيه الفشل والخذلان»[2].

---

(1) سعد، راجي، الزواج في العالم عادات وتقاليد، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، دار الشواف للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1992م .، ص17.

(2) سعد، راجي، الزواج في العالم عادات وتقاليد ،م.س، ص22 ـ 23.

والملاحظ مما سبق أن الفكرة السائدة في العصر الحالي من أن المرأة تحب أن تؤخذ بالقوة مأخوذة من القرون الأولى حيث كانت المرأة تحب أن يشعرها زوجها بالرجولية حتى لو انقلب هذا الأمر ضدها، فزوجات «طبقات العبيد كن يشعرن بالقهر في حال لم يتعرضن للضرب، المرأة الفلاحة ببعض مناطق هنغاريا[1] لا تشعر بأنها محبوبة من زوجها إلا بعد أن تتلقى الضربة الأولى على أذنها، في البيئة الإيطالية الزوجة التي لا تتلقى الضرب من زوجها تشعر أنه غبي»[2].

نتائج الزواج بالخطف: كان من النتائج الأولية للزواج بالخطف أن تصبح الزوجة ملكاً لزوجها يتصرف بها كيف يشاء، فكثيراً ما كان الرجل في بعض القبائل يقدم زوجته لضيوفه وزائريه، ففي قبائل «الأبوريجنالزي» يعتبر الرجل «زوجته نوعاً من ممتلكاته وله الحق في التصرف بها عن طريق إعارتها أو التنازل عنها، وقد يحدث أحياناً أن يسطو أحدهم على هذه الملكية فتقوم معركة بينهما تنتهي بانتقال الزوجة إلى الفارس المنتصر وضياع حق المهزوم أو القتيل»[3].

ب ـ اغتصاب الليلة الأولى

جرت العادة في بعض المجتمعات البدائية على عدم حصر حق فض البكارة بالزوج، بل منهم من جعل ذلك الأمر منوطاً بالأم أو الأخت الكبرى ... وفي بعض الأحيان، وعند سن البلوغ، توكل هذه المهمة إلى النساء حيث تتم هذه العملية بواسطة العصا، أو العظام، أو حجرة كبيرة وكانت هذه العملية تعتبر عملية جراحية ..

وعند بعض الشعوب كانت الفتاة عندما تصل إلى سن البلوغ تؤخذ من قبل بعض الرجال إلى خارج القرية، حيث تتم عملية فض البكارة بواسطة الآلة أو عن طريق الاغتصاب.

---

(1) هنغاريا: في شرق اوروبة.

(2) WESTERMARK, EDWARD, THE HISTORY OF HUMAN MARRIAGE, TOME2, P:3

(3) راجي، سعد، الزواج في العالم عادات وتقاليد، م.س، ص10.

وكانوا في بعض الأحيان يوكلون هذه المهمة إلى بعض عابري السبيل، وفي بعض الأحيان قد يكون الكاهن أو الطبيب أو رئيس القبيلة هو الذي يفض بكارة العروس بعد حفلة زفافها[1] .

وقد يقوم الملك أحياناً بمهمة فض بكارة العروس، «فقد كتب الرحالة الطلياني ماركو باولو (Marco Paolo 1254 - 1323) عن سكان (الكوشنشين cochinchine منطقة في الهند الصينية) انه لا يجوز للعروس أن تُزف إلى زوجها إلا بعد أن تُعرض على الملك ويتصل بها إذا شاء»[2].

وأغرب عادة جرت في جزر الباليار baleares هي عادة اغتصاب الفتاة من قبل المدعوين من الرجال، وهذا ما يحصل أيضا في احتفالات الأعراس في جزر الماركيزاس، حيث كان «العريس يومئ إلى كافة الرجال الحاضرين لكي يصطفوا في طابور، ومن ثَمَّ يتقدم كل واحد منهم إلى حيث تستلقي العروس وقد ألقت برأسها على ركبة العريس، ويضاجعونها كأزواج لها... لم تكن هذه الممارسات رمزية ... فالمرأة المتزوجة حديثاً كانت أحياناً شبه مَيْتَة واضطرت إلى ملازمة فراشها لأيام عدة، على أن امتحان القوة هذا لم يعتبر مشيناً أو مخجلاً، فكلما ازداد عدد الرجال الذين أشبعتهم العروس، كلما ازدادت هي فخراً واعتزازاً»[3].

2 ـ الاغتصاب في التاريخ المصري

1 ـ الاغتصاب في العقائد

عُرف في الأسطورة المصرية الإله المغتصِب والإلهة الضحية، وهذا الإله هو «سِت» set وهو «معبود مصري، وهو إله الشر، «وست» «يعانق»

---

(1) DE BEAUVOIR, SIMON, LE DEUXIEME SEXE TOME 1, 9 EDITION P:251

(2) وافي، عبد الأحد، قصة الزواج والعزوبة في العالم، مكتبة نهضة مصر ـ مصر ،بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص47.

(3) بنغلت، دانيلسون، تقاليد الحب والزواج في جزر هاواي والمحيط الهادئ، دار الحمراء، بيروت . لبنان، 1990م.،ص110.

عناة «ويغتصبها (المقصود هنا هو إظهار قوة الإله الجنسية وفحولته الذكرية)»[1].

أما «عناة» فهي «تلقب بالعذراء رغم كل الصلات الجنسية التي قامت بها، ورغم العلاقات العاطفية التي كانت تربطها مع العديد من الرجال ... عُثر على نص يقول بأن الإله «ست» المصري لاحقها واغتصبها دون مقاومة تذكر (اغتصبها بالنار وفض بكارتها بالمبرد)»[2].

ولعل في هذا القول بعض التناقض، حيث نجد أن الألهة «عناة» تمتعت بحرية جنسية تامة بينما في موضع آخر نجد أن الإله «ست» اعتدى عليها وفض بكارتها، ولعل التوضيح المقبول هنا، انه كان للالهات طريقة لاستعادة بكارتهن كغسل أنفسهن بمياه البحر كما الالهات في اليونان.

وكان لاعتبار اغتصاب الألهة فعلاً مقبولاً أن أجازه وقام به بعض الكهان داخل المعابد، فقد قام أحد الكهنة المدعو « بينانوكي خلال سفره إلى طيبة بالاشتراك في رواية غريبة تدور حول» الوحي الإلهي «(الاعتقاد بأن الإله يجيب بواسطة أحد الكهان عن أسئلة تتعلق بأمور الغيب)، فاستغلها لنفسه لارتكاب الموبقات واقدم على اغتصاب مواطنتين على أهبة الزواج»[3].

2 ـ الاغتصاب المباشر

ورد في القانون المصري القديم: «الاغتصاب عقوبته قطع عضو التناسل»[4].

وتدل هذه العقوبة على رغبة الحكام في القضاء على جريمة

---

(1) نعمة، حسن، موسوعة ميتولوجية وأساطير الشعوب القديمة، ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت . لبنان ،1994 م.، ص 225.

(2) نعمة ،حسن، موسوعة ميتولوجية وأساطير الشعوب القديمة ،م. س، ص 247.

(3) سونيرون، سيرج، الكهان في مصر القديمة، ترجمة عيسى طنوس، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق . سورية، الطبعة الأولى، 1994م، ص 26.

(4) فلندرزتيري ،و.م، الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، م. س، ص 184.

الاغتصاب عن طريق تشديد الحكم لإخافة من تسول له نفسه ارتكاب مثل هذا الجرم.

3 ـ الاغتصاب في التاريخ البابلي

1 ـ الاغتصاب في الأساطير

ركزت أساطير بلاد ما بين النهرين على اعتبار فعل الاغتصاب جريمة تستوجب العقاب، حتى ولو تم هّذا العمل من قبل إله من الآلهة فقد كان يعاقب بالنفي، وهذا ما ترويه أسطورة «أنابيل، إله العواصف والقوة والبطش سيد الآلهة، حين يعتدي على تنليل الفتاة العذراء وهي تغتسل في النهر، كما تروي الأسطورة، يقدّم للمحاكمة برغم عنفوانه، ويحكم عليه مجلس الآلهة بالنفي في المدينة إلى العالم الأسفل»[1].

وقد وجدت في بابل عادات وتقاليد دينية متعارف عليها، يمكن أن نستخلص منها أنواعاً من الاغتصاب، ومن هذه العادات دخول النساء إلى الهياكل لخدمة الآلهة وممثليهم، و«كان يتصل بالهياكل عدد من النساء، منهن خادمات ومنهن سراري للآلهة أو لممثليهم الذين يقومون مقامهم على الأرض، ولم تكن الفتاة السومرية ترى شيئاً من العار أن تخدم الهياكل على هذا النحو، وكان أبوها يفخر بأن يهب جمالها ومفاتنها لتخفيف ما يعتري حياة الكهان المقدسة من ملل وسآمة، وكان يحتفل بإدخال ابنته في هذه الخدمة المقدسة ويقرّب القرابين في هذا الاحتفال، كما أن الأب كان يقدم بائنة ابنته إلى المعبد الذي تدخله»[2].

2 ـ الاغتصاب المباشر

يُعتبر وجود قانون معيّن يُعمل به دليلاً كافياً على وجود جرائم استدعت وجود هذا القانون. ومن هنا فإن شريعة حمورابي وُضعت لحماية

---

(1) الحوراني، يوسف، الانسان والحضارة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1976 م.، ص 133.

(2) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج2، ص 32.

الشعب من التجاوزات التي يقترفها بعض المجرمين، ومن هذه الأحكام الحكم بالقتل على المجرم الذي يعتدي على العذراء، فلو «قيّد رجل امرأة (مخطوبة) لرجل آخر لم تمارس الجنس مع مخلوق ذكر بعد ولا تزال تعيش في بيت والدها وطارحها الحب وضُبط، يُقتل ذلك الرجل وتذهب المرأة حرة طليقة»[1].

3 ـ الاغتصاب غير المباشر

أ ـ الاغتصاب في أنظمة الزواج: عُرف الزواج بالشراء عند البابليين، والمعروف أن الزواج بالشراء فيه إذلال للمرأة، لأنها لا تستطيع الاعتراض أو رفض مشتريها ... وكانت عملية الشراء تتم داخل القرى حيث «كانت كل قرية تجمع فتياتها البالغات كل سنة في مكان معين حيث يجتمع فيه حولهن عدد كبير من الرجال الراغبين في الزواج فيأتي «الدلاّل» ويوقفهن، ثم ينادي لبيعهن واحدة بعد الأخرى مبتدئا بأوفرهن جمالاً، حتى إذا بلغ ثمنها القَدْرَ المنتظر باعها ثم عاد إلى المناداة لبيع غيرها مشترطاً على المشتري الزواج بهنّ. وهكذا كان البالغون سن الرشد من أغنياء البابليين يتنافسون في شراء الأجمل من أولئك الفتيات.

أما الشبان من عامة الشعب، فنظراً لفقرهم فقد كانوا يقنعون بالزواج من قليلات الحظ من الحُسن، لأن الدلاّل كان عندما ينتهي من بيع الجميلات يبدأ بعرض الدميمات والمشوهات وذوات العاهات، ومع كل منهن قَدْرٌ من المال يعوّض ما ينقصها من جمال، مشترطاً على من ترسو عليه الصفقة أن يتزوج الفتاة زواجاً قانونياً، ويستغني بما ستحمله إليه من مال على القيام بأود العائلة ... وهكذا كان المال الذي يُدفع ثمناً لوافرات الحظ من الجمال، ينفق في سبيل التعويض لقليلات الحظ منه.

ولم يكن للوالد الحق في اختيار الزوج لابنته، وكذلك كان على

(1) مجموعة من المؤلفين، شريعة حمورابي، م.س، ص 112.

المشتري أن يقدّم الضمان الكافي على إتمام عقد الزواج لمن يشتريها أو يختارها»[1].

اغتصاب الليلة الأولى: كان للشعب البابلي عادة «مخجلة تحتّم على كل امرأة بابلية أن تذهب مرة في حياتها إلى معبد «فينوس» (الزُّهْرَة) وتقدم جسدها إلى أجنبي. وكثيرات من ذوات اليسار اللواتي يأنفن من الاختلاط بغيرهنّ، كن يحملن إلى أمام المعبد في مركبات مقفلة، وهناك يجلسن وخلفهن العدد الكثير من الخدم الذين رافقوهن، أما سواهن فكن يجلسن في الحظيرة المقدسة التابعة للمعبد وبعضهن يجئن وغيرهن يذهبن، وكنت ترى الرجال الأجانب يتمشون في الحظيرة لكي يختاروا من تروق في أعينهم منهن، ومتى جلست المرأة في هذا المكان لا يجوز لها أن تعود ما لم يلق إليها أجنبي نقودا في حجرها، قائلا لها: «إنني أوصي بك الإلهة ميليتا myletta، وكان الأشوريون يطلقون هذا الاسم على فينوس ومهما يكن المبلغ الذي يلقى به إليهن قليلاً فليس لهن أن يرفضنه لأنه أصبح مقدساً، ومتى أُلقي إلى امرأة منهن وجب عليها أن تتبع في الحال من ألقاه إليها، كما أنه ليس للرجل بعد ذلك أن يتحّول عنها إلى سواها».

وبعد أن تُوَفّي المرأة نذرها للإلهة باختلائها بأجنبي يُسمح لها بالعودة إلى مسكنها. وكانت الوافرات الحظ من الجمال أسعد حالاً من غيرهنّ، لأنهن لم يكنّ في حاجة إلى طول الانتظار، نظراً لأن الإقبال عليهنّ كان ميسوراً، أما القليلات الحظ من الحُسن فقد كنّ مضطرات إلى الانتظار طويلاً حتى يوفين نذورهن، وقد يطولُ مكثهن بالمعبد ثلاث أو أربع سنوات وهذه العادة كانت مرعية في جزيرة قبرس أيضا»[2].

---

(1) لوبون، غوستاف، حضارة بابل وأشور، ترجمة محمود خيرت، المطبعة العصرية، مصر، الطبعةالأولى، 1987م .، ص 87.

(2) لوبون، غوستاف، حضارة بابل واشور، م.س، ص 88.

4 ـ الاغتصاب في التاريخ اليهودي

1 ـ الاغتصاب في العقائد

ورد وصف الأنبياء عليهم السلام في التوراة[1] بصفات بشعة لا أخلاقية، وكثيراً ما قام بعض هؤلاء الأنبياء بالاعتداء على النساء واغتصابهن إشباعاً لشهواتهم.

أ ـ اغتصاب شكيم بن حامور لدينة ابنة يعقوب عليه السلام

أوردت في التوراة قصة اغتصاب ابن عمدة شكيم (نابلس) لدينة ابنة يعقوب عليه السلام، فقد «أخذها واضطجع معها، وأذلها، وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب وأحب الفتاة ولاطف الفتاة»[2].

ب ـ اغتصاب النبي داود عليه السلام لامرأة فلطئيل

ورد في التوراة إنه لما قام الصراع بين داود (عليه السلام) وشاول من أجل الحصول على المُلك، وكان داود خطيباً لابنة شاول، فلما وقع الصراع بين داود وشاول قام شاول بتزويج ابنته إلى فلطئيل، إلا أن النبي داود عليه السلام جذب إليه كبير قواد شاول وهو ابنير... لذلك طلب شاول الصلح من داود عليه السلام.

«فأرسل ابنير من فوره رسلاً إلى داود قائلاً لمن هي الأرض، ويقول: اقْطَع عهدك معي، وهو ذا يدي معك لرد جميع إسرائيل إليك، فقال: حسناً، أنا أقطع معك عهداً إلا أني أطلب منك أمراً واحداً وهو أن لا ترى وجهي ما لم تأت أولاً بميكال بنت شاول حين تأتي لترى وجهي. وأرسل داود رسلاً إلى إيشبوشت بن شاول يقول: أعطني امرأتي ميكال التي خطبتها لنفسي بمائة غلفة من الفلسطينيين[3]، فأرسل إيشبوشت

---

(1) يذكر أن التوراة التي نتحدث عنها هي التوراة المحرفة وليست التوراة الصحيحة التي أنزلت على النبي موسى عليه السلام.

(2) سفر التكوين، الاصحاح34، العدد 2 ـ 3.

(3) الغلفة: القلفة، وهي قطعة اللحم التي تقطع في الختان من العضو التناسلي للذكور، والمقصود هنا قتل مائة من الفلسطينيين والتمثيل بأجسادهم حتى يأتي بالغلف المائة.

وأخذها من عند رجلها من فلطئيل بن لايش، وكان رجلها يسير معها ويبكي وراءها إلى يحوريم. فقال له أبنير: اذهب، ارجع، فرجع»[1].

ج - اغتصاب امنون بن داود عليه السلام لأخته تامار

لم يكتف اليهود بأن جعلوا من النبي داود عليه السلام خاطف النساء من أزواجهن بل إنهم جعلوا ذلك في سلالته، فقد ورد في التوراة «وجرى بعد ذلك إنه كان لأبشالوم ابن داود أخت جميلة اسمها تامار فاحبها أمنون بن داود، وأحصر أمنون للسقم من أجل تامار أخته لأنها كانت عذراء، وعسر في عين أمنون أن يفعل لها شيئاً.

وكان لأمنون رجل حكيم فقال له: لماذا يا ابن الملك، لماذا أنت ضعيف هكذا من صباح إلى صباح؟ أما تخبرني؟ فقال له أمنون: إني أحب تامار، فقال يوناراب: اضطجع على سريرك وتمارض، وإذا جاء أبوك ليراك فقل له: دع تامار أختي فتأتي وتطعمني خبزاً، وتعمل أمامي الطعام لأرى فآكل من يدها.

فاضطجع أمنون وتمارض، فجاء الملك ليراه، فقال أمنون للملك: دع تامار أختي فتأتي، وتصنع أختي كعكتين فآكل من يدها. فأرسل داود إلى تامار... فذهبت تامار إلى بيت أخيها أمنون وهو مضطجع، وأخذت العجين وعجنت كعكا أمامه، فأبى أن يأكل.

وقال أمنون: أخرجوا كل إنسان عني، فخرج كل إنسان عنه، ثم قال أمنون لتامار: ائت بالطعام إلى المخدع فآكل من يدك، فأخذت تامار الكعك الذي عملته وأتت بها إلى أمنون أخاها إلى المخدع وقدمت له ليأكل، فأمسكها وقال لها: تعالي اضطجعي معي يا أختي.

فقالت له: يا أخي لا تذلني، لأنه لا يُفعل هكذا في إسرائيل، والآن كلم الملك لأنه لا يمنعني منك، فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واصطنع معها.

---

(1) صموئيل الثاني، الاصحاح الثالث، عدد 11 ـ 12.

ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة، حتى أن البغضة التي أبغضها إياها كانت أشد من المحبة التي أحبها إياها، وقال لها: قومي انطلقي، بل دعا غلامه الذي كان يخدمه، قال: أطرد هذه عني خارجاً وأقفل الباب وراءها، فأخرجها خادمه إلى الخارج وأقفل الباب»[1].

ولعل قارئ هذه الحادثة قد يشعر أنه أمام رواية عاطفية تحوي كثيراً من عناصر التشويق والإثارة لدرجة أنه قد ينسى أنه أمام كتاب مقدس يقرأه المؤمنون في صلواتهم.

د ـ اغتصاب لوط عليه السلام من قبل بناته

ورد في التوراة أيضاً ذكر لنوع من الاغتصاب غير المباشر حصل للنبي لوط عليه السلام مع ابنتيه، فقد قامت هاتان الأخيرتان حسب زعم التوراة باغتصابه بعد أن قامتا بدسّ المخدر له في الشراب. فقد ورد في سفر التكوين إنه «صعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها ... وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي، نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة فاضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابناً ودعت اسمه موآب، وهو أبو الموآبيين إلى اليوم، والصغيرة أيضا ولدت ابناً ودعت اسمه ابن عمي، وهو أبو بني عمون إلى اليوم»[2].

وهذه الحادثة إضافة إلى أنها تتضمن تشجيعاً للمؤمنين على زنا

---

(1) صموئيل الثاني، الاصحاح13، العدد 1 ـ 18.

(2) سفر التكوين، الأصحاح 19، العدد 30 ـ 38.

المحارم، فإنها تشير أيضاً إلى إمكانية أن يكون الأنبياء أبناء زنا.

هـ ـ اغتصاب آخر ورد في التوراة

ورد ذكر حادثة أخرى في التوراة المحرفة في سفر القضاة حيث اتخذ رجل من لاوي زوجة من بيت لحم امرأة له، إلا أنها زنت، فذهبت إلى بيت أبيها وبقيت هناك مدة من الزمن، إلى أن ذهب زوجها وراءها، وبعد أن طيّب خاطرها عاد بها إلى موطنه.

وفي الطريق توقفا في حيفا حيث استضافهما شيخ أصله من أفراييم، وإذ برجال بنيامين يحيطون بالشيخ ويطلبون منه إخراج الرجل لارتكاب الفاحشة معه، إلا أن شهامة الرجل تأبى عليه ذلك فيقول لهم: «لا يا إخوتي، لا تفعلوا شراً بعدما دخل هذا الرجل بيتي، لا تفعلوا هذه القباحة، وهو ذا ابنتي العذراء وسَرِيَّتي دعوني أخرجهما، فأذِلّوهما وافعلوا بهما ما يَحسن في أعينكم، وأما هذا الرجل فلا تعملوا به هذا القبيح، فلم يرد الرجال أن يسمعوا له. فأمسك الرجل سريته وأخرجها إليهم خارجاً فعرفوها[1] وتعلّلوا بها الليل كله إلى الصباح، وعندئذ باب بيت الرجل حيث سيدها هناك إلى الضوء ... فقام سيدها في الصباح وفتح أبواب البيت وخرج للذهاب في طريقه، وإذا بالمرأة سريته ساقطة على باب البيت ويداها على العتبة، فقال لها: قومي نذهب، فلم يكن مجيب. فأخذها على الحمار وقام الرجل وذهب إلى مكانه ودخل بيته وأخذ السكين وأمسك سريته وقطعها مع عظامها إلى اثنتي عشرة قطعة أرسلها إلى جميع تخوم إسرائيل»[2].

و ـ اغتصاب يهوديت لقائد نبوخذ نصر

ورد في التوراة أيضا ذكر لنوع من الاغتصاب غير المباشر عن طريق الإغواء والاستغلال، وهذا ما ورد ذكره في سفر يهوديت عن هذه الداعرة الجميلة التي «قامت بالارتماء في أحضان القائد البابلي لجيش (نبوخذ

---

(1) عرفوها: أي زنوا بها.

(2) سفر القضاة، الاصحاح 19، العدد 23 ـ 29.

نصر) وأخذت تغازله حتى راق لها جدا وعاملها بكل شهامة، ولكنها أصرت على أن تكون من ضمن جواريه فرفع مقامها وأخذت تحسيه الخمر وتغازله فلما سكر ذبحته ...

ومجّد اليهود قصة هذه الداعرة التي دافعت بطريقة يهود المعروفة (استخدام النساء والخمر لقضاء مآربهم وتحقيق أحلامهم) عن قومها ووطنها»[1].

2 ـ الاغتصاب المباشر

وردت في التوراة أحكام خاصة بالفتاة التي تتعرض للاغتصاب، فإذا «كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها، فأخرجوا كليهما إلى باب تلك المدينة، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه، فتَنزع الشر من وسطك. ولكن إن وجد الرجل الفتاة المخطوبة في الحقل وأمسكها الرجل واضطجع معها، يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده، وأما الفتاة فلا تفعل بها شيئاً، ليس على الفتاة خطيئة للموت، بل كما يقوم رجل على صاحبه ويقتله قتلاً هكذا هذا الأمر، إنه في الحقل وجدها فصرخت الفتاة المخطوبة، فلم يكن من يخلصها.

وإذا وجد رجل فتاة عذراء غير مخطوبة فأمسكها واضطجع معها فوُجد، يعطي الرجل الذي اضطجع معها لأبي الفتاة خمسين من الفضة، وتكون هي له زوجة من أجل أنه قد أذلها، لا يقدر أن يطلقّها كل أيامه»[2].

وحُددت أيضاً في الأحكام الشرعية اليهودية بعض الأحكام الخاصة بالاغتصاب، ومن هذه الأحكام:

المادة 411: إنه «إذا احْتيل على بكر ومُسَّت بكارتها غُرّم المحتال

---

(1) البار، محمد علي، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، دار القلم، دمشق . سورية، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م، ص214.

(2) العهد القديم، سفر التثنية، الاصحاح 22، العدد 21 ـ 23.

خمسين ريالاً ولزمه تعويض شرف البنت بقدر درجته ودرجتها ثم تعويض ما نالها من الضرر بسبب الفعل بقدر قيمتها.

المادة 412: إذا عقد عليها أُعفي من الغرم الشرعي دون التعويضين الآخرين.

المادة 413: إذا وقع الفعل بالقوة زيدت عليه الجزاءات تعويضاً رابعاً هو تعويض ضرر القوة.

المادة 414: إذا طُلب من الفاعل هنا عقده على البنت لزمته شرعاً ... ولو كانت معيبة، ولها منع الطلاق إلا إذا زنت.

المادة 415: إذا لم يمتثل الفاعل في الحالتين لتلك الأحكام جوزي بالحرمان الشرعي حتى يمتثل أو يراضي البنت وأهلها.

المادة 416: الغرامة الشرعية لا تلزم إذا كانت البنت بالغة إلا إذا كان الفعل اغتصابا.

المادة 417: إذا كان الفعل احتيالاً والبنت بالغة إلا إذا كان الفعل اغتصابا.

المادة 418: التعويضات هي حق أب البنت في حال القَصْر، فإذا لم يكن على قيد الحياة فهي للبنت.

المادة 419: لا يعد الفعل غصباً إذا وقع غير بعيد عن العمار ما لم تقم البينة على صدق دعوى الغصب، كما إنه قد يقع في العمار ويكون غصباً بالدليل»[1].

إلا أن هذه الأحكام خاصة بالشعب اليهودي فقط، فإذا اعتدى اليهودي على فتاة من غير ملته فلا حكم عليه، فقد قال «الحاخام (رشي): إن اليهودي لا يخطئ إذا تعدى على عِرض الأجنبي، لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأن المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل كبهيمة،

(1) ابن شمعون، حي، الأحكام الشرعية للاسرائيليين، بدون دار نشر، 1912م.، ص121 ـ 124.

والعقد لا يوجد في البهائم وما شاكلها. وقد أجمع على هذا الرأي الحاخامات (بشاي وليفي ومرسون) فلا يرتكب اليهودي محرّماً إذا أتى امرأة مسيحية، وقال (ميمازور): إن لليهود الحق في اغتصاب الغير مؤمنات أي الغير يهوديات.

وقال الحاخام (تام) الذي كان من الجيل الثالث عشر بفرنسا: إن الزنا بغير اليهود ذكوراً كانوا أو إناثاً لا عقاب عليه، لأن الأجانب من نسل الحيوانات»[1].

3 ـ حقوق المجني عليها

أقر علماء اليهود بالتعويضات للمجني عليها، وهذه التعويضات منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي.

أ ـ التعويض المادي

فرض اليهود التعويض المادي للبنت التي تعرضت لانتهاك بكارتها، سواء تمّ ذلك عن طريق الغصب أو عن طريق الاحتيال، ومما ورد في أحكامهم: «إذا احتيل على بكر ومُسّت بكارتها غرم المحتال خمسين ريالاً ولزمه تعويض شرف البنت بقدر درجته ودرجتها ثم تعويض ما نالها من الضرر بسبب الفعل بقدر قيمتها»[2].

إلا أنه يعفى المحتال من الغرامة الشرعية في حال تم الزواج من البنت المغتصبة، «فإذا عقد عليها اعفي من الغرم الشرعي دون التعويضين الآخرين»[3].

ب ـ تعويض المهر

أضاف القانون اليهودي إلى التعويضات المادية السابقة تعويض المهر للفتاة التي تتعرض للاغتصاب من قبل رجل متزوج، فورد في الحكم أنه

---

(1) نصر الله، يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود، م. س، ص 89.
(2) نصر الله، يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود، م. س، ص121.
(3) نصر الله، يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود، م. س، ص121.

«إذا كانت للغاصب زوجة وكان في عرف البلد منع التزوج عليها لزمه إرضاء المغصوبة بما يكفيها مهراً للزواج بغيره»[1].

ولا بد من لفت النظر هنا إلى أن المهر عند اليهود تدفعه المرأة عادة لكي تتزوج، ولا تقبضه كما في الشريعة الإسلامية.

ج - التعويض المعنوي

عدّ اليهود الزواج من البنت المغتصبة بمثابة تعويض لها عما فعله المجرم بها، فورد أنه «إذا طُلب من الفاعل هنا عقده على البنت لزمته شرعا إذا كانت تحل له ولو كانت معيبة، ولها منع الطلاق إلا إذا زنت»[2].

والملاحظ في هذا الزواج نقطتين:

النقطة الأولى: إن في اشتراط الزواج من المغصوبة تشجيع للرجل الذي تعرض للرفض من قبل فتاة ما على اغتصابها لإجبارها على قبول الزواج منه.

النقطة الثانية: إن في اشتراط الزواج من المغصوبة ظلم للمرأة التي تعرضت للاغتصاب، فمن الطبيعي أنها تكره وتبغض الشخص الذي اعتدى عليها، فكيف لها أن تتزوج به؟

ومما يلاحظ في الأحكام اليهودية عدم وجود مبدأ العقاب الجسدي[3] على الجرم الذي يرتكبه المغتصب، وربما يعود ذلك إلى

---

(1) نصر الله، يوسف، الكنز المرصود في قواعد التلمود، م. س، ص122.

(2) ابن شمعون، حي، الأحكام الشرعية للإسرائيليين، م. س، ص125.

(3) يعتبر إنكار اليهود لحكم الله في الزنا هنا مطابقاً لما اورده البخاري (عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: ان اليهود جاؤا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تجدون في التوراة في شأن الرجم ﴿فقالوا: نفضحهم ويجلدون، قال عبد الله بن سلام: كذبتم، إن فيها الرجم. فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ما قبلها وما بعدها، فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فاذا فيها آية الرجم. قالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، فرأيت الرجل يحني على المرأة يقيها الحجارة)، البخاري، أبو عبد الله بن اسماعيل بن المغيرة بن بردزبه، صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت. لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج8، كتاب الحدود، ص30.

احترام اليهود المتزايد لشخص الرجل اليهودي وعدم احترامهم وتقديرهم للمرأة، إلا أنهم فرضوا العقاب الجسدي في حالات الزنى بالمحارم أو باللواط، فورد في التوراة إنه «إذا زنى رجل مع امرأة قريبه فإنه يُقتل الزاني والزانية، وإذا اضطجع رجل مع امرأة أبيه فقد كشف عورة أبيه، إنهما يقتلان كلاهما دمهما عليهما»[1].

وهذا الحكم يكون أيضاً في حال اللواط، فإذا «اضطجع رجل مع ذكر اضطجاع امرأة فقد فعل كلاهما رجساً، إنهما يقتلان دمهما عليهما»[2].

5 ـ الاغتصاب في التاريخ الفارسي

الاغتصاب المباشر

فرض الفرس العقاب على من يختطف النساء، فقد أورد هيرودوس ما نصه: «يرى الفرس أن خطف النساء قوة واقتداراً عملٌ لا يأتيه إلا الأشرار، ولكن اشتغال الإنسان بالثأر لهن إذا اختطفن من أعمال الحمقى، أما إهمالهن فمن أعمال الحكماء، فإنهن لو لم يكنّ راغبات لما اختطفن»[3].

ولعل قارئ هذا القول يمكن أن يستنبط بذور نشوء النظرية التي انتشرت في العصر الحالي، والتي تقول إن المغتصب يعجز عن الاعتداء على الضحية لولا تجاوبها معه، وتقول عن النساء بأنهن يتمنعن وهن راغبات.

6 ـ الاغتصاب في التاريخ الهندي

1 ـ الاغتصاب المباشر

سن التشريع الهندوكي عقاباً بدنياً على كل من يقوم بجريمة

---

(1) سفر اللاويين، الاصحاح 20.
(2) سفر اللاويين، الاصحاح 20.
(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج2، ص 440.

الاغتصاب، فقد قرر بأنه «يعاقب بعقاب بدني كل من يزني بفتاة جبراً»[1].

ولم يحدد القانون في هذا الموضع ما هو العقاب البدني، إلا أنه في موضع آخر ذكر أن العقاب يمكن أن يكون قطع الأصابع ... فقد ورد أنه «إذا دنس رجل فتاة في فرقته برضاها فلا تقطع إصبعاه بل يعاقب بغرامة مالية قدرها 200 ين لردعه عن ارتكاب مثل هذا العمل»[2].

ويمكن أن يستنتج من هذا النص أن العقاب ممكن أن يكون قطع الإصبعين لمن زنا بفتاة من غير فرقته، بينما يكون عقاب الزاني بفتاة من فرقته الغرامة المالية.

كما ورد أيضاً في القانون نفسه عقاب الفتاة التي تقوم بفض بكارة فتاة أخرى بإصبعها، فورد أنه «تعاقب الفتاة التي تصيب فتاة أخرى في فرجها بإصبعها بغرامة مالية قدرها مائتا ين وتجلد عشر جلدات»[3].

2 ـ الاغتصاب غير المباشر

من أنواع الاغتصاب غير المباشر والمسموح به قانونياً الزواج بالاغتصاب، فلقد «أباح مانو ثمانية صنوف من الزواج، كان أدناها في القيمة الخلقية هو الزواج بالاغتصاب والزواج بالحب، وأما الزواج بالشراء فهو الصورة المقبولة على أنها الطريقة المقبولة لتدبير الزواج بين رجل وامرأة، فالمشرع الهندي في رأيه أن صور الزواج التي تبنى على أسس اقتصادية هي في نهاية الأمر أسلم الصنوف عاقبة»[4].

وفي التشريع الهندي تفصيل أكبر للزواج بالاغتصاب ومن أنواع هذا الزواج عند الهنود:

«زواج راكشش، وهو أن يتزوج رجل من امرأة قهراً بعد أن يخرجها

---

(1) حقي، إحسان، منو سمرتي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ.، 1988م.، ص 298.

(2) حقي، إحسان، منو سمرتي، م. س.، ص 298.

(3) حقي، إحسان، منو سمرتي، م. س، 298

(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج3، ص 176.

من دار أبيها وهي تبكي وتنتحب، وبعد أن يكون قد قتل أهلها أو أصابهم بجراح أو هدم دارهم عليهم، وزواج يشاج، الذي هو أحط كل الأنواع ... هو أن يعبث رجل بامرأة وهي نائمة، أو وهي في حالة سكر أو غيبوبة»[1].

اغتصاب الليلة الأولى: تمتع البراهمة بصلاحيات واسعة أوكل إليهم حلّ المشكلات المستعصية التي تقع بين الرجل والمرأة، ومن هذه الصلاحيات حق الليلة الأولى، وحل مشكلة العقم عند النساء. و«لقد كان للبراهمة، في العديد من المناطق، «حق الليلة الأولى» مع كل عروس فتية. كما كانوا ينعمون بحرية لا حد لها في إخصاب النساء العواقر فيبيتون معهن ليلة في المعبد لكي يبرأن من عقمهن، فيمارسون معهن كل أنواع العشق وفنونه»[2].

7 ـ الاغتصاب في التاريخ الصيني

1 ـ الاغتصاب المباشر

عمد الصينيون إلى أسلوب مختلف عن أساليب الشعوب الأخرى للقضاء على جريمة الاغتصاب يقتضي تشجيع الضحية على مقاومة المعتدي ومكافأتها على هذا العمل.

وينص القانون «على أنه إذا دافعت المرأة عن عفتها تقابل بمكافأة من الحكومة.

كما أن الحكومة تنصب تمثال الشرف للمرأة على باب منزلها في حالتين، الحالة الأولى: حالة المرأة التي تقتل نفسها بعد أن دفع بها زوجها إلى الدعارة.

والحالة الثانية: حالة الفتاة التي تقتل نفسها لتمنع المغتصب من اغتصابها»[3].

---

(1) حقي، إحسان، منو سمرتي، م. س، ص 101.

(2) فريشاور، بول، الجنس في العالم القديم، م.س، ص173.

(3) WESTERMARK - EDWARD, THE ORIGIN AND DEVELOPEMENT OF THE MORAL IDEAS - TOME2, P:427

8 ـ الاغتصاب في التاريخ اليوناني

1 ـ الاغتصاب في العقائد

تعتبر الأسطورة المرجع الديني الذي من خلاله يمكن استنباط عقيدة الشعوب القديمة، كما تعتبر تصرفات الآلهة التي هي رمز وقدوة للمواطن العادي أكبر دليل على معتقدات هذه الشعوب.

وقد كان الاغتصاب أمراً عادياً لدى آلهة اليونان الذكور أمثال «بان، هاديس، أبولون، بوسيدون، زيوس «Pan, Hades, Appoleon, Possedon, Zeus» الذين كانوا يغتصبون النساء بشكل دائم، ومن جهة أخرى فان الآلهة الإناث ضحايا الاغتصاب مثل هيرا، أيو، أوروبا، كاسندرا، ليدا ، Hera, Io, Europa, Cassandra, Leda لم يشتكين من هذا الوضع إلا نادراً.

وكان لهيرا Hera أخت زوجة وعشيقة زيوس Zeus طريقة للتغلب على الوضع حيث كانت تغتسل كل عام في البحيرة التي تعيد لها عذريتها وتعود صبية من جديد.

أما فيلونل Philonel التي اغتصبت من تيري Teree ملك تراس Thrace الذي قام بقطع لسانها، كي لا تخبر القصة لأحد، فلقد عمدت إلى تسجيل أحزانها كتابة على السجادة التي أرسلتها لأختها بروكن Procne التي كانت زوجة لتيري Teree»[1].

وتعتبر هذه الأساطير دليلاً حسياً على أن اغتصاب المرأة كان موجوداً في ذلك العصر، فإذا أباحه ونفذه الآلهة فليس من المستغرب أن يقوم به الشعب.

2 ـ الاغتصاب المباشر

لا يوجد في المراجع اليونانية أخبار عن جرائم الاغتصاب المباشرة التي كان يقوم بها الأفراد، والاغتصاب الوحيد باستخدام القوة والسلاح

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, EDITION STOCK, PARIS, 1976 ,P : 343.

الذي أمكن الاطلاع عليه هو اغتصاب الحروب.

«وكانت من عادة الإغريق أنهم كلما فتحوا مدينة قاموا بتوزيع نسائها فيما بينهم، بحيث يحصل كل فرد من الجيش المنتصر على امرأة واحدة»[1].

ومن الأمثلة على تلك الحروب الحرب التي جرت سنة «279 ق.م حيث انتهزت جموع من الكلت أو الغاليين بزعامة برنوسbrennus فرصة ما حدث من الاضطراب بسبب النزاع القائم على السلطة في شرق البحر الأبيض المتوسط، فانقضّت على بلاد اليونان مخترقة تراقية ومقدونية ... ويقول فيهم يوسيناس أنهم ذبحوا جميع الذكور والعجائز، كما ذبحوا الأطفال على صدور أمهاتهم، وشربوا دماءهم و أكلوا لحوم السمان منهم، فلما رأت ذلك النساء الشريفات والعذارى المخدَّرات[2] انتحرن فراراً من العار.. وألقت من بقين على قيد الحياة بأنفسهن على شفار سيوف الغاليين يطلبن لأنفسهن الموت، ومنهن من قضين نحبهن من الجوع وعدم النوم، وكان هؤلاء البرابرة الغلاظ الأكباد يغتصبونهن واحدة في إثر واحدة ويشبعون منهن شهواتهم سواء كن أحياءً أو أمواتاً»[3].

وتعتبر رغبة النساء في الموت اتقاء للعار، دليلاً مهماً على اعتبار الاغتصاب جريمة شرف، كما يعتبر أيضاً دليلاً على أهمية محافظة البنات على شرفهن وبكارتهن.

3 ـ الاغتصاب غير المباشر

أ ـ اغتصاب السيد للعبيد أو من يقع تحت سيطرته

من المعروف أن العبد إذا وقع في الأسر، كان ملكاً لسيده يفعل به ما يشاء، دون حاجة لاستخدام القوة و العنف، ومن هنا كان يحق للمالك إذا شاء أن يدفع بأمته أو عبده إلى أي شخص كان لتحقيق الربح المادي،

---

(1) هامرتن، جون، تاريخ العالم، م.س، م2، ص 142.

(2) العذارى المخدّرات: العذارى المقيمات في الخدور.

(3) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م.س، ج8، ص 10 ـ 11.

وقد قام (صولون Solon بإنشاء مؤسسة للبغاء، حيث ابتاع بعض الاماء الآسيويات وقام بسجنهن داخل بيوت في اثينا قرب معبد فينوس Venus غير بعيد عن المرفأ. وكان من مهمة هؤلاء الفتيات إشباع رغبات وحاجات المسافرين والملاحين)[1].

ب ـ اغتصاب الأولاد

عرّف اليونانيون اغتصاب الأولاد، وكثيراً ما كان الوالد يعرّض ابنه أو ابنته لممارسة الفجور مستغلاً بذلك سلطته الأبوية، ومن أجل هذا «وُجد في أثينة قانون يلزم الأبناء بإعالة آبائهم المعوزين، وكان هذا القانون يستثني من ولدوا من امرأة سوء، ومن كان أبوهم قد عرض عفافهم لدعارة، ومن لم يكن قد منحهم مهنة يكسبون بها عيشهم»[2].

ج ـ الاغتصاب في أنظمة الزواج

مارس اليونان الأقدمون الزواج بالشراء، وقد ذكر «الفيلسوف هيرودوس في قصيدة «الأعمال والأيام» إن على المرء أن يكون له بنت وامرأة وثور للحراسة، وأن تكون المرأة مملوكة بالشراء لا بالزواج حتى تكون صالحة عند الحاجة ان تلحق بالثيران»[3].

والمعروف أنه إذا حصل شراء تحصل الملكية، وإذا حصلت الملكية فُقدت الإرادة وعُدّت الزوجة كالمملوكة والأمة، لذلك كثيراً ما كان الرأي العام والقانون يجيز للرجل العقيم أن يستعين «في هذه المهمة بأحد أقربائه... وكان الطفل الذي يولد نتيجة لهذا الاتصال ينسب للزوج نفسه»[4].

الزواج بالخطف: عرف الزواج بالخطف في العصر اليوناني، وكان «من عادات اليونان أن العريس ينتزع العروس من بيت أبيها قوة واقتداراً،

---

(1) DE BEAUVOIR, LE DEUXIEME SEXE, TOME1, P : 143 . 144.

(2) مونتسكيو، روح الشرائع، م. س، ج2، ص 229.

(3) معوض، أنطوان، أنظمة الزواج في لبنان، بدون بلد نشر، الطبعة الأولى، 1970 م.، ص 33.

(4) ديورانت، ول، قصة الحضارة، م. س، ج7، ص 115.

وكان اللفظ الذي يعبر به عن هذا الزواج هو هابادزين Hapadzein، أي الاغتصاب»[1].

9 ـ الاغتصاب في التاريخ الروماني

1 ـ الاغتصاب المباشر

عرف الاغتصاب المباشر واستخدام القوة في الاعتداء على النساء في روما بدليل وجود القوانين التي تحرم الزنا وتعاقب على الاغتصاب ومنها قانون «Julia de Vi الذي نص على عقوبات صارمة فيما يتعلق بأعمال العنف والإكراه»[2].

إضافة إلى قانون «ليتوريا (Loi Laetoria أوائل القرن الثاني قبل الميلاد) والذي جاء ليسنّ حماية على القاصرين دون الـ 25 عاماً حيال من استغل عدم خبرتهم»[3].

ومع اهتمام الرومان بالمحافظة على النظام وسن القوانين لمعاقبة المخالفين فانهم في بعض الأحيان قاموا بانتهاك الحياء والأخلاق محافظة على القوانين، فكان من «عادات الرومان القديمة تحريم قتل البنات غير البالغات[4]، فوجد طيبريوس وسيلة اغتصابهن من قِبَل الجلاّد قبل أن ينكل بهنّ، فكان هذا الطاغية الباغي يقوضّ الأخلاق محافظة على العادات»[5].

2 ـ الاغتصاب غير المباشر

أ ـ اغتصاب الرقيق

استخدم الرومان أسلوب الخطف لجلب الرقيق، وكانت الحسان من النساء «يتخذن للتسري والمخادنة، وكان تجار الرقيق يعلمونهن ويدربونهن

---

(1) المجدوب، أحمد علي، العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية، م.س، ص 630.

(2) بجاني، إميل، القانون الروماني، معهد بيروت للحقوق، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة، 1984 م.، ص 83.

(3) بجاني، إميل، القانون الروماني ،م. س، ص 60.

(4) واضح من النص أن الفتاة في هذه الحالة قد ارتكبت جريمة عقوبتها الإعدام.

(5) مونتسكيو، روح الشرائع، م. س، ج1، ص 289.

على الرقص والغناء والعزف على الآلات الموسيقية، فيشتريهم كبار القوم بأثمان عالية، ومنهن من كُنَّ يدفعن إلى تعاطي البغاء في دور مخصوصة»[1].

ب ـ الاغتصاب بأنظمة الزواج

عرفت في روما عدة أنواع من الزواج أبرزها الزواج بالشراء، وكانت هذه الطريقة هي عادة العامة في الزواج الذي «يتم بالطريقة نفسها التي تكتب بها الملكية على الأشياء النفيسة وهي طريقة الإشهاد، فيكتب الزوج السيادة على زوجته»[2].

وكان من نتائج سيادة الزوج على زوجته أن كان «يباح للزوج في رومة أن يعير آخَرَ امرأته، وهذا ما قاله بلوتارك بصراحة، ومن المعلوم أن كاتون أعار مورتنسيوس امرأته، وكاتون من تَعَلَّم عدم خرق قوانين بلاده.

ومن ناحية أخرى كان يجازى الزوج الذي يعاني دعارات امرأته فلا يقاضيها، أو الذي يستردّها بعد الحكم عليها. ويلوح تناقض هذه القوانين مع أنها غير متناقضة مطلقاً، وذلك أن القانون الذي يبيح للروماني أن يعير امرأته هو نظام إسبارطي كما هو ظاهر، وُضع لمنح الجمهورية أولاداً في جنس جيد إذا ما جَرُؤَت على استعمال هذا التعبير، وكان القانون الآخر يهدف إلى حفظ الأخلاق، فكان الأول قانوناً سياسياً وكان الآخر قانوناً مدنياً»[3].

10 ـ الاغتصاب في التاريخ المسيحي

انتشرت جريمة الاغتصاب بشكل واسع عبر التاريخ المسيحي على رغم كثرة القوانين الداعية إلى إنزال اشد العقوبات بالمغتصِب، وأول هذه القوانين القانون الكنسي الذي توقف العمل به بعد أن اعتمدت الدول

---

(1) الترمانيني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، عالم المعرفة، الكويت، الطبعة الثانية، 1405هـ، 1985م.، ص 56.

(2) معوّض، أنطوان، أنظمة الزواج في لبنان، م.س، ص 38.

(3) مونتسكيو، روح الشرائع، م. س، ج2، ص 251.

الغربية بعد الثورة الفرنسية مبدأ «فصل الدين عن الدولة»، ومن المفيد قبل التعريف ببعض القوانين الغربية التي اعتُمِدت كبديل عن القانون الكنسي التعريف بالعقوبات التي كانت معتمدة عند النصارى قديماً.

1 ـ أنواع الاغتصاب وعقوباتها عند النصارى

أ ـ الغصب: حكم النصارى بعقوبات جسدية ومالية في حالة الغصب، فالذي «يغتصب جارية غصباً تقطع أنفه ويدفع لها ثلث ما يملكه ... الذي يقتنص خطيبة غيره إن كان ذلك باختيارها يقطع أنفه، وإن كان كرهاً منها فيدفع لها بعد هذه العقوبة ثلث ما يملكه»[1].

ب ـ صِغَر السن: اعتبر النصارى أن صِغَر السِّن من الأسباب المشددة للعقاب، فالذي «يغتصب جارية قبل أن تبلغ ثلاث عشرة سنة يقطع أنفه ويدفع لها نصف ما يملكه»[2].

ج ـ الزنا بالمحارم: شدّد النصارى الحكم على من يتعدى على الأقارب فجعلوا عقابهم قطع الأنوف بالسيف، ومن أحكامهم في هذا المجال: «الذين يخلطون الدم إما والدان مع أولاد، أو أولاد مع والدين، أو إخوة مع أخوات، فليعاقبوا بالسيف، وان فاسدوا مع قرابة أخرى مثل والد لزوجة ابنه، أو ولد لزوجة والده، أو ربيب لابنة امرأته، أو أخ لزوجة أخيه، أو عم لابنة أخيه، أو ابن أخ لعمته، أو الولد لأختين، أو لامرأة وابنتها بمعرفة، فيضربوا وتقطع أنوفهم واللواتي فاسدوهن معهم»[3].

وحكم النصارى أيضاً على الزاني بابنة الزوجة بالنفي، فيخرج «خمس عشرة سنة، ست سنين يبكي، وأربع سنين يسمع الكلام والعظة وخمساً قائماً مع المؤمنين»[4].

---

(1) ابن العسال، كتاب القوانين، المكتبة الجديدة، مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص 383.

(2) ابن العسال، كتاب القوانين ،م. س، ص382.

(3) ابن العسال، كتاب القوانين، م. س، ص382.

(4) ابن العسال، كتاب القوانين ،م. س، ص387.

وقد فرض النصارى عقاباً خاصاً للجماعات التي تخطف النساء وتعتدي عليهن بقوة السلاح فقالوا : «الذين يخطفون امرأة مملكة أو غير مملكة، أو أرملة، كانت من ذوي الأحساب، أو مملوكة، أو معتوقة، ولا سيما ان كن ممن أفرز لله، إن كانوا فعلوا ذلك بسلاح فليعاقب فاعل ذلك بالسيف، والذين دخلوا معه في أي نوع كان من المعاونة ليضربوا وتحلق شعورهم وتقطع أنوفهم، وإن كانوا فعلوا ذلك بغير سلاح، فالذي اختطف تقطع يده، والذين عاونوه يضربوا وتحلق شعورهم وينفوا، وإن عُرف مملوك تهجم على اختطاف سِتِّه[1] وساعد على ذلك حُرِق»[2].

ولا بد هنا من الإشارة إلى تسامح الإسلام في عقوبة الزنا مقارنة بعقوبة النصارى، ذلك لأن قطع الأنف أمر يؤدي إلى تدمير نفسية الزاني تدميراً كلياً وربما تمنعه من التوبة لاشتهار أمره بين الناس، خاصة مع وجود دليل الزنا مرافقاً له أينما ذهب، بينما الجلد في حال زنا البِكر في الإسلام يزول أثره بعد مدة، وقد ينسى الناس فعلة الزاني خاصة مع وجود التوبة الصادقة.

2 ـ حقوق المجني عليها

وضع علماء النصارى إضافة إلى الحقوق المادية التي ورد ذكرها سابقاً، حقوقاً أخرى للمجني عليها، منها الحق في طلب الطلاق، والحق في الزواج من الجاني.

أ ـ حق الطلاق

أعطى النصارى للمرأة المتزوجة حقاً في طلب الطلاق في حال أساء زوجها إلى عفتها، فقد نصت المادة 72 من قانون الأحوال الشخصية أن للمرأة طلب الطلاق في حال أساء الزوج إلى عفة زوجته «بأن سهَّل لها فعل الزنى وألحّ عليها في ذلك وامتنعت، أو أقبل على إتيان امرأته خلافاً للطبيعة، (كذلك) إن أساء إلى عفة امرأته بأن بدا له تسليمها إلى آخرين

---

(1) سِتِّه: سيدته، مالكته.

(2) ابن العسال، كتاب القوانين، م.س، ص384.

بقصد الزنى عليها، أو سهل وقوعها في هوة الزنى»[1].

ب ـ حق الزواج

أوجب النصارى الزواج بالمغتصَبة حتى ولو كانت قبيحة، فقالوا: إن أي رجل يأخذ «عذراء غير مملوكة فاغتصبها على نفسها فليُعزل ولا يتزوج بغيرها، بل يتزوج بها عما أحب وإن كانت سمجة مسكينة »[2].

3 ـ عقوبة الاغتصاب في القرون الوسطى

أ ـ الاغتصاب المباشر

تنوعت عقوبة الاغتصاب في القوانين الوضعية باختلاف البلدان وكان لكل بلد قانونها الخاص المعمول به، وسيتم البحث هنا عن عقوبة هذه الجريمة في كل من إنكلترا وفرنسا.

الاغتصاب في إنكلترا: كان القانون في العصور الوسطى صارماً في حق من يعتدي على شرف فتاة ما، وكانت القوانين تتغير من فترة إلى أخرى تمشياً مع تطورات العصر.

وفي القرن العاشر خلال حكم اهيليستان Ahelestan صدر قانون ينص على أنه «إذا رمى رجل نفسه على عذراء ضد رغبتها فإنه يخسر بركة الملك، وإذا جردها من ملابسها من دون خجل ورمى نفسه عليها فإنه قد يعرض نفسه لخسارة ماله، وإذا اعتدى عليها فإنه قد يخسر حياته وعائلته، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل حتى فرسه قد يتعرض للمهانة بقطع الذنب والأعضاء أمام أعين مالكه، وهذا المصير قد يطال أيضاً كلب المغتصِب، وحتى طائره قد يقطعوا له المنقار والذنب والمخالب ... إلا أن المغتصب يمكن أن ينجو من هذا المصير في حال وافقت المغتصبة على الزواج منه.

أما إذا تعرضت الفتاة للاغتصاب العنيف، فإن المغتصِب قد يعرض

---

(1) مالك، حنا، الأحوال الشخصية ومحاكمها للطوائف المسيحية في سوريا ولبنان (الارثوذكس)، دار النهار للنشر بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، 1991م، ص184.

(2) ابن العسال، كتاب القوانين، م. س، ص38.

نفسه للخِصاء ولفقء عينيه، وقد فسر هنري دي براكتون Henri de Bracton الكاتب الذي عاش في القرن الثالث عشر، الهدف من هذه العقوبة: «إن فقء العينين يهدف إلى إفقاد المغتصِب عيناه اللتان كان يرى بهما جمال العذراء واللتان سمحتا له بالاعتداء عليها، كما أنه يخسر أعضاءه التي أثارت رغبته بالاغتصاب»[1].

الاغتصاب في فرنسا: أصدر إدوار الأول قانوناً في فرنسا جعل من الاغتصاب جريمة أمن اجتماعي وأمن دولة، وقد نص على أنه «إذا لم تتقدم الضحية التي تعرضت للاغتصاب أو ذويها بطلب شخصي ضد المغتصب خلال أربعون يوماً، فإن حق ملاحقة المجرم ينتقل تلقائياً إلى القضاء»[2].

وكان جزاء المجرم السجن أو الموت ... وصدر أول قانون في هذا الأمر «عام 1275م ويقضي بسجن المغتصِب مدة سنتين، ثم صدر قانون آخر بعد عشر سنوات ألغى القانون الأول، وقضى أنه من يغتصِب امرأة متزوجة أو فتاة رغم إرادتها يكون مذنباً بجرم حقيقي، والحكم في مثل هذه الحالة كان الموت، وعلى الرغم من أن هذا القانون لم يطبق كثيراً فإن فكرة أن الاغتصاب قد أصبح جرماً عاماً كانت قد ثبتت»[3].

وحصل أيضاً اهتمام بحماية الأطفال ضد الاعتداء من قِبَل الكبار، «ففي القرن الثامن عشر كان الحكم على اللوطي هو الموت حرقاً. وخلال الثورة الفرنسية زمن نابليون عام 1810م اهتم القانون رقم 331 (المعدل في 8 شباط 1945) بحماية الأطفال، لذلك عدَّ اعتداءاً كل خدش لحياء طفل لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره»[4].

ب ـ الاغتصاب غير المباشر

عرفت في القرون الوسطى عدة أنواع من الاغتصاب غير المباشر

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P : 35.

(2) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P: 40,41.

(3) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P; 40,41.

(4) PICAT, JEAN, VIOLENCES MEURTRIERES ET SEXUELLES, P :103.

منهما ما يتعلق بأنظمة الزواج، ومنها ما يتعلق بالحروب والاعتداء على الرقيق.

1 ـ الاغتصاب في أنظمة الزواج

الزواج بالقوة: لم تتغير نظرة الرجل إلى المرأة في هذا العصر وظلت العادات القديمة مقبولة عند بعض الشعوب، «فكان الزواج بالقوة مقبولاً عند الرجل للحصول على الزوجة، وهذا الفعل كان معروفاً في إنكلترا حتى القرن الخامس عشر»[1].

اغتصاب الليلة الأولى: اعتبر الاعتداء على الزوجة في ليلة زفافها حقاً خاصاً بالملك أو الكاهن أو رجل السلطة، فكان حق الليلة الأولى على العروس قائماً في جميع القرون الوسطى حتى صدور قرار الملك فرديناند في عام 1486 م «تحت ضغط الانتفاضة الفلاحية في قطالونيا وقد برز الملك في هذه المناسبة كحَكَم بين الفلاحين الثائرين وبين الإقطاعيين، ونص القرار على إلغاء ارتباط الفلاح بالأرض، وإبطال عدد من أشد الإتاوات مدعاة لكره الفلاحين بما فيها حق الليلة الأولى الذي جاء بشأنه: «إننا نقرر ونعلن أن السادة المذكورين أعلاه (البارونات) Senyors لا يملكون كذلك الحق في قضاء الليلة الأولى مع المرأة التي يتزوجها الفلاح ولا الحق في القفز في ليلة العرس، كدليل على سيادتهم، فوق المرأة أو فوق السرير بعد أن تُضجع المرأة، كذلك لا يملك السادة المذكورين أعلاه الحق في استخدام ابنة الفلاح أو ابنه رغماً عنهما، سواء بأجر أو بغير أجر»[2].

وقد تحدث عن هذه الظاهرة أيضاً أحد الأدباء الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري فذكر عن بلاد الروم أن من عاداتهم «إذا تزوج أحدهم وأراد الزفاف، تحمل المرأة إلى القسّ حتى يكون القسّ مفترعها وينالها بركته، والزوج أيضاً يمشي معها ليعلم أن الافتضاض حصل بفعل القس»[3].

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P : 26.

(2) المجدوب، أحمد علي، العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية، م. س، ص 199.

(3) القزويني، زكريا، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت . لبنان، 1380هـ، 1960م.، ص587.

2 ـ اغتصاب الحروب: إن الاطلاع على تاريخ الشعوب القديمة يعتبر عاملاً مهماً في معرفة الأحوال والظروف التي مرّت بها هذه الشعوب ومقارنتها مع أحوالنا وظروفنا المعاصرة، ففي حالة الحروب مثلاً يمكن التأكيد أن الوحشية الموجودة عند بعض الجنود المعاصرين قد سبقهم إليها أسلافهم منذ زمن بعيد، كما أن تصرفهم الوحشي تجاه النساء والأطفال الأسرى هو تصرف طبيعي لكل من فقد أخلاقه ومبادئه.

وقد أصدر الملك ريتشارد الثاني عام 1385 قرارا بإعدام كل جندي يعتدي على امرأة بالقوة، وذلك بناء على أربع وعشرين تقريرا وردت إليه عن تصرف الجنود خلال الحرب[1].

كما أن عمليات الاغتصاب في بعض الحالات غالباً ما كانت تتم بناء على أوامر وخطط من القيادة العسكرية، و «كثيراً ما حوّل القواد البلاد قفراً يباساً ليحولوا دون تقدم الجيوش العدوة وتغلغلها في البلاد (مقاطعة بروفانس عام1536، مقاطعة إيسن عام1556)، وكم أَمْلُوا للجنود أن يقوموا، تشفياً وانتقاماً، بأعمال السلب والنهب والتمثيل والتعذيب والحريق، فقد كان الألمان أساتذة في هذا المجال، ففي كل فوج أو كتيبة من كتائبهم أو أفواجهم تولى ضابط تنظيم هذه الأعمال وتنفيذها وَفْقاً لخطة يضعها ويشرف على الأخذ بها بكل دقة، فلا يُستثنى من القرى والدساكر إلا ما دفع فيها فدية تفادياً لأعمال التعسف والابتزاز والاغتصاب»[2].

وفي بعض الحالات كان الحكام والقواد يستغلون الدين لبث الحماسة ولتغطية الجرائم التي كانت تحدث في الحروب، «فخلال الحروب الدينية في فرنسا ارتكب العنف الجنسي ضد النساء بحرارة باسم الرب»[3].

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P : 407.

(2) موسينيه، رولان، تاريخ الحضارات، منشورات عويدات، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1966م.، ص206.

(3) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P ; 49.

3 ـ اغتصاب الرقيق

عانى الرجل الأسود وامرأته ولا يزالون يعانون إلى الآن من آثار سوء المعاملة التي عاملهم بها الحكام البيض، سواء كان ذلك خلال الهجوم على قراهم أو من خلال استغلالهم واسترقاقهم.

ففي خلال «هجوم البيض على السود في فترة الثورة سنة 1868/ 1877 جرى اغتصاب للنساء كما جرى إحراق للكنائس والمدارس والمنازل»[1].

ولم يقتصر اغتصاب الرقيق على الحروب فحسب، بل إن من مميزات القرون الوسطى وجود الرقيق بشكل واسع، ولم يكن الأمر يقتصر على الرجل الأسود فقط بل تعدّاه إلى الرجل الأبيض أيضاً، وقد «عدّد لنا أحد كتاب العصور الوسطى مختلف الأسباب التي آلت بالرجال الأحرار إلى الرق، ويستهل حديثه بذكر هذه الأسباب وهي:

أولاً: من الجائز أن يكونوا قد طُلبوا للخدمة في الحروب فرفضوا وعوقبوا بإنزالهم إلى مرتبة القِنْية[2].

ثانياً: ربما قد يكونوا قد وهبوا أنفسهم للكنيسة.

ثالثاً: ببيع أنفسهم كما يحدث إذا افتقر رجل فذهب إلى أحد اللوردات وقال له: أعطني مقدار كذا فأصبح رجلك، وأكون رهينة لك.

رابعاً: للدفاع عن أنفسهم ضد طاغية أو عدو محلي بتسليم أنفسهم إلى رجل قوي»[3].

وتميزت العلاقة بين القِنّ وسيده في النظام الإقطاعي بأنها «علاقة مزدوجة، إذ تشمل الناحيتين الاقتصادية والشخصية، فالرجل الواحد لم يكن مالكاً لأرض رجل آخر فحسب، بل كان أيضاً سيداً له»[4].

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P:155.

(2) القِنية، الأمة المغنية، انظر: ابن منظور، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1374هـ.، 1955م.، م13، ص351.

(3) كولتون، ج.ج، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، م.س، ص 42.

(4) كولتون، ج.ج، عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، م.س، ص40.

إلا أن أقسى أنواع الاستغلال الجنسي للرقيق هي التي عرفت عند الرقيق السود، والمرأة منه بشكل خاص، إذ إن «جسدها كان ملكاً لسيدها الأبيض، ولم يكن لها الحق في الرفض، وغالباً ما كان يستخدم السكين والسلاح والجلد لإخضاعها في حال المقاومة»[1].

وقد كان هذا الوضع في بعض الأحيان يثير سخط زوج المرأة فيعمد إلى قتل سيدها، فقد ذكر «رجل زارالمسيسيبي عام 1836م. قصة رجل قُتل على يد عبده لأنه كان يملك زوجة العبد وكان معتاداً أن ينام معها»[2].

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P : 186.

(2) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P : 195.

الفصل الثاني

جريمة الاغتصاب عند العرب منذ الجاهلية وإلى العهود الإسلامية

المبحث الأول
الإكراه على الزنا في العصر الجاهلي

تمهيد

يشتمل هذا الباب على عرض تاريخي لجريمة الاغتصاب كما ورد ذكرها في الإسلام، ولعله من المفيد قبل البدء بالعرض التاريخي لهذه الجريمة في العهود الإسلامية توضيح نقطتين هامتين وردتا في هذا الباب:

1 ـ تمّ استخدام لفظة «الإكراه على الزنا» للتعبير عن جريمة الاغتصاب في العصور الإسلامية الأولى، لأن لفظة «الاغتصاب» لم تطلق إلا في العصور المعاصرة بينما تم التعبير عن هذا الجرم في القرآن وكتب السنة والتاريخ والفقه باصطلاح «الإكراه على الزنا».

2 ـ تمّ ابتداء الحديث عن العصور الإسلامية بالحديث عن العصر الجاهلي مع أن الترتيب التاريخي يستوجب ذكر أحداث هذا العصر منفصلاً عن أحداث العصر الإسلامي، والواقع أن الهدف من هذا الدمج، هو أن الإسلام نزل على رسول الله ﷺ ليدعو قومه الذين كانوا يعيشون في مجتمع جاهلي إلى الإسلام، لذلك جاءت الآيات القرآنية التي تحدثت عن هؤلاء القوم أصدق دليل على أفعال هؤلاء، وقد كان لهذه الآيات دوران هامان:

الدور الأول: دور إخباري وَصْفِي لهؤلاء القوم عن طريق ذكر الآيات التي جاءت رداً على حوادث حصلت مع هؤلاء القوم كما ورد في أسباب نزول بعض الآيات.

الدور الثاني: دور إخباري إصلاحي لهؤلاء القوم عن طريق ذكر الآيات التي تنهى عن ارتكاب المحرمات، وهذا النهي يحتاج إلى مرتكِب يقوم به، فالله سبحانه وتعالى ما كان لينهى عن الخمر لولا وجود من يشربها، وما كان لينهى عن الزنا لولا وجود من يقترفه، ومن هنا جاء تداخل الكلام بين تاريخ كل من العصرين الجاهلي والإسلامي.

1 ـ الفساد في العصر الجاهلي

1 ـ الخمر في العصر الجاهلي

نهى الله سبحانه وتعالى عن معاقرة الخمر ودعا بالتدرج إلى تجنبه والابتعاد عنه، يقول تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾[1].

وكان شرب الخمر منتشراً جداً آنذاك لدرجة انه بلغ من إدمان بعض الشباب للخمر أن نُفي من قبيلته كما حصل مع البرّاص بن قيس بن رافع أحد أولاد القوافل في الجاهلية، «كان سكيراً فاسقاً خلعه قومه وتبرؤوا منه»[2].

كما أنه ورد عن الأعشى انه لما سمع بالرسول عليه الصلاة والسلام رغِب في الوفود إليه بالمدينة ومَدْحِه، «فرصده أهل قريش على الطريق وقالوا له: أين أردت يا أبا نصير؟ قال: أردت صاحبكم هذا لأسلم، قالوا له: إنه ينهاك عن خلال و يحرّمها عليك، وكلّها بك رافق ولك موافق،

---

(1) سورة المائدة، الآية 90.

(2) الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، دار صعب، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج19 ،ص75.

قال: ما هنّ؟ فقال أبو سفيان بن حرب: الزنا، قال: لقد تركني الزنا وما تركته، ثم ماذا؟ قال: القمار، قال: لعلي إن لقيته أن أصيب منه عِوضاً من القمار، ثم ماذا؟ قالوا: الربا، قال: ما دِنْت ولا أدنت، ثم ماذا؟ قالوا: الخمر، قال: أوه؟ أرجع إلى صُبابة قد بقيت لي في المهراس[1] فأشربها»[2].

2 ـ الزنا في العصر الجاهلي

كان من الأسباب الرئيسة لانتشار الزنا في العصر الجاهلي وجود القَيْنات والبغايا، إضافة إلى انتشار الفساد الخلقي عند بعض الحرائر.

القَيْنات: كانت القينة في العصر الجاهلي تساهم في الأحداث والهموم العامة، وقيل إن أول من غنى في العرب قينتان للنعمان يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما:

ألا يا قين ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما

وإنما غنتا هذا حين حبس الله عنهما المطر»[3].

البغايا: كان البغاء في العصر الجاهلي على نوعين: بغاء في صورة النكاح وهو الذي سيرد في أنظمة الزواج إن شاء الله، والبغاء العام.

وبالنسبة للبغاء العام فقد كان للبغايا «رايات يعرفن بها وينتحيها الفتيان، وكان أكثر الناس يكرهون إماءهم على البغاء والخروج إلى تلك الرايات يبتغون بذلك عرض الحياة الدنيا»[4]، فنهى الله تعالى في كتابه عن ذلك بقوله جل وعز:

---

(1) المهراس: حجر منقور يسع كثيراً من الماء أو الخمر.

(2) الأصفهاني، أبو الفرج، كتاب الأغاني، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ، 1986م.، ج9، ص146.

(3) الأبشيهي، محمد بن أحمد، المستظرف في كل فن مستظرف، دار الندوة الجديدة، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، م1، ص182.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1411 ، 1991م. ،ج5، ص6.

﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[1].

الحرائر: كان للحرائر في العصر الجاهلي نصيب من الفساد الخلقي الذي طال النساء آنذاك، قال المبرد[2] في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾[3]:

«كان نساء الجاهلية تظهر ما يقبح إظهاره، حتى كانت المرأة تجلس مع زوجها وخليلها، فينفرد خليلها بما فوق الإزار إلى أعلى، وينفرد زوجها بما دون الإزار إلى أسفل، وربما سأل أحدهما صاحبه البدل»[4].

2 ـ الاكراه على الزنا في العصر الجاهلي

1 ـ الإكراه المباشر على الزنا

يتضمن التراث الجاهلي الشعري والأدبي بعض مواقف بطولية قام بها الإنسان الجاهلي، ويمكن استخراج بعض القيم الأخلاقية التي كانت منتشرة آنذاك من بعض هذه المواقف، كالمحافظة على العفة والشهامة والشرف وغير ذلك ... كما أن بعض كتب التاريخ القديم تحدثت عن بعض حوادث إكراه على الزنا حصلت في ذلك العصر.

فقد روي أنه غزا أبو هبيرة الغساني «الحرث بن عمر فلم يصبه في منزله فأخرج ما وجد له، واستاق امرأته فأصابها في الطريق، وكان من الجمال في نهاية فأعجبت به، فقالت له: انج، فوالله لكأني به يتبعك كأنه بعير أكل مرارا. فبلغ الخبر الحرث فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله، وأخذ ما

---

(1) سورة النور، الآية 33.

(2) المبرد: اسمه محمد بن يزيد... بن نصر بن الأزد، يقال عنه: انتهى النحو بعد طبقة الجرمي والمازني الى ابي العباس محمد بن يزيد الأزدي الثمالي، وهو من ثمالة قبيلة من الأزد، وأخذ النحو من الجرمي والمازني وغيرهما... مولده سنة عشر ومائتين، ومات سنة خمس وثمانين، انظر: ابن النديم، الفهرست، دار المعرفة، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1992م.، ص83.

(3) سورة الأحزاب، الآية 33.

(4) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير، دار الخير، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ.، 1992م.، ج4، ص 319.

كان حقه وأخذ امرأته، فقال لها: هل أصابك؟ قالت: نعم، والله ما اشتملت النساء على مثله قط، فلطمها ثم أمر بها فوثقت بين فرسين ثم أحضرهما حتى تقطعت»[1].

وفي هذه القصة إضافة إلى قتل المغتصِب، بيان للإباحية الجنسية التي تمتعت بها بعض النساء، لدرجة أن تتقبل العلاقة بالمغتصِب، بل وتحاول حمايته من غضب زوجها.

أ - إكراه يؤدي إلى حرب: ورد في كتب التاريخ انه حدث في الجاهلية أن وقعت حرب بسبب تعدّي بعض الشباب على إحدى النساء[2]، فقيل إن سبب حرب الفِجار الأول أن «فتية من قريش قعدوا إلى امرأة من بني عامر وهي وطيئة عليها برقع، فقالوا لها: اسفري للنظر إلى وجهك، فلم تفعل، فقام غلام منهم فشك ذيل دِرْعِها (أي جمعه إلى فوق بشوكة) إلى ظهرها ولم تشعر، فلما قامت انكشفت دبرها، فضحكوا فقالوا: منعتنا النظر إلى وجهك فقد نظرنا إلى دبرك، فصاحت المرأة: يا بني عامر، فضحت، فأتاها الناس واشتجروا !! حتى كاد يكون قتال ثم رأوا أن الأمر يسير فاصطلحوا»[3].

وهذه القصة لو حدثت في العصر الحالي، لوضعتها الشرطة في خانة هتك العرض ولسجل محضر بها، أو ربما رأت الشرطة أنه أمر بسيط فيحصل المتهم على براءة ويخلى سبيله، وهذا التناقض بين الموقفين يعود إلى تفاصيل كل حادثة أو أهمية مركز وعلاقات مرتكبها أو أهله.

2 - الإكراه غير المباشر على الزنا

أ - الإكراه في أنظمة الزواج: تتضمن بعض أنظمة الزواج في

---

(1) ابن قيم الجوزية، أخبار النساء، دارمكتبة الحياة، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة، 1408هـ .، 1988م.، ص 10.

(2) حدث مثل هذه الحادثة من قبل لبني قينقاع في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وسيرد ذكر القصة لاحقا ان شاء الله.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت . لبنان، 1385 هـ.، 1965م . ،م1، ص 589.

الجاهلية إكراهاً على الزنا، كنكاح الاستبضاع، حيث يجبر الرجل زوجته على الزنا برجل آخر بغية الحصول على نجابة الولد، وقد ذكر البخاري هذا النوع من الزواج مع غيره من الأنواع، فأورد حديثاً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطِب الرجل على الرجل وَلِيَّته أو ابنته فيَصْدُقها ثم ينكِحها، ونكاح آخر: كان الرجل يقول لامرأته إذا طَهُرَت من الحيض: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الرجل الذي تستبضع منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر: يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرّت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل، والنكاح الرابع: يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايا كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون عَلَماً فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا لهم للقافة[1] ثم الحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط به[2] ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك، فلما بُعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم)[3].

ب ـ **حق الليلة الأولى**: ذكر المؤرخون بعض الحوادث التي حصلت مع ملوك في العصر الجاهلي، حيث كان الملك يشترط دخوله على كل فتاة بكر قبل دخول زوجها بها، ومن هذه الحوادث نذكر حادثتين:

حادثة ملك طُسُم: ذكرت كتب التاريخ أنه «كان لعُمان والبحرين

---

(1) القائف: الذي يتتبع الآثار ويعرفها ويعرف شبه الرجل بأخيه وأبيه، لسان العرب، م.س، م9، ص293.

(2) التاط به: اي التصق به.

(3) البخاري، أبو عبد الله بن اسماعيل بن المغيرة بن بردزبة، م.س، ص132 ـ 133.

واليمامة بَشر كثير من ولد طسم وجُدَيس ابني ارم بن سام، وكانوا من العرب العاربة، وكان ملكهم رجلاً من طسم يسمى عمليقاً، وكان جائراً ظلوماً، وبلغ من عتوه أن أمر ألا تزف امرأة من جديس إلى زوجها إلا بدؤوه بها، فمكثوا بذلك دهراً طويلاً.

وأن رجلاً من جديس تزوج عفيرة بنت غِفار أخت الأسود بن غفار عظيم جديس وسيدها، فلما أرادوا إهداءها أُدخلت على الملك فافترعها ثم خلى سبيلها، فخرجت إلى قومها في دمائها رافعة ثوبها عن عورتها، وهي تقول:

أتصلح ما يؤتى إلى فتياتكم ... وأنتم رجال ثورة عدد النمل
فلو أننا كنّا رجالاً وكنتم ... نساءً ولكنّا لا نَقِرُّ على الذلّ
فبعداً لبعل ليس فيه حمية ... ويختال يمشي مِشية الرجل الفحل

فحَمِيَت في ذلك جديس فاغتالوا عمليقا، فقتلوه على غرّة»[1].

حادثة القيطون: مما ذكره المؤرخون أيضاً قصة القيطون وهو الذي ولي على تهامة والحجاز، وقد «نزل يثرب، فاعتدى وتجبّر، حتى أمر أن لا تهدى امرأة إلى زوجها حتى يبدؤوه بها، وسلك في ذلك مسلك عمليق، ملك طسم وجديس، إلى أن زُوجت أخته لمالك بن العجلان من الرضاعة، فلما أرادوا أن يذهبوا بها إلى القيطون اندس معها مالك بن العجلان متنكراً، فلما خلا له البيت عدا عليه بسيفه فقتله»[2].

3 - إكراه النساء للرجال

ورد في مقطع أنظمة الزواج الزواج بالاستبضاع، وهو إكراه الرجل المرأة على الزنا، وهناك نوع آخر من الإكراه على الزنا، وهو إكراه المرأة الرجل على الزنا إما عن طريق التهديد المعنوي في حال ملكت القدرة كما

---

(1) الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيال، دار إحياء التراث العربي، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1380هـ، 1960م.، ص15.

(2) الدينوري، أبو حنيفة، الأخبار الطوال ،م.س، ص41.

حصل مع سيدنا يوسف عليه السلام، وإما عن طريق الحيلة، وهذا ما حصل مع أخت لقمان، وكان لقمان[1] «قد ابْتُلي بأن أخته كانت مُحْمَقة وكذلك كان زوجها، فقالت لإحدى نساء لقمان: هذه ليلة طُهري وهي ليلتك فدعيني أنام في مضجعك، فإن لقمان رجل نجيب فعسى أن يقع عليّ فأُنجب، فوقع على أخته فحملت بِلَقيم، فهو قول النّمر بن تولب[2]:

لقيم بن لقمان من أخته ... فكان ابن أخت له وابنما
ليالي حمّق فاستحصنت ... عليه فغرّ بها مظلما
فأحبلها رجل محكم[3] ... فجاءت به رجلاً محكما»[4].

والغاية من وراء هذا النوع من الاحتيال هو الحصول على نجابة الولد كما يحصل في زواج الاستبضاع.

المبحث الثاني
الإكراه على الزنا كما ورد في القرآن الكريم

سعى الإسلام منذ نشأته الأولى إلى نشر الفضائل الأخلاقية عن طريق تبيان حقيقة هذه الفضائل وتبيان الطرق التي تساعد على اكتسابها، ناهياً بذلك عن بعض المحرمات التي تساهم في تقويض هذه الفضائل كما تساهم في تدمير المجتمع والأمة بأسرها.

ومن هذه المحرمات التي حاربها الإسلام بعض العادات الجاهلية التي كانت منتشرة بشكل واسع في المجتمع الجاهلي، كشرب الخمر وإباحة العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة خارج إطار الزواج، وغير ذلك من العادات التي تسيء إلى الفرد والمجتمع على حد سواء.

وقد جاء تحريم الزنا واضحاً في بعض آيات القرآن الكريم التي

---

(1) هو لقمان بن عاد، عاش في العصر الجاهلي.
(2) النمر بن تولب: شاعر مخضرم أدرك الاسلام فأسلم وحسن اسلامه.
(3) محكم: المنجب الذي يلد حكيما.
(4) الجاحظ، ابي عثمان عمرو بن بحر، كتاب الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة، 1388هـ .، 1961م.، ج1، ص 21.

جاءت تحرم هذا الفعل وتفرض عليه عقوبته، كما جاءت بعض الآيات الأخرى لتخبر القصص عن أنبياء تعرضوا لمواقف تدعو إلى الزنا وتبين كيفية نجاتهم منها.

تحريم القرآن للزنا

وقد بيّن القرآن الكريم طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة واعتبر أن الزواج هو الوضع الشرعي الوحيد المقبول شرعاً، مشترطاً أيضاً عدم وجود عنصر الإكراه في هذا الزواج، يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ﴾[1].

وسبب نزول هذه الآية أن العرب في الجاهلية كانوا «إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته، إن شاء بعضهم تزوجها وإن شاؤوا زوجوها وان شاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها»[2].

وهذا الإكراه إذا كان محرما في العلاقة الشرعية بين الزوجين فانه في العلاقة المحرمة أشد حرمة، يقول تعالى:

﴿وَلَا تُكۡرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمۡ عَلَى ٱلۡبِغَآءِ إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا لِّتَبۡتَغُواْ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَمَن يُكۡرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[3].

سبب نزول الآية

اختلف المفسرون في سبب نزول هذه الآية على وجوه: «(الأول) كان لعبد الله بن أبيّ المنافق ست جوار: معاذة ومسيكة وأميمة وعمرة وأروى وقتيلة، يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب، فشكت اثنتان منهن إلى رسول اللهﷺ فنزلت الآية.

و(ثانيها) أن عبد الله بن أبيّ أسر رجلاً، فراود الأسير جارية عبد

---

(1) سورة النساء، الآية 19.

(2) ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ .، 1994م.، ج1، ص 475.

(3) سورة النور، الآية 33.

الله وكانت الجارية مسلمة فامتنعت الجارية لإسلامها، فأكرهها ابن أبيّ على ذلك رجاء أن تحمل من الأسير فيطلب فداء ولده فنزلت.

و(ثالثها) روى أبو صالح عن ابن عباس ﷺ قال: «جاء عبد الله ابن أبيّ إلى رسول اللهﷺ ومعه جارية من أجمل النساء تسمى معاذة، فقال: يا رسول الله هذه لأيتام فلان، أفلا نأمرها بالزنا فيصيبون من منافعها؟ فقال عليه الصلاة والسلام: لا، فأعاد الكلام، فنزلت الآية. وقال جابر بن عبد الله: جاءت جارية لبعض الناس فقالت: إن سيدي يكرهني على البغاء فنزلت الآية»[1].

تفسير الآية

ورد في هذه الآية حكم الفتاة التي يجبرها سيدها على الزنا، ولا بد هنا من توضيح معنى بعض ألفاظ وعبارات هذه الآية، وذلك لتوضيح بعض المعاني المبهمة، مع تبيان لحكم الشرع في الفتاة المكرَهة على الزنا.

الإكراه: اعتبر المفسرون أن الكُره هو إلزام شخص آخر على ارتكاب فعل يرفضه، لذلك قيل: الكره «المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يُحمل عليه بإكراه، والكُره ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين، أحدهما ما يُعاف من حيث الطبع والثاني ما يعاف من حيث العقل أوالشرع»[2].

وفي هذه الآية يظهر الإكراه قائماً بالمعنيين: ففي المعنى الأول يدل قوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ على أن هذا الفعل مما تعافه الفتاة وترفضه،وفي المعنى الثاني يظهر من أسباب نزول الآية رفض الفتاة القيام بهذا الفعل بسبب تحريم الشرع الإسلامي له بعد أن كان من الأعمال المباحة قبل الإسلام.

---

(1) الفخر الرازي، تفسير الرازي، المطبعة البهية، القاهرة . مصر، 1357هـ، 1938م.، ج23، ص220.

(2) ابن منظور، لسان العرب، م.س .، م13 ،ص 534.

الفتاة الفتيات جمع فتاة والمراد بها هنا «الأمَة، وكذا الخادم ولو كانت حرة»[1].

ولعل في حصر المفسرين تفسير «الفتاة «بالأمَة دون الحرة نقطتين يمكن الإشارة إليهما:

النقطة الأولى: إن الشهامة والرجولة التي كانت موجودة عند الرجل الجاهلي كانت تأبى عليه أن يكره زوجته على البغاء.

النقطة الثانية: إن في وجود الأمة وقدرة الرجل على شرائها وإكراهها على البغاء، غِنىً عن استخدام الحرة لهذا الغرض.

أما في العصر الحالي ومع غياب وجود الإماء، فان إكراه الزوج زوجته والأب ابنته والأخ أخته على البغاء بغية الحصول على المال أمر لا يُستغرب مما يجعل للحرة نصيباً في هذه الآية.

البغاء: البغاء في اللغة هو الفجور، فقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[2]، أي ما كانت فاجرة، فالبغاء «مصدر بغت المرأة بغاء: زنت»[3].

الإحصان: الإحصان في اللغة هو الزواج، والآية هنا ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾[4] .قد تحمل معنى إباحة البغاء في حال رغبت المرأة في ذلك ولم ترد الإحصان، وهذا مما ينافي الشرع لأن الزنا والبغاء لا يباح في حال، لذلك أوضح ابن العربي المعنى المشار إليه قائلا: إن الله سبحانه وتعالى إنما ذكر «إرادة التحصن في المرأة لأن ذلك هو الذي يصوّر الإكراه، فأما إذا كانت هي راغبة في الزنا لم يُتصور إكراه»[5].

---

(1) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دارالريان للتراث، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1407هـ، 1987م.، ج12، ص 334.

(2) سورة مريم، الآية 28.

(3) ابن منظور، لسان العرب، م. س، م14، ص77.

(4) سورة النور، الآية 33.

(5) ابن العربي، أحكام القرآن، م. س، ج3، ص1374.

وبذلك يختلف الحكم عليها، فبينما لا حدّ عليها في الإكراه، فإن في الزنا بالرضا والقبول حد وعقوبة.

كما أن في هذه الآية لفتة لطيفة هي وجود الرغبة عند الفتاة في التحصن وبناء الأسرة بالفطرة، وهذا أمر يلاحظ عند الفتاة الجاهلية التي ترفض البغاء وتسعى للتحصن، كما يلاحظ عند المرأة الغربية التي حصلت على الإباحية الجنسية ومع ذلك تسعى دوماً إلى الارتباط بالزواج.

ابتغاء عَرَض الحياة الدنيا: ورد في هذه الآية أيضاً ذكرٌ لهدف الرجل من إكراه الفتاة على البغاء وهو الحصول على عَرَض الحياة الدنيا، والعَرَض هنا يمكن أن نجده في المنافع المادية، أو المصالح الشخصية في جني المال، أو إنجاب الأولاد وغير ذلك، ومهما كان الأمر إلا أن المتفق عليه هو أن هذا «العَرَض هو الذي كان يحملهم على إكراه الإماء على البغاء في الغالب، لأن إكراه الرجل لأمته على البغاء لا لفائدة له أصلاً لا يصدر مثله عن العقلاء»[1].

أما في حال صدور مثل هذا الفعل من شخص لا مصلحة لديه فإنه في الغالب يكون إنساناً مريضاً، وهو يشبه هؤلاء الذين يطلق عليهم لفظ «الساديّون» وهم الذين يجدون لذة في تعذيب الآخرين.

غفران الله للمكرَه: ورد في نهاية هذه الآية قوله تعالى:

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعۡدِ إِكۡرَٰهِهِنَّ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[2].

وقد انقسم المفسرون في تفسيرهم لمعنى الغفران لقسمين:

فمنهم من قال: «إن عقوبة الإكراه راجعة إلى المكرِهين لا إلى المكرَهات كما تدل عليه قراءة ابن مسعود وجابر بن عبد الله وسعيد بن جبير: «فإن الله غفور رحيم لهن».

وقيل في هذا التفسير بُعد لأن المكرهة على الزنا غير آثمة، وأجيبَ

---

(1) الشوكاني، فتح القدير، م. س، ج4، ص 35.

(2) سورة النور، الآية 33.

بأنها وإن كانت مكرَهة فربما لا تخلو من تضاعيف الزنا عن شائبة مطاوعة، إما بحكم الجِبِلَّة البشرية، أو يكون الإكراه قاصراً عن حد الإلجاء المزيل للاختيار»[1].

ويمكن أن تكون هذه الآية بمثابة دعم معنوي من الله تعالى للفتاة المكرَهة التي لا تفتأ تلوم نفسها، وتخاف أن تكون بشكل لا إرادي راغبة في هذا الفعل أو مشجِّعة عليه.

ومن المفسرين من قال إن المعنى: «فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم لهن: أما مطلقاً، أو بشرط التوبة»[2].

لفظة أخرى تحمل معنى الإكراه: يتعلق بموضوع الإكراه على الزنا لفظة أخرى يمكن أن يستنبط منها أحكام الإكراه على الزنا وهي لفظة الغَصْب، يقول تعالى:

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[3].

و«الغَصْب لغة: أَخْذَ الشيء ظلماً، غَصَب الشيء يغصِبه غَصْباً، واغْتَصَبَه فهو غاصِبه، وغَصَبه على الشيء: قهره وغصَبه ... وتكرر في الحديث ذكر الغَصْب، وهو أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً وفي الحديث (إنه غصَبها نفسها).

أراد أنه واقعها كرهاً، فاستعاره للجِماع»[4].

وقد اقترن مفهوم الإكراه على الزنا بلفظة الاغتصاب أكثر من اقترانه بلفظ الإكراه، لذلك فإن في استعمال هذا اللفظ في بعض المواقع ما يسهّل وصول المعنى المطلوب إلى الأفهام.

---

(1) الشوكاني، فتح القدير، م. س، ج4، ص 35.
(2) الشوكاني، فتح القدير، م. س، ج4، ص 35.
(3) سورة الكهف، الآية 79.
(4) ابن منظور، لسان العرب، م. س، م1، ص 648.

المبحث الثالث

الإكراه على الزنا في عصور الأنبياء وقدامى الصالحين

ورد في القرآن الكريم ذكر لحوادث اغتصاب حدثت في عصور الأنبياء مباشرة أو مع المقربين لهم، ولا بد من ذكر هذه الحوادث لتبيان كيفية تغلب الأنبياء على محنهم من جهة، ولتبيان نصر الله لعباده المؤمنين من جهة أخرى.

1 ـ إبراهيم عليه السلام

تعرّض النبي إبراهيم عليه السلام لامتحانات صعبة خلال دعوته إلى الإسلام، فإنه بعد أن ظل يدعو قومه إلى الإسلام فترة طويلة من الزمن وهم له منكرون، عمدوا إلى إحراقه بالنار للتخلص منه، إلا ان الله سبحانه وتعالى نجّاه، وقال عز وجل في وصف هذه اللحظة: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[1].

وعندئذ فارق سيدنا إبراهيم قومه متجهاً وزوجته سارة إلى مصر، وكان في مصر «فرعون من الفراعنة الأول كان اسمه سنان بن علوان بن عبيد بن عولج بن عمليق بن لاوي بن سام بن نوح، وقيل: وكان أخو الضحّاك استعمله على مصر، وكانت سارة من أحسن النساء وجهاً، وكانت لا تعصي إبراهيم شيئا. فلما وُصفت لفرعون أرسل إلى إبراهيم فقال: من هذه التي معك؟ قال: أختي، يعني في الإسلام، وتخوّف إن قال هي امرأتي أن يقتله، فقال له: زيّنها وأرسلها إليّ، فأمر بذلك إبراهيم، فتزينت وأرسلها إليه، فلما دخلت عليه أهوى بيده إليها، وكان إبراهيم حين أرسلها قام يصلي، فلما أهوى إليها أُخذ أخذاً شديداً، فقال: ادعي الله ولا أضرّك، فدعت له فأُرسل، فأهوى إليها، فأُخذ أخذاً شديداً، فقال: ادعي الله ولا أضرّك، فدعت له فأُرسل، ثم فعل ذلك الثالثة، فذكر مثل المرتين، فدعى أدنى حجّابه فقال: إنك لم تأتني بإنسان وإنك أتيتني بشيطان! أخرجها وأعطها هاجر، ففعل، فأقبلت هاجر، فلما أحسّ إبراهيم بها انفتل

(1) سورة الأنبياء، الآية 69.

من صلاته فقال: مَهْيَم[1]! فقالت: كفى الله كيد الكافرين وأخدَم هاجر»[2].

وقد اخْتُلف في السبب الذي دفع إبراهيمﷺ إلى الادعاء أن سارة أخته مع أن ذلك الظالم يريد اغتصابها على نفسها، أختاً كانت أو زوجة، فقال ابن حجر في فتح الباري: «قيل: كان في دين الملك أن لا يتعرض إلا لذوات الأزواج، كذا قيل، ويحتاج إلى تتمة، وهو أن إبراهيم أراد دفع أعظم الضررين بارتكاب أخفهما، وذلك أن اغتصاب الملك إياها واقع لا محالة، لكن إن علم أن لها زوجاً في الحياة حملته الغيرة على قتله وإعدامه أو حبسه وإضراره، بخلاف ما إذا علم أن لها أخاً فإن الغيرة حينئذ تكون من قِبَل الأخ خاصة لا من قِبَل الملك فلا يبالي به، و قيل: أراد إن علم أنك امرأتي ألزَمني بالطلاق، والتقرير الذي قررته جاء صريحاً عن وهب بن منبه فيما أخرجه بن حميد في تفسيره عن طريقه، وقيل: كان في دين الملك أن الأخ أحق بأن تكون أخته زوجته من غيره فلذلك قال هي أختي اعتماداً على ما يعتقده الجبار فلا ينازعه فيها، ويعقب بأنه لو كان كذلك لقال هي أختي وأنا زوجها فلم اقتصر على قوله هي أختي؟ وأيضاً فالجواب إنما يفيد لو كان الجبار يريد أن يتزوجها لا أن يغصِبها نفسها. وذكر المنذري في «حاشية السنن» عن بعض أهل الكتاب أنه كان رأي الجبار المذكور أن من كانت متزوجة لا يقربها حتى يَقتل زوجها فلذلك قال إبراهيم هي أختي، لأنه إن كان عادلاً خطبها منه ثم يرجو موافقته عنها، وإن كان ظالماً خلص من القتل، وليس هذا ببعيد مما قررته أولاً، وهذا أُخذ من كلام ابن الجوزي في «مُشْكِل الصحيحين» فإنه نقله عن بعض علماء أهل الكتاب أنه سأله عن ذلك فأجاب به»[3].

---

(1) مَهْيَم: كلمة يستفهم بها، معناها: ما حالك؟ ماشأنك؟ انظر: ابن منظور، لسان العرب، م.س،م12، ص 566.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ ،م.س، م1، ص100.

(3) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، م. س، ج6، ص 447.

2 ـ لوط عليه السلام

تضمنت قصة النبي لوط عليه السلام مع قومه مراحل كثيرة من الصراعات والخلافات، وقد حاول لوط عليه السلام مراراً ثني قومه عن إتيان المنكر إذ كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء، يقول تعالى على لسان نبيه لوط عليه السلام:

﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[1].

إلا أن هناك حادثة حصلت مع هذا النبي الكريم عليه السلام هي الأهم فيما حصل معه، وذلك عندما أتته الملائكة يبشرونه بهلاك قومه، إذ إن الملائكة عندما أتوا إليه أتوا على هيئة رجال، فعلم قوم لوط بقدومهم فأسرعوا إلى لوط عليه السلام يطالبونه بضيوفه ليفعلوا بهم الفاحشة، وقد وصف الله تعالى هذه اللحظة بقوله:

﴿وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ * قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ * وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ * قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ * قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ * لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[2].

وتدل هذه الآية على الدقة في بيان حال هؤلاء القوم، فإنهم عندما علموا بوجود رجال عند لوط عليه السلام جاءوا مستبشرين، «والتعبير على هذا النحو يكشف عن مدى الشناعة والبشاعة التي وصل إليها القوم في الدنس والفجور من الفاحشة الشاذة المريضة، يكشف عن هذا المدى في مشهد أهل المدينة يجيئون جماعة يستبشرون بالعثور على شبان يعتدون عليهم جهرة وعلانية»[3].

عرض لوط عليه السلام لبناته: ورد في سياق الآية السابقة أن النبي لوط عليه السلام

---

(1) سورة العنكبوت، الآيتين 27. 28.

(2) سورة الحجر، الآيات 67 ـ 72.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت . لبنان، الطبعة السادسة عشرة، 1410هـ، 1990م.، ج4، ص 2149.

قال لقومه: ﴿قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾[1].

وهذا الكلام قد يفهم على أنه عرض لفعل الفاحشة ببنات النبي عليه السلام، وهذا الفهم باطل فإنه «لا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم أن يعرضوا بناتهم على الفاحشة فداء لفاحشة أخرى، وإنما معناه هؤلاء بنات أمتي، لأن كل نبي أزواجه أمهات أمته، وبناتهم بناته، فأشار عليهم بالتزويج الشرعي، وحَمْلُهم على النكاح كَسْرٌ لسَوْرَة الغَلَمَة وإطفاءٌ لنار الشهوة»[2] كما قال تعالى:

﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ﴾[3].

وفي هذا القول ردّ على القصة التي وردت في التوراة والتي ذكرناها في الفصل السابق حيث ذكروا قصة مشابهة لهذه القصة في توراتهم حصلت مع أحد شيوخهم، الذي دفعته شهامته الى أن قدّم لقومه جاريته ليفتعلوا فيها ثم يقتلوها، وذلك حفاظاً على أصول الضيافة والكرم.

كما أن في نصر الله سبحانه وتعالى لنبيه لوط عليه السلام وإنقاذه من العذاب الذي لحق بقومه، لأكبر دليل على عصمة هذا النبي مما حاول اليهود أن ينسبوه له ولبناته من ارتكابٍ للفحش والمنكر.

3 ـ يوسف عليه السلام

عانى سيدنا يوسف عليه السلام منذ صِغَرِه من الظلم، فبعد أن غدر به إخوته وألقوه في البئر التقطه بعض المارة وباعوه إلى عزيز مصر الذي ربّاه واتخذه ولداً، إلا أنه لجمال يوسف عليه السلام أُعجبت به زوجة العزيز فأرادت ارتكاب الفاحشة معه مهددة إياه بالسجن، إلا ان الله سبحانه وتعالى أنجاه من عملها وعصمه منها، يقول تعالى:

﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ

(1) سورة الحجر، الآية 71.
(2) ابن العربي، أحكام القرآن، م. س، ج3، ص117.
(3) سورة الشعراء، الآيتان 165 ـ 166.

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ * وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ * فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾[1].

وقفة مع الآيات: تتضمن هذه الآيات وقفات عدة يمكن الوقوف عندها، ومن هذه الوقفات وقفة عند المراودة، ووقفة عند الهمّ والبرهان، ووقفة عند الشهادة التي شهد بها شاهد من أهل امرأة العزيز.

أ ـ المراودة: يقول تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[2].

وقد أوضح علماء اللغة أن «أصل المراودة: الإرادة والطلب برفق ولين، والرَّوْد والرِّياد: طلب الكلأ، وقيل: وهي من رُوَيْد، يقال: فلان يمشي رويداً، أي برفق، والمراودة: الرفق في الطلب»[3].

وقيل: المراودة «أن تنازع غيرك في الإرادة فتريد غير ما يريد»[4].

ويقال: «راود فلان جاريته عن نفسها وراودته هي عن نفسه إذا حاول كل واحد منهما الوطء والجِماع»[5].

وقد اجتمعت ليوسف عليه السلام في هذه الآية كل الأشياء التي تعتبر

---

(1) سورة يوسف، الآيات 23 ـ 29.

(2) سورة يوسف، الآية 23.

(3) ابن منظور، لسان العرب، م. س، م3، ص191.

(4) الأصفهاني، الراغب، المفردات في غريب القرآن، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأخيرة، 1381هـ.، 1961م.، ص 207.

(5) الفخر الرازي، تفسير الرازي، م. س،ج18، ص 112.

تسهيلات لفعل المنكر، «فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره، فإنه عليه السلام كان شاباً والشباب مركب الشهوة، وكان عزباً ليس عنده ما يعوضه، وكان غريباً عن أهله ووطنه، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحيي منهم أن يعلموا به فيسقط في عيونهم، فإذا تغرّب زال هذا المانع وكان في صورة المملوك والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر، وكانت المرأة ذات منصب وجمال، والداعي مع ذلك أقوى من داع ليس كذلك، وكانت هي المطالِبة، فيزول بذلك كلفة تعرّض الرجل وطَلَبُه وخوفُه من عدم الإجابة، وزادت مع الطلب الرغبة التامة والمراودة التي يزول معها ظن الامتحان والاختبار لتعلم عفافه من فجوره، وكانت في محل سلطانها وبيتها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي لا تناله على بغتة وأتته بالرغبة والرهبة»[1].

إلا أن هذه التسهيلات كلها لم تدفع سيدنا يوسف عليه السلام إلى ارتكاب المنكر خوفاً من الله سبحانه وتعالى لعلمه اليقيني بعقاب الله للذين يتجاوزون حدوده.

ب ـ الهمّ والبرهان

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2].

انقسم المفسرون في المراد بالهمّ الذي ورد في هذه الآية إلى ثلاثة أقسام هي التالية:

القسم الأول: اعتبر بعض المفسرين أن يوسف عليه السلام همّ بالفاحشة، فقد أورد «الواحدي في كتاب البسيط: قال المفسرون الموَثَّقون بعلمهم المرجوع الى روايتهم همّ يوسف أيضاً بهذه المرأة همّاً صحيحاً وجلس منها مجلس الرجل من المرأة، فلما رأى البرهان من ربه زالت كل شهوة

---

(1) ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الوعي، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ ،ص 309.

(2) سورة يوسف، الآية 24.

عنه، قال جعفر الصادقﷺ بإسناده عن عليعليه السلام أنه قال: طَمِعَتْ فيه وطَمِعَ فيها، فكان طمعه فيها أنه همّ أن يحلّ التكة، وعن ابن عباسﷺ قال: حلَّ الهِمْيَان[1] وجلس منها مجلس الخاتِن[2]»[3].

وقد برر القائلون بهذا القول أن الخطيئة يمكن أن تحدث من الأنبياء اعتماداً على عدة أسباب:

قال «بعضهم: كان ممن ابتلي من الأنبياء بخطيئة فإنما ابتلاه الله بها ليكون من اللهﷻ إذا ذكرها فيجد في طاعته إشفاقاً منها ولا يتكل على سَعَة عفو الله ورحمته، وقال آخرون: بل ابتلاهم الله بذلك ليُعَرِّفهم موضع نعمته عليهم بصفحه عنهم وتركه عقوبتهم عليها في الآخرة، وقال آخرون: بل ابتلاهم بذلك ليجعلهم أئمة لأهل الذنوب في رجاء رحمة الله وترك الإياس من عفوه عنهم إذا تابوا»[4].

القسم الثاني: اعتبر مفسرون آخرون أن نبي الله يوسفعليه السلام لا يمكن أن يصدر منه مثل هذا العمل، وأن المراد بالهمّ «خطرات حديث النفس، حكاه البغوي عن بعض أهل الحديث»[5]، ثم أورد البغوي ها هنا حديثاً عن عبد الرزاق بن معمر عن همام عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يقول الله تعالى: إذا همّ عبدي بالحسنة فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها بعشر أمثالها، وإن همّ بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، فإن تركها، وربما قال: لم يعمل بها، فاكتبوها له حسنة، ثم قرأ: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها)[6].

---

(1) الهميان: التكّة، ويقال للذي يجعل فيه النفقة ويشدّ على الوسط، لسان العرب ،م.س، م13، ص 437.

(2) الخاتن: زوج فتاة القوم، لسان العرب، ابن منظور،لسان العرب ،م.س، م13، ص 138.

(3) الفخر الرازي، تفسير الرازي، م.س، ج18، ص 114.

(4) الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، المطبعة الميمنية، ، مصر، بدون رقم الطبعة، بدون تاريخ، ج12، ص102 . 103.

(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م. س، ج2، ص473.

(6) ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، دار العلم للجميع، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ ، ، ج11، ص192.

وأورد القائلون بهذا القول عدة حجج على أن يوسف عليه السلام لم يبدأ بارتكاب المعصية وان الله عصمه، ومن هذه الحجج:

القول الأولى: تبرئة الله سبحانه وتعالى ليوسف عليه السلام ووصفه بالصفات الحسنة، ومن تلك الصفات قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[1].

وقال علماء الصوفية في تفسير هذه الآية: «إن الله أعطاه العلم والحكمة أبّان غَلَبَة الشهوة، لتكون له سبباً للعصمة»[2].

القول الثاني: اعتبار الله سبحانه وتعالى الزنا من الكبائر التي تستحق العقوبة، كما اعتبر سبحانه «الخيانة من معرض الأمانة أيضاً من منكرات الذنوب، وأيضاً مقابلة الإحسان العظيم بالإساءة الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد أيضاً من منكَرات الذنوب، وأيضاً الصبي إذا تربى في حِجْر إنسان وبقي مَكْفِيَّ المؤنة مصون العِرض من أول صباه إلى زمان شبابه وكمال قوته فإقدام هذا الصبي على إيصال أقبح أنواع الإساءة إلى ذلك المُنْعِم المُعْظِم من منكرات الأعمال.

إذا ثبت هذا فنقول: إن هذه المعصية التي نسبوها إلى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات الأربع، ومثل هذه المعصية لو نُسبت إلى أفسق خلق الله تعالى وأبعدهم عن كل خير لاستنكف منه، فكيف يجوز إسنادها إلى الرسول عليه الصلاة والسلام المؤيَّد بالمعجزات القاهرة الباهرة»[3].

القول الثالث: عدم ذكر الله سبحانه وتعالى لأي آية تدل على ندم يوسف عليه السلام وتوبته على فعله، فلو «كان يوسف عليه السلام أقدم هاهنا على هذه الكبيرة المنكَرة لكان من المحال أن لا يُتْبِعَها بالتوبة والاستغفار، ولو أتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه إتيانه بها كما في سائر المواضع، وحيث لم

---

(1) سورة يوسف، الآية 22.

(2) ابن العربي، أحكام القرآن، م. س، ج3، ص107.

(3) الرازي، تفسير الرازي، م.س، ج18، ص115.

يوجد شيء من ذلك علمنا أنه ما صدر عنه في هذه الواقعة ذنبٌ ولا معصية»[1].

القسم الثالث: اعتبر أنصار هذا القسم من المفسرين أن همّ يوسف عليه السلام بامرأة العزيز هو همٌّ بأن «يضربها أو ينالها بمكروه لهمّها به مما أرادته به من المكروه لولا أن يوسف رأى برهان ربه وكفّه ذلك عما همّ به من أذاها لأنها ارتدعت من قبل نفسها. وقالوا: والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2].

قالوا: فالسوء هو ما كان همّ به من أذاها، وهو غير الفحشاء»[3].

ج - البرهان

يقول تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ﴾[4].

ورد في هذه الآية أيضاً ذكر لبرهان رآه يوسف عليه السلام منعه من اقتراف الفاحشة أو السوء حسب التفسير الذي ورد في الفقرة السابقة، وهنا أيضاً انقسمت آراء المفسرين في البرهان الذي رآه يوسف عليه السلام إلى عدة آراء، ومن هذه الآراء:

القول الأول: هو القول أن النهي جاء بواسطة مناداةٍ جاءت لتَنهى يوسف عليه السلام عن مواقعة الخطيئة، وقد ذُكر ممن قال ذلك ابن عباس رضي الله عنه، وذكر الطبري ذلك فقال: «حدثنا أبو كريب قال: ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمان عن أبى مليكة عن ابن عباس ﴿ولا أنه رأى برهان ربه﴾ قال: نودي يا يوسف أتزني فتكون كالطير وقع ريشه فذهب يطير فلا ريش له. قال: ثنا ابن عيينة عن عثمان بن أبي سليمان عن أبي مليكة عن ابن عباس قال: لم يتعظ على النداء حتى رأى برهان ربه، قال: تمثال صورة وجه أبيه، قال سفيان: عاضاً على إصبعه، فقال: يا يوسف تزني فتكون

---

(1) الرازي، تفسير الرازي، م. س، ج18، ص115.
(2) سورة يوسف، الآية 24.
(3) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، م. س، ج12، ص103.
(4) سورة يوسف، الآية 24.

كالطير ذهب ريشه»[1].

القول الثاني: هو القول إن النهي جاء بعد أن رأى سيدنا يوسف عليه السلام آيات قرآنية كُتبت على الحائط، فقد قال «ابن جرير: حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبي مودود سمعت عن محمد بن كعب القرظي قال: رفع يوسف رأسه إلى سقف البيت فإذا كتاب في حائط البيت:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[2].

وكذا رواه أبو معشر المدني عن محمد بن كعب، وقال عبد الله بن وهب: أخبرني نافع بن يزيد عن أبي صخر قال: سمعت القرظي يقول في البرهان الذي رآه يوسف: ثلاث آيات من كتاب الله ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ﴾[3].

وقوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِن عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[4].

وقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[5].

قال نافع: سمعت أبا هلال يقول مثل قول القرظي وزاد آية رابعة:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[6].

وقال الأوزاعي: رأى آية من كتاب الله في الجدار تنهاه عن ذلك، قال ابن جرير: والصواب انه رأى آية من آيات الله تزجره عما كان همّ به، وجائز أن يكون صورة يعقوب وجائز أن يكون صورة الملك وجائز أن

---

(1) الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن، م. س، ج12، ص103.
(2) سورة الاسراء، الآية 32.
(3) سورة الانفطار، الآية 10.
(4) سورة يونس، الآية 61.
(5) سورة الرعد، الآية 33.
(6) سورة الاسراء، الآية 32.

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

يكون ما رآه مكتوباً من الزجر عن ذلك ولا حجة قاطعة على تعيين شيء من ذلك. فالصواب أن يُطْلَق كما قال الله تعالى:

﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ﴾[1].

أي كما أريناه برهاناً صرفه عما كان فيه كذلك نَقية السوء والفحشاء في جميع أموره: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[2].

أي من المجتبين المطهرين المختارين المصطفين الأخيار صلوات الله وسلامه عليه»[3].

القول الثالث: هو القول إن سيدنا يوسف عليه السلام رأى هذا البرهان من نفسه، ويُعتبر هذا القول من أقرب الأقوال إلى القبول، ذلك أنه عليه السلام سمّاه رب العالمين بالصِّدّيق، و«مقام الصِّدّيقية العليا هي مراقبته لله تعالى ورؤية ربه متجلياً له ناظراً إليه»[4]، وفاقاً لما قاله أخوه محمد خاتم النبيين في تفسيرالإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه، فان لم تكن تراه فانه يراك)[5].

د ـ الشهادة على براءة يوسف عليه السلام

يقول تعالى: ﴿قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ * وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾[6].

تدل هذه الآيات على دليل جديد يثبت براءة سيدنا يوسف عليه السلام مما نسب إليه، وهذا الدليل هو بمثابة شاهد جاء ليؤكد على هذه البراءة ويدعمها، وقد اختلف المفسرون في هوية هذا الشاهد على ثلاثة أقوال وهي التالية:

---

(1) سورة يوسف، الآية 24.

(2) سورة يوسف، الآية 24.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م. س، ج2، ص474 ـ 475.

(4) رضا، محمد، تفسير المنار، مطبعة الحجازي، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج12، ص280.

(5) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الايمان، م. س، ج1، ص 18.

(6) سورة يوسف، الآيتان 26 ـ 27.

القول الأول: القول بأن الشاهد هو من أقرباء المرأة فقالوا: «إنه كان لها ابن عم وكان رجلاً حكيماً، واتفق في ذلك الوقت أنه كان مع الملك يريد أن يدخل عليها، فقال: قد سمعنا الجلبة من وراء الباب وشقّ القميص، إلا أنّا لا ندري أيكما قُدّام صاحبه، فإن كان شق القميص من قدامه فأنت صادقة والرجل كاذب وإن كان من خلفه فالرجل صادق وأنت كاذبة، فلما نظروا إلى القميص ورأى الشق من خلفه قال ابن عمها: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[1] أي: من عملكن، ثم قال ليوسف: أعرض عن هذا واكتمه، وقال لها :استغفري لذنبك، وهذا قول طائفة عظيمة من المفسرين»[2].

ويمكن من هذا القول استنباط طريقة من طرق إستنباط الأحكام وإثبات الجرم، وذلك أن القميص إذا مزق من الأمام فإنه يدل على مقاومة الضحية للمجرم، بينما تمزق القميص من الدبر يدل على محاولة الضحية الفرار من المجرم.

القول الثاني: القول بأن الشاهد هو صبي أنطقه الله في المهد، «فقال ابن عباس: تكلم في المهد أربعة صغار: شاهد يوسف، وابن ماشطة بيت فرعون، وعيسى بن مريم، وصاحب جريج الراهب»[3].

وفي هذا القول توضيح لابن العربي حيث يقول :« لو كان هذا الشاهد طفلاً لكان في كلامه في المهد وشهادته آية ليوسف، ولم يحتج إلى ثوب ولا إلى غيره، وهذا ضعيف، فإنه يحتمل أن يكون الصبي يتكلم في المهد منبهاً لهم على هذا الدليل الذي كانوا عنه غافلين، وكانت آية كما قال تثبت براءة يوسف من الوجهين: من جهة نطق الصبي، ومن جهة ذكر الدليل»[4].

القول الثالث: القول إن هذا الشاهد ما هو إلا القميص نفسه، «قال

---

(1) سورة يوسف، الآية 28.

(2) الرازي، تفسير الرازي، م. س، ج18، ص123.

(3) الرازي، تفسير الرازي، م. س، ج18، ص123.

(4) ابن العربي، أحكام القرآن، م.س، ج3، ص1073.

مجاهد: الشاهد كون قميصه مشقوقاً من دبر، وهذا في غاية الصعوبة، لأن القميص لا يوصف بهذا ولا ينسب إلى الأهل»[1].

كما أن الآية تشير إلى أن أحدهم أرشد إلى دليل القميص، فإذا كان القميص هوالشاهد فلا بد أن يكون ناطقاً متكلماً راشداً إلى نفسه، وهذا مما ينافي سياق القصة كما ينافي العقل.

4 ـ داود عليه السلام

أورد القرآن الكريم قصة داود عليه السلام مع الملكين المرسلَين من الله لتنبيهه مما كان سيقع فيه من الفتنة، فقال تعالى:

﴿هَل أَتَاكَ نَبَؤُاْ الخَصمِ إِذ تَسَوَّرُواْ المِحرَابَ * إِذ دَخَلُواْ عَلَى دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنهُم قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ * إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ * قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ﴾[2].

«وقد اختلف المفسرون في ذنب داود الذي استغفر له وتاب عنه على أقوال: الأول أنه نظر إلى امرأة الرجل التي أراد أن تكون زوجة له، كذا قال سعيد بن جبير وغيره، قال الزجاج: ولم يتعمد داود النظر إلى المرأة لكنه عاود النظر إليها وصارت الأولى له والثانية عليه. والقول الثاني: إنه أرسل زوجها في حملة الغزاة. والثالث: إنه نوى إن مات زوجها أن يتزوجها. الرابع: إن اوريا كان خطب تلك المرأة فلما غاب خطبها داود فزُوِّجَت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا، فعتب الله عليه حيث لم يتركها لخاطبها. الخامس: إنه لم يجزع على قتل اوريا كما يجزع على كل من هلك من الجند ثم تزوج بامرأته فعاتبه الله على ذلك، لأن ذنوب الأنبياء وإن صغرت فهي عظيمة. السادس: إنه حكم لأحد الخصمين قبل أن يسمع

(1) الرازي، تفسير الرازي، م.س، ج18، ص124.

(2) سورة ص، الآيات 20 . 24.

من الآخر كما قدّمنا، وأقول: الظاهر من الخصومة التي وقعت بين الملكين تعريضاً لداودعليه السلام أنه طلب من زوج المرأة الواحدة أن يتنازل له عنها و يضمها إلى نسائه، ولا ينافي هذا العصمة الكائنة للأنبياء، فقد نبهه الله على ذلك وعرَض له بإرسال ملائكته إليه ليتخاصموا في مثل قصته حتى يستغفر لذنبه ويتوب منه، فاستغفر وتاب، وقد قال سبحانه: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾[1].

وهو أبو البشر وأول الأنبياء، ووقع لغيره من الأنبياء ما قصّه الله علينا في كتابه ثم أخبر سبحانه انه قبل استغفاره وتوبته قال: ﴿فَغَفَرنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلفَى وَحُسنَ مَئَابٍ﴾[2] ،أي ذلك الذنب الذي استغفر منه»[3].

ومما يؤكد هذا القول ان الملائكة الذين عرضوا قصتهم عليه لم يذكروا أن الخصم أخذ نعجة الآخر بل طلبها منه، كما أنه ليس في القرآن الكريم أي دليل على أن داودعليه السلام «تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها، ولا ولادتها لسليمان، فعن من يروى هذا ويسند وعلى من نقله يعتمد، وليس يؤثره عن الثقات الأثبات أحد»[4].

وقصة داودعليه السلام وإن لم يظهر فيها إكراه على الزنا، إلا أن ذكرها يعتبر مهمّاً لمقارنة القصة الحقيقية بالقصة التي وردت في التوراة والتي قام فيها داودعليه السلام (في زعمهم) بغصب أوريا زوجه، حتى أنه حاول تغطية جريمته حين وجد المرأة حاملاً بأن حاول إلصاق الابن بأوريا، وهذا مما لا يقبله العقل بالنسبة للإنسان العادي فكيف بنبي من الأنبياء.

5 ـ دانيال عليه السلام

يتميز النبي دانيالعليه السلام عن غيره من الأنبياء الذين سبق ذكرهم، بأن

---

(1) سورة طه، الآية121.

(2) سورة ص ،الآ ية 25.

(3) الشوكاني، فتح القدير، م. س، ج4، ص 489.

(4) ابن العربي، أحكام القرآن، م. س، ج4، ص1624.

قصة الإكراه على الزنا لم تحدث معه، بل حصلت في زمنه مع بعض أحبار بني إسرائيل، إلا أنه كان لدانيال عليه السلام دور في كشف خيوط الجريمة فقد «حدث أن امرأة من بني إسرائيل يقال لها ميسونة خاصمت إلى حبرين من بني إسرائيل فعلقاها، وكان كل واحد منهما يكتم صاحبه ما يجد منها، فأخبرا أنها في حائط تغتسل، «فجاءا فتسورا عليها الحائط، فلما رأتهما دخلت غمراً من الماء فوارت نفسها، فقالا لها: إنك إن لم تفعلي غدونا فشهدنا عليك بالزور، فأبت فشهدا عليها، فلما قُرِّبَت ليقام عليها الحد نزل الوحي على دانيال بتكذيبهما»[1].

6 ـ ذو الكفل رضي الله عنه

تدل قصة ذي الكِفل التي أوردها المفسرون على شروع في الزنا حصل تحت إكراه معنوي وضغط نفسي، وقد ورد ذكر هذا الرجل الصالح في القرآن الكريم بقوله تعالى:

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾[2].

وذكر البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ: (كان الكفل من بني إسرائيل لا يتورع عن ذنب عَمِله، فأتته امرأة فأعطاها ستين ديناراً على أن يطأها، فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته ارتعدت وبكت، فقال: ما يبكيك؟ أكرهتك؟ قالت: لا، ولكنه عملٌ ما فعلتُه قط، وما حملني عليه إلا الحاجة، فقال: تفعلين أنتِ هذا وما فعلته، اذهبي فهي لك، وقال: والله لا أعصي الله بعدها أبداً، فمات من ليلته فأصبح مكتوباً على بابه: إن الله قد غَفَر للكِفل)[3].

(1) ابن قيّم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، م. س، ص 196.
(2) سورة ص، الآية 48.
(3) الشوكاني، فتح القدير، م. س، ج3، ص477.

المبحث الرابع
الإكراه على الزنا في العهود الإسلامية الأولى

1 ـ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام

يتميز عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وعهد الخلفاء الراشدين ﷺ من بعده بوجود النفحة الإيمانية والورع الشديدين عند كل من عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم وعاصر الخلفاء الراشدين ﷺ من بعده، ذلك نادراً ما يعثر على حوادث زنا أو إكراه عليه في هذين العصرين المذكورين، وباستثناء حادثة العسيف، وحديث الغامدية، لم تذكر كتب الحديث أي حادثة زنا وقعت في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام.

وقد كان لمحافظة المسلمين على أخلاقهم الإسلامية دور كبير في نصر هذا الدين وانتشاره بين الأمم، كما كان لهذا التمسك بالفضائل أثره في بعض الحوادث التي ذكرتها كتب التاريخ، ومن هذه الحوادث حادثة المرأة المسلمة مع بني قَيْنُقاع اليهود، وتفيد هذه الحادثة: أن «امرأة من العرب قدمت بجَلَب[1] لها، فباعته بسوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ بها، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها فأبت، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها، فلما قامت انكشفت سوءتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ـ وكان يهودياً ـ وشدت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون فوقع الشر بينهم وبين بني قينقاع»[2].

ـ 1 ـ الإكراه المباشر

ورد في كتب الحديث ذكر لحادثة إكراه على الزنا حصلت في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، وقد ذكرها الترمذي والنسائي، وفيما يلي رواية الترمذي:

---

(1) الجلب: ما يجلب للأسواق للبيع.

(2) هارون، عبد السلام، تهذيب سيرة ابن هشام، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة عشر، 1408هـ، 1988م.، ص125.

(حدثنا محمد بن يحيى (النيسابوري) حدثنا محمد بن يوسف بن إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن علقمة بن وائل الكندي عن أبيه: إن امرأة خرجت في عهد الرسولﷺ تريد الصلاة فتلقاها رجل (فتحلّلها)، أي تغشّاها فقضى حاجته منها، فصاحت فانطلق، ومرّ عليها رجل فقالت: إن ذاك الرجل فعل بي كذا وكذا، (ومرّت بعصابة من المهاجرين) فقالت: إن ذلك الرجل فعل بي كذا وكذا، فانطلقوا فأخذوا الرجل الذي ظنت أنه وقع عليها وأتوها فقالت: نعم هو هذا، فأتوا به رسول اللهﷺ، فلما أمر به ليُرجم قام صاحبها الذي وقع عليها فقال: يا رسول الله أنا صاحبها، فقال لها: اذهبي فقد غفر الله لك، وقال للرجل قولاً حسناً وقال للرجل الذي وقع عليها: ارجموه، وقال: لقد تاب توبة لو تابها أهل المدينة لقُبلت منهم)[1].

ـ 2 ـ الإكراه غير المباشر

ورد في كتب التفسير ذكر لبعض الأحداث التي ترافقت ونزول بعض الآيات، ومن هذه الآيات، قوله تعالى:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[2].

ويلاحظ في الحادثة التي كانت سبباً لنزول الآية وجود عنصر الإكراه غير المباشر، وهذه الحادثة وإن كان صاحبها لم يكمل اعتداءه على الضحية، إلا أن الغاية من ذكر هذه القصة هو تبيان الأسلوب الذي اعتمده المجرم في الإيقاع بالضحية، وهو أسلوب التغرير والإغواء، كما أنه يمكن وضعها تحت خانة هتك العِرْض بالتعبير القانوني المعاصر.

فقد ذكر النيسابوري في أسباب نزول هذه الآية قال:

(عن أبي اليسر بن عمرو قال: أتتني امرأة وزوجها بعثه النبيﷺ في بَعْث، فقالت: بعني بدرهم تمراً، قال: فأعجبتني، فقلت: إن في البيت

(1) الترمذي، سنن الترمذي، م. س، ج5، ص 149.

(2) سورة هود، الآية 114.

تمراً هو أطيب من هذا، فالحقيني، فغمزتها وقبلتها، فأتيت النبيﷺ فقصصت عليه الأمر، فقال: خنت رجلاً غازياً في سبيل الله في أهله بهذا، وأطرق عني، فظننت أني من أهل النار وأن الله لا يغفر لي أبداً، وأنزل الله تعالى:

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[1]. (فأرسل النبيﷺ فتلاها علي)[2].

ولا بد من التذكير هنا بأن غفران الله سبحانه وتعالى في مثل هذه الحالة يكون بعد توبة الجاني وندمه على ما ارتكب من فعل، مع العزم على عدم العودة إلى مثل هذا الفعل.

2 - الإكراه على الزنا في عهد الخلفاء الراشدين

- أ - عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

أوردت كتب التاريخ ذكراً لبعض حوادث زنا حصلت في عهد أبي بكر الصديقرضي الله عنه ، ومن هذه الحوادث ما ثبت عن ابن عمر: «بينما أبو بكرٍ الصدّيق في المسجد إذ جاء رجل فلاث[3] عليه لوثاً من كلام وهو دَهِش، فقال لعمر: قم فانظر في شأنه فإن له شأناً، فقام إليه عمر، فقال: إن ضيفاً ضافه فزنا بابنته، فضرب عمر في صدره، وقال: قبحك الله، ألا سترت على ابنتك! فأمر بهما أبو بكر فضُربا الحدّ، ثم زّوج أحدهما الآخر، ثم أمر بهما أن يغرّبا حولاً»[4].

وفي هذا الحديث بيان لأفضلية الستر على جرم الزنا، وخاصة مع وجود التوبة والاستغفار، كما انه يمكن من هذا الحديث استخراج الأحكام

---

(1) سورة هود، الآية 114.

(2) الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، أسباب النزول، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، م. س، ص153.

(3) لاث: أي لوى كلامه، ولم يبينه ولم يشرحه ولم يصرح به . لسان العرب، م.س، م2، ص187.

(4) ابن العربي ،أحكام القرآن، م. س، ج3، ص 1319.

الفقهية المتعلقة بالتغريب مع الجلد، وبجواز زواج الزاني من الزانية بعد التوبة.

الإكراه المباشر: حدثت في عهد أبو بكر الصديقﷺ حادثة إكراه على الزنا، فقد «روى نافع أن رجلاً استكره جارية فافتضها، فجلده أبو بكر ولم يجلدها، ونفاه سنة، ثم جاء فزوّجه إياها»[1].

ب ـ عهد عمر بن الخطابﷺ

اعتبر المؤرخون أن عهد عمر بن الخطاب كان عهداً ندرت فيه حوادث الفساد والزنا، وذلك لخوف الناس من شدته وحزمه، وقد طالت هذه الخشية أيضاً الذميين والمنافقين، فكانوا يَخْشَون عقاب عمرﷺ مع عدم خشيتهم من عقاب رب العالمين.

1 ـ حدّ الخمر

ذكر المؤرخون أن عمرﷺ كان حازماً في تنفيذ حدّ الله ولو طال ذلك أقرب المقربين إليه، وقد قيل إنه ممن» حُدّ في الشرب عبيد الله بن عمر بن الخطاب[2]، شرب بمصر فحدّه هناك عمرو بن العاص[3] سراً، فلما قدم على عمر جلده حداً آخر علانية ... ومنهم عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب المعروف بأبي شحمة، وحدّه أبوه في الشراب، وفي أمر أنكره عليه»[4].

---

(1) ابن العربي ،أحكام القرآن، م. س، ج3، ص 1319.

(2) عبيد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي، صحابي، من أنجاد قريش وفرسانهم، ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلم بعد إسلام ابيه، ثم سكن المدينة، وغزا افريقية مع عبد الله بن سعد و رحل الى الشام في ايام علي، انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج4، ص 351.

(3) عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي، أبو عبد الله، فاتح مصر، واحد عظماء العرب ودهاتهم وأولي الرأي والحزم والمكيدة فيهم، كان في الجاهلية من الأشداء على الإسلام، وأسلم في هدنة الحديبية، وولاه االنبيﷺ امرة جيش «ذات السلاسل»، انظر: الزركلي، خير الدين، الأعلام، م. س، ج5، ص 248.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، م. س، ج6، ص 371.

2 ـ حدّ الزنا

وقعت في عهد عمر بن الخطاب عدة حوادث زنا وإكراه على الزنا، ومن هذه الحوادث حادثة حدثت مع إحدى النساء التي تذرعت بالحاجة لتبرير فعلها، فعن «عبد الرزاق عن عمر بن هشام بن عروة عن أبيه أن رفقة من أهل اليمن نزلوا الحَرَّة ومعهم امرأة قد أصابت فاحشة، فارتحلوا وتركوها، فأُخبر عمر خبرها، فسألها، فقالت: كنت امرأة مسكينة لا يعطف عليّ أحد بشيء، فما وجدت إلا نفسي، قال: فأرسل إلى رفقتها فردّوهم، وسألهم عن حاجتها فصدّقوها، فجلدها مائة وأعطاها وكساها، وأمرهم أن يحملوها معهم»[1].

وفي هذا الحادثة دليل على أن الحاجة لا تبرر فعل الزنا وارتكاب البغاء.

3 ـ الإكراه على الزنا

أ ـ الإكراه المباشر: عدّ الفقهاء أن الإكراه المباشر هو استخدام القوة الجسدية في الاعتداء على الضحية، وقد يكون الخوف من استخدام القوة الجسدية هو من أسباب استسلام الضحية بسهولة، وحدثت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حوادث إكراه مباشر على الزنا وفيما يلي ذكر لحادثتين من هذه الحوادث:

الحادثة الأولى ذكرها البخاري فقال :« حدثني نافع أن صفية ابنة عبيد أخبرته أن عبداً من رقيق الأمارة وقع على وليدة من الخمس فاستكرهها حتى افتضّها، فجلده عمر الحدّ ونفاه»[2].

وفي هذا الحديث دليل على أن الحصول على السبي في الحروب لا يبيح التعرض لهن قبل وجود عدة شروط يجب استيفاؤها، منها استبراء الحيض وتقسيم الغنائم بين المقاتلين وغير ذلك من الشروط التي سيتم ذكرها في الفصول اللاحقة إن شاء الله.

---

(1) الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همّام، المصنف، المجلس العلمي، جوهانسبرغ، بدون رقم الطبعة، 1392هـ، 1972م.، ج7، ص 405.

(2) البخاري، صحيح البخاري، م. س، ج8، ص 58.

الحادثة الثانية ذكرها أبو يوسف فقال: «حدثنا مجالد عن الشعبي عن سويد بن غفلة أن رجلاً من أهل الذمة من نِبْط الشام نَخَسَ بامرأة على دابة فلم تقع، فدفعها فصرعها فانكشفت عنها ثيابها، فجلس فضاجعها، فرُفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأمر به فصلب، وقال: ليس على هذا عاهدناكم»[1].

ب ـ الإكراه غير المباشر: حدثت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عدة حوادث استغل فيها بعض الزناة الفتيات وأجبروهن على ارتكاب الزنا، فانطبق عليهن قول الله تعالى: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ﴾[2].

كما انطبق عليهن قول رسول الله ﷺ: (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[3].

وهذا العفو جاء لأن الزنا حدث مراعاة لحاجة من جوع أو عطش، أو تحت تأثير الخداع أو النوم، ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الحاجة تثبت في حال الإجهاد وخوف الهلاك على النفس.

ج ـ الإكراه تحت تأثير الجوع والعطش: ذكر الفقهاء أنه لا حدّ على المرأة إذا اضطرت إلى الزنا تحت ضغط الحاجة والضرورة، ومن هذه الضرورات الحاجة إلى الطعام والشراب، «فعن عبد الرزاق عن ابن عُيَينة عن الوليد بن عبد الله عن ابن الطفيل أن امرأة أصابها جوع، فأتت راعياً فسألته الطعام فأبى عليها حتى تعطيه نفسها، قالت: فحثى لي ثلاث حثيات من تمر، وذكرت أنها كانت جَهِدَت من الجوع، فأخبرت عمر فكبّر وقال: مهر، مهر، مهر، كل حفنة مهر، ودرأ عنها الحد»[4].

---

(1) الأنصاري، أبو يوسف، كتاب الخراج، بدون دار نشر، القاهرة . مصر، الطبعة الخامسة، 1396هـ، ص193.

(2) سورة البقرة، الآية 173.

(3) ابن ماجه، عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الطلاق، حديث رقم2045، بيروت . لبنان، بدون دار نشر، ج1، ص659.

(4) الصنعاني، عبد الرزاق، المصنف، م. س، ج7، ص 406.

ولا بد من الإشارة إلى أن حدّ الضرورة الملجئة للفعل المنكر هو خشية الهلاك والجوع، وهذا ما يمكن استخلاصه من الحادثة حيث أن المرأة جهدت من الجوع.

وحدثت حادثة أخرى مع امرأة أعياها العطش فرضيت أن تسلم نفسها لإرواء عطشها، فعن «أبي عبد الرحمن السُّلَمي، قال: أتي عمر رضي الله عنه بامرأة جَهَدها العطش فمرت على راع فاستسقت فأبى أن يسقيها إلا أن تمكنه من نفسها ففعلت، فشاور الناس في رجمها، فقال علي رضي الله عنه : هذه مضطرة، أرى أن تُخْلِيَ سبيلها، ففعل»[1].

د ـ **الإكراه على الزنا تحت تأثير النوم**: اعتبر الفقهاء أن استغلال فرصة نوم المرأة واستغلال عجزها عن الدفاع عن نفسها للزنا بها، يعتبر حكمه كحكم الإكراه على الزنا، لذلك فإنه لا حدّ عليها. ومن الحوادث التي حدثت فيها حالة اعتداء على المرأة في حالة نومها، حادثتان حصلتا في عهد الخليفة عمر رضي الله عنه ، وهما:

الأولى أوردها أبو يوسف فقال: «قال النزال بن سبرة: بينما نحن بمنى مع عمر رضي الله عنه إذا امرأة ضخمة على حمار تبكي قد كاد الناس أن يقتلوها من الزحمة عليها وهم يقولون لها: زنيتِ زنيتِ. فلما انتهت إلى عمر رضي الله عنه قال: ما شأنك؟ إن المرأة ربما استُكْرِهت؟ فقالت: كنت امرأة ثقيلة الرأس، وكان الله يرزقني من صلاة الليل، فصليت ليلة ثم نمت، فوالله ما أيقظني إلا رجل قد ركبني، ثم نظرت إليه مقعياً ما أدري من هو من خلق الله، فقال عمر: لو قتلت هذه خشيت على الأخشبين النار (والأخشبان الجبلان المطيفان بمكة: أبو قبيس والأحمر)، ثم كتب إلى أمراء الأمصار أن لا تُقتل نفس دونه[2]»[3].

وأورد ابن قيّم الجوزية قصة أخرى تدل على مدى حكمة عمر

---

(1) البيهقي، السنن الكبرى، مطبعة مجلسة دائرة المعارف العثمانية، بدون بلد النشر ورقم الطبعة، 1354هـ .، ج8، ص 236.

(2) دونه: أي دون معرفته.

(3) الأنصاري، أبو يوسف، كتاب الخراج، م.س .، ص165.

وسعيه لكشف الجرائم بنفسه، «قال الليث بن سعد: أُتِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً بفتى أمرد، وقد وجد قتيلاً مُلقىً على وجه الطريق، فسأل عمر عن أمره واجتهد فلم يقف له على خبر فشقّ ذلك عليه، فقال: اللهم اظفرني بقاتله، حتى إذا كان على رأس الحول وُجِد صبي مولود مُلقىً بموضع القتيل، فأُتِي به عمر فقال: ظفرتُ بدم القتيل إن شاء الله تعالى، فدفع الصبي إلى امرأة وقال لها: قومي بشأنه وخذي منّا نفقته، وانظري من يأخذه منك، فإذا وجدتِ امرأة تقبِّله وتضمه إلى صدرها فأعلميني بمكانها، فلما شبّ الصبي جاءت جارية فقالت للمرأة: إن سيدتي بعثتني إليكِ لتبعثي بالصبي لتراه وترده إليك، قالت: نعم، اذهبي به إليها وأنا معك، فذهبت بالصبي والمرأة معها حتى دخلت على سيدتها، فلما رأته أخذته فقبّلته وضمته إليها، فإذا هي ابنة شيخ من الأنصار ومن أصحاب رسول الله ﷺ، فأتت عمر فأخبرته، فاشتمل على سيفه ثمّ أقبل إلى منزل المرأة فوجد أباها متكئاً على باب داره، فقال له: يا فلان، ما فعلت ابنتك فلانة؟ قال: جزاها الله خيراً يا أمير المؤمنين، هي من أعرف الناس بحق أبيها مع حُسن صَلاتها والقيام بدينها، فقال عمر: قد أحببت أن أدخل إليها فأزيدها رغبة في الخير وأحثها عليه، فدخل أبوها ودخل عمر معه، فأمر عمر من عندها فخرج، وبقي هو والمرأة في البيت، فكشف عمر عن السيف، وقال: اصدقيني وإلا ضربتُ عنقك، وكان لا يكذب، فقالت :على رِسْلِك، فوالله لأصدُقَن، إن عجوزاً كانت تدخل عليّ أتخذها أمّاً، وكانت تقوم في أمري كما تقوم به الوالدة، وكنتُ لها بمنزلة البنت، حتى مضى لذلك حين، ثم إنها قالت: يا بنية، إنه قد عرض لي سفر ولي ابنة في موضع أتخوف عليها فيه أن تضيع، وقد أحببت أن اضمّها إليك حتى أرجع من سفري، فعمدت إلى ابن لها شاب أمرد، فهيأته كهيئة الجارية وأتتني به ولا أشك أنه جارية، فكان يرى مني ما ترى الجارية من الجارية، حتى اعتقلني يوماً وأنا نائمة، فما شعرتُ حتيعلاني وخالطني، فمددت يدي إلى شفرة كانت إلى جانبي فقتلته، ثم أمرتُ به فأُلقي حيث رأيت، فاشتملت منه على هذا الصبي، فلما وضعته ألقيته في موضع أبيه، فهذا والله خبرهما على ما أعلمتُك، فقال: صدقت، ثم

أرضاها ودعا لها وخرج، وقال لأبيها: نعمت الابنة ابنتك، ثم انصرف»[1].

ج - عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه

1 - قضاء علي في زمن عمر رضي الله عنه

مرّ في الفقرة السابقة حسن قضاء عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقدرته على ضبط الأمور في زمنه، إلا أنه كثيراً ما كان يستشير الصحابة من حوله في الحكم الذي يستشبه عليه، ومن هؤلاء المستشارين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فعن «جعفر بن محمد: أُتِيَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بامرأة قد تعلقت بشاب من الأنصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صُفرتها، وصبّت البياض على ثوبها وبين فَخِذَيْها، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا رجل غلبني على نفسي وفضحني في أهلي، وهذا أثر فِعاله، فسأل عمر النساء فقلن له: إن بيديها وثوبها أثر المني، فهمّ بعقوبة الشاب فجعل يستغيث ويقول: يا أمير المؤمنين تَثَبَّت في أمري، والله ما أتيت فاحشة وما هممتُ بها، فلقد راودتني هي عن نفسي فاعتصمت، فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في أمرهما؟ فنظر عليّ إلى ما على الثوب ثم دعا بماء حار شديد الغليان فصُبّ على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه واشتمه وذاقه فعرف طعم البيض، وزجر المرأة فاعترفت»[2].

2 - الإكراه على الزنا

أ - الإكراه المباشر: بلغ من حكمة علي رضي الله عنه في القضاء في زمن عمر رضي الله عنه وفي زمنه، أنه كثيراً ما استنبط الفقهاء طرق إثبات الجريمة وكيفية التحقق من الشهود مستندين بذلك على أقضيته وأحكامه رضي الله عنه .

ومن هذه الأحكام حكمه بالتفريق بين الشهود كما حدث في أحد

---

(1) ابن قيم الجوزية، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد جميل غازي، مكتبة المدني، جدة . المملكة العربية السعودية، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص 38.

(2) ابن قيم الجوزية، الطرق الحُكمية في السياسة الشرعية، م. س، ص 66.

أقضيته، فقد روي عنه بغير إسناد «أن امرأة رُفعت إلى علي، شهد عليها أنها بغت، وكان في قصتها أنها كانت يتيمة عند رجل، وكان للرجل امرأة، وكان كثير الغيبة عن أهله، فشبت اليتيمة فخافت المرأة أن يتزوجها زوجها، فدعت نسوة حتى أمسكنها فأخذت عُذرتها بإصبعها، فلما قدم زوجها من غيبته رمتها المرأة بالفاحشة وأقامت البينة من جاراتها اللواتي ساعدنها على ذلك، فسأل المرأة: ألك شهود؟ قالت: نعم، هؤلاء جاراتي يشهدون بما أقول، فأحضرهن علي وأحضر السيف وطرحه بين يديه، وفرّق بينهن فأدخل كل امرأة بيتاً، فدعا امرأة الرجل، فأدارها بكل وجه فلم تزل على قولها، فردها إلى البيت الذي كانت فيه ودعا بإحدى الشهود، وجثى على ركبتيه، وقال: قد قالت المرأة ما قالت، ورجعت إلى الحق، وأعطيتها الأمان، وان لم تصدقيني لأفعلن ولأفعلن، فقالت: لا والله ما فعلت، إلا أنها رأت جمالاً وهيبة فخافت فساد زوجها، فدعتنا وأمسكناها لها حتى افتضتها بإصبعها، فقال علي: الله أكبر، أنا أول من فرّق بين الشاهدين، فألزم المرأة حد القذف، وألزم النسوة جميعا العقر[1] وأمر الرجل أن يطلق المرأة وزوجه اليتيمة، وساق إليها المهر من عنده»[2].

ب ـ قضاؤه بوجوب أرش البكارة: من أقضية علي بن أبي طالب رضي الله عنه حكمه بارش البكارة على من يعتدي على غيره، حتى ولو كان هذا الاعتداء من قبل امرأة أخرى، فقد «رُفع إلى علي عليه السلام جاريتان دخلتا الحمام فافتضت إحداهما الأخرى بإصبعها، فقضى على التي فعلت عقلها[3] بأرش البكارة[4]»[5].

---

(1) العقر: الدية.

(2) ابن قيّم الجوزية، الطرق الحُكمية في السياسة الشرعية، م. س، ص85.

(3) العقل: قال الأزهري: العقل: الدية .انظر، ابن منظور، لسان العرب، م.س، م11، ص461.

(4) الأرش :هو اسم للمال الواجب على ما دون النفس.

(5) التستري، محمد تقي، قضاء أمير المؤمنين على بن ابي طالب، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت . لبنان، الطبعة العاشرة، 1403هـ، 1983م.، ص41.

3 ـ العهد الأموي

اعتبر المؤرخون أن الفساد الأخلاقي وانتهاك المحرمات بدآ بالظهور في العهد الأموي، ثم اشتدّا في العصر العباسي فيما بعد، واعتبر المؤرخون أن من أسباب انتشار المعاصي ارتكاب بعض الحكّام للموبقات والتشجيع عليها.

وكان من الخلفاء من كان يجاهر بشرب الخمر، و«أول من ذُكر ذِكراً فاشياً من الخلفاء (الأمويين) بشرب الخمر يزيد بن معاوية(*) ثم يزيد بن عبد الملك ثم ابنه الوليد دون مجاهرة بذلك ولا إعلان به، ولكن الوليد بن يزيد جاهر باستصحاب المغنين فقط»[1].

وكان من نتيجة شرب الخليفة للخمر أن تفشى الفساد بين المحيطين به وفي بعض أفراد الأمة، لأنه إذا فسدت القدوة فسد أتباعها، وقد «غلب على أصحاب يزيد بن معاوية وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب»[2].

إلا ان الغناء ازداد في عهد الوليد بن يزيد، فهو «أول من حمل

(*) نقلاً عن الحافظ ابن كثير من البداية والنهاية (23308) ان عبدالله بن مطيع (داعية ابن الزبير) مشى في البداية هو وأصحابه إلى محمد بن علي بن أبي طالب (المعروف بابن الحنفية) فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم ،فقال أبن مطيع (إن يزيد يشرب الخمر ويترك الصلاة،ويتعدى حكم الكتاب فقال لهم :ما رأيت منه ما تذكرون ،وقد حضرته وأقمت عنده، فرأيته مواظباً على الصلاة متحرياً للخير. وقال القاضي ابن العربي في كتابه العواصم من القواصم ص227 ـ 228 فإن قيل: كان يزيد خمارا. قلنا: لا يحل إلا بشاهدين فمن شهد بذلك عليه؟ بل شهد العدل بعدالته فروى يحي بن بكير عن الليث بن سعد قال الليث. «توفي أمير المؤمنين» يزيد تاريخ كذا فسما الليث «أمير المؤمنين» بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم ،ولولاكونه كذلك ما قال إلا «توفي يزيد».

(1) ابن حزم، رسائل ابن حزم، م. س، ج2، ص23.

(2) المسعودي، مروج الذهب، المكتبة التجارية الكبرى، بدون بلد النشر، الطبعة الثالثة، 1377هـ، 1958م.، ج3،ص337.

المغنين من البلدان إليه، وجالس الملهين، وأظهر الشرب والملاهي والعزف، وفي أيامه كان ابن شريج المغني، ومعبد، والعربض، وابن عائشة، وابن محرز... وغلبت (عليه) شهوة الغناء في أيامه، وعلى الخاص والعام، واتخذ القيان، وكان متهتكاً ماجناً خليعاً»[1].

4 ـ العهد العباسي

تميّز العهد العباسي عن غيره من العهود بتنوع أسباب الفساد فيه، فإضافة إلى شرب الخمر ومشاركة المغنين أهل الحكم في جلساتهم فان اقتناء الجواري والقيان انتشر أيضاً بين الحكّام، كما وجد أيضاً عِشق للغلمان عند بعض مرافقي الخلفاء.

أ ـ الفساد لدى الحكّام

1 ـ شرب الخمر: جاهر بعض الخلفاء العباسيين بشرب الخمر، وكان بعضهم يشرب ما اخْتُلِفَ في حكمه بين الفقهاء فقط، ومن المجاهرين بذلك «الهادي والرشيد، وإنما كان يشرب الرشيد ما اختلف في جوازه فقط، وأما خمر العنب فلا، ثم جاهر الأمين جهاراً قبيحاً بالخمر، وأما المأمون فكان يشرب ما اختلف فيه فقط، وكذلك المعتصم والواثق، ثم جاهر المتوكل وكل من بعده إلا المهدي والمتقي، وكانا ناسكين لا يقربان شيئاً من المحرمات رحمهما الله تعالى، وكذلك القادر والقائم»[2].

2 ـ الغناء: عُرف الغناء في العهد الأموي وازداد في العهد العباسي، وبعد أن كان الخليفة يأتي بالمغني من الخارج أصبح بعض الخلفاء العباسيين هو الذي ينظم الشعر ويغنيه، «ومن ذلك ما حكى إسحاق الموصلي[3] قال: كان الواثق بن المعتصم أعلم الناس بالغناء، وكان يضع

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، م. س، ج3، ص337.

(2) ابن حزم، رسائل ابن حزم، م. س، ج2، ص24.

(3) اسحاق بن ابراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، أبو محمد بن النديم، من أشهر ندماء الخلفاء، تفرّد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين وعلم الكلام، راوياً للشعر حافظاً للأخبار، شاعراً، له تصانيف، انظر الزركلي، خير الدين، الأعلام، م. س، ج1، ص283.

الألحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره»[1].

3 ـ عشق الجواري: اعتبر المؤرخون أن من أهم أسباب انتشار الفساد في العهد العباسي هو عشق الخلفاء للجواري، والسعي إلى التزيّد منهن وإهمالهم بذلك للحرائر، وبلغ من حدّ تعلق الأمين بإحدى الجواري أن قام بخطفها بعد أن رفض صاحبها أن يبيعها، فقد «كان لجعفر بن موسى الهادي جارية اسمها بَذْل، فطلبها الأمين منه فأبى عليه، وكان الوجد بها، فزاره الأمين يوماً فسر به وزاد عليه في الشرب حتى ثمل، فانصرف وأخذ الجارية، فلما أصبح جعفر ندم على ما جرى ولم يدر ما يصنع، فدخل على الأمين، فلما مثل بين يديه قال له: أحسنت والله يا جعفر بدفعك بذل إلينا وما أحسنّا، ووّقر زورَقه[2] بعشرين ألف درهم»[3].

4 ـ عشق الغلمان: انتشر في العهد العباسي عشق الغلمان بين بعض المقربين للخلفاء، وكثيراً ما كان هؤلاء المقربون كالوزراء والقضاة مجاهرين بذلك، وذُكر أن «محمد بن عبد الملك الزيات وزير المتوكل كان يعشق خادماً للمتوكل يقال له شفيع، وكان الحسن بن وهب كاتبه كلفاً بذلك الخادم، فلقيه الحسن بن وهب يوماً فسأله عن خبره، فأخبره أنه يريد أن يحتجم، فلم يبق بالعراق غريبة إلا بعث بها إليه، ولا طريفاً من الأشربة إلا أدخله عليه وكتب إليه هذه الأبيات:

«ليت شعري يا أملح الناس عندي ... هل تعالجتَ بالحجامة بعدي
دفع الله عنك لي كل سوء ... باكر رائح وإن خنتَ عهدي
قد كتمتُ الهوى بمبلغ جَهدي ... ففشا منه بعض ما كنتُ أبدي
وخلعت العِذار فليعلم النا ... س بأني أُصفي بودّي
من عُذيري من مقلتيك ومن إش ... راق وجه من حول حمرة خدّ»[4].

---

(1) الأبشيهي، محمد بن احمد، المستطرف في كل فن مستظرف، م. س، ص 186.
(2) وقر زورقه: ملأ زورقه.
(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، م. س، ج5، ص114.
(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، م. س، ج6، ص421.

ب ـ فساد العقائد

انتشرت في بعض مراحل العهد العباسي بعض الأفكار الناتجة عن اختلاط المسلمين بغيرهم من الأمم، فنتج عن ذلك نشوء مذاهب فكرية جديدة أصبحت تدعو إلى تفسير الآيات والأحكام تفسيراً يتناسب مع عقائدها الضالة.

ومن هذه المذاهب مذهب الباطنية الذي تأثر بالمجوس الذين عمد مؤسسوه إلى «تأويل أحكام الشريعة على وجوه تؤدي إلى رفع الشريعة أو إلى مثل أحكام المجوس، والذي يدلّ على أن هذا مرادهم بتأويل الشريعة أنهم قد أباحوا لأتباعهم نكاح البنات والأخوات، وأباحوا شرب الخمر وجميع اللذات. ويؤكد ذلك أن الغلام الذي ظهر منهم بالبحرين والإحساء بعد سليمان بن الحسين القرمطي سنّ لأتباعه اللواط وأوجب قتل الغلام الذي يمتنع على من يريد الفجور به، وأمر بقطع يد من أطفأ ناراً بيده، وبقطع لسان من أطفأها بنفخة، وهذا الغلام المعروف بابن أبي زكريا الطامي كان ظهوره في سنة تسع عشرة وثلاثماية، وطالت فتنته إلى أن سلّط الله تعالى عليه من ذبحه على فراشه»[1].

وبلغ من تأويلهم أن أوّلوا التكاليف الشرعية وقالوا: «كل ما ذكر من التكاليف فرموز إلى باطن، فمعنى الجنابة مبادرة المستجيب بإفشاء سِرٍّ إليه قبل أن ينال رتبة الاستحفاظ لذلك، ومعنى الغُسل تجديد العهد على من فعل ذلك، والزنا إلقاء نطفة العلم الباطن إلى نفس من لم يسبق معه عقد العهد، والاحتلام أن يسبق الإنسان إلى إفشاء السر في غير محله، والصيام الإمساك عن كشف السر»[2].

وذكر من أخبار الحسن بن أحمد أبو سعيد الجنابي المعروف بالأعصم القرمطي أنه «لما استقام له ذلك كله، أمر الدعاة إلى تجميع

---

(1) البغدادي، الاسفرائيني، عبد القاهر، الفَرْق بين الفرق، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص282.

(2) ابن الجوزي، عبد الرحمن، القرامطة، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، 1390هـ، 1970م.، ص57.

النساء في ليلة عيّنها ويخالطهن بالرجال حتى يتراكبن، وقال: هذا من صحة الود والإلف ففعلوا ذلك، ثم انه أفشى فيهم إباحة الأموال والفروج والغَناء عن الصوم والصلاة وجميع الفرائض»[1].

ج - المرأة في العهد العباسي

تميز العهد العباسي عن العهد الذي سبقه بوجود الإماء والقيان بشكل واسع، مما أثر على حياة الحرائر اللواتي كثيرا ما حكي عن فساد خلقي انتشر عند بعض منهن.

1 - أسباب تفضيل الإماء: يعود السبب في تفضيل الرجل العباسي الأَمَة على الحُرّة إلى البعد عن الدين عند بعض الرجال، كما أن في علاقة الرجل بالأمة حرية أكبر حيث يستطيع التخلي عنها بسهولة متى شاء، لذلك قال بعضهم: «عجبت لمن لبس القصير كيف يلبس الطويل؟ ولمن أخفى شعره كيف أعفاه؟ وعجبا لمن عرف الإماء كيف يُقدم على الحرائر؟

وقالوا: الأمة تُشترى بالعين وتُردّ بالعيب، والحرة غِلٌّ في عنق من صارت إليه»[2].

وكثيراً ما كان الفساد يعود إلى بعض الجواري نتيجة تعلق القلوب بهن وعشقهن، وخاصة عند الخلفاء الذين سَعَوْا إلى الإكثار منهن، مما دفع ببعضٍ منهن إلى تدبير المكائد وإشعال الفتن، فمن أحداث سنة مائتان واثنانِ وثمانون هجرية قتل خمارويه بن أحمد بن طولون، «وكان من سبب قتله أنه سعى إليه بعض الناس وقال له إن جواري داره قد اتخذت كل واحدة منهن خصياً، من خصيان داره، لها كالزوج، وقال: إن شئت أن تعلم صحة ذلك فأحضر بعض الجواري واضربها وقرِّرها حتى تعلم صحة ذلك، فبعث في وقته إلى نائبه بمصر يأمره بإحضار عدة من الجواري ليعلم الحال منهن، فاجتمع جماعة من الخدم وقرروا بينهم الاتفاق على قتله،

---

(1) ابن سنان، ثابت، وابن العديم، تاريخ أخبار القرامطة، تحقيق سهيل زكار، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة، 1391هـ، 1971م.، ص99 - 100.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، م. س، ج6، ص135.

خوفاً من ظهور ما قيل له، وكانوا خاصته، فذبحوه ليلاً وهربوا»[1].

2 ـ حب القيان: كان لانتشار الغناء أثره الكبير على المجتمع العباسي، فعرف بين الرجال من عشق القيان، وكتبت أشعار الغزل فيهن، كما كتب بعض الأدباء الرسائل في التحذير من مكائد القيان، ومن هؤلاء الجاحظ الذي قال في إحدى رسائله ما نصّه: «إن القَيْنة لا تكاد تخالص في عشقها ولاتناصح في ودّها، لأنها مكتسبة ومجبولة على نصب الحبالة والشرك للمتربطين، ليقتحموا في انشوطتها، فإذا شاهدها المشاهد رمته باللحظ، وداعبته بالتبسم، وغازلته في أشعار للغناء، ولهجت باقتراحاته، ونشطت للشرب عند شرابه، وأظهرت الشوق إلى طول مَكثه والصبابة لسرعة عودته والحزن لفراقه، فإذا أحست بأن سحرها قد نفذ فيه وأنه قد تعقّل في الشرك، تزيدت فيما كانت قد شرعت فيه، وأوهمته أن الذي بها أكثر مما به منها، ثم كاتبته تشكو إليه هواه ... ثم أخبرته أنها لا تنام شوقاً إليه، ولا تتهنأ بالطعام وَجْداً به، ولا تَمَلُّ إذا غاب الدموعَ فيه، ولا ذكرته إلا تنغَّصَت، ولا هتفت باسمه إلا ارتاعت، وإنها قد جمعت قنينة من دموعها من البكاء عليه ... وربما أتت إلى بيته فتمكنه من القبلة فما فوقها، وتفرشه نفسها أن استحل ذلك منها، وأكثر أمرها قلة المناصحة، واستعمال الغدر والحيلة في استنطاق ما يحويه المربوط[2] والانتقال عنه، وربما اجتمع عندها من مربوطيها ثلاثة وأربعة، على أنهم يتحامون في الاجتماع، ويتغايرون عند الالتقاء، فتبكي لواحد بعين وتضحك للآخر بالأخرى، وتغمز هذا بذاك، وتعطي واحداً سرّها والآخر علانيتها، وتوهمه أنها له دون الآخر، وأنّ الذي تظهره خلاف ضميرها، وتكتب إليهم عند الانصراف كتباً على نسخة واحدة، تذكر لكل واحد منهم تبرمها بالباقين وحرصها على الخُلوة به دونهم، فلو لم يكن لإبليس شَرَكٌ يقتل به، ولا عَلَمٌ يدعو إليه، ولا فتنة يستهوي بها إلا القيان، فكفاه»[3].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م. س، ج7، ص474 ـ 475.

(2) المربوط، العاشق.

(3) الجاحظ، ابو عثمان عمرو بن بحر، رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة، 1384هـ .، 1965م.، ج2، ص171 ـ 173.

3 ـ أثر الفساد الخلقي على الحرائر: كان لتفضيل الرجل الإماء والقيان على الحرائر أثر على نفسية المرأة المسلمة الحرة، فأخذت تتزين وتتبرج بغية اكتساب قلوب الرجال وترغيبهم بالزواج منها، وقد وصف السيوطي حالهن فقال: «ربما رأيت نساء هذا الزمان يتزّين بزيِّ الفاحشات ويمشين في الأسواق، وهنّ للدين كالمحاربات، ويكشفن وجوههن وأيديهن عند الناس يتميَّلن إليهن النفوس بالوَسواس، وبلغن في الجرائم مع الشباب، و بذلك الغضب من الرحمن، ويخرجن إلى الحمامات والمقامات بأنواع الزينة والطيب والتبختر، فيحشرون بذلك في النار، بمخالفة الجبار»[1].

ولم تكتف بعض النسوة بالتبرج والزينة بل كثيراً ما ارتكبن الفاحشة كما حصل مع بعض بنات الأشراف ورجال الدولة. وقد ذكر التنوخي حادثة حصلت مع خمس بنات منهن فقال:

«حدثني أبو محمد عبد الله بن بكر بن داسة البصري قال: حدثني أبو يحيى بن مكرم القاضي البغدادي قال: حدثني أبي قال: كان في جواري شيخ يُعرف بأبي عبيدة، حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، وكان ينادم إسحاق بن ابراهيم المصعبي، فحدثني أن إسحاق استدعاه ذات ليلة في نصف الليل بعدّة رسل، قال: فهالني ذلك وأوحشني، لما أعرفه من دعارة أخلاقه وشدة إسراعه إلى القتل، وخفت أن يكون قد نقم عليّ شيئاً في العشرة أو بلغه عني باطل فأحفَظَه فيقتلني، فخرجت طائرَ العقل حتى أتيتُ داره، فأدخلت من دار إلى أخرى إلى أن دخلت دار الحرم، فاشتد جزعي، ثم أُدخلت إلى حجرة لطيفة، فسمعت في دهاليزها بكاء امرأة متخافتاً، وهو جالس على كرسي وبين يديه سيف مسلول. فذهب عليّ أمري وسلّمت ووقفت، فقال: اجلس يا أبا عبيدة، فسكن روعي وجلست، فرمى إلي قَصَصاً (التقارير التي ترفع الأخبار) فإذا هي رِقاع أصحاب الشرطة في الأرباع، يخبر كل واحد منهم بخبر يومه، وفي أكثرها كبسات

(1) السيوطي، جلال الدين، نزهة المتأمل ومرشد المتأهل والمتزوج، دار أمواج للطباعة والنشر والتوزيع، بدون بلد نشر، الطبعة الثانية، 1989م.، ص9.

وقعت بنساء من بنات الوزراء والرؤساء من الكتّاب، وبنات القوّاد والأمراء، مع رجالٍ على ريب، وأنهن محلات في الحبوس ويُستأذن في أمرهن، فقلت: قد وقفتُ على هذه الرقاع، فما يأمرني الأمير؟ فقال: إن هؤلاء كلهن أجلّ آباءً مني وأكثر حسباً ومالاً، وقد أفضى بهن الدهر إلى ما قد رأيت، وقد وقع لي أن بناتي سيبلغن إلى هذا، وقد جمعتهن، وهن خمس، بالقرب من هذا الموضع لأقتلهن كلهن الساعة وأستريح، فماذا ترى في هذا؟

فقلت: أيها الأمير إن آباء هؤلاء المحبسات أخطأوا في تدبيرهن، لأنهم خلفوا عليهن النعم ولم يحفظوهن بالأزواج، فخلون بأنفسهن ففسدن، ولو كانوا يلقونهن على الأكفاء ما جرى هذا منهن. والذي أراه أن تستدعي فلاناً القائد، فله خمس بنين، كلهم جميل الوجه حسن النشوة، فتزوج كل واحدة منهن بواحد فتُكفي العار والنار، فقال: أحسنت يا أبا عبيدة، أنفذوا الساعة إليه، وافرغ لي من هذا.

قال: فراسلتُ الرجل، فما طلع الفجر حتى حضر أولاده، وعقدتُ النكاح لهم على بنات إسحاق في خطبة واحدة، وحمل إسحاق بين يدي كل واحدة خمسة آلاف دينار عيناً، وشيئاً كثيراً من الطِّيب، والثياب، والدّواب، والبغال، والغلمان. فأعطاني كل واحد من الأزواج شيئاً مما وصل إليه، وأنفذ لي أمهّات الأولاد هدايا في الحال، وشكرنني على تخليص بناتهن، وانقلبت الحال إلى سرور، فخرجت وقد حصل لي ثلاثة آلاف دينار عيناً وشيءٌ كثير من الطيب والثياب»[1].

د ـ نتائج انتشار الفساد

كان من نتائج انتشار الفساد أن قام بعض العلماء بالقيام بعمل المحتسب عاملين على القضاء على كل أشكال الفساد، ومن هؤلاء: الحنابلة في سنة ثلاث وعشرين وثلاثماية، حيث «صاروا يكبسون في دور

(1) التنوخي، أبي الحسن بن علي، نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، تحقيق عبود الشالحي، بدون دار النشر، بدون رقم الطبعة، 1391هـ، 1971م.، ج3، ص101.

القوّاد والعامة، وإن وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، واعترضوا في البيع والشراء، ومشيَ الرجال مع النساء والصبيان[1]، فإذا رأوا ذلك سألوه عن الذي معه من هو، فأخبرهم وإلاّ ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة، فأرهجوا[2] بغداد»[3].

هـ ـ الإكراه على الزنا

اشتملت كتب التاريخ على حوادث إكراه على الزنا حصلت في العهود الإسلامية الأولى، ومن هذه الحوادث ما حصل فيه استخدام القوة الجسدية، ومنها ما حصل باستخدام الإكراه المعنوي، كاستغلال حاجة، أو حرب، أو عن طريق الإغواء، وفيما يلي أمثلة من هذه الحوادث لتبيان نوع الإكراه الحاصل آنذاك، وكيفية حكم الحكّام على مرتكبيه.

1 ـ الإكراه المباشر: أورد المؤرخون في كتبهم ذكراً لحوادث إكراه عديدة حصلت مع بعض الفتيات، وفيما يلي حادثتين منها، ذكر الحادثة الأولى المسعودي في أحداث سنة ثلاثٍ وثلاثين ومائتين فقال:

«من طريف أخبار إسحاق بن إبراهيم المصعبي أنه رأى في منامه كأن النبي (يقول له: أطلق القاتل، فارتاع لذلك روعاً عظيماً، ونظر في الكتب الواردة لأصحاب الحبوس، فلم يجد فيها ذكرُ قاتل، فأمر بإحضار السندي وعباس فسألهما: هل رُفع إليهما أحد ادُّعِيَ عليه بالقتل؟ فقال له العباس: نعم، وقد كتبنا نخبرك، فأعاد النظر فوجد الكتاب في أضعاف القراطيس، وإذا الرجل قد شُهِد عليه بالقتل وأَقَرَّ به، فأمر إسحاق بإحضاره، فلما دخل عليه ورأى ما به من الارتياع قال له: إن صدقتني أطلقتك، فابتدأ يخبره بخبره، وذكر أنه كان هو وعدّة من أصحابه يرتكبون كل عظيمة ويستحلون كل مُحَرَّم، وأنه كان اجتماعهم في منزل بمدينة أبي جعفر المنصور يعتكفون فيه على كل بَلِيَّة، فلما كان في هذا اليوم جاءتهم عجوز كانت تختلف إليهم للفساد، ومعها جارية بارعة الجمال، فلما توسطت الجارية

---

(1) الصبيان: المقصود هنا عشق الغلمان.

(2) الرهج: الشغب، أي نشروا البلبلة في بغداد.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، م. س، ج8، ص307.

الدار صرخت صرخة، فبادرت إليها من بين أصحابي فأدخلتها بيتاً وسَكَّنَت رَوْعَها وسألتها عن قصتها، فقالت: الله الله فيّ، فإن هذه العجوز خدعتني وأعلمتني أن في خزانتها حُقّاً[1] لم ير مثله فشوقتني إلى النظر إلى ما فيه، فخرجت معها واثقة بقولها فهجمت بي عليكم، وجدّي رسول الله ﷺ، وأمي فاطمة، وأبي الحسن بن علي، فاحفظوهم فيّ، قال الرجل: فضمنت خلاصها وخرجت إلى أصحابي فعرّفتهم بذلك، فكأني أغريتهم بها، قالوا: لما قضيت حاجتك منها أردت صرفنا عنها، وبادروا إليها، وقمت دونها أمنع عنها، فتفاقم الأمر بيننا إلى أن نالتني جراح، فعمدت إلى أشدّهم كان في أمرهم وأكلبِهم على هتكها فقتلته، ولم أزل أمنع عنها إلى أن خلّصتها سالمة، وتخلصت الجارية آمنة مما خافته على نفسها، فأخرجتها من الدار فسمعتها تقول: سترك الله كما سترتني، وكان لك كما كنتَ لي، وسمع الجيران الضجة فتبادروا إلينا والسكين في يدي والرجل يتشحّط في دمه، فرُفعت على هذه الحالة، فقال له إسحاق: قد عرفتُ لك ما كان من حفظك للمرأة، ووهبتك لله ورسوله، قال: فَوَحَقّ من وهبتني له لا عاوَدْتُ معصية ولا دخلتُ في ريبة حتى ألقى الله، فأخبره إسحاق بالرؤيا التي رآها»[2].

وهذه الحادثة إضافة إلى أنها تشير إلى حادثة إكراه على الزنا، إلا أنها تشير أيضاً إلى وجود مهنة القوادة التي تنتشر بوجود الحاجة إليها.

وحادثة أخرى أوردها التنوخي، وقد حصلت مع خيّاط في العهد العباسي أيضاً، فقال على لسان الخيّاط: «كنت منذ دهر قد صليت المغرب وخرجت أريد منزلي، فاجتزت بتُرْكِيٍّ كان في هذه الدار، فإذا قد اجتازت امرأة جميلة الوجه عليه فتعلق بها وهو سكران ليدخلها داره، وهي ممتنعة تستغيث وليس أحد يغيثها، وتصيح ولا يمنعها منه أحد، وتقول في جملة كلامها: إن زوجي قد حلف بطلاقي أن لا أبيت عنه، فإن بيّتني هذا أَخْرَب بيتي، مع ما يرتكبه مني من المعصية ويلحقه بي من العار.

---

(1) الحقّ: منحوت من الخشب والعاج مما يصلح أن ينحت منه ،اظر، ابن منظور، لسان العرب، م. س، م10، ص 56.

(2) المسعودي، مروج الذهب، م.س، ج4، ص95.

قال: فجئت إلى التركي، وَرَفَقْتُ به وسألته تركها، فضرب رأسي بدبوس[1] كان في يده، فشجّني وآلمني وأدخل المرأة فصرت إلى منزلي فغسلت الدم وشددت الشَّجَّة واسترحت وخرجت أصلي العشاء، فلما فرغنا منها قلت لمن حضر: أقدموا معي إلى عدو الله هذا التركي، ننكر عليه ولا نبرح حتى تخرج المرأة. فقاموا وجئنا فضربنا على بابه، فخرج إلينا في عدّة من غلمانه فأوقع بنا الضرب، وقصدني من بين الجماعة فضربني ضرباً عظيماً كدت أتلف منه، فشالني الجيران إلى منزلي كالتلف فعالجني أهلي، ونمت نوماً قليلاً للوجع وأفقت نصف الليل، فما حملني النوم فكراً في القصة.

فقلت: هذا قد شرب طول ليلته ولا يعرف الأوقات، فلو أذّنت وقع له أن الفجر قد طلع فأطلق المرأة فلحِقَت بيتها قبل الفجر، وتَسْلَمُ من أحد المكروهَيْن ولا يخرب بيتها مع ما قد جرى عليها. فخرجت إلى المسجد متحاملاً وصعدت المنارة فأذّنت، وجلست أطّلع منها إلى الطريق أترقب منها خروج المرأة، فان خَرَجْت وإلا أقمتُ الصلاة لئلا يشك في الصباح فيخرجها.

فما مضت إلا ساعة والمرأة عنده، فإذا الشارع قد امتلأ خيلاً ورجالاً ومشاعلَ وهم يقولون: من هذا الذي أذّن الساعة؟ أين هو؟ ففزعت وسكت، ثم قلت: أخاطبهم، لعلي أستعين بهم إلى إخراج المرأة، فصحت في المنارة: أنا أذنت فقالوا لي: إنزل فأجب أمير المؤمنين .فقلت: دنا الفرج، ونزلت فمضيت معهم، فإذا هم غلمان مع بدر[2] فأدخلني إلى المعتضِد، فلما رأيتُه هبتُه وارتعت، فسكّن مني وقال: ما حملك على أن تغرّ المسلمين بأذانك في غير وقته فيخرج ذو الحاجة من غير حينها، ويمسك المريد للصوم في وقت أبيح له منه الافطار؟

---

(1) الدبوس: دبوس كتنور، واحد الدبابيس للمقامع، كأنه معرّب، انظر الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط ،مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، الطبعة الرابعة، 1415هـ، 1961م.، ص700.

(2) الأمير بدر: صاحب شرطة المعتضد سنة 289هـ.

فقلت: يؤمِّنني أمير المؤمنين لأصدق؟

فقال: أنت آمن على نفسك.

فقصصت عليه قصة التركي وأريتُه الآثار التي بي.

فقال: يا بدر، عليّ بالغلام والمرأة الساعة الساعة، وعُزِلْت في موضع، فلما كان بعد ساعة قليلة أُحضر الغلام والمرأة، فسألها المعتضد عن الصورة، فأخبرته بمثل ما قلته.

فقال لبدر: بادر بها إلى زوجها مع ثقة يدخلها دارها، ويشرح له خبرها، ويأمره عني بالتمسك بها والإحسان إليها»[1]، وقتل التركي عقاباً له وتربية لغيره قِتْلة شنيعة.

2 ـ الزنا بالمحارم: وصل الفساد عند بعض الناس أن قاموا بالاعتداء على محارمهم، وقد ذكر ابن القيّم حادثة حصلت في زمن الحجاج فقال: «حدثنا صالح بن راشد قال: أُتي الحجاج[2] برجل قد اغتصب أخته على نفسها، فقال: احبسوه وسلوا من ها هنا من أصحاب محمد T؟ فسألوا عبد الرحمن بن مطرف فقال: سمعت رسول اللهﷺ يقول: من تخطّى الحرمتين[3] فخطوا وسطه بالسيف»[4].

3 ـ اغتصاب الحروب

تمتاز الحروب منذ القِدَم بانتهاك الحرمات والأعراض، وهذا أمر لم يخل منه المجتمع الإسلامي القديم، وان كان أغلب من انتهك الأعراض

---

(1) التنوخي، نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة، م. س، ج1، ص315.

(2) الحجاج بن يوسف الثقفي: قال: ابن عبد ربه في العقد الفريد إن الحجاج كان يعلّم الصبيان بالطائف، واسمه كُلَيْب، وأبوه يوسف معلم ايضا... ثم لحق الحجاج بن يوسف بروح بن زنباع، وزير عبد الملك بن مروان، فكان في عديد شرطته... ثم ترقى إلى أن عينه عبد الملك بن مروان والياً على العراق، انظر، ابن عبد ربه، العقد الفريد، م.س، ج5، ص14 ـ 18.

(3) الحرمتين: حرمة الزنا وحرمة الرحم.

(4) ابن قيم الجوزية، روضة المحبين ونزهة المشتاقين، م. س، ص361.

هم الخارجون عن الدين الإسلامي، كما حدث في حروب الزنج، والقرامطة والمغول.

أ ـ ثورة الزنج: حدثت ثورة الزنج في زمن المعتضد، حيث استغل الزنج فرصة انشغال المعتضد بحروبه وعمدوا إلى بث الرعب في قلوب الناس، وبعث «كبير الزنج عسكره إلى البطيحة[1] فنهبها، وأفسد العسكر بها وأسروا وقتلوا، وفيها تعرّض رجل لامرأة ببغداد وغصبها بمكان وهي تصيح: اتق الله وهولا يلتفت فقالت:

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[2].

ثم رفعت رأسها إلى السماء وقالت: «اللهم إنه قد ظلمني فخذه إليك، فوقع الرجل ميتاً، قال ابن عون الفرائضي: فأنا والله رأيت الرجل ميتاً فحمل على نعش والناس يهلّلون و يكبّرون»[3].

وقد وصف ابن الرومي حال النساء في ذلك الوقت فقال:

«كم فتاة بخاتَم الله بِكرٌ ... فضحوها جهراً بغير اكتتام
كم فتاة مصونةٍ قد سَبَوها ... بارزاً وجهها بغير لثام
صبّحوهم فكان القوم منهم ... طولُ يوم كأنه ألف عام
من رآهن في المساق سبايا ... داميات الوجه للأقدام
من رآهن في المساق وسط ... الزنج يقسمن بينهم بالسهام
من رآهنُ يُتَّخذن إماء ... بعد مُلك الإماء والخدّام»[4]

ب ـ حرب القرامطة: عمل القرامطة منذ تأسيس مذهبهم على تقويض الأخلاق، وأكبر دليل على ذلك هو الفساد الخُلقي الذي دَعَوا إليه

---

(1) البطيحة: ارض واقعة بين واسط والبصرة.
(2) سورة الزمر، الآية 46.
(3) الأتابكي، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، المكتبة المصرية، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة، 1352هـ، 1932م.، ج3، ص35.
(4) العقاد، عباس محمود، ابن الرومي، حياته من شعره، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، الطبعة السابعة، 1968م.، ص23.

جماعتَهم كما مرّ سابقاً، إلا انهم لم يكتفوا بالدعوة فقط، بل كثيراً ما كانوا يُكرهون النساء على البغاء، فقد «حكى إنسان منهم يقال له إبراهيم الصائغ أنه كان عند أبي سعيد الجنابي وأتاه يحيى بن المهدي طعاماً، فلما فرغوا خرج أبو سعيد الجنابي من بيته وأمر امرأته أن تدخل إلى يحيى وألا تمنعه إن أراد، فانتهى هذا الخبر إلى الوالي، فأخذ يحيى فضربه وحلق رأسه ولحيته، وهرب أبو سعيد، وسار يحيى إلى بني كلاب وعقيل والخريس»[1].

وذكر الطبري حادثة أخرى حصلت مع امرأة هاشمية إبان حروب القرامطة، فقد حدثت المراة قائلة: «إن هؤلاء القوم أَتَونا، فذبحوا أبي وأمي وإخوتي وأهلي جميعاً، ثم أخذني رئيسهم فأقمت عنده خمسة أيام، ثم أخرجني فدفعني إلى أصحابه فقال: صهّروها، فأرادوا قتلي فبكيت، وكان بين يديه رجل من قوّاده فقال: هبها لي، فقال: خذها، فأخذني، وكان بحضرته ثلاثة أنفس قيام من أصحابه، فسلّوا سيوفهم وقالوا: لا نسلّمها إليك، إما أن تدفعها إلينا وإلا قتلناها، وأرادوا قتلي وضجّوا، فدعاهم رئيسهم القرمطي وسألهم عن خبرهم فخّبروه، فقال: تكون لكم أربَعَتُكم، فأخذوني، فأنا مقيمة معهم أربعتهم وما أدري ممّن هذا الولد منهم»[2].

ج ـ حرب المغول: عمل المغول على نشر الخراب والفساد في كل مدينة دخلوها، ومن هذه المدن حلب، وقد وصل بهم الحد أن اعتدوا على النساء والأطفال والشيوخ، وعندما حاول النساء والأطفال الهرب إلى جامع حلب «مال أصحاب تيمور عليهن وربطوهن بالحبال أسرى، ثم وضعوا السيف في الأطفال فقتلوهم بأسرهم، وسرّعوا في تلك الأفعال القبيحة على عادتهم، وصارت الأبكار تُفتض من غير تستر، والمخدّرات يفسق فيهن من غير احتشام، بل يأخذ التتري الواحدة ويعلوها في المسجد الجامع بحضرة الجمّ الغفير من أصحابه ومن أهل حلب، يراها أبوها

---

(1) ابن سنان، ثابت، تاريخ أخبار القرامطة، م. س، ص13 ـ 14.

(2) الطبري، محمد بن جرير، تاريخ الطبري، أو تاريخ الرسل والملوك، دار المعارف، مصر، بدون رقم الطبعة، 1389هـ.، 1969م.، ج10، ص101.

وأخوها وزوجها وولدها ولا يقدر أن يدفع عنها لقلة مقدرته، ولشُغله بنفسه بما هو فيه من العقوبة والعذاب، ثم ينزل عنها الواحد فيقوم لها آخر وهي مكشوفة العورة»[1].

وما أشبه ذلك الزمن بهذا الزمن، فما حصل في مجازر المسلخ والكرنتينا وصبرا وشاتيلا في لبنان، وما حصل في البوسنة والهرسك وكوسوفا في البلقان، وما حصل ويحصل في الهند وغيرها لا يقلّ وحشية عما حصل آنذاك.

4 ـ الإكراه نتيجة الجوع

لم تكن الحروب فقط هي السبب في اندلاع الفتن ووقوع البلاء، بل إن بعض البلاء وقع نتيجة الجوع والغلاء، ومن هذه الفتن ما حصل في أيام الحاكم بأمر الله «وكان سببه قصورُ النيل، فان الزيادة بلغت إلى ستة عشر ذراعاً وأصابع، فنزع السعر، وطُلب القمح فلم يُقدر عليه، واشتد خوف الناس، وأُخذت النساء في الطرق، وعظم الأمر وانتهى سعر الخبز إلى أربعة أرطال بدرهم، وفشت الأموال بانحطاط السعر بعد ذلك»[2].

5 ـ إكراه النساء للرجال

لم تخل العهود الإسلامية الأولى من بعض حالات إغواء تعرّض لها الرجال من قبل النساء، ولعل المطلع على تفاصيل هذه الحوادث قد يجد نفسه أمام قصة سيدنا يوسف عليه السلام، مع اختلاف في الأسماء والشخصيات. ومن هذه الحوادث حادثة حصلت في زمن الحجاج، فقد عرض هذا الأخير سجنه يوماً «فأُتي برجل فقال له: ما كان جرمك؟ قال: أصلح الله الأمير، أخذني العسس[3] وأنا مخبرك بخبري، فان كان الكذب ينجي فالصدق أولى بالنجاة، فقال: ما قصتك؟ قال: كنت أخاً لرجل، فضرب

---

(1) الأ تابكي، ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة في اخبار مصر والقاهرة، م.س، ج12، ص223.

(2) المقريزي، احمد بن علي، اغاثة الأمة بكشف الغمة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة، 1377هـ. ، 1957م.، ص14.

(3) العسس: الذين يطوفون في الليل يحرسون الناس ويكشفون اهل الريبة.

الأمير عليه البعث إلى خراسان، فكانت امرأته تجِد بي وأنا لا أشعر، فبعثت إلي يوماً رسولاً قد جاء كتاب صاحبك فهلم فلتقرأه، فمضيت إليها، فجعلت تشغلني بالحديث حتى صلينا العشاء، ثم أظهرت لي ما في نفسها ودعتني إلى السوء، فأبيت ذلك، فقالت: والله لئن لم تفعل لأصيحن ولأقولن إنك لص، فلما أبيت عليها صرخت فخرجتُ هارباً، وكان القتل أهون عليّ من خيانة أخي، فلقيني عسس الأمير فأخذوني»[1].

(1) ابن قيّم الجوزية، أخبار النساء، م. س، ص 52.

الفصل الثالث

جريمة الاغتصاب في العصر الحديث

تمهيد

ورد في الفصل السابق ذِكرُ نماذج عن حالات اغتصاب وردت في العصور القديمة، وكانت النماذج التي ذكرها علماء التاريخ هي الدليل الذي بقي كشاهد عن ممارسات الأمم القديمة، وذكر النماذج عن التصرفات الانسانية إن كان من المفيد ذكره عند الأمم القديمة، فإنه لا يكفي في العصر الحالي مع تطور العلم ووجود علم الاحصاء الذي يعطي فكرة دقيقة تفصيلية عن الجرائم التي تحصل في العالم بأسره.

فائدة الإحصاء

يعتبر علماء الإحصاء أن لعلم الإحصاء فوائد عديدة، منها ما هو عام يهمّ العالم كله، مثل المساعدة على اكتشاف نفسية المجرم الذي يقوم بالجرم، ومنها ما هو خاص ببلد معين، كاكتشاف الجريمة في البلد والعمل على الحدّ من انتشارها.

لذلك يمكن الاستفادة من إحصاءات الجريمة من نواح كثيرة، «علمية وتطبيقية واصطلاحية، كما تفيدنا في عقد المقارنات التي تصف وتحلّل وتفسر ظاهرة الجريمة في مجتمعات مختلفة.

وتُستخدم إحصاءات الجريمة أيضاً في عقد المقارنات الإحصائية بين

خصائص المجرمين وغير المجرمين، من حيث السمات الجسمية والنفسية والظروف البيئية والاجتماعية.

ويمكن عن طريق إحصاءات الجريمة أيضاً بحث العلاقة بين معدلات الجريمة والأحوال الاجتماعية أو كثافة السكان في منطقة ما»[1].

كما تفيد هذه الإحصاءات أيضاً في معرفة سمات خاصة ببعض الجرائم، فالجرائم الجنسية كما سيظهر لاحقاً إن شاء الله تكثر في البلدان الحارة نوعاً ما، مثل مصر والبلدان الأفريقية، كما يكثر في فصول معينة كفصل الربيع وفصل الصيف حيث يكون لخروج الناس من بيوتهم اتقاءً للحر وبحثاً عن الاستجمام دور أيضاً في تكاثر مثل هذه الجريمة.

1 ـ وسائل كشف الظاهرة الإجرامية

يعتمد علم الإحصاء على عدة وسائل للكشف عن الظاهرة الإجرامية، ومن أهمها:

أ ـ وسيلة المعرفة التلقائية: إذ عن طريق سماع الشهود أمام أجهزة الشُّرطة، يمكنها أن تتعرف على بعض جوانب الظاهرة الإجرامية.

ب ـ وسيلة المعرفة غير المباشرة: وتتم بواسطة الجمهور بوجه عام.

ج ـ وسيلة المعرفة العلمية: ونموذجها الإحصاءات الجنائية:

والجدير بالذكر أن هناك نوعين من الإحصاءات الجنائية.

(1) إحصاءات جنائية علمية تقوم بإعدادها المنظمة الدولية للشرطةالجنائية «الانتربول».

(2) إحصاءات جنائية وطنية تقوم الدولة بإعدادها...

والإحصاءات الجنائية الوطنية ثلاثة أنواع:

أ ـ إحصاءات شرطية.

---

(1) الساعاتي، سامية حسن، الجريمة والمجتمع، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.، ص37.

ب - إحصاءات قضائية.

ج - إحصاءات السجون»[1].

«وحصل في أميركا نوع آخر من الإحصاء جرى بواسطة الهاتف، وقام به مكتب الاحصاءات العدلية لضحايا الجريمة الوطنية

(NCVC) The Bureau Of Justice Statisticnational Crime Victimization Surveys

ويعتمد هذا الأسلوب على إجراء الاتصالات الهاتفية بالأشخاص الذين تعرضوا للاغتصاب ولم يتقدموا بشكوى»[2].

2 - مدى الاعتماد على الإحصاءات

يدلّ اعتماد مؤسسة (NCVC) على الهاتف في سعيها لمعرفة الضحايا الحقيقيين للاغتصاب على عدم الركون إلى الإحصاءات المتعارف عليها، وعلى عدم اعتبار الأرقام الصادرة عنها أرقاماً حقيقية وواقعية، لذلك «دأب الاحصائيون الجنائيون على تخصيص هامش خاص في بياناتهم للجرائم المستترة، وقد دُعيت إحصائياً بالرقم الغامض (LeChiffre Noir)، هذا الرقم يمثل بصورة تقريبية عدد الجرائم التي ترتكب دون أن يبلغ عنها. والتكهنات متباينة حول حقيقة هذا الرقم، فمن قائل أنه يمثل ضعف هذا العدد. ولكن في الواقع لا يوجد أي معيار صحيح يمكن الركون إليه لتحديد حجم الإجرام المستتر»[3].

وهناك عدة أسباب لاختلاف هذا الرقم عن الواقع منها:

1 - عدم إبلاغ الضحية عن الجرم لأسباب سيرد ذكرها لاحقاً إن شاء الله.

---

(1) صدقي، عبد الرحيم، الظاهرة الاجرامية، دار الثقافة العربية، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة، 1989م.، ص 168.

(2) JOURNAL, SEPTEMBER1992 . THE TRUTH ABOUT RAPE, BY ANDREA GRASS, P44.

(3) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، مؤسسة نوفل، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، 1987م .، ج1، ص158.

2 ـ عدم كفاية وسائل الشرطة في كشف الجرائم.

3 ـ عدم كفاية الأجهزة الفنية في اتباع التقنية اللازمة لكشف الجرائم»[1].

3 ـ أسباب عدم إبلاغ الشرطة

تنقسم أسباب عدم إبلاغ الشرطة عن جريمة الاغتصاب إلى قسمين: قسم يعود إلى المجني عليها وقسم يعود إلى الجاني.

أ ـ الأسباب العائدة إلى المجني عليها: تردد المجني عليها في إبلاغ الشرطة لاعتبارات عديدة منها: خوفها من الفضيحة، وخوفها من عدم الوصول إلى حقها، ولعدم ثقتها بالجهة التي تشتكي إليها كما ورد في الفقرة السابقة عندما جرى الكلام عن عدم كفاية وسائل الشرطة في كشف الجرائم، ويمكن إيراد بعض هذه الأسباب فيما يلي:

1 ـ رغبة العديد من النساء في أن «يجنبن أنفسهن الحرج الناشئ عن نظرة الناس إليهن، والتي تجعلهن يشعرن وكأنما هن اللاتي أجرمن وليس من قاموا باغتصابهن، كذلك فان المعاملة التي تلقاها النساء المغتصبات، سواءً من رجال الشرطة عند الإبلاغ عن الجريمة أو من جهاز العدالة أثناء المحاكمة، تسبب لهن ارتباكاً شديداً وحرجاً عظيماً، وبخاصة رجال الشرطة الذين ينظرون إلى الضحية في خبث وارتياب، ويبالغون في سؤالها عما حدث وبتفصيل ينمّ عن التلذذ دون أن يقدروا الظروف التي تمرّ بها. أما المحاكم فإنها غالباً ما تعتبر الضحية سبباً في وقوع الجريمة، سواءً لأن مظهرها جذاب أو لأن سلوكها فيه شيء من الليونة، أو لماضيها العاطفي، وهي أمور قد لا يكون لها علاقة بالجريمة»[2].

لهذا السبب اقترح مؤلف كتاب الظاهرة الإجرامية عبد الرحيم

---

(1) صدقي، عبد الرحيم، الظاهرة الاجرامية، م. س، ص17.

(2) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الاناث في المجتمعات القديمة والمعاصرة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م.، عن كتاب SOCIAL PROBLEM ص79.

صدقي» إنشاء مكاتب استقبال Bureau d'accueil في أقسام الشرطة لتتلقى البلاغات الحساسة (مثل بلاغات الاغتصاب، هتك العرض) على أن يكون لهذه المكاتب طابع خاص يتناسب مع حساسية الجرائم المبلغ عنها»[1].

2 ـ رغبة العديد من النساء وأهلهن بتجنب الفضيحة الناجمة عن الإبلاغ، وما ينتج عن ذلك من تحقيق ونشر للخبر في الصحف، مما قد يؤدي إلى تضرر الضحية وتقليل فرصتها في الحياة الطبيعية، حيث أنها قد تصبح محطّ أنظار الناس مع نظرة التشكيك وعدم التصديق ببراءتها، مما قد يقلّل من إمكانية زواجها في المستقبل.

وقد أورد أحمد علي المجدوب حادثة من هذا القبيل حصلت في أحد أقسام الشرطة في مصر، فقال: «لقد روى لي أحد ضباط الشرطة كيف أن فتاة حضرت ذات يوم إلى القسم الذي كان يعمل به لتبلغ عن اغتصاب شخص معين لها وهي تبكي، وبينما الضابط يأخذ الأهبة لتحرير محضر إذ بوالد الفتاة يدخل مسرعاً ويعتذر للضابط، ثم يجذبها من ذراعها ليخرج بها من القسم وهي ترفض، ولما سأله الضابط لماذا يتصرف هكذا أنكر أن أحداً اغتصب ابنته، ولكن الفتاة أصرت على أنها قد اغتصبت وأخذت تولول وتصرخ، فتوسل الأب للضابط لكي يعتبر الموضوع منتهياً وقال له: إنها مخطوبة لشاب ميسور الحال وإنه لو علم بما حدث فإنه قد لا يتزوجها، ويقول الضابط: إنه لم يجد بداً من الاستجابة لتوسلات الأب، تقديراً منه للظروف التي ذكرها وتركه ينصرف مع ابنته»[2].

3 ـ رغبة المجني عليها في التستر عن جريمة أكبر قامت بها، «فكثير من النساء والفتيات يكنّ على علاقة برجال دون علم أزواجهن وأسرهن، ويحدث أثناء اللقاءات التي تجري بينهن وبين هؤلاء الرجال أفعال مثيرة، تصل في بعض الأحيان إلى الجماع، وبخاصة إذا كانوا في سيارة أو في مكان خال يغلب على ظنهم أنهم بمنأى عن الأنظار. فإذا فاجأهم شاب أو

(1) صدقي ،عبد الرحيم، الظاهرة الإجرامية، م.س، ص17.

(2) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الإناث في المجتمعات القديمة والمعاصرة، م. س، ص79.

أكثر ممن اعتادوا التردد على هذه الأماكن فإنهم لا يرضون بديلاً عن مشاركة الرجال متعتهم، وقد يلجأون إلى التهديد وربما لما هو أكثر، وبعد أن ينتهي الأمر ترفض المرأة أو الفتاة بشدة أن يقوم شريكها بالإبلاغ حتى لا يعلم زوجها أو أسرتها بعلاقتها به»[1].

وقد حصلت في لبنان حادثة من هذا النوع، فقد عرضت هذه القضية أمام محكمة جنايات جبل لبنان حيث كان عدد من الشبان يختبئون في طريق فرعية ينتظرون ضحاياهم من الشباب والفتيات الذين يلجأون إلى هذه الطريق بقصد الحصول على بعض اللذة المحرمة، وبعد أن اعتدى هؤلاء الشباب على أربع فتيات كن برفقة شركائهم، قامت إحداهن وهي الأخيرة بابلاغ الشرطة عن جرمهم، بينما سكتت الأخريات.

وقد ذكر أحد الموقوفين كيفية تنفيذه ورفاقه لعملية الاغتصاب فقال: «كنا نتواجد في محلة ضهر المغارة نتناول الغذاء ونشرب الكحول، وعندما تأتي سيارة وفيها شاب وفتاة ويبدآن بالمغازلة يقترب منهما (ي) ... ويتكلم معهما ثم يقود الفتاة الى الداخل ونبقى نحن مع الشاب وبعد أن ينتهي من مضاجعتها يطلب منا كُلٌّ بدوره الذهاب لمضاجعتها، فنفعل ذلك ...»[2].

كما يقوم بعض الأشخاص بعدم الإبلاغ عن «الجرائم التي تقع ضدهم أو ضد أحد أقاربهم رغبة في الثأر»[3].

ب ـ الأسباب العائدة إلى الجاني: تتردد المجني عليها في ابلاغ الشرطة في حال إحساسها بالعجز والضَّعف أمام الجاني، إذ «أحياناً تكون مكانة مرتكب الجريمة سبباً في خوف الضحية أو شهود الجريمة من بطشه إذا ما ابلغوا عن الجريمة، لأنه من المجرمين العتاة أو من ذوي السلطة الذين يملكون القدرة على الإيذاء»[4].

---

(1) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الإناث في المجتمعات القديمة والمعاصرة، م. س، ص80.

(2) جريدة الديارالبنانية، العدد 2046، تاريخ 29/ 4/ 1994، ص10 ـ 11.

(3) الساعاتي، سامية حسن، الجريمة والمجتمع، م. س، ص33.

(4) الساعاتي، سامية حسن، الجريمة والمجتمع، م. س، ص33.

ومن الحوادث التي ذكرها المؤلفون حول هذا السبب حادثة حصلت في فرنسا مع فتاتان صغيرتان في الثانية عشر والثالثة عشر من العمر كانتا تعملان في بيت من بيوت الدعارة، وعندما حصلت مداهمة من قبل الشرطة لهذا المركز «تحدثت هاتان الفتاتان عن زبائنهما الذين كانوا من الرجال المهمين، وعندما همّت إحداهما بإعطاء اسم أحد الزبائن، قام المحقق بإسكاتها قائلاً: لا تلوثي اسم رجل شريف»[1].

إلا إنه مع وجود كل هذه الأسباب التي تمنع الضحية من الإبلاغ، لا يمكن إغفال أرقام الإحصاءات الصادرة إلى المسئولين في شأن الشكاوى الواردة إليهم، لأنه وإن اعتبرت هذه الأرقام غير حقيقية، فإن عددها الضخم نسبياً يشكل خطراً يستوجب الإسراع إلى معالجته قبل أن يتفاقم، كما أن هذا العدد قد يعتبر كافياً نوعاً ما للاستعانة به في الأبحاث الهادفة إلى اكتشاف نفسية مرتكب الجريمة وظروف ارتكابها وغير ذلك.

4 - إحصاءات الشرطة

يعتبر إحصاء الشرطة أكثر أنواع الإحصاءات دقة وتعبيراً عن الواقع، فالشرطة «هي الجهاز الحكومي الذي يشكل حلقة الاتصال المباشر بين المواطنين والسلطة، فالشرطي هو الدولة في المجتمع، الدولة بمفهومها كسلطة مولجة بحماية المواطن والسهر على حياته وطُمأنينته والحؤول دون وقوع التعديات أو التجاوزات عليه، فإذا حصلت كان الملجأ الوحيد للمعتدى عليه لوقف التعدي والمعتدين، وبما أن الشرطة تعمل كجهاز منظم، فأي تدخل منها يسجل في محاضر وسجلات خاصة تعكس بالنهاية حركتها اليومية وعدد الحالات الإجرامية التي تصدّت لها واهتمت بها، وهذا ما جعل بعض الباحثين الجنائيين يعتقد أن إحصاءات الشرطة هي أقرب الإحصاءات إلى الواقع لأنها تعكس الحركة اليومية للظاهرة الإجرامية من خلال عمل أجهزتها المستمر طيلة النهار والليل»[2].

---

(1) DE BEAUVOIR,SIMON, LE DEUXIEME SEXE, TOME2, P:440.

(2) العوجي، مصطفى، الجريمة والمجرم، م. س، ص156 - 157.

وعلى الرغم من دقة إحصاءات الشرطة إلا أنه تُوجّه إلى جهاز الشرطة عدة انتقادات منها:

أ ـ عدم القدرة على اكتشاف الجرائم.

ب ـ عدم الدقة في ذكر عدد الجرائم، «حيث أن الأهالي يبلغون الشرطة بلاغات عن حوادث قد لا تعد جريمة من الناحية القانونية الشكلية، كما أنه قد يحدث بشأنها تصالح أمام الشرطة، ولكن رغم حدوث هذا التصالح فان البلاغات تدّون في محاضر الشرطة، وهذا يعطينا صورة غير واقعية تبدو فيها المبالغة»[1].

ومن الأمثلة عن الصلح الذي يحصل في مثل هذه الحالات ما أورده «اللواء رضا الكردي من قسم بولاق الدكرور الشعبي جنوب القاهرة حيث يعيش قرابة مليوني شخص، «من أن القسم يشهد الكثير من الزيجات بمعدل مرة في شهرين على الأقل».

... وقال الكردي: «إن هذه الزيجات تحدث في معظم الحالات حين تلجأ فتاة أقامت علاقة برجل في سنها إلى قسم الشرطة للمساعدة خوفاً من الفضيحة والعار «طلباً للشرف»، وخاصة المرأة الريفية التي تخشى قتلها من أفراد عائلتها.

أما في حال الاغتصاب فغالباً يتم عقد قِران الرجل والمرأة، إذ تسعى المرأة لدرء الفضيحة ويسعى الرجل لتفادي السجن، ولكن هذه الزيجات سَرعان ما تنهار وفق جمعية المأذونين الشرعيين.

وأوضح الكردي أن رجال الشرطة يستدعون المدعى عليه بعد إبلاغ المرأة مشكلتها، ويقنعونه بعقد القران تحت طائلة السجن ثم يتم إحضار المأذون الذي يحرر العقد في جو صارم متكتم»[2].

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن ما قالته سامية الساعاتي في هذا الشأن

---

(1) الساعاتي، سامية، الجريمة والمجتمع، م. س، ص33.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد19040، تاريخ 20/ 1/ 1995، الصفحة الأخيرة، العنوان: « زيجات لدى اقسام الشرطة المصرية».

لا يمكن الأخذ به بشكل قاطع، لأن وجود التصالح والزواج كما حصل في حالات الاغتصاب التي ورد ذكرها لا ينفي وقوع الجريمة التي لم تسجل في محاضر الشرطة، وهذا ما أكدّه عبد الرحيم صدقي حين قال: لا يجب على الشرطة أن تحاول «إنهاء بعض الجرائم دون تسجيلها وَفْقاً لتكييفها القانوني في الدفتر المعدّ لذلك»[1].

ج - عدم احترام بعض أفراد الشرطة للشخص المبلِّغ واعتبار الجرم تافهاً، لأن «عدم التفات الشرطة لهذه الجريمة ومعاملة المبلِّغ بصورة مزرية قد يجعله يمتنع عن التبليغ عن أي جريمة أخرى مهما بلغت مساحتها وخطورتها، ومن ثم تفقد الشرطة قيمتها في أعين الجماهير»[2].

ومع توجيه هذه الانتقادات إلى إحصاءات الشرطة إلا أن أهمية هذه الإحصاءات تكمن في أنها أكثر دقة لعدة أسباب منها:

أ - إن في إحصاءات الشرطة ذكر لجرائم الجُنح والجِنايات على حد سواء، وجرائم الجنح يمكن الاستفادة منها في مجالات إحصائية متعددة، كتحديد الأسباب المؤدية إلى تلك الجرائم، من الاختلاط بين الجنسين والتساهل في تصرفات بعض الفتيات مع الشباب وغير ذلك.

ب - إن في إحصاءات الشرطة ذكر لكافة الجرائم سواءً انتهت إلى المحكمة أو إلى الصلح بين الطرفين، وهذا ما لا تذكره الإحصاءات الأخرى لأن أرقامها تنحصر في الجرائم المعاقب عليها فقط.

5 - الإحصاءات القضائية

تعتبر إحصاءات المحاكم أقل قدرة عن باقي الإحصاءات في إعطاء صورة واقعية عن ظاهرة الجريمة في المجتمع.

ذلك أنه في كل القضايا التي ترفع للمحاكمة فإن واحدة من كل «مائة قضية يمكن أن تجتاز كل المراحل قبل الحصول على الحكم، وهذه

---

(1) صدقي، عبد الرحيم، الظاهرة الإجرامية، م. س، ص156.

(2) صدقي، عبد الرحيم، الظاهرة الإجرامية، م. س، ص156.

المراحل هي مرحلة الشكوى، ثم التوقيف، ثم تقديم الشكوى، ثم المحاكمة، ثم السجن ... وبما أن تسعة وتسعين مجرماً يبقى حراً دون عقاب فإن مستوى الجريمة يبقى مرتفعاً»[1].

إلا أن أهمية مثل هذه الإحصاءات تكمن في أنها تتضمن ذكراً لحالات الدعاوى المحالة إلى المحاكم مما يؤدي إلى تبيان «الوضع القضائي للظاهرة الإجرامية، ولكن ضمن حدود أيضاً لأن كافة الدعاوى لا تقترن بأحكام إدانة، بل إن قسماً منها يقترن بأحكام البراءة أو بكفّ التحقيقات، وهذا من شأنه التأثير سلباً في الصورة الإحصائية.

ولكن يمكن الاستناد للأحكام الجزائية النهائية المثبتة للجرم كدليل على حجم الإجرام في بلد معين باعتبار أن الحكم الجزائي يشكل نظرياً دليلاً على وقوع الجرم، ونقول نظرياً لأنه بالتزامنا بالقواعد الإحصائية الحسابية يجب أن يدخل في حسابنا الأخطاء القضائية التي يمكن أن تحصل في الإدانة أو البراءة، ولكن إذا اعتمدنا مؤشراً معيناً يعكس نسبة هذه الإحصاءات، وهي ضئيلة عملياً، أمكن الركون إلى إحصاءات المحاكم كدليل صادق كما قلنا عن حجم الإجرام»[2].

ولا بد من الإشارة هنا إلى أنه في حالة الشكوى بالاغتصاب فإن المدعية التي تصل قضيتها إلى المحكمة تواجه عقبتين:

1 ـ الحرج الذي يحصل للمدعية أثناء المحكمة، إن كان من جهة اتهامها بالتحريض المباشر على الفعل أو بتشجيع الجاني مما قد يجعل الجاني يحصل على البراءة، وإما لعجز الفتاة عن إحضار الدليل على براءتها وإما بالتنازل عن الدعوى هرباً من الإحراج ويأساً من الحصول على العدل.

2 ـ عجز السلطة القضائية عن إصدار الحكم في فترة زمنية محددة،

---

(1) MACKELLAR,JEAN, LE VIOL, PETITE BIBLIOTHEQUE, PAYOT, PARIS,1978,P:151

(2) العوجي، مصطفى، الجريمة والمجرم، م.س، ص161 ـ 162.

مما يؤدي إلى المماطلة وإحساس المدعية بالهزيمة وبعدم الرغبة في متابعة المحاكمة، مع وجود الرغبة عندها في نسيان الحادثة ومباشرة حياة جديدة، وعندئذ تسارع إلى إسقاط حقها ولا ينال المجرم عقابه.

6 ـ إحصاءات السجون

تعتبر إحصاءات السجون مهمة جداً في الكشف عن «خصائص المجرمين المودَعين بها، نظراً لوجودهم بها وسهولة التعرف على خصائصهم الاجتماعية والنفسية والجسمية وسوابقهم وتاريخ حالاتهم»[1].

وتعتبر إحصاءات السجون أقل الإحصاءات دقة من حيث تبيان حجم الظاهرة الإجرامية، «فعدد المسجونين لا يعكس حتماً عدد المحكوم عليهم في بلد معين، إذ إن الأحكام الغيابية والأحكام القاضية بغرامات نقدية أو بوقف التنفيذ تشكل نسبة عالية إذا ما قورنت بالأحكام القاضية بالسجن، مما يجعل عدد المسجونين أقل بكثير من عدد المحكوم عليهم جزائياً بعقوبات غير مانعة للحرية»[2].

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى أنه رغم كل الانتقادات التي توجه إلى علم الإحصاء إلا أنه يبقى وسيلة مهمة من وسائل الكشف عن الظاهرة الاجرامية في العالم الحديث، إضافة إلى دوره في عملية المساعدة على إيجاد العلاج والحلول للمشاكل الاجتماعية المعاصرة.

الاغتصاب في العالم

تعتبر طريقة جمع الإحصاءات الواردة سابقاً خاصة بكل دولة على حدة، إلا أنه قد حصل مؤخراً إحصاءٌ عالمي يتعلق بنسبة الجريمة في العالم ككل، فقد «قامت الأمم المتحدة بناءً لطلب من الجمعية العامة بإجراء أول إحصاء عالمي حول الظاهرة الإجرامية في العالم، فوجهت الدوائر المختصة أسئلة إلى الدول الأعضاء طالبة بموجبها تزويدها

---

(1) الساعاتي، سامية، الجريمة والمجتمع، م.س، ص36 ـ 37.

(2) العوجي، مصطفى، الجريمة والمجرم، م. س، ص162.

بالإحصاءات المتوفرة لديها حول الجرائم الحاصلة فيها تبعاً للتصنيف الذي وضعَته ليُعتمد كوسيلة مقارنة.

وبالاستناد إلى ما ورد إليها من معطيات إحصائية نشرت الأمم المتحدة أول تقرير لها عن الظاهرة الإجرامية في العالم بتاريخ 22 أيلول 1977 شمل السنوات الست الممتدة بين 1970 و1975، ومن ثَمَّ قدّمت إلى المؤتمر السابع المنعقد في ميرنو سنة 1985 التقريرالثاني الذي يشمل الفترة الواقعة بين سنة 1975 و1980 والذي يعتمد الأجوبة الواردة في خمس وستين دولة في العالم»[1].

وتبيّن من التقرير الأول «أن الجرائم الجنسية بلغت 24,2 من كل مائة ألف نسمة»[2]، فيما أشار التقرير الثاني الصادر في 26آب ـ 17 أيلول 1985 إلى ازدياد «جرائم استغلال النفوذ من قبل الرؤساء والمدراء في القطاعين العام والخاص لفرض شروط عمل شاذة على النساء لإخضاعهن لممارسات غير مشروعة، مستغلين ضعفهن أو حاجتهن للعمل فيَسكتن على ما يصيبهن من أذى ... يضاف إلى ذلك ازدياد عدد خطف الأولاد والاعتداء عليهم واغتصابهم ومن ثَمَّ قتلهم خنقاً ... وقد وردت إحصاءات مثيرة للخوف والرعب بالنظر لضخامتها»[3].

البغاء في العالم

تهتم الأمم المتحدة بإصدار التقارير السنوية عن الوضع الاجتماعي للسكان في العالم، وتتضمن هذه التقارير بياناً لحجم الجرائم وتزايدها في البلدان بغية التوجيه والتحذير من خطورة تفاقم بعض الجرائم، والدعوة إلى عقد المؤتمرات لإيجاد الحلول للقضاء عليها والحدّ من انتشارها.

ومن الوثائق التي أصدرتها الأمم المتحدة في هذا الشأن الوثيقة التي قدمتها إلى مؤتمر السكان والتنمية، الذي عبّرت فيها عن قلقها لملايين حالات الحمل في صفوف المراهقات، والإصابات بالأمراض الجنسية

(1) العوجي، مصطفى، الجريمة والمجرم، م. س، ص 269.
(2) العوجي، مصطفى، الجريمة والمجرم، م. س، ص 269.
(3) العوجي، مصطفى، الجريمة والمجرم، م. س، ص 272 . 374.

المعدية الناجمة عن الافتقار للتوعية الجنسية المناسبة، وأظهرت التقارير أنه «تسجّل في صفوف المراهقات سنوياً 15 مليون حالة حمل، وتشكل عمليات إجهاض النساء اللواتي تتراوح أعمارهن بين15 و19 سنة نسبة 10 في المائة من مجمل عمليات الإجهاض في العالم ... وفي الدول المتقدمة تسجل في الولايات المتحدة أعلى نسبة لحالات الحمل في صفوف المراهقات، وتضع حامل من أصل خمس حوامل مولوداً قبل سن العشرين»[1].

ومن أسباب تفضيل الرجل للزنا بالمراهقات والأطفال، الهرب من الأمراض الخطيرة والمعدية التي انتشرت في العصر الحديث مثل الأيدز[2]، وقد جاء في التقرير السنوي الذي أعدّته منظمة اليونسيف (منظمة الأمم المتحدة لرعاية الطفولة) حول «وضع الأطفال في العالم أن نحو 100 ألف قاصر من بنات وصبيان يمارسون البغاء في الفيليبين وتايلاند، فيما سيساهم مرض «الإيدز» في زيادة معدل الوفيات بين الأطفال في تايلاند بنسبة 10 في المائة سنوياً ... وأدى مرض «الأيدز» إلى «رفع أسعار» العذارى الشابات اللواتي غالباً ما يبيعهن أهلهن في سن مبكرة (بين 12و13 عاماً) خاصة في شمال شرق البلاد...»[3].

المطالبة بالعودة إلى العفة

كان من نتائج انتشار الأمراض وخاصة الأيدز أن بدأ الناس، خاصة المسئولين، بالدعوة إلى العودة إلى العفة قبل الزواج، والإخلاص للشريك الواحد، خوفاً من انتشار هذا المرض بسرعة كبيرة يصعب معها حصره والقضاء عليه.

---

(1) جريدة الديار اللبنانية، العدد 2175، تاريخ10/ 9/ 1994، ص15، العنوان: «النشاط الجنسي للمراهقين في العالم».

(2) الأيدز: مرض فقدان المناعة المكتسبة، وهو مرض ينتقل بعدة طرق أهمها العلاقات الجنسية الشاذة، وتبادل استعمال حقن المخدرات.

(3) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19013، تاريخ17/ 12/ 1994، ص18، العنوان: «أطفال مرضى وبين الأنياب».

وهذا ما أعلنه باكيلي مولوزي رئيس جمهورية مالاوي للشباب في بلاده طالباً منهم «عدم ممارسة الجنس قبل الزواج، محذراً من أن مالاوي فيها أعلى معدلات في العالم للإصابة بمرض نقص المناعة المكتسبة (الأيدز) وقال مولوزي، وكان يتحدث أمام ثلاثة آلاف شاب وفتاة تجمعوا في مقر إقامته الرسمي لإعلان حملة رسمية للعفة، : «أناشد الفتيات اللاتي فقدن عذريتهن، عليهن أن يمتنعن عن الاستمرار في الجنس إلى أن يتزوجن.

ويقول مسئولون حكوميون إن 140 ألفاً من مواطني مالاوي تُوفوا بأمراض متصلة بالأيدز عام 1985، ويبلغ عدد سكان مالاوي نحو عشرة ملايين نسمة»[1].

وأصدق تعليق على هذا القول يأتي من كتاب اللهﷻ حين يقول سبحانه وتعالى:

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾[2].

وفي هذه الآية «وعد من الله لعباده أن يطلعهم على شيء من خفايا هذا الكون، ومن خفايا أنفسهم على السواء. وعدهم أن يريهم آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، هذا الدين وهذا الكتاب وهذا المنهج، وهذا القول الذي يقوله لهم، ومن أصدق من الله حديثاً»[3].

وقد سخر الغرب من دعوة الإسلام إلى العفة والإخلاص في الزواج، ولكنه يدفع الآن ثمن سخريته واستهتاره بوعيد الله بفقد فتيانه وفتياته بأمراض لا يجد لها علاجاً.

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19072، تاريخ27/ 2/ 1995، الصفحة الأخيرة، العنوان: «حافظن على العذرية ولا جنس للشباب قبل الزواج».

(2) سورة فصلت، الآيتان 53 ـ 54.

(3) قطب، سيد، في ظلال القرآن، م.س، ج5، ص313.

إحصاءات الاغتصاب في العالم

تشير تقارير الأمم المتحدة أيضاً إلى ازدياد ضخم في نسبة جرائم الاغتصاب في العالم، إذ تذكر أن «الملايين في سن المراهقة يتعرضون للاغتصاب أو لممارسة الدعارة، وأشار التقرير إلى أن نصف مليون مراهقة تعشن في البرازيل من الدعارة، وتقلّ أعمار قسم كبير من المومسات في تايلاند عن السادسة عشرة، أما في الولايات المتحدة فإن أعمار ستين في المائة من اللواتي يتعرضن للاغتصاب لا تتعدى الثامنة عشرة»[1].

ولابد من التذكير هنا بأنه غالباً ما يكون وراء ممارسة البغاء عند المراهقات عنصر الإكراه، إن كان من قبل الأهل عن طريق بيع أولادهم، أوعن طريق الخطف أو الخداع واستغلال الحاجة المادية وغير ذلك.

الاغتصاب في الحروب

تنص اتفاقات جنيف الموقعة في «الأمم المتحدة عام 1949 على ما يأتي :« يجب حماية النساء بصفة خاصة من أي اعتداء على شرفهن، خصوصا في الاغتصاب أو الإكراه على البغاء، وأي صورة من صور هتك الأعراض» وعلى رغم هذه الوثيقة الواضحة فإن الحكومات التي اتخذت خطوات رادعة لمنع قواتها المسلحة من الاعتداء على النساء في خضم الصراعات هي معدودة»[2].

بل إنه في كثير من الأحيان نجد الحكومات هي التي تشجع الجنود على هذه الانتهاكات لأهداف سياسية أو تهجيرية، «ففي جيبوتي مثلاً أدى تصاعد الصراع بين الحكومة والمتمردين إلى تعرض سكان المناطق الثائرة لانتهاكات وحشية مما دفع الآلاف منهم إلى الفرار في اتجاه إثيوبيا ... وقام الجنود باغتصاب عشرات النساء»[3].

---

(1) جريدة الديار اللبنانية، العدد 2175، تاريخ10/ 9/ 1994 الصفحة الأخيرة، العنوان :« النشاط الجنسي للمراهقين في العالم».

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد 18858، تاريخ17/ 6/ 1994، ص14، العنوان: «المؤتمر العالمي لحقوق المرأة، النساء هدفاً للاغتصاب والتعذيب».

(3) جريدة النهار اللبنانية، العدد 18858، تاريخ 17/ 6/ 1994، ص14، العنوان: «المؤتمر العالمي لحقوق المرأة، النساء هدفا للاغتصاب والتعذيب».

وهناك أيضاً بلدان أخرى سيرد ذكرها في سياق الفصول إن شاء الله.

1 ـ الاغتصاب في أميركا

1 ـ الفساد في أميركا

تعتبر أميركا من الدول التي تحمل راية الحرية بل تسمي نفسها حامية لها، وليس تمثال الحرية الموجود هناك إلا دليل على أن هذه الدولة ترفع هذه الراية حتى ولو مسّت هذه الحرية الشخصية المزعومة القيم والمبادئ الأخلاقية، والأمثلة والنماذج عن هذه الحرية كثيرة يصعب حصرها، لذلك سيجري الحديث عن نموذجين منها هنا، على أن ترِد نماذج أخرى في سياق البحث إن شاء الله.

النموذج الأول: يتعلق النموذج الأول بالحرية في اختيار اللباس الذي يرتاح له الشخص ويراه مناسباً، حتى ولو أدى ذلك إلى الإساءة إلى الآخرين، أو إلى نشر الفساد... وقد بلغ الحدّ بمدعي هذه الحرية إلى المطالبة بالسماح بالتعري في حال اختيار الشخص لذلك.

فقد «سمحت شرطة المترو في نيويورك أمس للنساء في ولاية نيويورك بركوب المترو عاريات الصدور دون أن تتعرض لهن كما كان الأمر سابقاً.

وكانت الشرطة اعتقلت منتصف تموز امرأة خلعت صدريتها في المترو، وكان احتجاج للمدافعات عن حقوق المرأة اللواتي نددن بالتمييز الذي تمارسه السلطات وعرضت القضية على القضاء.

وكانت الحجة الرئيسية في الدعوى إن الشرطة لا تتعرض للرجل العاري الصدر. وأصدرت إحدى محاكم نيويورك حكماً ينصف الشاكيات ويسمح لهن بإبراز الصدر عارياً في المترو، إلا إن القاضي اشترط ألا يتسبب الأمر باضطرابات ومشاكل في المترو، وإذا حدث ذلك فإن عارية الصدر تتحمل المسئولية وتخضع للاستجواب»[1].

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 18923، تاريخ2/ 9/ 1994، ص16، العنوان: « السماح بصدورهن العارية في المترو . نيويورك».

النموذج الثاني: يتعلق النموذج الثاني بالحرية في اختيار جنس الشريك الآخر، فقد «أعلن وزير الدفاع الأميركي المستقيل «السيد ليس أسبن» الأربعاء البدء بتطبيق سياسة وزارة الدفاع الأميركية الجديدة القاضية بالسماح للشاذين جنسياً بدخول الجيش، وهي مسألة اختلفت عليها الإدارة الأميركية وعكرت صفو العلاقات بين الرئيس بيل كلينتون والجيش. وينص القانون المستوحى من الخطوط العريضة للسياسة التي جددها كلينتون في تموز الماضي على أن «الميول الجنسية مسألة شخصية، والشذوذ الجنسي لا يحظر الدخول إلى القوات المسلحة». ويفترض أن يبدأ العمل بالنظام الجديد في الأول من كانون الثاني المقبل، ويحظر هذا النظام «مداعبة شخص من الجيش نفسه بهدف إشباع رغبات جنسية»، وفي حال مخالفة هذا الأمر يطرد المخالف من الجيش، ويمكن طرد المجند في حال العثور عليه وهو يمارس الشذوذ الجنسي أو الزواج من شاذ آخر. ويمكن فتح تحقيق إداري وليس جنائيا إذا شوهد شخصان من الجيش نفسه يسيران يداً بيد أو يتبادلان القبلات .

وفي المقابل لا تعتبر المشاركة في تظاهرات للشاذين جنسياً أو ارتياد مقاه يرتادها الشاذون جنسياً أو قراءة مجلات مخصصة للشاذين أحد «مظاهر الشذوذ الجنسي»، ومن الآن فصاعداً لم يعد يطرح على المجند قبل دخوله الجيش السؤال عن ميوله الجنسية الساري منذ عقود طويلة»[1].

ولعل في هذا القرار بُعْدٌ وهدف، وهو زيادة عدد الداخلين إلى الجيش، لأن إغراء الشاذ بوجود فرائس يمكن اصطيادها في مكان ما يجعله يندفع إلى هذا المكان، حتى ولوأدى هذا العمل إلى تجنيده أو حتى موته.

2 ـ المطالبة بالعفة

كان لانتشار الأمراض الجنسية في الولايات المتحدة أثر كبير في وجود صحوة عند بعض الشبان والشابات، فقاموا بالدعوة إلى العفة

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 1909، تاريخ 24/ 12/ 1994 ص12، العنوان: «السماح للشاذين جنسياً بدخول الجيش» (واشنطن، و.ص.ف).

والامتناع عن ممارسة الجنس قبل الزواج، ففي واشنطن «حضر شباب وصبايا ومراهقون ومراهقات إلى الفسحة الخضراء أمام نصب واشنطن ونثروا آلاف البذور من النيات الحسنة.

وكان / 211163/ مائتان وأحد عشر ألفا ومائة وثلاث وستون بطاقة موقعة تحمل كل واحدة العبارة الآتية: «إيماناً أن الحب الحقيقي ينتظر، أعلن التزاماً أمام الله ونفسي وعائلتي، والذين أصاحبهم، وزوج المستقبل، وأطفالي في المستقبل أن أكون طاهراً جنسياً إلى اليوم الذي أتزوج فيه.

وهكذا أعلنت الحركة الجديدة التي تحمل اسم «الحب الحقيقي ينتظر» نفسها أمام الجمهور الواسع في العاصمة الأميركية، وبدأت قبل 16 شهراً في بلدة توليب غروف في ناشفيل من 59 مراهقاً ومراهقة، يشجعهم راعي الكنيسة المعمدانية «ريتشارد روس»، وقّعوا قَسَمهم بالامتناع عن الجنس حتى الزواج، وانتشرت الحركة سريعاً في الولايات المتحدة وانضمّ إليها أشخاص من 150 بلداً في العالم.

... وهذه الحركة الجديدة تلي 30 عاماً من الثورة الجنسية في الغرب والتي يعتقد كثيرون أنها أدت إلى انحرافات مضرة بالأفراد والمجتمعات وإلى أمراض كثيرة، وثمة إحصاء في الولايات المتحدة أن 40 في المائة من الطلاب والطالبات في الصفوف التكميلية سبق أن مارسوا الجنس»[1].

ويكفي القول أن الحب الحقيقي ينتظر الطاهرين للدلالة على أن الغرب يعترف بأن العلاقات الجنسية خارج الزواج علاقات دنسة يجب التطهر والتخلص منها.

3 ـ الاغتصاب في أميركا

تعتبر اميركا أكثر دولة في العالم تحصل فيها عمليات اغتصاب للنساء واغتصاب للأطفال وغير ذلك، وقد يتساءل الفرد عن السبب الكامن وراء انتشار الجرائم الجنسية مع وجود الحرية في العلاقات الجنسية، والواقع أن

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 18940، تاريخ22/ 9/ 1994، ص16، العنوان :« مراهقون ومراهقات في امتناع جنسي لأن الحب الحقيقي ينتظر الطاهرين»، (عن مجلة لايف).

الأسباب متنوعة، ومن هذه الأسباب سببان مهمان:

«الأول: كثرة أولاد الزنا الذين يفقدون الحب والحنان، وينشئون وفي قلوبهم الحقد والكره لمجتمعهم.

الثاني: في أجواء الإباحية فان الشاب يريد أن يمارس العلاقة الجنسية مع أي فتاة تعجبه برضاها أم رغماً عنها»[1].

ولانتشار الإباحية أثر واضح في عجز الرجل عن التمييز بين الرضا والرفض، فالشاب عندما يرى تشجيعاً من الفتاة على العلاقة الجنسية في يوم السبت مثلاً، يرفض التصديق أن الفتاة ترفض العلاقة معه يوم الأحد، بل لعله يخاطب نفسه قائلا: «يتمنّعن وهن راغبات».

إضافة إلى أن فقدان الفتاة لعذريتها في سن مبكرة، وفقدان معنى هذه العذرية في ذهنها، يجعل الشاب مطمئناً إلى أنها لن تخسر شيئاً في هذه العلاقة ولو تمّت بالإكراه.

1 ـ الإحصاءات في أميركا

أ ـ إحصاءات اغتصاب النساء: يتزايد عدد ضحايا الاغتصاب في أميركا من عام إلى آخر، و قد أشارت الإحصاءات إلى وجود 56730 «حالة اغتصاب أعلن عنها عام1976، بتزايد بنسبة 1,01 عن عام 1955(56090)، وفي غالبية المدن الكبرى هناك إعلان عن حالة اغتصاب واحدة في اليوم الواحد، وفي نيويورك وحدها هناك أكثر من 4000 حالة عام1973»[2].

وزاد هذا الرقم في عام «1979 ليبلغ 75989 و82088 حالة عام1980، وقد أثبتت الإحصاءات التي ينشرها مركز التحقيق الفيدرالي أن امرأة أو فتاة تغتصب كل نصف ساعة»[3].

---

(1) العقيلي، يحيى بن سليمان، العفة ومنهج الاستعفاف، دار الوفاء، مصر، الطبعة الثانية، 1412هـ، 1992م.، ص27.

(2) MAKELLAR, JEAN,LE VIOL, P:14.

(3) العوجي، مصطفى، الجريمة والمجرم، م. س، ص292 ـ 293.

و«أعلن مكتب التحقيق الفيدرالي FBI أن نسبة الاغتصاب عام1991 زادت 3% عن 1990 فبلغت 555،105حالة مقابل 555،102 حالة عام 1990 «[1]. كما اعلن المكتب نفسه أن «72 امرأة من أصل 100000 امرأة تعرضت عام 1995 للاغتصاب»[2].

أما مكتب (NCVC)

Justice Statistic's National Crime Victimization Survey.

فقد وجد أن هذه النسبة تضاعفت 59% ، 000،130حالة عام 1990 إلى610، 207 حالة عام 1991»[3].

وقد أعلن هذا المكتب أيضاً أن هذا العدد وصل عام 1995 إلى 354670 ضحية[4] .

والفرق بين الإحصاءين هو اعتماد الفريق الثاني على الإحصاء بواسطة الهاتف كما ورد سابقاً.

وأوضح مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI أن «البلاد شهدت نحو 10،14 مليون جريمة، منها 9، 1مليون جريمة قتل واغتصاب واعتداء و2،12 مليون سرقة من كل الأنواع.

وفي المقابل سجل التقرير انخفاضاً ملموساً للأعمال الإجرامية في النصف الأول من1994، وخصوصاً بالنسبة إلى جرائم العنف التي انخفضت بنسبة 2 في المائة وجرائم الاغتصاب التي انخفضت بنسبة 6 في المائة، إلا أن علماء الجريمة الأميركيين يتوقعون ارتفاعاً كبيراً في الأعمال الإجرامية في العقد المقبل نظراً إلى تنامي عدد المراهقين وزيادة سهولة

---

(1) JOURNAL,SEPTEMBER 1992,, TRUTH ABOUT RAPE . P : 44.

(2) معلومات أخذت من شبكة الانترنت بعد موافقة مؤسسة RAINN (THE RAPE, ABUSE, & INCEST NATIONAL NETWORK).

(3) JOURNAL,SEPTEMBER 1992,, TRUTH ABOUT RAPE . P : 44.

(4) معلومات أخذت من شبكة الإنترنت بعد موافقة مؤسسة RAINN (THE RAPE, ABUSE, & INCEST NATIONAL NETWORK).

حصول الشباب على الأسلحة النارية»[1].

ب ـ الإحصاءات حول الضحية والمجرم: دلت الإحصاءات التي أجريت لمعرفة نوعية الضحية الأكثر تعرضاً للاغتصاب أن «فتيات المدارس الثانوية هي المجموعة رقم واحد التي تتعرض لهذه الممارسات، خصوصاً اللواتي تتراوح أعمارهن بين 16 و19 سنة، تليهن الفتيات والنساء العاملات اللواتي تتراوح أعمارهن بين20 و24 سنة ... ويبلغ معدل سن 45% من الشبان الذين يرتكبون حوادث الاغتصاب 25 سنة، كذلك واستناداً إلى تقرير مركز ضحايا الاغتصاب القومي تعرضت واحدة من كل ثلاث من نساء أميركا البالغات للاغتصاب، وهذا يعني أن واحدة من كل سبعة نسوة في أميركا مورس معها نوع من العمل الجنسي غصباً عنها في شقة أو مكتب أو منتزه أو شارع مظلم أو سيارة»[2].

2 ـ الاستغلال الجنسي

أعلن مكتب التحقيق الفيدرالي أن «السبب الأول والرئيسي لترك الفتيات الدراسة في الكليات الجامعية هو تعرضهن للاغتصاب»[3].

وكثيراً ما يأتي هذا الاغتصاب من قبل المسئولين عن توجيه الفتاة وتعليمها، لذلك أعلنت جامعة فيرجينيا في أول نيسان1993 «إنها تبحث فرض حظر على «الاتصالات الجنسية» بين الأساتذة والطلبة والطالبات. ووصف أحد الإداريين في الجامعة هذه الاتصالات بأنها أحد الأسرار القذرة في مجال التعليم العالي الأميركي.

... وقد جاء هذا الإجراء بعدما شكت طالبات في الجامعة من أن

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19002، تاريخ5/ 12/ 1994، ص11، العنوان: «الجريمة في الولايات المتحدة».

(2) مجلة الأفكار اللبنانية، تاريخ 27/ 11/ 1993، ص2 ـ 3، العنوان: «واحدة من كل ثلاث نساء مهددة في الولايات المتحدة بالاغتصاب».

(3) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد 776، تاريخ 14/ 6/ 1993، ص 38.

المحاولات الجنسية من جانب الأساتذة تجاه الطالبات منتشرة بلا حدود في الجامعة، بل وذهبت بعضهن إلى أن الاستجابة لهذه المحاولات هو أقصر الطرق للحصول على علامات أعلى، واعتراف بعض من هذه الطالبات بأن «المبادرات» تأتي أحياناً من جانب الطالبات على أمل الحصول من بعض الأساتذة على علامات أعلى»[1].

وهذه الانتهاكات حصلت أيضاً في مؤسسات أخرى ومن قبل أشخاص يتمتعون بالسلطة والهيبة، ومن هذه المؤسسات المؤسسات الدينية والمؤسسات الحكومية.

3 ـ الاغتصاب في المؤسسات الدينية

يعتبر ارتكاب المسئولين الدينيين لجرائم خُلقية من أكبر الأدلة على ذهاب الوازع الديني والأخلاقي في المجتمع، فقد «كشف المؤتمر الكاثوليكي الأميركي أن البابا يوحنا بولس الثاني بعث برسالة إلى رئيس الأساقفة الكاثوليك الأميركيين، أبدى فيها أسفه وقلقه لتقارير عن وجود علاقات جنسية بين قساوسة وأفراد من الأبرشية.

وقال في رسالة مؤرخة 11 حزيران نشرت الإثنين: «أشاطركم أسفكم وقلقكم ولا سيما قلقكم للضحايا التي تضررت بشدة من هذه الأخطاء».

وهزت الكنيسة الأرثوذكسية الأميركية في الأسابيع الأخيرة فضائح عن وجود علاقات جنسية بين قساوسة وصبيان وسيدات من أبناء الأبرشية»[2].

4 ـ الاغتصاب في المؤسسات الحكومية

تنقل الصحف بشكل دائم أخبار الاعتداءات من قبل المدراء والمسؤولين في المؤسسات الحكومية الأميركية، ومن أغرب هذه الأخبار خبر الاعتداء على موظفة داخل مكتب التحقيق الفدرالي، الذي يهتم بعمليات التجسس والعمليات الصعبة التي تعجز عن القيام بها المؤسسات

---

(1) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد 776، تاريخ 14/ 6/ 1993، م.س، ص 38.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد18560، تاريخ23/ 6/ 1993، ص 16، العنوان: «البابا يأسف لانتهاكات يقوم بها قساوسة»، (واشنطن، رويتر).

الأخرى، والذي يهتم أيضاً بإصدار التقارير السنوية التي تحدد الجرائم وحجمها في البلد، فقد حدثت داخل أحد مراكزه عملية اغتصاب متكررة لعميلة في المكتب اسمها سوزان دوسيت اغتصبها رئيسها هيربرت هوكنز، «وقد وقع هذا الحادث بعد مضي أربع سنوات على دخول سوزان سلك الشرطة في أورنيل في ولاية أريزونا. وقد حاولت سوزان أن تمتنع لكن رئيسها هددها بعرقلة نقل زوجها الذي يعمل أيضاً في الشرطة الفيدرالية في نيويورك إلى ولاية أريزونا حيث تعمل هي ليكونا سوياً، ولم تتجرأ سوزان على إفشاء ما مارسه معها رئيسها خشية ذلك ولكنها استقالت أخيراً من منصبها بعدما كثرت تحرشات زملائها بها مستغلين مراكزهم»[1].

5 ـ إحصاءات اغتصاب الأطفال

يعتبر اغتصاب الأطفال في أميركا من المصاعب الكبرى التي يواجهها المجتمع الأميركي في هذا القرن، فقد نشرت «صحيفة الهيرالد تريبيون في عددها الصادر في 29/ 6/ 1979 ملخصا لأبحاث قامت بها مجموعة من الأخصائيين من القضاة والأطباء الأميركيين حول ظاهرة غريبة بدأت في الانتشار في المجتمع الأميركي، وفي المجتمعات الغربية بصورة عامة .. وهي ظاهرة نكاح المُحَرَّمات، ويقول الباحثون أن هذا الأمر لم يعد نادر الحدوث وإنما هو منتشر لدرجة يصعب تصديقها، فهناك عائلة من كل عشر عائلات أميركية يمارس فيها هذا الشذوذ، والأغرب من هذا أن الغالبية العظمى (85%) من الذين يمارسون هذه العلاقات الشاذة مع بناتهم وأولادهم أو بين الأخ وأخته أو الإبن وأمه هم من العائلات المحترمة في المجتمع .. والناجحة في أعمالها والتي لا تعاني من أي مرض نفسي وليسوا من المجرمين ولا من العتاة، وإنما هم في الغالب من رجال الأعمال أو الفنيين الناجحين في أعمالهم وحياتهم.

ويذكر التقرير أن حالة واحدة من عشرين حالة هي التي تصل إلى القضاء أو إلى الدوائر الطبية .. ومعظم هذه الحالات هي حالات اعتداء

---

(1) مجلة الأفكار اللبنانية، تاريخ27/ 11/ 1993، ص3، العنوان: «واحدة من كل ثلاث نساء مهددة في الولايات المتحدة بالاغتصاب».

من الأب على ابنته، ولا يقتصر الاعتداء على الابنة البالغة .. وإنما قد حصلت حالات كثيرة من اعتداء الأب على طفلته الصغيرة، وسجلت حالات من الاعتداء ابتداءً من سن ثلاثة أشهر إلى سن البلوغ.

... أما العلاقة بين الأخ وأخته فيعتبرها الباحثون علاقة شاذة ولكنها ليست بذات ضرر، وينبغي أن لا يهتم الوالدان إذا لاحظوها بل يتركوها للزمن فهو كفيل بمعالجتها !

ولا يعتبرون أن في ذلك إساءة .. ويستحسن أن تترك بدون علاج .. ولا تقتصر حوادث العدوان على الآباء .. وإنما هناك حالات من اتصال الأم بابنها جنسياً، ويعتبر التقرير هذه الحالات أشدها خطراً على حياة الأسرة، كما أن هناك حالات من اتصال الجد أو العم أو الخال بحفيدته أو ابنة أخته، ويقف الباحثون أمام هذه الظاهرة قلقين لكن دون أن يدركوا العلاج الحقيقي»[1].

ولعل في إعلان علماء التربية عجزهم عن إيجاد الحلول إعلاناً عن فشل الأساليب التربوية الحديثة في تربية جيل سليم، لأن التغاضي عن معاقبة الطفل يؤدي إلى تماديه في الفعل، إضافة إلى أنه يؤدي إلى تحطيم نفسية الضحية.

وتفاقمت الاعتداءات على الأطفال عبر السنين حتى أصبحت ظاهرة طبيعية، ففي دراسة أجريت عام «1983 في سان فرنسيسكو تبين أن 31% من كل ألف امرأة كبيرة قد تعرضن للاغتصاب الجنسي من شخص من غير أفراد العائلة قبل أن يُتِممن 18 سنة، و10% قبل سن الرابعة عشرة»[2].

ولم يقتصر الأمر على الإناث بل إن الاعتداء طال أيضاً الأطفال الذكور، وفي بعض الحالات كان الأمر يؤدي إلى الموت، ففي عام 1985 صدر تقرير شامل بعنوان «المسح القومي لجرائم العنف داخل الأسرة»

---

(1) البار، محمد علي، عمل المرأة في الميزان، الدار السعودية للطباعة والنشر والتوزيع، جدة . المملكة العربية السعودية، الطبعة الرابعة، 1412هـ، 1992م.، ص 148.150.

(2) LEDRAY,LINDA, RECOVERING FROM RAPE,FITZHERD AND WHITE-SADE LIMITED,CANADA, P :148.

بإشراف «المعهد القومي للصحة العقلية» جاء فيه: «إن اكثر من مليوني طفل تحت سن الثامنة عشرة يتعرضون لاعتداءات قاسية وإساءات جنسية من الكبار سنوياً، وإنه خلال ذلك يموت خمسة آلاف منهم، ... ونشر استطلاع للرأي العام في عام 1985 تبين منه أن نسبة تزيد على 16 بالمائة من الرجال قد تعرضوا لاعتداءات جنسية في صباهم»[1].

وإذا تم تطبيق القول السابق بالتغاضي عن هذه العلاقات واعتبارها أمراً طبيعياً، فإن الطفل الذَّكَر سينشأ على أن هذه العلاقة هي العلاقة الوحيدة السليمة، وأن علاقة الرجل بالمرأة علاقة شاذة ... وسيرد في الفصول اللاحقة إن شاء الله ذِكرٌ لميل الطفل الذَّكر المعتدى عليه إلى اللواط عند البلوغ.

6 ـ الاغتصاب في الحروب

تعتبر الحرب الفيتنامية التي خاضتها أميركا ضد الفيتناميين من الحروب التي تركت بصماتها على الشعب الأميركي بشكل عام، وعلى الجنود الأميركيين بشكل خاص، نظراً للفظاعات الوحشية التي ارتكبها الجنود في فيتنام، ومن هذه الفظاعات اغتصاب الجنود للنساء الفيتناميات، يقول أحدهم وهو «العقيد سكوت كَمِلْ Scott Camel» لقاضي التحقيق الذي سأله عن قائد المجموعة ورأيه في انتهاكات جنوده: قال: «إنه لم يمنعهم من ذلك، إلا أنه في حال وجود الصحافة كان هناك بعض الأشياء التي لا يجب أن يفعلها الجنود، وإنه في يوم من الأيام تلقت إحدى النساء ضرباً مبرحاً من أحد الجنود، وعندما اقتربنا منها طلبت الماء ولكن القائد أمرنا بقتلها، وانتزع ملابسها عنها وقطعنا لها ثدييها وثم قمنا بوضع فأس في فرجها ولكنها استمرت في طلب الماء، فقمنا بنزع الفأس ووضعنا مكانه غصن شجرة ثم قتلناها ... وأضاف كَمِلْ: لم نكن نعتقد أنهم بشر، وأذكر أيضاً أنه عندما اخترنا «ماو MAO» اخترناها لأنها تملك سنا ذهبيا، مما جعل ذلك أمراً مسلياً، وكان عمرها حوالي عشرين عاماً، وعندما جاء الجنود لأخذ «ماو MAO» ركضت أمها خلف الجنود حاملة خمار ابنتها،

(1) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد 776، تاريخ 14/ 6/ 1993، ص37.

وكان هذا التصرف هو التصرف الوحيد الذي فكرت به الأم لحماية ابنتها، إلا أن أحد الجنود أخذ الخمار وربطه على فم السجينة»[1].

2 ـ الاغتصاب في بريطانيا

1 ـ الفساد في بريطانيا

تعتبر بريطانيا من الدول ذات النظام الملكي المحافظ على العادات والتقاليد، إلا أن هذا النظام لم يستطع المحافظة إلا على القشور بدليل أن فساد الأخلاق استشرى بين أفراد العائلة المالكة قبل أن يستشري بين أفراد الشعب، فغراميات الليدي ديانا والأمير تشارلز تُنشر بشكل دائم في الصحف، وكم من عشيق لليدي ديانا قام بفضح مغامراتها معه بقصد الربح المادي. وكل هذا لم يكن له أي أثر في نظرة البريطانيين للأميرة، بل كثيراً ما يدافعون عنها معتبرين أنها ضحية لإهمال زوجها لها، وضحية مغامراته النسائية المتكررة.

وإذا كان تصرف الأميرة ديانا غير مستهجن، فانه من الطبيعي أن يقوم هذا الشعب الذي دافع عنها بالمدافعة عن أشخاص آخرين خَطَوْا خطى الأميرة ديانا، ومن النماذج عن هذه المدافعات، المدافعة عن الحرية الجنسية، والمدافعة عن الدعارة.

النموذج الأول: المدافعة عن الحرية الجنسية: تدافع بريطانيا كغيرها من الدول الأوروبية عن الحرية الشخصية وعن الإباحية الجنسية، كما أنها تدافع أيضاً عن الأفكار التربوية الحديثة التي تدعو إلى التعليم الجنسي بين أطفال المدارس وذلك بحجة منع العقد النفسية عن الأطفال.

ومن نماذج هذه الحرية نموذج نشر في الصحف عام 1970 ويحكي «قصة مدرسة شابة في الخامسة والعشرين كانت تدرّس لمجموعة من الأولاد المراهقين، وكانت تقوم بتدريسهم الجنس عملياً في الفصل وتخلع ثيابها قطعة قطعة أمامهم .. فما كان من إدارة المدرسة إلا أن أبلغت وزارة

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL,P: 126 . 134.

التربية والتعليم .. واتفقت الإدارة والوزارة على إيقاف هذه المدرسة الشابة وطُلب منها أن تكف عن عرض دروسها المثيرة على الطلبة المراهقين .. وفي اليوم التالي نشرت جريدة الديلي ميرور Daily Mirror صور هذه المدرسة الجميلة عارية في صفحتها الأولى .. وقامت بحملة ضد إدارة المدرسة ووزارة التربية والتعليم الرجعية التي تمنع هذه الشابة العبقرية من مواصلة دروسها المهمة لتعليم الشباب المراهق الجنس !! ودعت الصحيفة إلى قيام مظاهرات تأييد للمدرسة الشابة وحريتها ...

ولم تجد إدارة المدرسة الموقرة ووزارة التربية والتعليم بداً من إعادة المدرسة الشابة إلى ممارسة وظيفتها الحيوية مع الشباب المراهق»[1].

النموذج الثاني: المدافعة عن الدعارة: تدافع بريطانيا أيضاً عن الدعارة وتعتبر أن وجود العاهرات هو حماية للنساء الشريفات، لأنه، حسب زعم المسئولين هناك، إذا لم يجد الرجل من يقضي شهوته معها، فانه سيلجأ إلى الاعتداء على النساء، فتحت عنوان :« تشريع الدعارة، فكرة للمستقبل في بريطانيا»، كتبت مجلة الكفاح العربي :« تنوي المجالس المحلية في المدن البريطانية بحث تشريع الدعارة المحترفة لأنه تبين أن منع هذه الظاهرة ومقاومتها يزيدان من عدم انضباطها، ويؤديان إلى توسعها مع ما يرتبط بها من نشاطات خطيرة مثل توزيع المخدرات وترويجها، فبعد حملة شديدة للشرطة على منطقة «كينغ كروس» في لندن انتقل ممتهنو الدعارة إلى منطقة أخرى في سبينافيلد القريبة وابتكروا أساليب أكثر حذاقة في التخفي وممارسة تجارتهم.

لكن ثمة مناطق أخرى انتقلت إليها الدعارة بدأت تشكو من الانعكاسات السلبية لهذه الظاهرة، حيث وردت العديد من الشكاوى عن تحرشات بزوجات السكان وبالأولاد من أبناء المواطنين المقيمين من قبل رواد باحثين عن المتعة أو راغبين باصطياد اللذة في تلك المناطق.

لذلك يتقدم مجلس مدينة أدنبره ومجلس مدينة برمنغهام بمشروعين

(1) البار، محمد علي، عمل المرأة في الميزان، م. س، ص135 ـ 136.

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

بشأن ظاهرة الدعارة، أما مشروع مجلس مدينة أدنبره فيلحظ الترخيص لمراكز حمامات السونا والتدليك بممارسة الجنس، وذلك لأن هذه المراكز كانت تُستعمل كستار لنشاط الدعارة وكانت بمثابة مواخير غير شرعية، ويرى المتقدمون بهذا المشروع أن المومسات يمكنهن بهذه الطريقة ممارسة مهنتهن بشكل غير علني دون إزعاج السكان والمقيمين بوقوفهن في الشارع لاصطياد الزبائن، كما أن منح رخصة من السلطات بهذه المواخير يسمح بمراقبة صحية لها بشكل منتظم ودوري من قبل أطباء من قبل الهيئة القومية للشؤون الصحية التابعة لوزارة الصحة.

وأما مشروع مجلس مدينة برمنغهام فيطرح تخصيص منطقة معينة في المدينة، في القسم الصناعي منها، لنشاط المومسات المجتمِعات دون أن يتهددهن البوليس بالاعتقال.

وهذا الأمر ينقل المهنة وما تسببه من إزعاج لبقية السكان والمواطنين إلى قطاع بعيد عن الكثافة السكانية، ويؤمن المجلس المحلي الرعاية الصحية والمراقبة للمومسات أيضاً»[1].

والأغرب من ذلك ما ورد في البرنامج التلفازي الفرنسي (Ca Se Discutte) في حلقة من حلقاته حيث جرى الحديث مع أشخاص يطالبون بإعادة فتح المواخير، (وقد قالت إحدى العاهرات: إن في فتح المواخير حماية للعاهرة من الاغتصاب الذي غالباً ما تعاني منه الفتاة التي تقف على الطريق لاصطياد الزبائن)[2].

2 ـ الاغتصاب في المؤسسات الدينية

يعتبر الاغتصاب داخل المؤسسات الدينية ومن قبل رجال دين من الأشياء المثيرة للاشمئزاز، ولكن ما يزيد هذا الأمر خطورة هو علم المسئولين الكبار بهذه الاغتصابات والتغاضي عنها، بل ربما المشاركة فيها.

---

(1) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد 855، تاريخ 19/ 12/ 1994، ص6، العنوان: «تشريع الدعارة فكرة للمستقبل في بريطانيا».

(2) برنامج: CA SE DISCUTTE، تاريخ 26/ 9/ 1995، شاشة C33 التلفازية اللبنانية.

ومن هؤلاء الرجال قس يدعى «وليام جوردن هاجرتي»، وقد لقبته المحكمة العليا في أدنبره بإنكلترا «بالقسيس الفاجر» وأصدرت عليه حكماً بالسجن ثمانية عشر شهراً. و«هاجرتي لم يقف عند حد الزنا مع الساقطات! بل انه استغل وظيفته الدينية في استدراج الأطفال الأبرياء ليمارس معهم شهوانيته الآثمة، كما طبع «ألبوماً كاملاً من الصور المقزِّزة لفتيات جوقة الأناشيد في الكنيسة التي عمل بها، وأعمار الفتيات تتراوح ما بين التاسعة والثالثة عشرة، الصور الفاضحات أخذت للبنات الصغيرات في أوضاع مشينة».

وكان القسيس المجرم يغطي أعين الفتيات ويكمم أفواههن، ثم يطلب منهن الإتيان بأوضاع مخزية موهما ضحاياه بأن الأمر لا يعدو أن يكون تمثيلاً لمشاهد مصورة (!؟!) حول جرائم الاختطاف والاغتصاب، تمهيداً لنشر تلك الصور في مجلة الأبرشية لتحذير كافة الفتيات من الوقوع في حبائل المجرمين!!

ومن المثير للتقزز أن الكنيسة الشمالية لسانت أندرو في أبروي التي يتبع لها هاجرتي!! كانت على علم بأنه يقترف الفاحشة في حالة اجتماعات الكنيسة في كيرك مانس، وذلك في الفترة من 1978 حتى 1986!! واتضح أن هاجرتي كان رجل شرطة ثم واعظاً نصرانياً للسجناء قبل أن يصبح قسيساً»[1].

3 ـ الاغتصاب في فرنسا

1 ـ الفساد في فرنسا

تشترك فرنسا مع غيرها من الدول الأوروبية بوجود الفساد الأخلاقي بين الحكّام وأفراد الشعب على حد سواء، ولهذا الفساد جذور قديمة جداً. والبغاء كان منتشراً عبر العصور ففي باريس مثلاً خلال الحرب العالمية

(1) الأسعد، منذر، للحقيقة فقط، دار المعراج الدولية للنشر، الرياض . المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1995م.، ج1، ص12، (نقلاً عن صحيفة الدايلي تلغراف 8/ 6/ 1995).

الأولى «كان لبُعد الرجل عن زوجته فترات طويلة مدة عشرة أشهر أو أكثر، أن اخذ الجندي يبحث عن البديل في نساء القرى المجاورة لخطوط التماس اللواتي كن بدورهن يبحثن عن المال ... أما داخل باريس فكان البغاء منتشراً بغية تأمين المرأة معيشتها»[1].

2 ـ الاغتصاب في فرنسا

أ ـ اغتصاب من قبل الحكام: يعتبر نابليون من القادة المهمّين في التاريخ الفرنسي الحديث، إلا أن لهذا القائد ثغراته التي تحدث عنها المؤرخون، ومن هذه الثغرات أنه كان «يستدعي النساء بواسطة الشرطة بعد أن يرسل أزواجهن في مهمة، وقد حدث هذا أثناء الحملة الفرنسية على مصر حيث اعتدى على زوجة ملازم بعد أن بعث زوجها في مهمة لمحاربة الأسطول الإنكليزي، وهناك وقع الملازم سجيناً في يد الإنكليز»[2].

ولعل نابليون استوحى فكرة هذا الفعل من التوراة المحرفة التي زعم محرفوها أن نبيهم داود فعل ذلك مع أوريا وزوجته.

ومن أخبار نابليون أيضاً أنه «جاءته إحدى الفتيات البرلينيات لتقديم شكوى فأعجبته، فاستبقاها مع أمها حتى الصباح ثم أرسلها مع مائتا قطعة من الذهب»[3].

3 ـ الإحصاءات في فرنسا

تشير الاحصاءات إلى تزايد عدد ضحايا الاغتصاب في فرنسا عاماً بعد عام، «ففي سنة 1975 سجل وجود 1584 حالة بزيادة 75% عن عام 1963 ... وهذا الرقم يعتبر منخفضاً عن الواقع لعدم تقدم عدد كبير من

---

(1) PERREUX,GABRIEL,LA VIE QUOTIDIENNE DES CIVILES EN FRANCE PENDANT LA GUERRE HACHETTE PARIS, 1966, P :324.

(2) MAROLI, DANIROS, ANDRE,HISTOIRE DES RELATIONS SEXUELLES, PRESSES UNIVERSAIRES, PARIS, P :53.

(3) MAROLI,DANIROS,ANDRE: HISTOIRE DES RELATIONS SEXUELLES, P 53.

الضحايا بالشكوى ... وفي عام 1976 سجل وجود 2500 حالة، وهو الرقم الرسمي بينما الرقم الحقيقي يتخطى العشرة آلاف ضحية»[1].

4 ـ الاغتصاب في إيطاليا

1 ـ الفساد في إيطاليا

تتشارك إيطاليا مع غيرها من الدول الأوروبية في كثير من الفلسفات الأخلاقية والحريات العقائدية والجنسية، ومن هذه الحريات الحرية في اختيار الملابس سواء كانت متناسبة مع القيم الأخلاقية أم غير متناسبة، فقد بعث أنطونيلو سوينانيلي رئيس الاتحاد المحلي للكرة الطائرة في لاميتسيا تيرمي برسالة إلى النادي نصح فيها فريق الكرة الطائرة للسيدات بارتداء زي تقليدي والتخلي عن ابتكارات مخلة بروح الرياضة.

وجاء في رسالته إشارة إلى مباراة شاهدها للفريق: «ارتدى الفريق المنافس زياً محترماً وعملياً بينما ارتدت لاعباتكم شورتات بيكينية دقيقة تكشف عن أدق التفاصيل الحساسة، مما يتناقض مع الاحترام المطلوب في حدث رياضي»[2].

2 ـ الاغتصاب في إيطاليا

تتميز إيطاليا بوجود نوع من الاغتصاب يقوم به عدد من المرابين كتهديد للدائن بتسديد ديونه المتراكمة.

فحيتان «الربا يقبلون السداد بشيك ولكن أساليبهم في ضمان السداد إذا تبين أنه بدون رصيد أكثر خطراً بكثير من البنوك، فقد تشمل الاغتصاب والاعتداء وتصل إلى القتل أحياناً.

ويعرض المرابون أسعار فائدة تصل إلى500 في المائة، ووَفْقاً لبعض التقديرات يحققون ثروات طائلة تزيد على عشرة مليارات دولار في العام.

---

(1) PICAT,JEAN,VIOLENCES MEURTIERES ET SEXUELLES, P :74.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19098، تاريخ 31/ 3/ 1995، الصفحة الأخيرة، العنوان: «شورتات الكرة الطائرة تكشف أدق التفاصيل».

وتقول جماعات مدافعة عن حقوق ضحايا الربا: إن المرابين نجحوا في إيقاع أكثر من مليوني إيطالي في دائرة خبيثة من الديون، وتشبعت وسائل الإعلام الإيطالية بروايات عن حالات انتحار وإفلاس من عجزوا عن السداد.

وفي العام الماضي ذكرت إحدى الضحايا في حديث أجراه التلفزيون معها دون الكشف عن شخصيتها أنها خطفت واغتصبت وتلقت تهديداً باغتصاب ابنتها إذا لم تسدد ديونها خلال 24 ساعة»[1].

5 ـ الاغتصاب في الصين

1 ـ الفساد في الصين

تميزت الصين منذ زمن طويل عن غيرها من البلدان بمحافظتها على العادات والتقاليد واحتفاظها بالقيم الأخلاقية، إلا أن الأمر لم يستمر طويلاً، فبعد «أن كانت القُبلة في الطريق أمام الآخرين عيباً وخطيئة... كتب لنا (في جريدة الصانداي تايمز لندن) الصحفي جون كووت أن مدينة شنغهاي ثاني أكبر مدن الصين بعد بكين قد سمحت بعرض مسرحية العاشق للكاتب الشهير هارولد بنتر... وفي المسرحية يقوم البطل والبطلة بدور زوج وزوجة يمارسان الجنس على خشبة المسرح أمام الجمهور»[2].

2 ـ الاغتصاب في الصين

تحتفظ الصين بمبادئها الأخلاقية الخاصة والمستوحاة من تعاليم معلمها ماو تسي تونغ الذي سنّ الأنظمة الخاصة، وسنّ العقوبات لكل من يخالف هذه الأنظمة، إلا أن هذا الأمر تحول مع الزمن وانتشرت في هذا البلد الجرائم بكل أنواعها، ومن هذه الجرائم الجرائم الجنسية.

أ ـ الاغتصاب من قبل المسئولين: يتمتع المسئول عادة، سواء كان

---

(1) جريدة اللواء اللبنانية، العدد 8237، تاريخ12/ 11/ 1994، الصفحة الأخيرة، العنوان: «الاغتصاب والقتل... سلاح حيتان الربا».

(2) أيوب، ياسر، الانفجار الجنسي في مصر، م. س، ص131.

رئيساً أو قائداً أو حتى جندياً في الجيش، بإحساس قوي أنه يتمتع بالقوة والقدرة على الحصول على مبتغاه حتى ولو خالف ذلك القيم والأخلاق، فقد «أعلنت صحيفة القوانين الصادرة في الريف أنه تم في الصين أخيراً إعدام شرطيين في ساندونغ (شرق) لاغتصابهما 40 امرأة على الأقل خلال السنوات الأربع الأخيرة، وأكدت الصحيفة التي وصلت إلى بكين أن «زانغ إيغو» و «زود بيو» كانا يستفيدان من طبيعة عملهما ليقوما سوية باغتصاب موظفات في الفنادق وخادمات في مطاعم وتمّ إعدامهما فور إصدار الحكم بحقهما»[1].

ويدلّ حكم الإعدام الذي صدر في حق هؤلاء الأشخاص على أن جريمة العِرض في الصين من الجرائم الكبيرة التي تستحق القتل.

ب - بيع النساء والأطفال: يعتقد الناس في كافة أنحاء العالم أن نظام الرق نظام قديم لا أثر له في القرن العشرين في ظل القوانين الحامية والمدافعة عن المساواة والحرية الشخصية، ولكن الواقع يؤكد أن هذا الأمر مخالف للحقيقة، إذ إن الحصول على الرقيق بواسطة الخطف والخداع لا زال موجوداً في كافة أنحاء العالم، وان كان يتمّ في الخفاء دون علم الدولة. ففي الصين مثلاً أكدت صحيفة الشعب أن «أكثر من 33 ألف امرأة وطفل صيني خطفوا عامي 1993و1994 على أيدي مهربين باعوهم لاحقاً.

وقالت إن الشرطة اكتشفت نحو سبعة آلاف عصابة واعتقلت 50 ألف مهرب العام الماضي، وان تهريب النساء والأطفال تراجع بنسبة 27 في المائة عنه عام1993. وأوضحت أن سعر الفلاحة يراوح بين مائة وخمسين دولار»[2].

---

(1) جريدة اللواءاللبنانية ،العدد 8086، تاريخ27/ 5/ 1994، الصفحة الأخيرة.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19098، تاريخ31/ 3/ 1995، ص11، العنوان «33 الف امرأة و طفل بيعوا في الصين»، (بكين . و.ص.ف).

ـ 6 ـ الاغتصاب في الحرب العالمية الثانية

ـ 1 ـ الاغتصاب عند الألمان

يعتبر الألمان أساتذة في فنون الإجرام، وتنوعت جرائمهم بين القتل والاغتصاب وغير ذلك، ولم يحصر الألمان جرائمهم بالاعتداء على النساء اليهوديات فقط، كما يحاول الإعلام اليهودي الادعاء، ، بهدف استجلاب عطف الرأي العام العالمي، بل إن هذا الاعتداء طاول النساء من مختلف الجنسيات ومختلف الأعمار، ومن النماذج عن هذه الاغتصابات ضد اليهود وغيرهم ما يلي:

النموذج الأول: حاول الألمان في حربهم ضد اليهود تطبيق النظريات العلمية التي يكتشفها علماؤهم، ومن هذه النظريات نظرية تحسين النوع.

وقد حدثت عدة تجارب مع الفتيات لهذه الغاية، منها تجربة حصلت مع «فتاة تدعى ليندا، فتاة جميلة شقراء زرقاء العينين، خطفها الألمان إلى قصر رسمي يديره الدكتور منغل Dr.Mengel الذي كان يعمل لهدف علمي بحت، هو تطبيق التجارب على نظرية تحسين النوع البشري، وفي هذا المكان أنجبت ليندا طفلاً كانت عاجزة عن معرفة والده، لأنها قامت بعلاقة مع اثني عشر جندياً نازياً كما كان مخططاً في البرنامج»[1].

النموذج الثاني: حاول الألمان ترك بصماتهم على الضحايا اليهود الذين أفلتوا من الموت، وذلك بغية ترك جرح في نفسية اليهود لا يندمل مع الزمن.

ومن ضحاياهم امرأة قالت: «أن الألمان لم يكتفوا باغتصابها بل طبعوا على ذراعها عبارة «مومس أتباع هتلر»، بحثت هذه المرأة عن زوجها، وعندما وجدته حاولا معاً استعادة حياتهما الزوجية السابقة، فعجزا

---

(1) WEISENTHIAL,SIMON, LES ASSASSINS SONT PARMIS NOUS, OPERA MUNDI,PARIS, 1967, P :175.

عن ذلك بسبب وجود هذا الوشم الذي كان موجوداً بينهما ليذكرهما بالماضي»[1].

النموذج الثالث: وجد القادة الألمان من يساعدهم في مهامهم العدوانية، إذ إن بعض النساء الألمانيات قمن بأنفسهن بالاعتداء على الرجال.

ومن هؤلاء النسوة ILL KOCK «إيل كوك التي كانت تختار عشاقها ليس فقط من الضباط النازيين بل أيضاً من السجناء الذين كانوا مضطرين للخضوع لتهديداتها»[2].

النموذج الرابع: عمد الجنود الألمان في الحرب العالمية الثانية الى الانتقام من أعدائهم بالاعتداء على نسائهم، فعندما احتلوا «بولندا اغتصبوا النساء البولنديات، وفي إحدى الحالات اغتصبوا امرأة في الثمانين، كذلك اعتقلوا الفتيات البولنديات، وكانت أعمارهن تتراوح بين الحادية عشرة والسادسة عشرة، وبعثوا بهن إلى بيوت الدعارة التي اقاموها في الجبهة الألمانية الغربية، وفي إحدى هذه المواخير التي اقيمت في (بوزان) في شارع ريباكي كانت الفتيات اللاتي يحملن يطلق سراحهن ليعدن الى أسرهن، كذلك كان الجنود الألمان يغتصبون الفتيات ممن كن في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة في بيوتهن امام آبائهن وامهاتهن»[3].

2 ـ الاغتصاب عند اليابانيين

وعدت الدولة اليابانية منذ مدة النساء اللواتي وقعن أسيرات في يد الضباط اليابانيين خلال الحرب العالمية الثانية بصرف تعويضات لهن محاولة بذلك التكفير عن جريمة هؤلاء الضباط معهن.

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN,LE VIOL, P :72

(2) MANWELL ROGER ET FRAENTAL HEINUCH, LE CRIME ABSOLU, EDITION STOCK, PARIS,1967,P,95.

(3) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الاناث، م. س، ص12، عن كتاب JOHN DRZAZGA, SEX CRIMES P57..

وكانت قد حصلت مظاهرات في كل من الفيليبين وهولندا من قبل هؤلاء النسوة اللواتي كن يدعون إلى الوفاء بالوعود.

ففي مانيلا تظاهرت «أمام السفارة اليابانية نساء فيليبينيات متقدمات في السن تعرضن للاغتصاب من جنود يابانيين في الحرب العالمية الثانية.

وهؤلاء النسوة اللواتي بقين على قيد الحياة ألّفن تجمعاً باسم «مؤاساة النساء» «COMFORT WOMEN» قبل بضع سنين، ويسعين للتعويض عليهن من اليابانيين أنفسهم.

ويتوقع أن تطرح الحكومة الفيليبينية قضية النساء المغتصَبات لدى رئيس حكومة اليابان نوميش مورایاما في زيارته للفيليبين اليوم ...»[1].

وحصلت تظاهرة مماثلة في هولندا من قبل الهولنديات اللواتي تظاهرن قرب السفارة اليابانية في لاهاي. وتقول إحداهن و هي» جين أوف أوهيرن أنها أُجبرت قسراً على دخول الرذيلة في إندونيسيا، وعمرها آنذاك 21 عاماً وكانت تتعرض كل ليلة طيلة ثلاثة أشهر قضتها هناك لاعتداء جنسي وحشي متكرر على أيدي ضباط يابانيين».

... قالت وهي تحكي مأساتها: كانوا يأمرون الفتيات والشابات في السن17 فما فوق بالوقوف في صف طويل، وكان عدد من كبار الضباط اليابانيين يسيرون جيئة وذهاباً ... وهم يفحصوننا بإمعان.

وأوهيرن واحدة من بين 200 ألف امرأة معظمهن من كوريا والفيليبين وإندونيسيا والصين وهولندا ممن اختطفن أو أُجبرن على ارتياد بيوت الدعارة لمتعة القوات اليابانية.

وكانت أول أوروبية تقريباً تخرج عن صمتها عام 1992 لتقص

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 18914، تاريخ23/ 8/ 1994، ص16، العنوان: «التعويض لمغتصبات قبل 50 سنة».

روايتها في جلسة علنية عن حملة الإذلال التي قام بها اليابانيون ضد الآلاف من النسوة»[1].

7 ـ الاغتصاب في العالم الاسلامي

1 ـ اغتصاب المسلمين في الهند

يعتبر الاغتصاب في الهند سلاحاً يرفعه الهنود في وجه المسلمين والمسلمات بقصد الإذلال والتحطيم، وبالتالي الهجرة بحثاً عن الأمان.

والاغتصاب في الهند يرتكبه الهندوس ضد المسلمات، كما يرتكبه الجيش الهندي أيضاً ضدهن.

أ ـ اغتصاب الهندوس للمسلمات: أدرج الهندوس الاغتصاب في خططهم التدميرية، فقد تلقت مجلة «الرسالة الإسلامية» كتاباً من الأستاذ المترجم «محمد حسنين» المقيم في الرياض يتضمن وثائق سرية خطيرة عن مخططات المنظمات الهندوسية المتطرفة في الهند لمحاربة المسلمين هناك، وهنا بعض هذه الوثائق:

«تقع على عاتقكم بعض الواجبات الإضافية في الظروف الحالية المتغيرة، انقلوا التعليمات التالية للمتطوعين والوطنيين، أبلغوا القيادة بصدى هذه التعليمات وردود الفعل عليها مع مواصلة الاجتماعات واللقاءات، ومنها مساعدة الضباط بإغرائهم على زيادة دخلهم عن طريق ممارسة الأنشطة غير الشرعية بين المسلمين، مثل الخمور والمخدرات والقمار والميسر وفي مناطق المنبوذين أيضاً، وتوريط نساء المسلمين والمنبوذين في تجارة الرقيق وتجارة الأعراض، حث شباب المتطوعين والطلاب على الزنا بنساء المسلمين أينما وجدن و متى سمحت الظروف، في الفنادق، في المحال، في المكاتب، في المدارس، بروح أبطال «سورت» (مدينة نالها من أذاهم ما نالها)، وممارسة الجنس بالصديقات

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19073، تاريخ28/ 2/ 1995، الصفحة الأخيرة، العنوان: «هولنديات ساهرات عند السفارة اليابانية لأن الحرب قهرتهن وكذلك الجنود».

المسلمات وبنات الجيران من العائلات المسلمة، ويفضل مع العذارى والمراهقات دون استخدام واق حتى يحدث الحمل، وإغراء البنات بكشف الأعضاء التناسلية ومنحهن الهدايا واللمسات والقبلات والمسكِرات وتصويرهن عند ذلك (عند ممارسة الجنس معهن)»[1].

ولم تبق هذه الوثيقة مجرد نصائح وجهها الزعماء إلى الناس، بل إن التطبيق كان سريعاً ... وسرعان ما تحدثت الصحف عن نماذج عديدة من هذه التطبيقات. وقد ذكرت مجلة الرسالة الإسلامية حادثة حصلت في «قطار غادر (سورت) إلى (بهو ساول)، حيث هاجمه الإرهابيون الهنادكة وفعلوا الفاحشة بالمسلمات، هذه أمام زوجها وأخرى أمام ابنتها، وثالثة أمام أختها ... وفي مدينة (سورت) وضعوا الإطارات المشتعلة في أعناق المسلمين الرجال والشباب ونزعوا ملابس النساء، واللاتي اغتصب منهن من اغتُصِب، وفرت اللاتي فررن وهن عاريات»[2].

ب ـ اغتصاب الجيش الهندي للمسلمات: يرتكب الجيش الهندي جرائم الاغتصاب ضد المسلمات في كشمير بمعرفة القيادات، وربما بتأييد منهم، وتنفيذاً لسياسة التهجير التي يتبعها الهندوس، وقد أوردت وكالة رويتر في 22/ 9/ 1994 نماذج عن هذه الاغتصابات منها أن «فتاتان ذكرتا في كشمير في مؤتمر صحفي انهما كانتا تجمعان الحطب عندما اقتادهما جنود تحت تهديد السلاح إلى بيت قريب واغتصبوهما مرات عدة».

ونقل مسئولون في منظمة مدافعة عن حقوق الإنسان أن ثلاث سيدات أخريات ذكرن أنهن اغتصبن ورفضن إعلان ذلك في مؤتمر صحفي.

وقال أهل قرية تينو بوادابارتي أن عدة عائلات هربت من القرية بحثاً عن أماكن أكثر أمناً بعد أن اقتحم الجنود منازلهم للبحث عن فتيات،

---

(1) مجلة الرسالة الاسلامية اللبنانية، العدد129، حزيران 1993، ص40 ـ 42، العنوان: «مسلمو الهند أمام تحديات خطيرة».

(2) مجلة الرسالة الاسلامية اللبنانية، العدد129، حزيران 1993، العدد139، ص36، العنوان «جرائم الهندوس ضد المسلمين».

وقالت رهتي، وهي سيدة كبيرة السن للصحافيين: إن ابنتها البالغة 20 عاماً وزوجة ابنها اختفتا منذ 12 أيلول خوفاً من الجنود.

وقد اعترف الجيش بوقوع جرائم جنسية من الجنود ضد النساء في كشمير ووعد بمعاقبة هؤلاء الجنود»[1].

2 ـ الاغتصاب في البوسنة

مارس الصرب في حربهم ضد المسلمين في البوسنة كل أنواع العنف من تقتيل وتدمير وتشريد، إضافة إلى عمليات اغتصاب للإناث لم تفلح النداءات الإنسانية الموجهة من أنحاء العالم في وقفها، ذلك أن هذه العمليات كانت تخضع لتخطيط مبرمج يهدف ليس فقط إلى تدمير الجيل الموجود حالياً، وإنما أيضاً تدمير الجيل القادم عبر السعي إلى إيقاع المغتصبات بالحمل.

أ ـ الإحصاءات في البوسنة

اختلفت نتائج الإحصاءات عن جرائم الاغتصاب في البوسنة باختلاف المؤسسات القائمة على هذه الاحصاءات، ففيما أعلنت «لجنة الدولة البوسنية لجمع وتوثيق المعلومات عن جرائم الحرب في البوسنة والهرسك «أنه قد تمّ اغتصاب حوالي25000 إلى 30000 امرأة وفتاة وطفلة، أعلنت منظمة «امنيستي إنترناشيونال» ومنظمة واتش من هلسنكي أن هذا الرقم يقترب من الـ 50000 حالة اغتصاب[2].

ولعل السبب في هذا التباين في الأرقام يعود إلى رفض كثير من النساء المغتصَبات الإفصاح عن ذلك، إضافة إلى عمليات الهجرة أو القتل التي يمكن أن تكون قد تعرضت لها المرأة بعد الاغتصاب.

---

(1) مجلة الوعي الإسلامي الكويتية، الكويت، العدد89، ايلول1994، ص19، العنوان: «الجيش الهندي يغتصب المسلمات في كشمير».

(2) مجلة الأمان اللبنانية، عدد135، تاريخ16/ 12/ 1994، ص24، العنوان «الاغتصاب افظع وسائل الحرب».

ب ـ أهداف الاغتصاب في البوسنة

تعددت أهداف اغتصاب البوسنيات على يد الصرب، وقد رفع الصرب عدة شعارات في حربهم، منها شعار الدفاع عن الدين، وشعار التحطيم الشخصي، وشعار خلق جيل صربي جديد وغير ذلك.

شعار الدفاع عن الدين: حاولت الكنيسة الأرثوذكسية الصربية جعل الحرب الدائرة بين الصرب والبوسنة حرباً طائفية ورفعت شعار الدفاع عن الدين بين المحارِبين، لذلك «عند البحث عن المحرك الأساسي لعمليات اغتصاب البوسنيات نجد أن الكنيسة الأرثوذكسية الصربية أصدرت فتوى في مطلع عام1992 بإباحة أعراض المسلمات لكل من يَدين بالمذهب الأرثوذكسي»[1].

وإذا كان الدين يبارك هذه الشناعات فكيف لا يرتكبها الإنسان كتعبير عن إيمانه الشديد ورغبة في إرضاء ربه، وبكلمة أخرى أنّى له أن يعرف أن الاغتصاب جريمة أخلاقية ما دامت الكنيسة التي تمثل له قمة الطهارة، تبارك هذه الجريمة وتضفي عليها صفة الشرعية.

شعار التحطيم الشخصي: حاول الصرب في حربهم ضد البوسنة إلحاق أكبر قدر ممكن من الأذى بالشعب البوسني، واستخدموا الاغتصاب كسلاح إضافي لزيادة الخسائر، وقد «أعلن وزير خارجية أيرلندا «ديفيد اندروز» الذي شارك في بعثة التحقيق في جرائم الصرب أن الاغتصاب ارتُكب بطرق تُلحق بالضحايا أكبر قدر من المهانة والإذلال، فأصبح الاغتصاب أداة حرب وليس نتاجاً جانبياً لها»[2].

ومما يؤكد هذه الحقيقة تقرير لمنظمة العفو الدولية أشار «إلى أن عمليات الاغتصاب في البوسنة والهرسك تمت بصورة منظمة بعد احتجاز النساء بصورة متعمدة بهدف إذلال البوسنيين .. وكسلاح حرب، فإن

---

(1) مجلة العالم البريطانية، العدد 515، شباط1994، ص23، العنوان :« الاغتصاب اخطر وسائل تصريب البوسنة والهرسك».

(2) مجلة الحكمة البريطانية، العدد3، تاريخ9/ 6/ 1994، ص 3 ـ 9.

الاغتصاب أفتك من القتل .. فالقتل يخلق شهداء يثيرون الحماسة في الأحياء ليقاتلوا من أجل شهدائهم وقضيتهم. أما الاغتصاب فانه لا يذل المرأة بمفردها، بل يترك جرحاً لا يندمل خاصة في المجتمعات المسلمة .. فانتهاك العرض يصيب كبرياء الضحية وعفتها وعائلتها والمجتمع كله»[1].

وقد أثبتت التقارير التي أرسلها القادة الصربيون النتائج النفسية لعمليات اغتصاب البوسنيات واحتجازهن، فقد «كتب ميلان بنديتش قائد الفيلق الصربي في أوزرني في بداية الحرب في رسالته إلى الوزير السابق ورئيس الشرطة الصربية السرية فيمايلو كبريتس: لقد جمعنا في المعسكرات التي تقع تحت إشرافنا في منطقتنا 1680 مسلمة، تتباين أعمارهن بين 12 إلى 60 عاماً، هذا وقد ظهرت أعراض الحمل عند بعضهن، خاصة عند اللاتي أعمارهن بين 15 ـ 30 سنة، وحسب رأي «يوشكو كيلشيفينش» و «سميليان جيرينش» فإن التأثير النفسي لهذه العمليات عظيم جداً، لذلك لا بد من الاستمرار فيها»[2].

شعار خلق جيل صربي جديد: حاول الصرب في حربهم ضد البوسنة إبادة الشعب البوسني بكامله عن طريق قتل الأطفال والرجال والشيوخ، أما النساء فقد تم استخدامهن كحقل تجارب للعلم الحديث، ومن أبرز ما حاولوا تطبيقه عليهن هو نظرية اكتساب الصفات الوراثية من الآباء، لذلك هدفوا من وراء اغتصاب النساء البوسنيات خلق جيل صربي جديد يتمتع بالصفات الصربية، وهذا ما أوضحه وزير الأعلام الصربي فيبلور أوستونيش إذ بيّن أن الهدف من عمليات الاغتصاب أن تلد المسلمة البوسنوية «تشتنك صغارا».

إلا إن علماء الوراثة يقولون :«يصعب القطع بإمكانية انتقال السلوكية من الأب إلى الابن بالوراثة، حيث أن هناك عوامل أخرى لها تأثير قوي في تحديد السلوك ومنها التربية الصحيحة في جو الأسرة والبيئة.

---

(1) مجلة الرابطة السعودية، محرم ـ صفر، ربيع الأول 1414هـ، ص173.

(2) مجلة الأمان اللبنانية، العدد135، تاريخ26/ 12/ 1994، ص24 ،العنوان: «العدوان على البوسنة والهرسك».

وتشير أخصائية الطب النفسي في مستشفى سراييفو الدكتورة ميرسا صالحوفيتش إلى أن الحالة النفسية لأبناء المغتصَبات تتوقف على مدى تقبل المجتمع لهؤلاء الأبناء وتوفير الرعاية المتكاملة لهم، وإلا سيظهر جيل جديد من البوسنيين يشعر بانحطاط القيمة فيتجه إلى تعاطي المخدرات وشرب الخمر وارتكاب الأعمال الإجرامية، وهذا ما يريده الصرب»[1].

ويدلّ الكلام المذكور أعلاه على دور التربية في تنشئة الأجيال، وأن الأخلاق والطباع يمكن أن تتهذّب وتتحوّل إذا وجد المربي الصالح والبيئة الصالحة.

حقن النساء بأجنة كلاب: استمر الصربيون في اتخاذ أجساد البوسنيات حقلاً لتجاربهم العلمية، ففي حين اتخذ الألمان أجساد النساء حقلاً لتجاربهم لتحسين النوع البشري كان هدف الصرب إجراء الأبحاث لتخريب النوع البشري، ومن هذه التجارب حقن النساء بإبر تحتوي على أجنة الكلاب، وقد «ذكر النائب الألماني «ستيفان سوارتز» من حزب الاتحاد المسيحي لجريدة ألمانية: إن الصرب قاموا بعمليات لإجهاض النساء المسلمات ووضع أجنة كلاب في أرحامهن وأن النساء البوسنيات القتلى والحوامل وُجدن على نفس الحالة»[2].

3 ـ نماذج عن الاغتصاب في البوسنة

تعرضت النساء في البوسنة للاغتصاب من قبل الصرب، كما تعرضن للاغتصاب من قبل جنود «حفظ السلام» التي أرسلت للحماية من اعتداءات الصرب وكأنهم بذلك يقدمون إلى الصرب دليلا حسيا على تأييدهم لفعلهم وتشجيعاً عليه.

أ ـ الاغتصاب من قبل الصرب: تحدثت النساء المغتصبات عن

---

(1) مجلة العالم البريطانية، العدد 515، شباط1994، ص23، العنوان :« الاغتصاب أخطر وسائل تصريب البوسنة والهرسك».

(2) مجلة الوعي الاسلامي الكويتية، العدد332، ربيع الآخر1414هـ، 1993م، العنوان: «أجنة كلاب».

حالات اغتصاب جرت من قبل أشخاص كانوا يعرفونهن قبل الحرب، تقول إحدى الروايات: «قبل حوالي عشرة أيام حضر إلى البيت المدعو ساشا غاغوفيتش مع شخصين لا أعرفهما حيث بدأوا بتفتيش الأغراض في بيتنا، بعدها قاموا باقتياد ابنتي الصغيرتين إلى الغرفة حيث بقي أحدهما معهما، بعدها قاموا بتهديدي بقتل أبنائي إذا لم أفعل كل ما يريدون.

أحد الأشخاص الذين لا أعرفهم أمرني أن اخلع ملابسي وإلا يكسر رأسي ببندقيته، لقد قام باغتصابي أولاً، من ثَمَّ ذاك الثاني، وفي النهاية قام باغتصابي غاغوفتيش الذي رجوته أن لايفعل، ولكنه قال إنه يتوجب عليه أن يفعل لأنه إن لم يقم بذلك سوف يقوم شركاؤه (زملاؤه) بقتله...»[1].

وبلغ من وحشية الصرب أنهم لم يكتفوا باغتصاب النساء أمام أفراد العائلة بل إنهم في بعض الأحيان كانوا يجبرون الآباء على اغتصاب بناتهم وهذا ما جاء في شهادة «عذراء ساميلوفتيش» العضو البارز في اللجنة التي شكلتها الحكومة البوسنية لجمع المعلومات بشأن هذه القضية والإشراف على إعادة تأهيل المغتصبات. فقد جاء في تقريرها: «عمليات الاغتصاب تتم بشكل بربري وجميعها تكون مصحوبة بالضرب المبرح وأفعال مخجلة لا يأتيها سوى شواذ ومجرمون من نوع لم نعرفه حتى الآن ... ويكفي أن نعرف أن لدينا أدلة طبية أن معظم جرائم الاغتصاب يقوم بها أكثر من مجرم في وقت واحد !! أيضاً فإ الكثير منها يتم أمام أفراد العائلة من الآباء والأمهات والإخوة بقصد الإمعان في التعذيب والإذلال النفسي. وتبلغ الوحشية واللا إنسانية قيمتها مع هؤلاء من وحوش الصرب عندما يجبرون الآباء المسلمين على اغتصاب بناتهم بل وأبنائهم أيضاً. فإذا ما امتنع الآباء عجزاً وشفقة ذبحوا الأبناء والبنات أمام أعين الآباء. وهم لا يفعلون العكس لأنهم يعلمون أن عذاب الآباء من جراء ذلك سيكون أضعاف عذاب الأبناء من رؤية آبائهم وهم يذبحون»[2].

---

(1) مجلة الأمان اللبنانية، عدد135، تاريخ16/ 12/ 1994، ص24، العنوان :« العدوان على البوسنة والهرسك».

(2) غانم، يحيى، يوميات مراسل حربي في البوسنة، الملف السري لإبادة شعب، دار الاعتصام، بدون مكان الطبعة، بدون رقم الطبعة، 1993 م .، ص171.

ب ـ الاغتصاب من قبل جنود حفظ السلام: تحدثت الأنباء الواردة من البوسنة عن تعديات حصلت من قبل قوات «حفظ السلام» التابعة للأمم المتحدة، حيث قامت هذه الأخيرة بالسكوت عنها ومحاولة التستر عليها. ومما ذكره يحيى غانم[1] أيضاً عن الوقائع المسكوت عنها ما يلي:

«مشاركة القائد الكندي للقوات الدولية في عملية اغتصاب النساء المسلمات، وهي التي ذاعت أنباؤها في مختلف الأوساط هناك وعُرف دور الصرب في توفير كل ما يشبع شهوات القائد الكندي الذي يتجرد من أبسط القيم الإنسانية، حتى رفعت الحكومة البوسنية الأمر إلى السكرتيرالعام للأمم المتحدة وأبلغته في نهاية المطاف إنها غير مسئولة إذا ما تعرض القائد الكندي لانتقام القوات المسلحة، ووافق السكرتير العام على نقل الرجل مشترطاً أن تسكت حكومة سراييفو وألا تعلن شيئاً عن أسباب إبعاده، وهو ما حدث بالفعل. ولكن المدهش أن الصحف الغربية تكتمت أيضاً حول هذه المسألة، وحين اعترف أحد السفاحين الصرب الذين حوكموا في سراييفو حديثاً بأنه كان شاهداً على ممارسات القائد الكندي أُغفلت تلك الاعترافات ولم يشر إليها أحد»[2].

8 ـ الاغتصاب في العالم العربي

1 ـ الإحصاءات في العالم العربي

يعتبر علماء الإحصاء أن التقارير المنشورة عن حالات الاغتصاب في العالم العربي نادرة جداً، وهي في حال وُجدت لا يمكن الركون إليها والاعتماد عليها بشكل جازم لعدم التأكد من مصادر تجميعها، و يقول مصطفى العوجي في معرض حديثه عن الظاهرة الإجرامية في العالم العربي: إنه «في الواقع ليس لدينا إلا بعض الإحصاءات التي نشرها مكتب مكافحة الجريمة التابع لمجلس وزراء الداخلية العرب لغاية سنة 1980،

---

(1) غانم، يحيى، كان يعمل محرراً للقسم الخارجي في الأهرام، وقد دخل العاصمة البوسنية عدة مرات.

(2) مجلة الشراع اللبنانية، العدد579، تاريخ31/ 5/ 1993، ص52 ـ 53.

كما لدينا بعض الإحصاءات المتعلقة بالمملكة العربية السعودية في السنوات الممتدة بين 1966 و1975 كما وردت في الإحصاءات التي قدمها الدكتور فاروق مراد أثناء الندوة العلمية المنعقدة في الرياض سنة 1976 وقد أضفنا إلى هذه الإحصاءات تلك المستخلصة من الكتاب الإحصائي التاسع المنشور من قبل وزارة الداخلية عن سنة1403هـ.الموافقة لسنة 1983م ..

ولا بد من لفت النظر إلى أنه في غياب معايير واحدة معتمدة في كل البلدان العربية تبقى الأرقام المقدمة بمثابة مؤشرات للدلالة فقط، إذ يصعب ضبط حقيقة ما تعكس إلا بما ورد ضمنها بصورة محددة بحيث لا يثير الوصف القانوني الخاص بها التباساً حول مضمونها. ومن ثَمَّ فإنه لا يوجد لدينا ما يفيد عن مصدر هذه الإحصاءات وكيفية جمعها، وما إذا كانت صادرة عن المراجع الشَّرطِيّة أم عن المراجع القضائية، لذلك اقتضى التنبيه»[1].

ولا بد من ذكر أرقام الإحصاء المتعلقة بالاغتصاب مع بعض أرقام إحصاءات بعض الجرائم الجنسية الأخرى، وذلك لتسهيل المقارنة بين هذه الجرائم ومعرفة نسبة الاغتصاب بالنسبة لباقي الجرائم الجنسية، وفي ما يلي جدول لهذه الإحصاءات والمقارنات كما أوردها مصطفى العوجي:

(1) العوجي، مصطفى، الجريمة والمجرم، م. س، ص305.

الأقطار	الفعل الفاضح أو المخل بالحياة	زنا المتزوجين والمتزوجات	هتك عرض أو اغتصاب	الشذوذ الجنسي	إتيان الحيوان	تعاطي البغاء	المجموع	مجموع × الجرائم المسجلة عامة
تونس	940	363	566	35		314	2218	46387
السودان	82	1934	923	344	1		3284	266463
الأردن	200	52	30	130		-	412	14207
لبنان	35	27	29	9		74	174	15420
سوريه	68	69	46	141		84	408	23498
العراق	515	46	281	177		145	1164	57024
الكويت	69	61	273	5	1	73	482	6296
السعودية	224	59	271	419		37	1010	14890
مصر	28	9	6	8	19	-	70	917[1]

(1) العوجي، مصطفى، الجريمة والمجرم، م.س، ص314.

ولا بد من الإشارة إلى أنه لا بد عند المقارنة بين دولة عربية وأخرى من الأخذ بعين الاعتبار الظروف الخاصة بكل بلد، إن كان من جهة عدد السكان ونسبة هذه الجرائم بالنسبة لهذا العدد، إضافة إلى اعتبارات أخرى، مثل كثافة السكان أو المستوى الاجتماعي والاقتصادي والأمني لكل بلد.

ونظراً لصعوبة ذكر الاغتصاب في كل البلدان العربية سيتم في ما يلي إن شاء الله عرض نماذج عن هذه البلدان، مع ذكر لبعض الحالات التي حدثت فيها.

2 ـ الاغتصاب في مصر

انتشر الاغتصاب في مصر في العصر الحديث، وتنشر الصحف كل يوم قَصَصاً وحوادثَ حصلت في المدن والقرى، وأشهر هذه الحوادث حادثة اغتصاب فتاة المعادي، وحادثة اغتصاب فتاة العتبة، وسيرد سرد هذه الحوادث في سياق البحث إن شاء الله، إلا أنه لا بد من ذكر نموذجين يتعلقان باغتصاب الليلة الأولى.

النموذج الأول: حدثت هذه الحادثة في أثناء الحملة الفرنسية على مصر، فقد حلّ فرنسوا برتوابيه مدير مشغل ملابس جيش الشرق الفرنسي محل «خادمه ليفضّ بكارة عروس الخادم في ليلة العرس ... بعد أن استعصى عليه نيل الفتاة العروس كعشيقة دون زواج»[1].

النموذج الثاني: حدثت الحادثة الثانية مع ملك مصر فاروق الذي أعطى لنفسه الحق في قضاء الليلة الأولى مع عروسٍ ليلة زفافها. والغريب في الحادثة أن العروس كانت كريمة أحد العظماء إلا أن الملك «أصرّ على أن يسبق العريسَ في الخلوة بالعروس الجميلة .. فما كان من والدة العروس إلا أن فاتحت العريس في الأمر.. فهاج وهدد بفضيحة تهتز لها قوائم العرش .. وبعد مفاوضات عاجلة ووعد ملكي برتبة البكوية ومنصب كبير في القصر وافق العريس .. وتحققت الرغبة

(1) أيوب، ياسر، الانفجار الجنسي في مصر، م.س، ص309.

الملكية ونال العريس البكوية»[1].

وإذا كانت هذه الحادثة حصلت مع فرد من أفراد الشعب، إلا أن للملك فاروق محاولات مع زوجات الرؤساء فقد «حاول الاعتداء على زوجة ولي عهد اليونان بعد أن أمر زوجته فريدة بمغادرة الغرفة وقام هو بإطفاء النور قبل أن يشرع في محاولته»[2].

الاحصاءات في مصر

تدل احصاءات المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية في القاهرة[3] على أنه وقع في مصر عام 1992 (175) حالة هتك عرض واغتصاب في مقابل (164) حالة عام 1991، وقد دلت إحصاءات عام 1992 على أنه قد حصلت اعتداءات على 129 أنثى في مقابل 61 ذكر، كما أن الوضع الاجتماعي عند المجرم تنوع بين 148 أعزب، 36 متزوج، 4 مطلق، و2 أرمل، أما أعمار المجني عليهم فهو كالآتي: 126 ضحية أقل من 18 سنة، 11 ضحية من 18 إلى أقل من 20 سنة، 32 ضحية من 20 الى أقل من30 سنة، 15 ضحية من 30 الى أقل من 40 سنة، 4 من 40 الى أقل من 50 سنة و 2 من 50 الى أقل من 60 سنة.

ويستنتج من هذه النتائج أن الاغتصاب وهتك العرض في مصر ينال بالدرجة الأولى المرأة، وأن عدم الزواج هو أحد الأسباب الأساسية في ارتكاب هذا الجرم، كما أن المغتصب يعتدي غالباً على المراهقات ويتجنب كبار السن، مما يدل على أثر اللباس والتصرفات عند بعض النساء في دفع المجرم الى ارتكاب فعله.

3 ـ الاغتصاب في الكويت

1 ـ اغتصاب جنود صدام حسين للكويتيات

تحدثت الأنباء الواردة من الكويت في أثناء حرب الخليج عن

---

(1) أيوب، ياسر، الانفجار الجنسي في مصر، م.س، ص309.
(2) أيوب، ياسر، الانفجار الجنسي في مصر، م.س، ص59.
(3) حصلت الباحثة على هذه الأرقام من المركز مباشرة.

انتهاكات للأعراض قام بها جنود صدام حسين ضد النساء الكويتيات، ومن هذه الأنباء ما ذكرته «الدكتورة سكينة عباس، أخصائية نساء وتوليد في مستشفى رعاية الأم بقولها لقد عاينت بنفسي خمس حالات اغتصاب، ثلاث في المستشفى واثنتان في حملات المداهمة العشوائية من قبل القوات العراقية للبيوت».

وقال الدكتور محمد المطوع رئيس قسم مستشفى رعاية الأم، وكان مديراً للمستشفى، :«من أغسطس آب 1990» كانت هناك بضع حالات اغتصاب تمّ تسجيلها في أكتوبر، وحتى التحرير كانت الحالات تزداد، لقد كانت هناك أربعة مستشفيات خاصة إضافة إلى ثلاث مستشفيات حكومية تستقبل إصابات أمراض النساء في مستشفياتها فسجلت 65 حالة اغتصاب منهن 37 حوامل، والعدد النهائي غير معلوم لأن هذا الموضوع شديد الحساسية، وكنا نرصد مضاعفات عمليات الاغتصاب من الحمى، الإجهاض، النزيف والانهيار النفسي، وكان متوسط أعمار من تمّ اغتصابهن يتراوح بين15 ـ 55 سنة»[1].

وذكر أحد الشهود، و يدعى «اليوسف»، بعض هذه الانتهاكات بقوله: «قام الجنود العراقيون في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 1990 بجملة مداهمات غريبة للمنازل في بعض المناطق .. كانوا خلالها يقتحمون البيوت ويسجنون رب الأسرة داخل «الحمام»، أهلكهم الله، حتى يستكملوا سرقتهم واعتداءهم على الفتيات بداخله.

حدث ذلك في عدة مناطق منها ضاحية صباح سالم وبيان الرميثية !! اعرف فتاتين من عمر الزهور وتتراوح أعمارهن بين 15 ـ 17 سنة يقطنان منطقة الرميثية اعتدى عليهما الجنود العراقيون بوحشية وتركوهما في الشارع تنزفان وتصرخان من الألم مما اضطر رب الأسرة للخروج من الكويت بعد علاجهما!!

ويختم الأخ «اليوسف» كلامه فيقول: أكثر المشاهد إيلاماً .. حينما

---

(1) حرب، عفاف، جرائم الاغتصاب، بدون بلد النشر، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1993م.، ص95.

سمعت صراخ فتاة كويتية لا يتجاوز عمرها 17 عاماً قام المجرمون بفضّ موضع عفتها بواسطة (هوز بلاستيكي)[1].. وذلك بسبب كتابة الشعارات المعادية للنظام العراقي على الجدران»[2].

2 ـ اغتصاب المقاومة الكويتية للمتهمات بالتعامل مع العراقيين

تحدثت الأنباء أيضاً عن حالات اغتصاب قام بها أفراد من المقاومة الكويتية لبعض النساء اللواتي اتهمن بالتعاون مع جنود صدام، ومن هؤلاء النسوة نعمات فرحات (35 عاما)، الفتاة اللبنانية التي كانت تعيش مع أهلها في الكويت، والتي ما لبثت أن أقامت دعوى على الجاني بعد انتهاء الحرب.

وفي تفاصيل الحادثة كما روتها نعمات أن «والدها سمع فجر الثالث من آذار 1991 أي بعد خمسة أيام على تحرير الكويت صوتاً يناديه من الخارج «يا أبو أحمد» وعندما فتح له الباب ضربه بأخمص سلاح كان يحمله وقدم نفسه أنه أحد أفراد المقاومة الكويتية، وأن لديه أمراً بإعدام جميع من في المنزل لأن بعض الجنود العراقيين كان يتردد على منزلنا أثناء الاحتلال، فقلت له: إن هذا الأمر صحيح، لكن العراقيين كانوا يأتون إلينا بحثاً عن أشقائي لأنهم كانوا يساعدون المقاومة الكويتية، وقد احتجزوا والدي وأحرقوا يديه بالسجائر.

لكنه لم يصغ إلي، وطلب من أخي أسامة أن يقيد أبي، ثم طلب مني أن أقيد أسامة، ولاحظ أنني لم أقيده جيداً، فركلني على خاصرتي وضربني بكعب الرشاش على عيني، ثم اقتادني إلى إحدى الغرف .. وطلب مني أن أخلع ملابسي وأنا مذهولة ضائعة بعدما صدمت بما يدور، وسرعان ما هجم علي واعتدى عليّ مرتين، ولم تنجدني صرخات التوسل.

وبعدما أنهى فعلته الشنيعة قال لي: لن أقتلكم، ولكن عندما أخرج من المنزل تخرجون خلفي وتغادرون المنطقة كلها، ومن الأفضل أن

---

(1) هوز بلاستيكي: نبريش.

(2) حرب، عفاف، جرائم الاغتصاب، م. س، ص101.

تغادروا الكويت، وسأطلق رصاصتين في الهواء لأوهم الذين ينتظرون في الخارج بأنني نفذت حكم الإعدام، وطلب مني أن أغمض عيني ثم أطلق رصاصتين أتبعهما باثنتين في اتجاه رأسي من ناحية الشمال، وأصبت ورحت أفقد الوعي إلى أن سمعت صرخة وطلقة رصاص، وبعدها صرخة أخرى وطلقة ثانية .. وأدركت انه أطلق النار على والدي وشقيقي. وسمعت وقع أقدامه وهو يخرج ثم يدير محرك السيارة في الخارج، فرحت أستغيث وأنا أصرخ: إنهم غادروا المنزل ..»[1].

9 ـ الاغتصاب في فلسطين المحتلة

يعتبر الاغتصاب في فلسطين المحتلة ظاهرة خطيرة يحاول المسئولون إيجاد الحلول لها، وذلك بسبب تفاقم عدد الحوادث المسجلة لدى السلطات عاماً بعد عام.

1 ـ الإحصاءات في فلسطين المحتلة

يعتبر علماء الإحصاء في فلسطين المحتلة أن عدد ضحايا الاغتصاب يتزايد عاماً بعد عام حسب إحصاءات الدوائر الرسمية التي ذكرت أن «عدد حوادث الاغتصاب المسجلة لدى دوائر الشرطة عام 1976 بلغت 161 حادثة»[2].

وتضاعف هذا الرقم «في النصف الأول من عام 1979 ليصل إلى 300 شكوى مقدمة من قبل نساء تعرضن لحالات اغتصاب»[3].

وزاد هذا الرقم عام 1980 حسب الاحصاء الذي نشرته صحيفة «دافار» في 30/ 1/ 1981 ليبلغ «545 حالة بزيادة 8,5% عن عام 1979»[4].

---

(1) مجلة الوسط البريطانية، العدد78، تاريخ26/ 7/ 1993، ص33، العنوان «الكويتيون يتابعون مأساة الفتاة اللبنانية امام القضاء».

(2) أبو الحسين، وفيق، الجريمة في اسرائيل، منشورات فلسطين المحتلة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ،1402هـ، 1982م.، ص96.

(3) أبو الحسين، وفيق، الجريمة في اسرائيل، م.س، ص99 ـ 100.

(4) أبو الحسين، وفيق، الجريمة في اسرائيل، م.س، ص73.

وفي عام 1983 ذكرت صحيفة «معاريف» أن «عدد حوادث الاغتصاب خلال الأحد عشر شهراً الأخيرة من عام83 «بلغ» 222 حادثة أي بزيادة 25% بالمقارنة مع الفترة نفسها من العام الماضي»[1].

ومما يزيد الأمر سوءاً أن غالبية جرائم الاعتداء الجنسي كانت تتمّ في» أماكن كان يظن أن حدوثها فيها أمر مستبعد، فقد ذكرت صحيفة هآرتس المستقلة بتاريخ 30/ 1/ 1983 أنه تمّ ارتكاب 7 من الجرائم الجنسية في المؤسسات الدينية، أي المعاهد والمدارس ودور العبادة، والتي من المفروض أن لها اعتبارات دينية وأخلاقية .. وتضيف الصحيفة أن 13 حادث اعتداء جنسي وقع في المؤسسات الصحية التي تشمل المستشفيات العامة والخاصة وعيادات الأطباء والمستوصفات، كما وقع 39 حادثاً جنسياً في المؤسسات العامة كالوزارات ودوائر الحكومة ومؤسساتها.. كما تمّ ارتكاب200 جريمة جنسية في رياض الأطفال .. وحتما القائم هنا بالفعل الجنسي يستغل براءة الأطفال وضَعفهم وعدم تمكنهم من الشكوى ليقوم بجريمته .. وفي المدارس الابتدائية والثانوية ومؤسسات التعليم العالي تمّ تسجيل 77 حادثاً جنسياً .. وحدثت 6 جرائم جنسية في الفروع المصرفية و4 جرائم وقعت في الكراجات، وجريمة جنسية واحدة في زريبة للحيوانات»[2].

2 ـ أسباب انتشار الاغتصاب في فلسطين المحتلة

تتنوع أسباب انتشار الجرائم بوجه عام والجريمة الجنسية بوجه خاص في فلسطين المحتلة، ومن هذه الأسباب ما هو نفسي ومنها ما هو تربوي.

أ ـ أسباب الاغتصاب النفسية: يعتبر المجتمع اليهودي «مجتمعٌ مهاجريٌ معقد» ذلك لأنه مكون من نحو خمس وثمانين مجموعة عرقية مختلفة لم يتم التجانس فيما بينها إلى الآن.

---

(1) مجلة الأرض الفلسطينية، العدد التاسع عشر، تاريخ21/ 6/ 1984، ص26 ،عن معاريف26/ 12/ 1983 ص12.

(2) مباركة محمد، مجلة صوت فلسطين الدمشقية، «الجريمة والعنف والفساد في الكيان الصهيوني خلال عام 1983، آذار 1984، ص 39.

هذا بالإضافة إلى «أن تنمية الإحساس بالتفوق العِرقي العنصري أدى إلى تكوين وبروز ظاهرة العنف في المجتمع الصهيوني، وذلك لأن العنف في التصور الصهيوني يكاد يكون مرادفا لصورة «اليهودي المتفوق»، غير أنه وعلى المدى البعيد أدى إلى خلق إنسان يهودي مريض نفسياً، عصبي وحاقد ليس على الآخرين فقط كما أرادت له الصهيونية، بل على قسم من قومه اليهود أيضاً.

ولعل من أهم العوامل الخارجية، الحروب المتتالية مع العرب وما تركته من نتائج سيئة على تركيبة نفسية الإنسان الصهيوني، إذ لم تستطع بهارج «انتصارات» العدوان الإسرائيلي التغطية على ما خلفته أعداد القتلى والجرحى والمشوهين في الحرب من اضطرابات نفسية في أوساط الجمهور الإسرائيلي، كما أن حالة الحرب الدائمة أو المتوقع وقوعها في أية لحظة، بالإضافة إلى عمليات المقاومة العربية المستمرة داخل حدود الكيان وخارجه، كل هذا خلق جواً قاسياً من القلق والتوتر الدائمَين في نفوس سكان الكيان، وأدى إلى الاضطراب وعدم الاطمئنان وانعدام الشعور بالسلام والأمن، وكل هذه الأجواء القاسية نسفت واقعياً ادعاءات الصهيونية بأن إسرائيل (فلسطين المحتلة) ما أنشئت إلا لتكون حصن الأمان ليهود العالم من الخوف والاضطهاد والعذاب .. وفي المحصلة كانت النتيجة هي اندفاع عدد كبير من الشباب الإسرائيلي بشكل خاص إلى الارتماء في أحضان المخدرات والدعارة واللامبالاة في أحسن الأحوال للتخلص من كابوس الحرب والموت، ومن الإحساس بالضياع والخوف وعدم الاطمئنان»[1].

ب ـ **أسباب الاغتصاب التربوية**: تلعب التربية دوراً هاماً في توجيه الفرد وتحسين سلوكه، وإذا فسدت التربية والتوجيه فسد الفرد، وهذا ما حصل مع الشباب اليهودي في فلسطين المحتلة، حيث يقضي وقته منكباً «على قراءة كتب الجنس والعُري الرخيصة وكتب الجريمة، حتى أنها شكلت القطب الجاذب لثقافة الجيل الجديد، وللدولة دور كبير في ترويج

(1) مجلة الأرض الفلسطينية، العدد التاسع عشر، تاريخ 21/ 6/ 1984، ص23.

هذه الثقافة بالرغم مما يترتب على ذلك من مسلكيات غريبة وشائنة وفاسدة»[1].

3 ـ أنواع الاغتصاب في فلسطين المحتلة

يتحدث المسئولون في فلسطين المحتلة عن عدة أنواع من الاغتصاب انتشرت في الآونة الأخيرة، وأغلبيتها تعود إلى إحساس اليهودي بالعظمة والتفوق الذي جرى الحديث عنه سابقاً، ومن النماذج عن هذه الجرائم التي يرتكبها اليهود في إسرائيل:

أ ـ اغتصاب المجندات: عرفت فلسطين المحتلة اغتصاب المجندات في الجيش من قبل زملائهم في العمل، واتّسم هذا العمل بالوحشية، ووصلت بعض أنباء تصرفات الجنود إلى الصحف، حيث أوردت صحيفة يديعوت احرونوت في 17/ 10/ 1981 ما نصّه: «خمسة جنود إسرائيليين بينهم رقيب أول وعريف مارسوا عملية تعذيب جنديين من وحدة المظلات، قد عصبوا أعينهما وقيّدوا أيديَهما ثم أجبروهما على الركض حفاة عراة، وأخيرا اجبروهما على ممارسة الجنس مع الكلاب»[2].

ونشرت صحيفة هآرتس 14/ 12/ 1981 أن الشرطة اعتقلت «جندياً سفاحاً» بتهمة اغتصابه أربع مجندات في الآونة الأخيرة، وذلك إثر قيامه بمحاولة اغتصاب مجندة خامسة، ولكن هذه قضمت لسانه في محاولتها الدفاع عن نفسها ثم أبلغت الشرطة بذلك.

وقضية العميد «إبراهام بركائي» كانت الشرارة التي فجرت بركان الفضائح الجنسية والشذوذ الجنسي في المؤسسة العسكرية والتي كانت سرية إلى حد ما، وملخص قضية قائد سلاح البحرية «بركائي» هو أنه «حاول الاعتداء واغتصاب مجندة تخدم في سلاح البحرية، وعقب هذه المحاولة نقل من وظيفته إلى أن يتمّ استكمال الإجراءات القانونية بحقه، إذاعة إسرائيل 19/ 11/ 1978، وافتضاح هذه القضية شجع الصحافة الإسرائيلية

(1) ابو الحسين، وفيق، الجريمة في اسرائيل، م. س، ص95.
(2) ابو الحسين، وفيق، الجريمة في اسرائيل، م. س، ص12.

على نقل الفضائح الأخلاقية التي تحدث داخل المؤسسة العسكرية»[1].

وحاول القادة معالجة هذه المشكلة بتزويد المجندات بالسلاح الشخصي للدفاع عن أنفسهن ضد زملائهن، فقد أعلن وزير الدفاع «موشي أرينز» أن «الجيش الإسرائيلي قرر تزويد جميع المجندات برشاشات غاز مسيلة للدموع في الوقت الذي يخرجن فيه للعطلة، وذلك للدفاع عن أنفسهن إزاء عمليات الاغتصاب، وتذكر صحيفة «معاريف» التي ذكرت الخبر السابق أن عضو الكنيست بنحاس جولد شتاين (الليبرالي) سبق أن أبلغ (أرينز) أن هناك حالات كثيرة من اغتصاب الجنديات الإسرائيليات لا يعرف بها الجمهور»[2].

ب ـ **اغتصاب المعتقلات**: يتبع الكيان الصهيوني داخل فلسطين المحتلة سياسة العنف والقسوة ضد كل عدو يمكن أن يقع تحت قبضته، وهو في سبيل تحقيق هذه الغاية تستخدم كل أساليب الوحشية والعنف، وهذا ما يتبعه أيضاً داخل معتقلاته حيث سجلت عمليات اغتصاب للمعتقلات العربيات داخل السجون، حيث «يتم اغتصاب المناضلات بواسطة عصي خشبية غليظة، وهكذا حصل للمناضلتين «رسمية وعائشة عودة»، كما يتم اغتصاب المناضلين المعتقلين بوضع العصي أو الزجاجات الفارغة «في الشُّرج»، إنها أبشع صورة تقدمها إسرائيل للمدنية الصهيونية»[3].

وهذا الأسلوب في الاعتداء على الأعراض اقتبسه عملاء إسرائيل في لبنان في معركتي الكرنتينا وتل الزعتر عامي 1975/ 1976 حيث استخدموا الزجاجات الفارغة في هتك الأعراض وفضّ البكارة، كما سيرد لاحقاً إن شاء الله.

ج ـ **اغتصاب المهاجرات**: حلمت إسرائيل ولا زالت تحلم بأرض الميعاد، وهي في سبيل تحقيق حلمها تحاول تجميع يهود العالم في مكان

---

(1) ابو الحسين، وفيق، الجريمة في اسرائيل، م. س، ص127.

(2) مجلة الأرض الفلسطينية، العدد التاسع عشر، تاريخ 21/ 6/ 1984، ص27.

(3) ابو الحسين، وفيق، الجريمة في إسرائيل، م. س، ص15.

واحد من أجل الوحدة والتفرد عن سائر العالم، ولتحقيق هذه الغاية أصدرالكنيست في 5 حزيران 1950 قانون العودة الذي ينص على:

«ـ 1 ـ يحق لكل يهودي الهجرة إلى إسرائيل، مهما كان وضعه الخُلقي والاجتماعي.

2 ـ كل مهاجر يصبح مواطنا إسرائيليا بمقتضى قانون العودة»[1].

وكان من نتائج هذه الهجرة، إضافة إلى استقطاب المجرمين وأصحاب الماضي السيئ الذين انتقلوا إلى ممارسة جرائمهم داخل فلسطين المحتلة، أن هاجر إليها في السنين الأخيرة أناس كثيرون أملوا في تحسين وضعهم الاجتماعي، وأغلبهم من الشعب الروسي الفقير.

وقد ورد خطاب سري إلى وزارة الخارجية عن حالة 90% من المهاجرات الروسيات داخل فلسطين المحتلة، وهذا الخطاب السري جاء من باتيا كارمون رئيسة قسم التأشيرات بوزارة الخارجية الإسرائيلية إلى ديفيد أفراني مدير قسم التوطين بوزارة الداخلية، قالت :« نرجو بحث حالة المهاجرات الروسيات في القائمة المرفقة حيث لوحظ ورود أسمائهن بملفات الدعارة، وبعد تحقيقات وتحريات سريعة اكتشفت وزارة الداخلية وجود اكبر شبكة لاستقدام المهاجرات الروسيات لإسرائيل وإجبارهن على العمل في بيوت الدعارة بالقوة ... والقضية تكتمل فصولاً، فقد كشفت التحقيقات أيضا مآسٍ كثيرة للمهاجرات اللاتي حضرن لإسرائيل بشهادات رفيعة المستوى ووظائف وخبرات كثيرة فوجدن الذئاب في انتظارهن، طبيبة روسية تحولت إلى «موديل» للرسامين الإسرائيليين في الجامعات وخارجها، وأستاذة في العلوم عمرها 50 سنة استدرجها بعض الشباب لإعطائهم دروساً خصوصية، وفي أثناء الدرس هجموا عليها واغتصبوها وأجبروها على ممارسة الدعارة.

أما المهاجرات السوفيتيات الجدد فتدافعن عن أنفسهن بقولهن: كل الوعود في موسكو تحولت لكذب وخداع في إسرائيل، وتدلل واحدة

---

(1) ابو الحسين، وفيق، الجريمة في اسرائيل، م. س، ص18 عن دافار 17/ 12/ 1980م..

بقولها: «طلبوا مني الهجرة لإسرائيل ووعدوني بالعمل كمربية مقابل مبلغ كبير، وفي إسرائيل اغتصبوني في شقة رجل الأعمال وحولوني إلى مومسة تحت الطلب ... أما معظم المهاجرات اليهوديات في الاتحاد السوفياتي واللاتي وصلن إلى إسرائيل في الثلاث سنوات الأخيرة، فقد تعرض 90% منهن لحوادث اغتصاب جماعية أو فردية، وبعدها تحول 65% منهن للعمل في مجال الدعارة ولو لوقت قصير كل أسبوع»[1].

د ـ اغتصاب النساء للرجال: انتشرت في إسرائيل في السنين الأخيرة ظاهرة اغتصاب النساء للرجال، وقد أُنشئت المراكز لعلاج الرجال الذين تعرضوا للاغتصاب، «وقصة اغتصاب الرجال بدأت في تشرين الأول، اكتوبر1990 وذلك بعدما فشلت أجهزة الأمن الإسرائيلية والحكومة في السيطرة على الظاهرة وأشكالها المتنوعة، ففي هذه الفترة بالذات أُعلن لأول مرة في إسرائيل عن افتتاح مركز العلاج النفساني والمساعدة على التأقلم الاجتماعي، لكن الغريب أن ذلك المركز لم يكن للنساء ولكنه ذكوري، أي لمن تعرض للاغتصاب من الرجال، ولا يوجد فرق في الحالة، أي بمعنى هل كان المغتصِبون رجالاً أم نساء، فالرجل الإسرائيلي حالياً أصبح فريسة للنوعين، وأعلن في تل أبيب عن افتتاح خط تليفوني جديد للاتصالات المباشرة بهدف ترطيب الأجواء للرجل الذي يتعرض لمثل هذه العملية بحيث يشعر على إثرها بالحرج الشديد في رواية ما تعرض له ... ومهمة المركز الرد على الرجل المهان وإرشاده إلى كيفية التصرف وتهدئته نفسانياً بل والقيام بجلسات مصارحة ومكاشفة عن طريق الهاتف، ولكن المشكلة هي تكديس الطلبات، ففي الأشهر الأخيرة من عام92 مثلاً استقبل الخط حوالي 36 قصة لرجال تمّ اغتصابهم، وفي نهاية عام93 استقبل الخط حوالي 100 قصة مشابهة إضافة لمئات الحالات الأخرى التي تكلمت للخط المخصص للنساء المغتصَبات لأنهم لم يسمعوا عن الخط الخاص بالرجال.

---

(1) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد837، تاريخ15/ 8/ 1994، ص34، العنوان: «خطاب سري جداً للخارجية الاسرائيلية، 90% من المهاجرات الروسيات تعرضن للاغتصاب».

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

... ومن حالات الاغتصاب الشهيرة قصة اغتصاب طالب بمدرسة بتل أبيب بواسطة «فتوة» الفصل الدراسي وزملائه.

والأغرب والأعجب هي ظاهرة تعدد حالات الاغتصاب للرجال بواسطة النساء، فمثلا رجل يبلغ من العمر 37 عاماً وهو متزوج منذ 11 عاماً وأب لثلاثة أطفال حكى أنه في وقت متأخر من الليل هاجمته امرأتان تحملان مسدسين وخطفتاه لمبنى قيد الإنشاء، وهناك قيدتاه وتناوبتا على اغتصابه حتى الصباح وبعد أن أغمى عليه تركتاه.

وهناك قصة أخرى لسائق شاحنة يبلغ من العمر 27 عاماً تزوج في عمر17 وطلق زوجته بعد 4 سنوات، ومنذ ذلك الوقت وهو معتاد على التردد على البارات، وفي ليلة سَكِر حتى الثمالة وعندما بدأ يفيق وجد حوله أربع نساء عاريات قيدنه إلى أعمدة الفراش وتناوبن على اغتصابه حتى انهارت قواه ثم رمينه بمنطقة منعزلة»[1].

د ـ الاغتصاب في الحروب:

اغتصاب الفلسطينيين عام 1948 ـ 1956: يتَّبع الكيان الصهيوني قبل دخوله إلى المنطقة التي يهاجمها سياسة بث الخوف والرعب، وذلك من أجل دفع السكان إلى النزوح عن المناطق التي يريد اقتحامها، وكان يتَّبع في ذلك أسلوب نشر الأخبار المخيفة والمرعبة عن فظائع ارتكبها اليهود ضد المدنيين، وسواء أكانت «هذه الأقاصيص صحيحة أو غير صحيحة، فإن ما يهمّ هنا، على الأقل، شيئان:

أولاً: إن الذين «شُرِدوا بعِرضهم» يصدقون هذه الأقاصيص.

ثانياً: إن انتشار هذه الأقاصيص كان يحدث في عدة مناطق قبل دخول الجيش الإسرائيلي مما يجوز عنده طرح السؤال التالي: هل انتشار هذه الأقاصيص كان مجرد صدفة، أم أنه يُعقل أن يكون الأمر مدبراً ومدروساً»[2].

---

(1) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد804، تاريخ27/ 12/ 1993، ص34 ـ 35.

(2) بركات، حليم، النازحون اقتلاع ريفي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة 1968م، ص47.

وقد ذكرت كثير من العائلات أن مفهوم العرض لعب دوراً هاماً في عملية النزوح، «يقول رب عائلة بأنه سمع بأن الإسرائيليين يقتلون الرجال ويعتدون على النساء، ويقول نازح من القدس إنه ترك عندما سأله جندي إسرائيلي عن أعمار بناته «خفت إن يفعلوا شيئا لهن».

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدداً كبيراً من هذه العائلات كانت تروي لنا أقاصيص غريبة عن انتهاكات الأعراض، وقال أحدهم: كانت عائلة في البلد عندنا جالسة إلى العشاء عندما سمعوا طرقاً على النافذة، فتح الرجل الباب فإذا به وجهاً لوجه أمام رجلين مسلحين قال أحدهم: لا تخف، لا تخف، نحن فدائيان.

أدخلهم وقدم لهم العشاء، وفيما هم يأكلون سمعوا طرقاً على النافذة، فإذا هم جنود يهود، وتخبأ الفدائيان وتظاهر الرجل وامرأته أنهما يتعشيان، قال أحد الجنود اليهود: من هذه المرأة؟

قال الزوج: هذه زوجتي.

قال الإسرائيلي: لا هذه زوجتي أنا.

وبعد جدل أخذوا المرأة بقوة السلاح وخرجوا بها إلى الحقل، عند ذلك خرج الفدائيان من مخبئهما وقال أحدهما للزوج الذي أخذ يندب حظه: هل يهمك إذا قتلناهم وقتلناها؟

أجاب الزوج: أبداً، اقتلهم واقتلها.

ولكن الفدائيين لم يضطرا إلى قتلها، فقد زحفا نحو الجنود وتمكنا من قتلهم وأخذ المرأة منهم»[1] وهذه الحادثة التي ورد ذكرها هي واحدة من الحوادث الكثيرة التي امتلأت بها الصحف عن جرائم اليهود ضد النساء إبان الغزو على فلسطين، ومن أبرز الشهود على جرائم اليهود البعثات التي أُرسلت من دول العالم لمساعدة المتضررين من الاعتداءات، فعندما فرّ الناجون من مجزرة دير ياسين إلى قرية سلوان القريبة زارهم في 14 نيسان 1948 «فريق من المحققين البريطانيين يعاونه أحد الأطباء للكشف عليهم

(1) بركات، حليم، النازحون اقتلاع ريفي، م. س، ص46.

واستجوابهم، واجهت المرأة البريطانية التابعة للفريق، وكانت مصحوبة بمترجمة من «الاتحاد النسائي العربي»، صعوبة بالغة في انتزاع اعترافات من النسوة حول كيفية اغتصابهن، لم يكن من الصعب فهم نفور المرأة الفلسطينية من التحدث في مثل هذه الأمور نظراً للموقف الإسلامي في الأمور الجنسية، وعَرقل التحقيق أيضاً كما تقول المحققة البريطانية : حالة النساء الهستيرية التي أدت إلى انهيارهن إبان تسجيل اعترافهن، واستنتج المحققون في تقريرهم أن المهاجمين اليهود، دون أي شك، اقترفوا جرائم جنسية بحق الشابات قبل ذبحهن، وأعمال عنف طالت النساء والعُجَّز»[1].

وكان من أبشع الاعتداءات التي حصلت «حادث اغتصاب امرأة أمام جميع سكان المعسكر ...فقد خرجت المسكينة لقضاء حاجتها فهاجمتها جماعة من الذئاب بينما وقفت فئة أخرى من الجنود مصوبة رشاشاتها إلى مختلف جهات المعسكر لرمي من يجرؤ على التدخل لإنقاذ المرأة»[2].

10 ـ الاغتصاب في لبنان

1 ـ الإحصاءات في لبنان

غابت الإحصاءات الدقيقة عن لبنان بسبب الحرب التي امتدت زهاء خمسة عشر عاماً، لعدم تمكن الأجهزة الأمنية من مراقبة وضبط الأوضاع الأمنية في البلد بسبب سيطرة الأحزاب كل في منطقته حيث كان كل حزب يقوم بمهمة حفظ الأمن داخل المنطقة الواقعة تحت حكمه.

إلا أنه مع ذلك ظلت بعض الشكاوى القليلة تقدّم إلى دوائر الشرطة، وان ظل الأمر مجرد شكوى ولم تحصل بعده أية ملاحقة قانونية أو مقاضاة.

---

(1) بالومبو، ميخائيل، كيف طُرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948، دار الحمراء، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1990م.، ص61.

(2) جامعة الدول العربية، «اعتداءات إسرائيل على قطاع غزة وسيناء في 29 اكتوبر (تشرين الأول) 1956 مارس (آذار) 1957» 1380هـ .، 1960م.، ص104.

وعن واقع الجريمة في لبنان كتب نجاح أبو منصف في صحيفة الأنوار ما نصه:

«إن إحصاءات بعض السنوات (75 ـ 76) شبه مفقودة وإحصاءات السنوات الأخرى غير دقيقة (فقط إحصاءات العام 1974 يمكن الركون إليها) نظراً للحوادث التي أعاقت قوى الأمن وجعلتهم عاجزين عن الوصول إلى أية جريمة تُرتكب، يضاف إلى ذلك عدم قدرة المواطنين أو «استلشاقهم» بالتبليغ عن الجرائم المرتكبة بحقهم، لذلك تعذر الاعتماد على هذه الإحصاءات رغم وجودها لشرح واقع الجريمة في لبنان في سنوات الحرب ومقارنتها بهذا الواقع ما قبل الحرب حيث تحكمت بحجم هذه الإحصاءات عدة عوامل منها:

أ ـ قناعة المواطن أنه لن يصل إلى حقه في تبليغ الشرطة عن الجريمة، فبقدر ما يكون الأمن مضطرباً بقدر ما يمتنع المتضرر عن الشكوى لاعتقاده أنها دون جدوى.

ب ـ اعتبار المواطن أن التبليغ والشكوى يجران عليه المتاعب وضياع الوقت في الملاحقة والمحاكمة ودفع الأموال سدى فيفضل السكوت والاكتفاء بخسارته الأولى.

ج ـ الشعور العام أن الملاحقة لن تحصل وحصولها لن يؤدي إلى نتيجة.

د ـ يتحكم بالأرقام أيضاً عدم قدرة رجال الأمن على القيام بالتحقيقات اللازمة وضبط كافة الجرائم المرتكبة في مختلف المناطق اللبنانية»[1].

وتشير الإحصاءات المحدودة إلى تزايد نسب بعض الجرائم وانخفاض نسب أخرى، نتيجة للحرب اللبنانية وغياب السلطة والقانون خلالها.

---

(1) جريدة الأنوار اللبنانية، تاريخ30/ 11/ 1987، العنوان: «واقع الجريمة في لبنان».

وفي نظرة إلى هذه الإحصاءات تبيّن ما يلي[1]:

	1974	1977	1980	1983	1986
زنى	111	52	27	49	4
لواط وسحاق	88	2	9	24	10
اغتصاب وفضّ بكارة	145	61	29	48	15
خطف وحجز حرية	279	108	164	370	151
خطف بقصد الزواج	161	87	46	32	6
التعرض للآداب العامة/ الحض على الفحشاء	372	69	35	86	20
ممارسة الدعارة	354	56	74	61	4
إجهاض	14	5	1	2	-
سكر ظاهر	502	75	24	98	2
إتجار بالمخدرات	167	95	173	138	181
تعاطي المخدرات	184	118	102	122	115

وتشير هذه الإحصاءات إلى انخفاض نسبة الجرائم الجنسية بالنسبة إلى باقي الجرائم، «في حين يؤكد واقع مجتمعنا ارتفاع نسبة ارتكابها وبصورة خاصة المتعلقة بالآداب العامة والتي تمسّ الشرف، وغالباً ما يتستر المجني عليهم في الإبلاغ عنها كالاغتصاب والزنى واللواط والدعارة»[2].

والتستر على الجريمة الجنسية كان نتيجة لخوف الضحية من المجرم الذي غالباً ما يكون من أفراد الميليشيات والمسلحين الذين كانت لهم القوة والسلطة على الأرض.

إلا انه ما لبثت أن استعادت المؤسسات سلطتها وعادت الإحصاءات

(1) جريدة الأنوار اللبنانية، تاريخ 30 / 11/ 1987، «واقع الجريمة في لبنان».
(2) جريدة الأنوار اللبنانية، تاريخ 30 / 11/ 1987، «واقع الجريمة في لبنان».

من جديد لتشير إلى أرقام مخيفة من جرائم منتشرة في البلد، ويدل انتشارها على خطورة يجب الإسراع في تداركها.

وقد كشفت أرقام «النيابات العامة خلال التسعينيات عن حالات اغتصاب صغار:

«1990	248 قاصرات	411 أطفال ذكور
1991	137 قاصرات	356 أطفال ذكور
1992	239 قاصرات	433 أطفال ذكور»[1].

وتشير هذه الأرقام إلى حقيقة مخيفة، ذلك أن في الاعتداء على الصغار جريمة مزدوجة، فإنه إضافة إلى كون الجريمة جريمة جنسية إلا أنها تحتوي على تدمير جيل بكامله، حين تنغرس في نفسية الطفل: العدوانية من جهة والمعرفة الجنسية من جهة أخرى، مما يؤثر سلباً على مستقبله ومستقبل الأمة ككل.

وتشير آخر الإحصاءات أيضاً إلى ارتفاع كبير لعدد شكاوى الاغتصاب في لبنان، «فقد بينت إحصاءات لوزارة العدل اللبنانية نشرتها في13/ 12/ 1994 أن عدد شكاوى الاغتصاب في لبنان ارتفع ثلاثة أضعاف خلال خمس سنوات، فيما ارتفع عدد شكاوى اغتصاب القاصرين حوالي عشرين ضعفاً، وقد بلغ العدد الإجمالي لشكاوى الاغتصاب 6169 في العام 1994 في مقابل 1786 في العام 1990.

وقد وصل عدد شكاوى اغتصاب القاصرات إلى 2421 في عام1994 في مقابل 127 في العام 1990، وعدد شكاوى اغتصاب القاصرين إلى 612 في مقابل 39 في العام1990، وفي العام 1994 كانت 3136 حالة اغتصاب تتعلق بنساء متزوجات في مقابل 1625 عام 1990»[2].

(1) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد 770، تاريخ 3/ 5/ 1993، ص44.

(2) جريدة الحياة اللندنية، العدد 17623، الصفحة الأخيرة، العنوان: « ارتفاع كبير لعدد شكاوى الاغتصاب في لبنان».

وتعتبر هذه الأرقام مؤشراً كافياً عن حجم الجرائم في لبنان، وسيرد في سياق البحث إن شاء الله ذكر لنماذج عن كل حالة من الحالات التي ورد ذكرها مع بيان أسباب حدوثها ونتائجها.

2 ـ الاغتصاب في الحروب

عانى لبنان من عدة حروب منذ العهد العثماني وإلى الآن، وارتكبت في هذه الحروب كل أنواع الانتهاكات ضد المدنيين والسكان، وسيقتصر الكلام هنا على الانتهاكات الجنسية التي قام بها المحاربون ضد النساء كأداة لإذلال الفريق الآخر ومحاولة تسجيل انتصار عليه.

أ ـ حرب سنة 1860: حدثت في هذه السنة حرب أهلية بين الدروز والموارنة في جبل لبنان، وحدث نزوح كبير من قبل الموارنة الذين قصدوا مناطق أكثر أمناً مثل «صيدا لظنهم بأنها دار أمان، وكانوا يصادفون في أثناء هربهم الموت الأحمر، فان شراذم الدروز ومن كان معهم كانت لهم بالمرصاد تقتل كل رجل تظفر به بغير إشفاق ... ولم يقتصر الحال في التعدي أمام أبواب صيدا وفي بساتينها على الفتك بالرجال والفتيان بل تناول الأطفال والأعراض أيضا وكل أنواع المحارم والعياذ بالله»[1].

إلا أن هذه القصص لا يمكن الركون إليها لأن الكتاب في موضع آخر يشيد بالدروز وبمرؤتهم ويعتبر أن «الله أبقى في صدور الدروز بقية من المرؤة والفضيلة يجب أن نذكرها لهم، هي أنهم كانوا يحافظون على حياة النساء وصيانة أعراضهم محافظة غريبة ويلاطفونهن بالكلام الطيب بعد قتل أحب الناس إليهن على مرأى منهن، واحترام النساء والأعراض عادة في الدروز، أما بقية الذين أعانوهم على الفتك بالنصارى فأتوا كل منكر وكل رذيلة ولم يظهروا ما أظهره الدروز في هذا القبيل»[2].

وتجدر الإشارة إلى أن أغلب من كتب في هذه المجزرة هم النصارى

---

(1) مؤلف مجهول، حسر اللثام عن نكبات الشام، بدون دار نشر، مصر، بدون رقم الطبعة، 1895هـ.، ص203.

(2) مؤلف مجهول، حسر اللثام عن نكبات الشام، م.س، ص216.

الذين أرادوا بكتاباتهم تسوئ سمعة الأتراك والدولة العثمانية التي اتهمت بالمشاركة في دعم الدروز ضد الموارنة، لذلك غالباً ما كانوا يكررون قول عبارة: «إنه لأفضل لنا أن ينهبنا الدروز من أن يحمينا الأتراك»[1].

ب ـ الحرب الأهلية 1975 ـ 1990: حدث في هذه الحرب من الويلات والمخاوف على مدى خمسة عشر سنة ما جعل آثارهذه الحرب، وذكراها مطبوعة في ذهن كل لبناني عاش مراحلها أو بعض هذه المراحل.

وقد سجل بعض الصحفيين والكتّاب الذين عاشوا هذه الحرب ذكرياتهم ونقلوا وقائعها ذاكرين أدق التفاصيل التي عاشوها.

وقد احتوت بعض هذه الكتب على تفاصيل فظائع وجرائم ارتكبت في هذه الحرب ومنها القتل والسرقة وانتهاك الأعراض، إلا أن هناك بعض المجازر التي اتسمت بالعنف والقسوة لدرجة أنها بقيت وصمة عار في جبين من قام بها وارتكبها ،و من هذه المجازر مجزرة تل الزعتر،و مجزرة صبرا وشاتيلا.

مجزرة تل الزعتر: دام حصار الفلسطينيين في مخيم تل الزعتر من قبل قوات حزب الكتائب وحلفائها مدة تزيد عن السبعة أشهر من8/ 1/ 1976 إلى 12/ 8/ 1976. وقد تم منع الطعام والماء والمؤونة عن الناس مع استمرار القتال حول المخيم والقصف على داخله، وذكر كثير من السكان أنهم كانوا يقتاتون العدس، بل ويصنعون منه الخبز، وشهدت الصور التي أخذت للناجين منهم على حجم المجاعة التي عانى منها هؤلاء.

إلا أن أكبر الجرائم والمجازر ارتكبت أثناء خروج الفلسطينيين من المخيم بعد توقيع الاتفاق على ذلك، فلقد قام الكتائبيون آنذاك بقتل الشباب والشيوخ والأطفال مع انتهاك لأعراض النساء، وقد روت بعض الناجيات محاولة الكتائبيين الاعتداء عليهن فتقول إحداهن :« أخذ مني بناتي الاثنتين بعد أن هددني وذلك ليعتدي عليهن، فعرضت عليهم كل ما عندي من مال وذهبت للمسؤول، قبّلت رجله وقلت له: كل شيء إلا

---

(1) حتي، فيليب، لبنان في التاريخ، ترجمة أنيس فريحة، مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، نيويورك، بدون رقم الطبعة، 1959م.، ص527.

الكرامة[1]، بعد أن كان قد عرى بناتي أمام عيني تماماً، قلت له: لماذا تفعل هذا؟ يكون ما عندك ضمير إذا ما بترشنا نحن العشرة، أتى أحدهم وقال له: اتركها»[2].

وتحكي أخرى فتقول: «نزلت عن طريق الدكوانة أنا وإخوتي الصغار وقد تأبطوا بي وهم يصرخون ذعراً وخوفاً لشدة ما شاهدوا من قتلى على الطريق، وكانوا لا يفرقون بين طفل وشاب، بين امرأة ورجل، لقد زرعوا كل حقدهم بالأهالي الأبرياء. بينما أنا على هذه الحال إذا بواحد منهم ينادي بأن اقترب منه، لم أجبه لأنني عرفت ما هو مصير فتاة تقع بين أيديهم، ولكنه اقترب مني وحاول أن يأخذني بالقوة وإخوتي الضعفاء يصرخون من حولي، ولكني بقيت جامدة في مكاني وهو يقول لي بأنك كنت تقاتلين بالمخيم، لم أنكر، قلت له بأنني كنت أداوي الجرحى لا أكثر، وبكل وحشية ضربني على رأسي وبمكان الجرح الذي أصبت به، التفت إلى يميني لأجد منظراً أشد هولاً، لقد كانت امرأة في سن الأربعين تحمل بيدها قناني[3] وكل قنينة تقتل بها واحداً بريئاً ترديه قتيلاً على الأرض ...»[4].

وكان من نتائج الحصار الذي عانى منه الفلسطينيون أن قاموا بشن هجوم مضاد على الدامور، وقاموا باعتداءات وحشية ضد المدنيين، ومما ذكر من أفعالهم انهم «أعدموا الكتائبيين العشرين وأوقفوا المدنيين صفوفاً أمام جدران بيوتهم وأمطروهم برصاص الرشاشات ثم نسفوا بيوتهم بالديناميت، وبقيت تسع وأربعون جثة مطروحة أياماً في الطرقات، وكانت

---

(1) لا بد من الاشارة إلى أن خوف المرأة من الإفصاح عن عملية الاغتصاب قد يدفعها إلى نفي وقوعه، وقد تكذب احياناً وتقول أنها لم تغتصب وذلك خوف العار.

(2) الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، تل الزعتر الشهيد والشاهد، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، 1977م.، ص81.

(3) استعمل الكتائبيون القناني لأهداف اخرى ،أذكر من هذه الأهداف قصة حصلت مع فتاة فلسطينية كانت تعمل خادمة عند بعض الأقارب، ومما قالته أن الكتائبيين قاموا بفض بكارة الفتيات بواسطة زجاجات المرطبات.

(4) الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية، تل الزعتر الشهيد والشاهد، م.س، ص58.

تحمل شواهد واضحة على أن الذين قاموا بالقتل هم الفلسطينيون، واغتصبت نساء كثيرات وقتل الأطفال بإطلاق الرصاص خلف رؤوسهم، أما من بقي من المدنيين وعددهم مائتان فقد تواروا عن الأنظار، وكان بين القتلى أسرة من آل حبيقة فيها فتاة قيل أن شاباً يدعى إيلي سيخطِبها، وسوف يتردد اسم إيلي فيما بعد»[1].

وليس هذا الشاب سوى إيلي حبيقة قائد القوات اللبنانية الذي انتقاماً لخطيبته قام بمجازر صبرا وشاتيلا، وهذا الأمر اعترفت به اليهود أنفسهم عبر البلاغات السرية التي كانوا يصدرونها في فلسطين المحتلة (تل أبيب) إذ كشفت هذه التقارير «النقاب عن اسم قائد كتائبي كان في شاتيلا وهو «إيلي حبيقة»[2].

مجازر صبرا وشاتيلا: وقعت مجازر صبرا وشاتيلا بعد دخول الجيش الإسرائيلي إلى لبنان عام 1982، «وقد خطط لهذه المجزرة من قبل الجيش الكتائبي والجيش الإسرائيلي، فقد كتبت صحيفة «بماهانه» الأسبوعية الناطقة الرسمية باسم الجيش الإسرائيلي بتاريخ أول أيلول (أي قبل أسبوعين من مجازر صبرا وشاتيلا) ما يلي: لقد سمع ضابط كبير إسرائيلي من فم ضابط كتائبي العبارة التالية: إن السؤال الذي نطرحه على أنفسنا هو بأي شيء نبدأ بالاغتصاب أم بالقتل(...).

ولو كان لدى الفلسطينيين شيء من العقل، لكان عليهم أن يحاولوا مغادرة بيروت، وأنتم ليست لديكم فكرة عن المذبحة التي ستصيب الفلسطينيين، مدنيين وإرهابيين، الذين سيبقون في المدينة، ومحاولتهم في الذوبان في السكان لا جدوى منها، وإن سيوف وبنادق المقاتلين المسيحيين ستطاردهم في كل مكان، وتبيدهم مرة أخرى ونهائياً»[3].

---

(1) فيسك، روبرت ،ويلات وطن، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م.، ص138.

(2) فيسك، روبرت ،ويلات وطن ،م.س، ص475.

(3) كابليوك، أمنيون، تحقيق في مجزرة، الدار التقدمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، ايلول 1987م.، ص53.

وقد جرى اغتصاب النساء في كل من صبرا وشاتيلا «وعرين إثر ذلك من ملابسهن، ووضعت أجسادهن بشكل صليب، وكانت إحدى البنات اللواتي جرى ذبحهن، من عائلة مقداد[1]، وهي في السابعة من عمرها»[2].

وفي مستشفى عكا كان هناك «ممرضة فلسطينية في التاسعة عشرة من عمرها وتدعى انتصار إسماعيل جرى اغتصابها عشر مرات من قبل رجال ذوي لهجة جنوبية ظاهرة، وهم من أعضاء قوات سعد حداد، وإن جسدها لفرط تشويهه والتقطيع به، لم يمكن التعرف إلى صاحبته لولا خاتمها الذي ساعد في تحديد هويتها، إن صحة هذا الحادث قد أكدته زميلة لبنانية للضحية»[3].

(1) عائلة شيعية لبنانية.

(2) كابليوك، أمنيون، تحقيق في مجزرة، م. س، ص60.

(3) كابليوك، أمنيون، تحقيق في مجزرة، م. س، ص77.

الباب الثاني

العوامل المؤثرة
في انتشار جريمة الاغتصاب

الفصل الأول

العوامل الفكرية المؤثرة في جريمة الإغتصاب

تمهيد

دور اليهود في نشر الفساد

تُشن على المسلمين في كافة أنحاء العالم غزوات على عدة جبهات، ومن هذه الجبهات جبهة الغزو الفكري والغزو الثقافي، ومن أهم أساليب هذا الغزو إشعار المسلمين بتفوق الغرب عليهم، وأنه لا بد لهم من تتبع خطوات الغرب لكي يلحقوا بركب التطور الحضاري وإلاّ أطلق عليهم لقب التخلف والرجعية، وكان اليهود أول من رفعوا هذه الشعارات وجنّدوا النصارى لخدمة مآربهم عن طريق نشر الفساد والإباحية بينهم، وإباحة المنكرات التي حاربتها الكنيسة المسيحية.

والواقع أن حرب اليهود ضد المسلمين ذات جذور قديمة تمتد الى زمن الرسولﷺ حيث سعوا منذ ذلك الوقت إلى محاولة تدمير مقومات هذه الرسالة عن طريق بثّ السموم والمغالطات والإشاعات في أنكار المسلمين عن عقائدهم، وعمدوا من أجل تنفيذ مآربهم إلى وضع برامج وخطط تنفيذية عقدوا لأجلها المؤتمرات السرية التي أصدروا فيها القرارات التي اعتبروها بمثابة تشريع لهم عمدوا إلى تنفيذ بنوده بنداً بنداً، وآخر هذه

المقررات التي يعملون على تنفيذها في العصر الحالي هي التي عرفت ببروتوكولات حكماء صهيون.

1 ـ بروتوكولات حكماء صهيون وأهدافها

وضع اليهود نصوص بروتوكولات حكماء صهيون قبل عام 1897م، أي منذ مائة عام. وتعرّف هذه البروتوكولات بأنها «هي المخطط الذي وضعه رجال المال والاقتصاد اليهود لتخريب المسيحية والبابوية، ثم الإسلام»[1].

والصهيونية التي سميت كذلك نسبة إلى «جبل صهيون في جنوب بيت المقدس ... هي حركة دينية سياسية عنصرية لا أخلاقية، حرصت حين التأسيس على تسمية لها وزنها ووقعها عبر تاريخ بني إسرائيل حيث أن العهد القديم قد صرح بأن صهيون سوف يكون لها مستقبل تزهو به على سائر البلدان المجاورة وسوف يكون ملكها عالمياً وسيثبت ملكه إلى الأبد»[2].

وصارت كلمة صهيون مع الزمن «معناها الحكومة اليهودية الدينية»[3].

أما المعنى المقصود ببروتوكولات حكماء صهيون فهو «الصيغة التي دونت بها مقررات العصابة المعروفة «بالحكماء»[4]، ولذلك يصح أن نقول أيضاً «مقررات» بدلاً من بروتوكولات في جميع اللغات الأجنبية التي تبحث مسائل اليهود، فأصبحت المتابعة أولى»[5].

---

(1) نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، نصوصها وجذورها واصولها التلمودية، دار الاستقلال للدراسات والنشر، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1990م.، ص30.

(2) شامة، محمد، عقائد وتيارات فكرية معاصرة، دار قطري بن فجاءة، الدوحة . قطر، الطبعة الاولى ،1413هـ.، 1993م.، ص76.

(3) نويهض، عجاج، بوتوكولات حكماء صهيون، م. س، ص 6.

(4) لفظة الحكماء هنا بمعنى الشيوخ اصحاب القرار من الناحية الدينية اليهودية.

(5) نويهض ،عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، م. س، ص4.

2 ـ أهداف اليهود كما وردت في البروتوكولات

حدّد اليهود في بروتوكولاتهم الأهداف التي يرمون لتحقيقها، وهذه الأهداف هي: السيطرة على العالم والتفرد بالحكم، ذلك أنهم اعتبروا أن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار، وأن غير اليهود هم أقل من اليهود إنسانية وأطلقوا عليهم تسمية «الغوييم». وقد أوردت هذه البروتوكولات السبل التي يجب على الحكام إتباعها للسيطرة على شعوب الغوييم، وهي تتلخص في تشكيك الناس في دياناتهم عن طريق بث الأفكار المغايرة المشكّكة بعقائدهم، ثم إلهاءهم بعد تشبعهم بهذه الأفكار عن هذه الديانات بالملاهي والملذات المادية.

الهدف الأول: التشكيك بالدين، وبث الأفكار المغايرة: ينص البروتوكول الرابع على ضرورة سلب الإيمان بالله من القلوب لأنه «إذا ساد الإيمان بالله فيمكن أن يحكم الشعب، بأن تقسم الأرض إلى أقاليم وعلى كل إقليم راعيه الوصي، فيسير الشعب راضياً قنوعاً تحت إرشاد الراعي الوصي إلى ما فيه مشيئة الله على الأرض، وهذا هو السبب في انه من المحتم علينا أن ننسف الدين كله، لنمزق من أذهان الغوييم المبدأ القائل بأن هناك إلهاً رباً وروحاً، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية. ولكي لا نعطي الغوييم وقتاً للتفكير والروية، فيجب تحويل أذهانهم إلى الصناعة والتجارة»[1].

ولم يكتف اليهود بتحطيم المبادئ الدينية بل عمدوا إلى إبدالها بأفكار ومذاهب فكرية تساهم في نشر أفكارهم الهدامة، لذلك غالباً ما نجدهم يسخرون من المفكرين الذين يتّبعون علماء اليهود دون أن يشعروا، فقد جاء في البروتوكول الثاني:

«أما أهل الفكر منهم فينفخون إزدهاء بما لهم من حظ المعرفة، ونراهم، وهم غُفْلٌ عن الاستعانة بوضع التجربة على محك المنطق، يندفعون إلى وضع نظرياتهم موضع العمل، ولكن ما هو في نظرهم علم ومعرفة إن هو في الواقع إلا ما عني الاختصاصيون بتصنيفه لهم بحذق

---

(1) نويهض ،عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، م. س، ص201.

ومهارة، وهيئ هذا كله لتنّور أذهانهم به على الاتجاه الذي نريد إياكم أن تعتقدوا، ولو للحظة واحدة، إن ما أقول هو من الكلام القليل الجدوى: فما عليكم إلا أن تتفكروا في ما صنعنا لإنجاح النظرية الداروينية والماركسية والنيتشية. أما نحن اليهود، فما علينا إلا أن نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من أثر خطير في التلبيس على أفكار الغوييم في هذا المجال»[1].

الهدف الثاني: الإلهاء بالملاهي والملذات المادية: سخِر اليهود من الشعوب وعمدوا إلى إلهائها بالملذات الدنيوية من خمور وإباحية واختلاط بين الجنسين وغير ذلك، ورفعوا لذلك شعارات زائفة مثل الحرية وقمع الكبت وغير ذلك من الشعارات والدعاوى المشابهة، وسخّروا لبث أفكارهم جماعات استغلوها واستغلوا نقاط ضعفها المتنوعة. وقد جاء في بروتوكولهم الأول أن «الظفر الذي بلغناه، قد جاء أيسر وأهون لأننا في تعاملنا مع الناس الذين احتجنا إليهم، كنّا دائماً نضرب على أدق الأوتار حساسية في ذهن الإنسان، ومن جملة ذلك الدفع نقداً واستغلال النهمة نحو المال والشره إلى الحاجات المادية للإفساد، وكل واحدة من هذه النقائص الإنسانية إذا عملت وحدها كانت كافية لتشل الفرد كله، وتجعل قوة إرادته مطاوعة ملبية مستجيبة للذي اشترى منه العمل»[2].

ولكي يستمر اليهود بمخططهم التدميري سعوا إلى إنشاء المحافل السرية التي أعطوها طابعاً مغايراً لواقعه، مثل الماسونية وما يتبعها من الأندية والمؤسسات.

3 ـ الماسونية

تكمن أهمية الحركة الماسونية التي أنشأها اليهود أنه في اجتماعاتها ومؤتمراتها تتمّ دراسة واعتماد المقررات الهامة المناسبة لبقاء واستمرار حيوية وسيطرة الشعب اليهودي، وإلى أحد هذه المؤتمرات يعود الفضل في

---

(1) نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، م.س، ص190.

(2) ابو اسلام، احمد عبد الله، الماسونية في المنطقة 245، بدون دار نشر، القاهرة . مصر، الطبعة الخامسة 1413هـ، 1992م.، ص61.

وجود «بروتوكولات حكماء صهيون» التي ورد ذكرها سابقاً.

وهذا المؤتمر هو «مؤتمر بال» بسويسرا الذي عقد عام 1897م، وفي هذا المؤتمر «اتخذت قرارات عديدة علنية وسرية، أما العلنية فخلاصتها تأسيس دولة لليهود على أرض فلسطين، وإنعاش الثقافة العبرية ولغتها، وتنمية الموارد المالية لليهود، واستغلال رؤوس الأموال من إدارة وظيفتها المثلى، لخدمة الصهيونية العالمية في صورة جديدة من أوجه الماسونية، الذي ابتدعه الصحفي النمساوي «تيودور هيرتسل» ...

أما المقررات السرية، فاتفق الباحثون على أنها ما عرف «بمقررات حكماء صهيون» «أو «بروتوكولات حكماء صهيون» التي بقيت في حيِّز الكتمان، حتى شاء الله أن تسربت نسخة منها ـ كالتي كان يحملها «حيرام» لسيده «هيرودس» ـ إلى مراسل جريدة «المورننج بوست» اللندنية، التي كانت تصدر في روسيا في أوائل القرن العشرين، وقام بترجمتها المراسل نفسه إلى اللغة الإنكليزية قبل نشرها في كتاب صغير، لاقى اهتماماً ورواجاً لا نظير لهما حينذاك»[1].

وعلى الرغم من افتضاح أمر الماسونية فإن الانتماء إلى محافلها لا زال يتمّ بشكلٍ كثيف، وقد عزا اليهود حافز انتماء أفراد الغوييم إلى المحافل إلى «عادة حب الاستطلاع ودافع الفضول، أو أملاً في أن يتناتشوا من المجتمع لقيمات من حب الظهور، وفصيل غالب منهم أمنيته أن يقف فيتكلم في الجمهور ليستمعوا إليه، وهذا ليس عنده إلا ترهات، فهؤلاء جميعاً متعطشون إلى أن يستمتعوا بلذة القول إنهم نجحوا واستحسان الناس ما قالوا ونحن في هذا على غاية الجود والكرم. والسبب الذي من أجله إننا نمنّ عليهم بهذا النجاح والاستحسان هو أن نسخِّرهم ونستغلّهم من ناحية غرورهم المُطبق، وهذا كله ما يحملهم على أن يهضموا بلا شعور آراءنا وأفكارنا، ويقتبسوها دون أن ينتبهوا إلى أن ذلك هدفنا»[2].

---

(1) نويهض ،عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، م.س، ص188.

(2) نويهض ،عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون ،البروتوكول الخامس عشر م.س، ص249.

ومما لم يرد ذكره في هذا البروتوكول أسلوب آخر يعمد إليه اليهود في ضمان ولاء الناس الذين ينضمون إليهم وهو أسلوب الخديعة، «فبعد أن ينضموا إليهم يمهدون لهم بالمغريات حتى يقعوا في كثير من الأخطاء، ثم يسجلون عليهم أخطاءهم، ويطلعونهم عليها فيضمنون بذلك ولاءهم وتحقيقهم لمآربهم»[1].

أندية الروتاري والليونز: اعتمد اليهود في نشر أفكارهم كما ورد سابقاً على استغلال الجشع والطمع وحب الجاه في نفوس أتباعهم، ولعل حب الجاه والظهور هو أكثر هذه النقاط أهمية عند من ينتمي إلى أنديتهم، لأن غالبية هؤلاء من الأغنياء الذين لا ينقصهم إلا الشهرة والجاه، لذلك أسس اليهود لهم الأندية لإشباع حاجاتهم، ومن هذه الأندية أندية الروتاري، وقد عرّف اليهود أنفسهم الروتارية والليونزية بقولهم، «هم بعض كبار الموظفين والصناعيين والفنيين والتجار، ومن لفّ لفّهم، يتصل بعضهم ببعض في اجتماعات عادية ولقاءات شخصية على الغذاء أو العشاء، يتم خلالها التعارف بين الأخوان القدامى والجدد الذين يتفهمون ويحلّون قضاياهم ومشاكلهم»[2].

أما حقيقة عملهم فقد كتب عنه أحمد شلبي أستاذ التاريخ الإسلامي في جامعة القاهرة، فقال: «لم يكتف اليهود بالماسونية السرية، رغم أنها تتشكل في البلدان بأشكال مختلفة، تبعاً لطبائع كل بلد ونظمه، بل أقاموا هيئة أخرى علنية منفصلة عنها تؤدي بعض مهامها تحت ستار الإخاء الإنساني أيضاً و سمّوها «أندية الروتاري» (...) الغرض الظاهري منها النظر في الشئون الاجتماعية والاقتصادية، والعمل على التقارب بين أتباع الأديان المختلفة والبلدان المتعددة.

أما الغرض الحقيقي فهو أن يمتزج اليهود بالشعوب الأخرى بإسم

---

(1) نصر، محمد ابراهيم، الاعلام واثره في نشر القيم الاسلامية وحمايتها، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض . المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى، 1398هـ .، 1978م.، ص29.

(2) حماده، حسين عمر، شهادات ماسونية، دار قتيبة، دمشق . سورية، الطبعة الثانية، 1403هـ .، 1983م.،

الإخاء والود، ثم يحاول اليهود عن هذا الطريق أن يصلوا إلى جمع المعلومات التي تساندهم في تحقيق أغراضهم الاقتصادية والصناعية والسياسية ... وهناك أفراد ينتسبون إلى هذه المؤسسات ولا يعرفون أسرارها بل يدافعون عنها لأنها لا تكشف لهم، ولكنها تنتفع بهم من حيث لا يشعرون، فهم قمم فكرية أو شخصيات معروفة غير متهمة وعن طريقها يدخل الأغرار من الناس هذه المؤسسات ويساء استعمالها»[1].

4 ـ دور النصارى في مساندة اليهود

استغل اليهود في نشرهم لمبادئهم الضعف الذي كانت تمر به الكنيسة ومحاربتها للعلم، والقهر والإذلال اللذان كانت تفرضهما على المرأة بشكل عام، إضافة إلى دعوتها إلى كبت الغرائز الجنسية وعدم السعي إلى إشباعها، وكان من أبرز المآخذ التي استغلها اليهود في حربهم ضد الكنيسة ما يلي:

ـ « 1 ـ قهر الكنيسة للغرائز الطبيعية في الإنسان ودعوتها إلى استقذار العمل الجنسي وإنه يحبط الجهود الزوجية، واعتبار المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور.

2 ـ اصطدام العلم بالكنيسة وخرافاتها، حيث كانت وهي في قمة هيمنتها على الحياة تستذل الجماهير وتعمل على تسخيرهم ماديا وقهرهم فكريا، وتعرض على المجتمع المسيحي أفكاراً معينة يجب على الجميع أن يؤمن بها وهو مغمض العينين، ثم ظهور مهزلة صكوك الغفران»[2].

ومن المآخذ التي كان لها دورها الفعّال في القضاء على سيطرة الكنيسة التناقض بين تعاليم النصرانية التي كانت تمثلها وبين التطبيقات العملية لهذه التعاليم، فالفساد الأخلاقي كان منتشراً في المجتمع النصراني

---

(1) أبو إسلام، عبدالله، الماسونية في المنطقة 245، م. س، ص172 ـ 173.

(2) واصل، عبد الرحمن، مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت اضواء الشريعة الاسلامية، دار الشروق، جدة . المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى، 1401هـ .، 1981م.، ص28 ـ 29.

قبل الثورة الفرنسية إلا أنه كان يتم في الخفاء، فرغم «تشدد الدين المسيحي - في تعاليم الإنجيل - إزاء البغايا والبغاء، فإن تسامحه «العملي» مع العاهرات، كان أمراً لافتاً للنظر، كقول السيد المسيح أن يمسح «بالزيت» ويتطيب بالطيب على يدي امرأة عاهرة، وكالدفاع عن عاهرة حينما تجمّع الناس حولها يبغون رجمها بالحجارة، كما كان شائعاً في تلك الأيام.

هذه النظرة المتسامحة من قبل السيد المسيح نفسه، دفعت الكثيرات إلى الالتحاق بالمعابد اعتقاداً أن البغاء هو أهون الشرّين، وأنه يجنب المجتمع الفاضل والنساء الفاضلات الوقوع في أحابيل الرذيلة والفسوق، وسرعان ما استمرأت الدول الأوروبية - هذا التعليل - مدنية إثر مدنية...»[1].

ولا بد أيضاً من الإشارة إلى أن اليهود في حربهم ضد الكنيسة حاولوا إقناع المجتمع الغربي بدور الكنيسة الأساسي في نشأة الجرائم وذلك نتيجة الكبت التي كانت تفرضه على أتباعها، وأن لا سبيل للتقليل من العنف والقضاء على الجرائم إلا بالانفتاح والحرية، وقد اثبت مرور الزمن فشل هذه النظرية ومبادئها، إذ أن كثيراً «من الجرائم في المجتمع الغربي الحديث لا تنشأ من الكبت، وخاصة بعد أن انحلت القيود ولم يعد هناك رقيب من المجتمع ولا من داخل النفس يحرم النشاط الجنسي، وهو مبعث الجريمة كلها في نظر فرويد وكثير غيره من المحللين، وإنما تنشأ الجريمة في هذا المجتمع المنحلّ من المبالغة في الإباحية ونزع القيود، لأن هذا يؤدي إلى إغراء كل فرد «بتحقيق ذاتيته» على أوسع نطاق فتتضارب المطالب وتصطدم الرغبات، وتحدث الجريمة»[2].

---

(1) خياط، سلام، البغاء عبر العصور، رياض الريّس للكتب والنشر، لندن، الطبعة الاولى، أيار1992م.، ص68.

(2) قطب، محمد، الانسان بين المادية والاسلام، دار الشروق، بيروت . لبنان، الطبعة الحاديةعشر، 1413هـ، 1993م.، ص144.

المبحث الأول
انتشار المذاهب الفكرية المعاصرة

يعتبر العصر الحالي عصر علم وتكنولوجيا، وقد أدّت الاكتشافات العلمية الحديثة إلى إلحاد كثير من الناس الذين جعلوا العلم مكان الدين والإيمان وحاولوا تفسير كل الحقائق الكونية على أساس علمي ومن هنا نشأت المذاهب الفكرية المتعددة والمتضاربة في كثير من الأحيان، ولا بد في البداية من تقسيم هذه المذاهب إلى تيارين أساسيين: التيار الرأسمالي والتيار الشيوعي، وقد بقي هذان التياران في حال صراع وتناقض منذ نشأة التيار الشيوعي إلى العصر الحالي.

1 ـ التيار الرأسمالي

اعتمد التيار الرأسمالي في البداية على نبذ سيطرة الدين عملاً بالمبدأ القائل: «دع ما لله لله وما لقيصر لقيصر»، ومبدأ فصل الدين عن الدولة واعتبار أن الناس هم أقدر على حكم أنفسهم وسن القوانين التي تتناسب مع مقتضيات التطور العصري، ومن هنا فإن «المبدأ الرئيسي للديمقراطية الجديدة أن الناس بيد أنفسهم حكمهم وتشريعهم، وإلى أنفسهم كل التصرف في القوانين، يضعونها كما يشاءون ويستبدلونها حسب ما يرضون إذا كرهوا منها شيئاً»[1].

وقد تناسى هؤلاء الداعون إلى سنّ القوانين اختلاف الآراء بين الناس، إذ أن لكل شخص وجهة نظره الخاصة والمغايرة للشخص الآخر، كما أن لكل بلد واقعه الخاص المستمد من تاريخه وبيئته ومجتمعه الذي يختلف عن غيره من البلدان.

لذلك كان من الطبيعي أن يحصل الصراع والتناقض الفكري الذي حصل بعد الثورة الفرنسية الكبرى، إذ اشتدَّ الصراع بين المذاهب الفكرية

---

(1) المودودي، ابو الأعلى، الحجاب، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، بدون رقم طبعة، 1400هـ .، 1980م.، ص72.

المتناقضة وتضاربت القوانين وأصبح لكل بلد قانونه الخاص المختلف عن القوانين الأخرى.

ويمكن حصر أهم الأضرار التي خلفتها الثورة الصناعية وقيام الرأسمالية الغربية بما يلي:

« 1 ـ استعماراً لبلاد آمنة مطمئنة وحرمانها من ثروتها الطبيعية وبخس المجهود البشري لأبنائها المواطنين فيها.

2 ـ وإرهاقاً لعمال في المصانع حرموا نعمة الاقتناء بعد حرمانهم من نعمة التعلم، كما حرموا يسر العيش ومتعة الحياة الإنسانية.

3 ـ وتكديساً بين أيدي قلة من الأفراد لثروات لا تنتهي هي في واقع الأمر اغتصاب لما تملكه الملايين الأخرى من أموال وطاقات ...

4 ـ وتمكناً من سلطة الحكم في المجتمع وفي توجيه سياسته لضمان بقاء العامل في وضعه الاجتماعي»[1].

وقد عمد هؤلاء الذين تولوا سلطة الحكم في المجتمع إلى إلهاء الشعب بأمور مادية دنيوية لكي يستمروا في إحكام السيطرة على الموارد التي وضعوا يدهم عليها، واستعانوا في سبيل تنفيذ مآربهم بالمفكرين الذين أخذوا بوضع النظريات الفكرية الفلسفية التي تساعد على مضاعفة إرهاق الناس وعدم لجوئهم إلى الرفض والاحتجاج، وقد تحولت عدة نظريات من هذه النظريات مع الزمن إلى مذاهب قائمة ومنتشرة لها أتباعها في العديد من أنحاء العالم، ومن هذه المذاهب:

أ ـ المذهب الوجودي

يعتبر جان بول سارتر قائد هذا المذهب الذي دعا الشباب إلى إشباع الشهوات والابتعاد عن تكوين أسرة والتحرر من القيود الأخلاقية. ومن معتقدات الوجودية : «أن الإنسان يكون نفسه مستقلاً عن الدين والتقاليد

(1) البهي، محمد، تهافت الفكر المادي التاريخي بين النظرية والتطبيق، مكتبة وهبة، القاهرة . مصر، الطبعة الثالثة، 1395هـ، 1975م.، ص22 ـ 23.

والمجتمع، وأن الزواج نظام عتيق، وأن الطلاق لا يبقى بإرادة الزوج فضلاً عن إنكارها[1] قوامة الرجل، ودعوتها إلى حرية الصداقة وإسقاط الدين كله من حياة الإنسان، وإذا قيل أن الوجودية تحمل مفهوم الحرية فإنما هي الحرية بمفهوم تحرير الإنسان من مسئوليته وإطلاق أهوائه إلى أبعد مدى»[2].

وكان من نتائج الدعوة إلى إسقاط سيطرة الدين عن حياة الإنسان أن انتشر الإلحاد بين الناس وأخذ الناس يدعون إلى الأخذ بمبدأ العلمانية، والعلمانية secularism كما عرفتها دائرة المعارف البريطانية «هي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف توجه الناس عن الإهتمام بالآخرة إلى الإهتمام بهذه الدنيا وحدها، وذلك أنه كان لدى الناس في العصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا والتأمل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الـ secularism العلمانية تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية، حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية البشرية وبإمكانية تحقيق مطامحهم في هذه الدنيا القريبة، وظل الاتجاه إلى العلمانية يتطور باستمرار خلال التاريخ الحديث كله، باعتبارها حركة مضادة للدين ومضادة للمسيحية»[3].

ب ـ المذهب الرومنطيقي

ترافق وجود المذهب الوجودي مع مذهب آخر هو المذهب الرومنطيقي وكانت رئيسته هي جورج صاند George sand خليلة سارتر وعشيقته، وقد «بدأت بنفسها بالخروج على جميع المبادئ الخُلُقِية التي ما زال عليها مدار الكرامة الإنسانية وعفاف المرأة على الأخص منذ الأزل، إذ اتخذت الأخدان على كونها متزوجة من رجل حتى آل الأمر بينها وبين زوجها إلى الفرقة، وغدت بعد ذلك تستبدل زوجاً بزوج ولم تعاشر أحداً

---

(1) انكار الوجودية.

(2) غزال، مصطفى، فوزي أفول شمس الحضارة الغربية، من نافذة الاباحية، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الثانية، 1408هـ، 1988م.، ص42 ـ 43. نقلا عن انور الجندي، المجتمع، 260/ 22.

(3) شامة، محمد، عقائد وتيارات فكرية معاصرة ،م. س، ص250.

منهم أكثر من عامين، ويجد القارئ في ترجمة حياتها أسماء ستة أشخاص على الأقل كانت تخادنهم»[1].

وقد نَقَلت مبادئها في أحد كتبها على لسان إحدى بطلاتها حيث تخاطب ليليا أستينو بقولها: «كلما أستزيد في النظر في هذه الدنيا وأتقدم في تجاربها، أستشعر بمدى الخطأ البعيد في أفكار شبيبتنا، فما أخطأ الفكرة القائلة يا صديقي بأن الحب يجب أن يكون مقصوراً على حبيب واحد، ثم يكون ذلك الحب المحدود مستولياً على القلب نافذاً منها إلى الصميم ويجب أن يكون أبدياً وسرمدياً، لا ريب أنه ينبغي للمرء أن يفسح ذرعه لجميع الأفكار والنظريات المختلفة، ومن ثَمَّ أنا أعرف بأنه يحق لبعض النفوس أن تلتزم الوفاء في الحياة الزوجية ولكن الحق أن أكثر النفوس لها حاجات أخرى وفيها مواهب وكفاءات لما وراء ذلك»[2].

ج ـ نظرية مالتوس

مرت الحركة المالتوسية بمرحلتين:

المرحلة الأولى: بدأت هذه المرحلة مع تأسيس هذه النظرية على يد الأحصائي الإنكليزي مالتوس malthus حيث عرض في أواخر القرن الثامن عشر اقتراحه لضبط النسل منعاً لازدياد العمران، ويتلخص هذا الاقتراح بالدعوة إلى «ضبط النفس وعقد الزواج في السن المتقدمة تفادياً من زيادة النسل وتزاحم العمران»[3].

وسبب خوف مالتوس يعود إلى اعتقاده أن العمران وازدياد عدد السكان يؤدي مع مرور الزمن إلى تقلص الزراعة وعدم قدرتها على تلبية حاجات السكان المتزايدة[4]، وقد غاب عن ذهن هذا العالم، لجهله بالله

---

(1) المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، م. س، ص52.

(2) المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، م. س، ص54.

(3) المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، م. س، ص66.

(4) جاء في الوقت الحالي من العلماء من ينقض نظرية مالتوس ومنهم «تيم دايسون استاذ الدراسات السكانية في كلية الاقتصاد في لندن» الذي قال: «ان الميزان العام بين السكان والغذاء لم يختل في السنوات القليلة الماضية، ويوجد مبرر لنتوقع انه في سنة2020 =

سبحانه وتعالى، أن الرزق بيد الله وأنه سبحانه قادر على أن يفتح أمام الناس آفاق عوالم جديدة تكفي حاجاتهم والله سبحانه يقول:

﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1].

ويقول أيضاً:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

المرحلة الثانية: بدأت هذه المرحلة في أواخر القرن التاسع عشر وكان مبدؤها الرئيس «أن تقضى شهوة النفس بحرية تامة، ثم تمنع نتيجتها الطبيعية، أي الحمل والولادة، بوسائل العلوم التجريبية، فجاء هذا المبدأ الجديد يزيح العقبة الأخيرة التي كانت عسى أن تعترض طريق الناس إلى المخادنة والمعاشرة الجنسية المطلقة، إذ عادت المرأة الآن تستطيع أن تسلم نفسها لأجنبي بلا حذر من أن تحمل منه ويقع عليها ما يتبعه من تبعات»[3].

د ـ المذهب الفرويدي

يعتبر فرويد من العلماء النفسيين الذين دعوا إلى الثورة الجنسية أيضاً، و«كان يرى في إشعالها ونشر الإباحية وسيلة من وسائل القضاء على الدين النصراني عامة والمذهب الكاثوليكي خاصة»[4].

واعتمد فرويد على التحليل النفسي لشخصية الإنسان لمعرفة سبب مرضه، وقد عزا كل الأمراض إلى الكبت وإلى رغبة الإنسان المدفونة في ممارسة الجنس، حتى ولو كان طفلاً،كما يعتبر فرويد أن في داخل كل

= ستغذي الزراعة في العالم عددا متزايدا من سكان الكرة الأرضية وربما معدل افضل من منتصف التسعينات»، جريدة النهار اللبنانية، 13/ 8/ 1996، ص20.

(1) سورة الذاريات، الآية 22.

(2) سورة سبا، الآية 36.

(3) المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، م. س، ص63.

(4) غزال، مصطفى فوزي ،افول شمس الحضارة الغربية، من نافذة الاباحية، م. س، ص13.

إنسان عقدة حب الأهل من الجنس المغاير وهذا ما سماه بعقدة أوديب[1] وإلى هذه العقدة ينسب سبب جنوح الناس إلى الشذوذ الجنسي وإلى الاعتداء على الآخرين وغير ذلك، وكان فرويد يقول عن الشذوذ الجنسي: «إن ميل الإنسان إلى الشذوذ الجنسي ليس خطؤه، ولكن بسبب أن الإنسان مريض عقليا، إلى جانب ذلك فإنه خطأ الأمهات»[2].

أما فيما يتعلق بجريمة الاغتصاب، فإن «علماء الجناية الفرويدية يعرفون مجرم الاغتصاب بأنه ضحية «كبت غير مسيطر»، والذي تعود جذوره للطفولة نتيجة كبت طبيعي ورغبة في العلاقة الجنسية مع الأم»[3].

ولم يقتصر خطر فرويد على بلدان معينة، بل إن هذا الخطر قد أخذ بالانتشار وعقدت المؤتمرات العالمية التي أخذت تدعو إلى الإباحية الجنسية ومحاربة الكبت، ومن هذه المؤتمرات مؤتمر بكين الذي عقد في شهر أيلول 1995 م، وتكمن خطورة هذا المؤتمر بما «يتضمنه من أخطار معلنة بعبارات لا لبس فيها، أو بعبارات بدت كالشيفرة، فلا يدرك معناها إلا من يعلم فك طلاسمها»[4].

ومن أبرز أخطار المؤتمر خطرين هما: قضية النوع والانفلات الجنسي.

«وقضية «النوع» هنا تدور حول مختلف معاني واستخدامات كلمة

---

(1) عقدة اوديب: تقول نظرية التحليل النفسي انها عقدة لاواعية تتكون لدى الابن من جراء تعلقه بأمه، وهذا التعلق هو جنسي الطابع في نظر المحللين، كما تقابله غيرة من الاب، مما يسفر بدوره عن شعور بالذنب وصراع عاطفي لدى الابن يعتبره البعض امرا عاديا داخل الاسرة بصيغة ما او اخرى. رزوق، أسعد، موسوعة علم النفس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1979 م .، ص 209.

(2) غزال، مصطفى، فوزي، أفول شمس الحضارة الغربية، من نافذة الاباحية، م.س، ص31.

(3) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P: 219.

(4) جريدة الحياة اللندنية، العدد 11886، تاريخ 7/ 9/ 1995، ص17. عنوان المقال «مخاطر المؤتمر ووثيقته».

«جندر» gender التي يحاول واضعو الوثيقة فرضها كمصطلح بدلاً من كلمة sex التي تشير إلى الجنس بنوعيه الذكر والأنثى، وكلمة «النوع» هذه ناجمة عن فلسفة تخريبية النزعة وقائمة على رفض حقيقة أن الوضع البيولوجي[1] هو المصير لكل فرد، ورفض حقيقة أن اختلاف الذكر والأنثى من صنع الله ﷻ، وإنما هو مجرد اختلاف ناجم عن التنشئة الأسرية والاجتماعية، ومن البيئة التي يحتكرها الرجل ويتحكم فيها لمصلحته. كما تتضمن هذه النزعة فرض فكرة إن من حق الإنسان تغيير هويته الجنسية وأدواره المترتبة عليها، والاعتراف رسمياً بالشواذ من لوطيين وسحاقيات ومخنثين، والمطالبة بإدراج حقوقهم الإنحرافية ضمن حقوق الإنسان، ومنها حقهم في الزواج وتكوين أسرات، وحرية الحصول على أطفال سواء بالتبني أو عن طريق التلقيح الصناعي للسحاقيات، ونظام «تأجير البطون» للوطيين ... أما محورالإنفلات الأخلاقي فيتضمن المطالب نفسها التي جرت محاولة فرضها في مؤتمر السكان[2]، إذ تطالب الوثيقة بأن من حق المرأة والفتاة التمتع بحياة جنسية آمنة مع من تشاء وفي أي سن تشاء، وليس بالضرورة في إطار الزواج الشرعي، وإنما المهم أن تقّدم لهن النصيحة والمشورة لتكون هذه العلاقات الآثمة مأمونة العواقب، سواء من ناحية الإنجاب غير المرغوب فيه أو من حيث الإصابة بمرض الإيدز. تلك مجرد شذرات مما ورد بالجزء «ج» من الفصل الرابع (البند 97 إلى 106)، بل إن الإسهاب في تناول القضية الجنسية على هذا الشكل جعلها تبدو كأهم قضية تكافح الوثيقة من أجل تحقيقها، بغض النظر عما صاحبها من خروج على كل المعايير، وإقحامها في كل المجالات التي تناولتها الوثيقة لتبدو الانحرافات الماضية كأنها مسألة طبيعية لا غضاضة فيها كالطعام والشراب»[3].

---

(1) البيولوجي: الجسدي.

(2) انعقد مؤتمر السكان في القاهرة عام1994.

(3) جريدة الحياة اللندنية، العدد 11886، تاريخ 7/ 9/ 1995، ص 17 .عنوان المقال «مخاطر المؤتمر ووثيقته».

2 ـ التيار الشيوعي

جاء التيار الشيوعي بعد التيار الرأسمالي بفترة وبالتحديد بعد الثورة المادية، فالذي مهد لفكرة ماركس هو قيام «الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر وما أثمرته من فلسفات ضد الدين وضد الكنيسة، وعندما حان عهده ـ أي ماركس ـ انتهت فاعلية الدين المسيحي في المجتمع، وبقيت ممارسته طقوساً ومراسيم»[1].

وقد أسس ماركس «نظرية اقتصادية، أو قل فلسفة مادية كاملة، بناها على فكرة التطور من جهة وفكرة حيوانية الإنسان وماديته من جهة أخرى»[2].

اعتمد ماركس لإثبات فكرته على مذهب داروين القائل أن الإنسان أصله من فصيلة القرود ولكنه تطور عبر الزمن ليأخذ شكل الإنسان الحالي، والواقع أن «النظرية التي تقرر حيوانية الإنسان وماديته (بمعنى إن الظروف المادية المحيطة به هي التي أثرت في تطوره وإعطائه صورته)، والتي تنفي القصد والغاية من خلقه، وتنفي التكريم الرباني له بإفراده بين الكائنات الأخرى بالعقل والقدرة على التمييز فضلاً عن المزايا الأخرى «الإنسانية «،

إن نظرية كهذه يمكن أن تعطي إيحاءات خطيرة في كل اتجاه، فحين يكون الإنسان حيواناً وامتداداً لسلسلة التطور الحيواني فأين مكان العقيدة في تركيبه، وأين مكان الأخلاق، وأين مكان التقاليد الفكرية والروحية والأخلاقية والاجتماعية»[3].

وكان من نتائج اعتماد ماركس على النظرية الداروينية أن أنشأ نظرية اقتصادية خاصة وأعطى تفسيراً للحياة البشرية «يحصر الإنسان في عالم المادة والتطور المادي ويجعل قوانين المادة منطبقة على عالم البشر ! كما يجعل أمور الحياة كلها، من عقائد ومشاعر وأفكار وأنماط سلوكية

---

(1) جريدة الحياة اللندنية، العدد 11886، م.س.، ص17.

(2) قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، دار الشربيني، القاهرة . مصر، الطبعة الثامنة، 1993م.، ص100.

(3) قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، م.س، ص98.

ومنظمات ومؤسسات ... الخ تبعاً للتطور الاقتصادي وللأوجاع المادية التي يعيش فيها الإنسان ومجرد انعكاس لها، لا تسبقها ولا تخرج عنها ولا دور للإنسان فيها إلا أن يدور مع الطور الاقتصادي ومقتضياته ... لأنها «حتميات»، وقسّم الحياة البشرية بمقتضى هذا التطور إلى خمس مراحل حتمية هي: الشيوعية الأولى والرق والإقطاع والرأسمالية والشيوعية الثانية والأخيرة، وجعل الانتقال في كل طور من هذه الأطوار إلى الطور اللاحق حتميا له من جهة، ومردوداً إلى أسباب مادية واقتصادية من جهة أخرى»[1].

فكرة حيوانية الإنسان

بنى ماركس فكرة حيوانية الإنسان انطلاقاً من نظرية التطور باعتبار أن الإنسان لا علاقة له في عملية التطور، وهو كالحيوان لا علاقة له فيما يجري حوله، ومن هنا جاءت نظريته في نبذ الأخلاق والدين والقانون، وقال إن «الأخلاق والدين والقانون من صنع المثقفين لمساندة نظام الإقطاع والنظام الرأسمالي، ثم يقول إنها قد كانت قائمة على عهد الاستغلال للطبقة العاملة، لم تحل ـ كما يقول ـ دون وقوع الاستغلال والظلم فيه للعمال، ولذا لا تصلح أن تكون سنداً لحكم الطبقة العاملة وديكتاتوريتها في هذا الحكم»[2].

وعمد الشيوعيون من أجل تطبيق نظرياتهم إلى منع كل أساليب الحياة المتعارف عليها، فألغوا نظام الزواج ونظام الأسرة وكانت «النتيجة إنتشارحوادث الاغتصاب والزنا، و زيادة نسبة اللقطاء زيادة هائلة ! والاستخفاف بالنساء إلى درجة مقلقة، وقد هال ما وصلت إليه الأحوال في المجتمع الروسي، وبخاصة في المدن، القائمين بتطبيق النظام الجديد ودفعهم، في سنة 1935، إلى تدارك الأمر بسن قانون جديد للأسرة والأحوال الشخصية عدَّلوا فيه من فلسفتهم المادية الجديدة وأعادوا للزواج جدّيته وللأسرة مسئولياتها التي يتحملها كل من الزوجين»[3].

---

(1) قطب، محمد، مذاهب فكرية معاصرة، م.س، ص101.
(2) البهي، محمد، تهافت الفكر المادي التاريخي، م. س، ص25.
(3) الساعاتي، سامية حسن، الجريمة والمجتمع، م. س، ص114.

وكان من نتائج إلغاء نظام الزواج تفشي الجرائم بشكل عام والجرائم الجنسية بشكل خاص، وهم «لا يرون في الجريمة الجنسية جريمة لأنهم لا يؤمنون بالإنسانية المترفعة المتعالية عن مستوى الحيوان، ولأنهم في الوقت ذاته مضطرون إلى إطلاق القطيع على سجيته في المسألة الجنسية تنفيساً عن الطاقة المكبوتة ومنعاً لها أن تتكتل فتتجه يوماً إلى تحطيم النظام»[1].

وقد انتشرت الأفكار الشيوعية في دول عدة منها الصين التي اجتاحتها الثورة الثقافية عام1967 م وأخذت تعاليم ماو تسي تونغ تأخذ مكان كل التعاليم السابقة، «حتى الأسرة لم يعد يعرف فيها زوج ولا والد بعينه، على نحو الأسرة المعروفة، فالمرأة مشاعة والولد مشاع، لذا يجب الطاعة في الأسرة لمن تكون أفكاره مساوية لأفكار «ماو» وليس لأحد آخر فيها»[2].

3 ـ البابية والبهائية

حرص مفكرو الغرب على إشراك كل دول العالم في مخططهم التهديمي، فلم يكتفوا بنشر نظرياتهم الفكرية بل حاولوا إدخال هذه الفلسفات المادية عند بعض الشعوب داعين إلى إعادة النظر في الرسالات السماوية كي تلائم متطلبات العصر، ولاقت نداءاتهم للأسف آذاناً صاغية في بعض أنحاء الدول الإسلامية حيث قامت حركات ومذاهب إتخذت الإسلام ستاراً ثم أسفرت عن وجهها مع الزمن، ومن هذه الحركات والمذاهب: البابية والبهائية.

نشأت هذه الفرقة على مرحلتين، بدأت الأولى بالبابية وانتهت الثانية بالبهائية، فقد «أنشأ البابية ودعا إليها الشيعي المسلم «علي محمد الشيرازي» الذي اتخذ لنفسه لقب «الباب»، يعني إنه باب أو سكرتير أو صاحب المهدي المنتظر والمتحدث باسمه»[3].

---

(1) قطب محمد، الإنسان بين المادية والإسلام، م. س، ص145.

(2) البهي، محمد، تهافت الفكر المادي التاريخي، م.س، ص40، (الهامش).

(3) النمر، عبد المنعم احمد، البابية والبهائية، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص9.

وجاء بعد الباب البهاء وأولاده، وقد عمل أتباع هذا المذهب على تفسير الديانة الإسلامية تفسيراً مختلفاً عن سائر الأئمة حتى أنهم لم يعترفوا بكثير من الأحكام الفقهية التي اتفق عليها الفقهاء المسلمون، ومن ذلك أن الشريعة البهائية لم تسمح في الزواج بالتعدد لأكثر من زوجتين ولكنها أباحت نكاح الأقارب، فقد جاء في شرائعها: «لا يحرم نكاح الأقارب ما دام البهائيون قلة وضعفاء، ولما تتقوى البهائية وتزداد نفوسها عندئذ يندر وقوع الزواج بين الأقارب (خزينة حدود وأحكام 1865)، ولا يحرم من الأقارب إلا أزواج الآباء، وهو كلام ضد الفطرة وضد الطبيعة وضد مقتضيات الطب، أما الزنا فعقوبته تسعة مثاقيل ذهب تسلم لبيت العدل في عكا[1] ... وهذا الحكم يتعلق بالزاني غير المحصن، والزانية غير المحصنة، أما المحصن والمحصنة فلا حكم عليهما إلا أن يحكم عليهما بيت العدل ...

أما اللواط فنرى البهاء يسكت عن ذكر حكمه: وقد حرَّمت عليكم أزواج آبائكم، إنّا نستحي أن نذكر حكم الغلمان (الأقدس فقرة 253)، وهو سكوت غريب وحياء أعجب، و يبدو أن البهاء قد فهم ولا شك المزاج الأوروبي والأمريكي»[2].

ولم يقتصر فساد البابية والبهائية على النظريات بل مزجوا القول بالفعل، ففي أحد مؤتمراتهم المشهورة و هو مؤتمر «بدشت» حصل ما جرى التلميح إليه، فقد «كان هذا الاجتماع في «بيداء بدشت» على نهر «شاهرود «بين خراسان و مازندران، وذلك في شهر رجب 1264هـ، 1848م والباب معتقل في «قلعة ماه كو» اجتمع فيه نحو ثمانين قطباً من أقطابهم، لتحديد معالم دعوة الباب وموقعها في الشريعة الإسلامية، والعمل على إنقاذ الباب وإخراجه من اعتقاله ...

ويقول الأستاذ «إحسان إلهي ظهير» معتمداً على مصادر للبابيين أنفسهم في هذا المؤتمر:

---

(1) عكا، مدينة على ساحل فلسطين الشمالي.

(2) النمر، عبد المنعم احمد، البابية والبهائية، م. س، ص141.

«فنصبت الخيام في تلك البيداء الجميلة الغنّاء المنعزلة من العمائر وسكانها وصاروا يرتكبون الفواحش والفجور والفسوق ويعبثون بالنساء ... كانوا مختلطين رجالاً ونساءً اختلاطاً لا حواجز بينهم، وقد تركوا الإسلام وقِيَمه وراء ظهورهم واجتمعوا ليعلنوا تحللهم منه، ونسخه، والعمل بما يشرعه الباب، ويشرعونه لأنفسهم»[1].

المبحث الثاني
الآثار الإجتماعية الناتجة عن التأثر بالفكر الغربي

1 ـ تحرير المرأة

أ ـ علاقة تحرير المرأة بالثورة الصناعية

ترافقت الدعوة إلى الحرية مع الثورة الصناعية وما أصدرته من حاجات ومتطلبات بشرية هائلة، فقد قام أصحاب المصانع بإحضار أهل القرى من الأرياف وعمدوا إلى تشغيلهم بأجور زهيدة لا تكاد تكفي حاجاتهم، إضافة إلى إرهاقهم بالكماليات التي قامت هذه الصناعات بإيجادها، مما دفع بهؤلاء إلى المطالبة بزيادة أجورهم، وبدلاً من أن يقوم هؤلاء الرأسماليين بتلبية حاجات العمال عمدوا إلى طريقة أخرى لزيادة الإنتاج من جهة ولتوفير الأجور من جهة ثانية، ألا وهي تشغيل النساء في مصانعهم بأجور أقل من أجور الرجال، وأصبحت ظاهرة تشغيل النساء ظاهرة منتشرة وكثر بذلك «احتكاك الذكور بالإناث، وأخذت تظهر عواقبه الطبيعية في المجتمع، فقُدِّمَ هذا التصور للحرية الشخصية وهذه الفلسفة الجديدة للأخلاق، فهدّءا من قلق الآباء والبنات والأخوة والأخوات والبعولة والزوجات، وجعلا نفوسهم المضطربة تطمئن إلى أن الذي هو واقع أمام أعينهم لا بأس به، فلا يوجد منه خيفة أو ليس هبوطاً وترديا، بل هو نهضة وارتقاء»[2].

---

(1) النمر، عبد المنعم احمد، البابية والبهائية، م. س، ص54.

(2) المودودي، ابو الأعلى، الحجاب، م. س، ص68.

ومن منطلق عمل المرأة نبعت فكرة الدعوة إلى الحرية والمساواة بالرجل فحين «قامت الحركة النسوية في أوروبا كان للمرأة بالفعل قضية ! قضية المساواة في الأجر مع الرجل الذي يعمل معها في المصنع نفسه وساعات العمل نفسها، بينما تتقاضى هي نصف ما يتقاضاه الرجل من الأجر، وحين اتسعت القضية هناك وتعددت مجالاتها، تلقائياً أو بتخطيط الشياطين، فقد كان محورها الأول هو قضية المساواة مع الرجل في الأجر، ترجع إليه كلما طالبت أو طولب لها بحق جديد حتى أصبحت القضية هناك في النهاية هي قضية المساواة التامة مع الرجل في كل شيء، ومن بين (كل شيء): (حق الفساد) الذي كان الرجل قد وصل أو وُصِّل إليه، فصار حق الفساد داخلاً في قضية المرأة تحت عنوان: (حق المرأة في اختيار شريك حياتها) في مبدأ الأمر، ثم تحت عنوان: (حق المرأة في أن تهب نفسها لمن تشاء)»[1].

ب ـ تحرير المرأة في الدول العربية

عانت البلدان العربية منذ انتهاء الخلافة العثمانية من الاحتلال الأجنبي على معظم الأراضي، وترافق هذا الاحتلال مع وجود المدارس الأجنبية وإرسال البعثات إلى الخارج لتلقي العلوم الحديثة، بحجة العودة ونفع البلاد بهذه العلوم، إلا أن ما حدث هو أن معظم هؤلاء الطلاب عاد بنظرة مختلفة، إذ إنهم قارنوا بين ما نالته المرأة من حرية في الغرب، وبين الحالة السيئة التي كان عليها النساء آنذاك نتيجة جهل الرجل بحقوق المرأة التي أعطاها إياها الإسلام، فإذاً «لم تكن المرأة قضية خاصة ! إنما كانت القضية الحقيقية هي انحراف هذا المجتمع عن حقيقة الإسلام، مما سميناه (التخلف العَقَدِي)[2]، وما نتج عن هذا التخلف العقدي من تخلف في جميع مجالات الحياة، وما تحقير المرأة وإهانتها وعدم إعطائها وضعها الإنساني الكريم إلا مجال من المجالات التي وقع فيها التخلف عن

(1) قطب، محمد، قضية تحرير المرأة، دار الوطن للنشر، الرياض . المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى، 1410هـ، ص16 ـ 17.

(2) العقدي: العقيدي.

الصورة الحقيقية للإسلام، وعلاجها كعلاج كثير من الحالات جميعا، هو العودة إلى تلك الصورة الحقيقية، والتخلي عن ذلك التخلف المعيب»[1].

إلا أن القادمين من الغرب لم يستوعبوا هذه الحقيقة واعتبروا أن تحرير المرأة يكون بنزع الحجاب عن رأسها وخروجها سافرة إلى الشارع، وقد تناسى هؤلاء أن من فرض الحجاب هو الله سبحانه «ربها وخالقها، الذي لا تملك إن كانت مؤمنة، أن تجادله سبحانه فيما أمر به، أو يكون لها الخيرة في الأمر»[2].

يقول سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[3].

وقد التفت إلى هذا الأمر «قاسم أمين» الزعيم والقائد الذي أدار حملته التحريرية فقال قبل وفاته بعام ونصف ما يلي:

«لقد كنت أدعو المصريين قبل الآن إلى اقتفاء أثر التّرك بل الإفرنج في تحرير نسائهم، وغاليت في هذا المعنى حتى دعوتهم إلى تمزيق ذلك الحجاب .. وإلى اشتراك النساء في كل أعمالهم ومآدبهم وولائمهم .. ولكني أدركت الآن خطر هذه الدعوة بما اختبرته من أخلاق الناس. فلقد تتبعت خطوات النساء في كثير من أحياء العاصمة والإسكندرية لأعرف درجة احترام الناس لهن .. وماذا يكون بشأنهن معهن إذا خرجن حاسرات، فرأيت من فساد أخلاق الرجال بكل أسف ما حمدت الله على ما خذّل من دعوتي واستنفر الناس إلى معارضتي»[4].

جـ - نتائج تحرير المرأة

تحمس الداعون إلى تحرير المرأة حماساً كبيراً معتبرين أن في تحرير المرأة خلاصاً لها من كل متاعبها، وأن الرجل سيحترمها، وسيحسن

---

(1) قطب، محمد، قضية تحرير المرأة، م. س، ص17.

(2) قطب، محمد، قضية تحرير المرأة، م. س، ص19.

(3) سورة الأحزاب، آية 36.

(4) البار، محمد علي، عمل المرأة في الميزان، م. س، عن مجلة الاعتصام رمضان 1399هـ، اغسطس 1979 م، ص13.

معاملتها، وسيعتبرها نداً له، وقد تغافل هؤلاء عن مفهوم الحرية، اذ أن الحرية لا يمكن ان تكون «إرادة مطلقة من جميع القيود، لأن إرادة انسان واحد تنطلق بغير قيد هي قيد لكل انسان سواه»[1].

ومن هنا اختلط في اذهان كثير من الناس مفهوم الحرية، فاعتبروا أن الحرية هي فعل ما نريد ساعة نريد، وقد أدى هذا المفهوم إلى تعارض في الحريات لاختلاف مصلحة كل شخص عن الآخر، وأدى ذلك إلى انتشار الجرائم بشكل عام والجرائم الجنسية بشكل خاص، وكان لتحرر المرأة والدعوة إلى حرية الممارسة الجنسية دورهما في دفع بعض «الأشخاص، الذين يعانون من الكبت الناشئ عن كبت عضوي تناسلي وشعور بالدونية وعجزهم ممن يفتقرون إلى المبادأة في موضوع الجنس، لارتكاب الجرائم الجنسية ومن بينها الاغتصاب»[2].

وانتشار الجرائم الجنسية أمر حدث أيضاً في البلدان العربية التي دعت إلى تحرير المرأة، فقد قال «زعيم مصر محمد فريد وجدي أن دعوة قاسم أمين قد أحدثت تدهوراً سريعاً في الآداب العامة وأحدثت انتشاراً مفزعاً لمبدأ العزوبة. وأصبحت ساحات المحاكم غاصة بقضايا هتك الأعراض وهروب الشابات من دور أهلهن»[3].

ولكن هناك لفتة تجدر الإشارة إليها في النهاية وهي أن دعاة التحرير أرادوا أن تتحرر المرأة من كل شيء، أن تتعلم وتعمل وتستقل بحياتها المهنية والجنسية على حد سواء، إلا أن ما يحصل في البلدان العربية على الأقل هو أن «قطاعاً كبيراً من النساء المتعلمات المتحررات ظاهرياً ما زلن في أعماقهن يشعرن بالنقص ويعانين من الدونية تجاه الرجل وما زالت فئة كبيرة من النساء تنهي حياتها المهنية أو التعليمية لمجرد الزواج»[4].

---

(1) العقاد، عباس محمود، الانسان في القرآن الكريم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص45.

(2) المجدوب، احمد علي، اغتصاب الاناث، م. س، ص 159.

(3) البار، محمد علي، عمل المرأة في الميزان، م. س، ص14.

(4) حطب، زهير، مكي، عباس، الطاقات النسائية العربية، معهد الانماء العربي، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص113.

كل هذا يعتبر أكبر دليل على أن المرأة أنثى بالفطرة التي فطرها عليها ربها، وأن كل المحاولات لنزع حبها للاستقرار والأمومة لا بد أن تبوء بالفشل، مع الأخذ بعين الاعتبار كون المرأة المشار إليها تتمتع بالعقل والحكمة.

2 ـ الإباحية

ترافقت الدعوة إلى الإباحية والاختلاط بين الجنسين مع الدعوة إلى حرية المرأة وتحررها من القيود، وربط أنصار الدعوة إلى تحرير المرأة بين الحرية والحجاب، فاعتبروا أن المرأة لن تنال حريتها إلا إذا نزعت الحجاب عن رأسها وارتدت الألبسة التي لا تجعلها مقيدة ولا تمنعها من الحركة والعمل، وقد تناسى هؤلاء أن الألبسة التي يدعون المرأة لارتدائها هي التي تقيد الحركة بما فيها من ضِيق وقِصَر، بينما يهدف الحجاب إلى حماية المرأة وصيانتها من أعين العابثين، وقد قال الله تعالى في آية الحجاب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

قال السُّدِّي في تفسير هذه الآية: «كان الناس من فساق أهل المدينة يخرجون بالليل حين يختلط الظلام إلى طريق المدينة فيعرضون للنساء، وكانت مساكن أهل المدينة ضيقة، فإذا كان الليل خرج النساء إلى الطريق يقضين حاجتهن، فكان أولئك الفساق يبتغون ذلك منهن، فإذا رأوا المرأة عليها جلباب قالوا: هذه حرة، فكفّوا عنها، وإذا رأوا المرأة ليس عليها جلباب قالوا: هذه أَمَة فوثبوا عليها»[2].

فَفَرْض الحجاب إذاً هو حماية للمرأة من عبث العابثين، وحماية للمجتمع من الفساد والهلاك، وقد أوضح رسول الله ﷺ الغاية من تشديد الإسلام على النساء وهو خوف الوقوع في الفتنة فقال عليه الصلاة والسلام:

---

(1) سورة الاحزاب، الآية 59.

(2) قطب، سيد، في ظلال القرآن، م. س، ج5، ص 2880.

(اتقوا الدنيا، واتقوا النساء، فإن إبليس طلاّع رصّاد، وما هو بشيء من فخوخه بأوثق لصيده في الأتقياء من النساء)[1].

وإضافة إلى ذلك فإن التاريخ يشير إلى أن خروج المرأة من بيتها وتبرجها واختلاطها بالرجال كان من أول الأدلة على هلاك الأمم، وهذا الأمر ورد ذكره في الباب الأول عند الأمم اليونانية والرومانية وغيرها.

أ ـ تبرج المرأة

عرّف التبرج لغة بأنه اظهار للزينة، فيقال تبرجت المرأة «أظهرت زينتها للرجال»[2].

فالتبرج إذاً هو «أن تظهر المرأة للرجال الأجانب ـ غير محارمها ـ ما يوجب عليها الشرع أن تستره من زينتها ومحاسنها وبدنها، أو «التبرج» هو أن تستعمل المرأة الطلاء والمساحيق والأصبغة وما يعرف بوسائل الزينة لإقناع الذين يرونها بأنها جميلة دونما نظر لهؤلاء الذين يرونها إن كانوا محارم أو غير ذلك ... وهو مُحرّم، والأمر بالحجاب يعتبر نهياً عن التبرج»[3].

وقد كثرت الأدلة من السنة على تحريم التبرج ومنها قوله عليه الصلاة والسلام:

(أيما امرأة استعطرت فمرّت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية)[4].

ويقولﷺ صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب

---

(1) الهندي، علاء الدين ،المتقي بن حسام الدين، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مكتبة التراث الإسلامي، حلب . سورية، الطبعة الأولى، 1390هـ، 1970م.، حديث رقم44481، ج16، ص283.

(2) الفيروز ابادي، القاموس المحيط، م. س، ص 231.

(3) رمضون، عبد الباقي، خطر التبرج والاختلاط، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، الطبعة الثامنة، 1412هـ، 1992م.، ص 61.

(4) ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، كتاب الأدب، م.س، ج10، ص235.

البقر، يضربون بها الناس. ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخْت[1] المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا)[2].

ب ـ الموضة ولباس المرأة

تعتبر لفظة الموضة لفظة أجنبية ومعناها: «مطابق للزي الحديث»[3].

والموضة ابتكار حديث أوجده الغرب بغية إلهاء الناس عن القضايا الكبرى، وبالتالي إجبارهم على الشراء والتبضع باستمرار، لذلك فليس من المستغرب «أن تعمد بعض المصانع إلى إنتاج بعض الملبوسات بنقوش وأشكال غريبة غير متكررة بقصد زيادة الاستهلاك واستنزاف أموال المشترين»[4].

فالموضة «تجعل من الزينة المادية همّ الإنسان الأكبر وشاغله الأوحد في الحياة، فهو يلاحقها ويتابعها، ويلاحق كل ما ينشر عنها حتى يستغرق استغراقاً كاملاً يشمل جلّ وقته وتفكيره»[5].

والمعروف بأن للموضة عالمها الخاص بها، من مصممي أزياء وعارضات وخياطين مشهورين، وقد تصل ثروتهم نتيجة هذه الشهرة إلى ملايين الدولارات، وتصبح الأخبار عنهم وعن حياتهم الشخصية متداولة على الألسنة عند مختلف الشعوب، حتى أنه في بعض الحالات ترفض المرأة أن ترتدي ثوباً ما إذا لم يكن signe سِينيْه أو موقّعاً من أشهر المصممين العالميين، كما أنها غالباً ما تقص شعرها على طريقة أشهر عارضات الأزياء.

---

(1) البخت: الجمال.

(2) مسلم، صحيح مسلم شرح النووي ،دار الفكر، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة، 1401هـ، 1981م.، كتاب اللباس، ج10، ص110.

(3) البعلبكي، منير، المورد، دار العلم للملايين، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1969م.، ص 586.

(4) عبدالله، فاطمة، الموضة في التصور الاسلامي، مكتبة السنة، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة، 1411هـ .، 1991م.، ص23.

(5) عبد الله، فاطمة، الموضة في التصور الإسلامي، م.س، ص33.

وإذا عرضت إحدى هؤلاء العارضات ثوباً مكشوف الصدر فليس مستغرباً أن ترتدي فتاة الجامعة مثل هذا الثوب وفي نيتها أنها تلحق الموضة، وقد نقل محمد قطب صورة في كتابه معركة التقاليد عن أمثال هذه الفتاة فقال:

«الفتاة التي تلبس فستاناً عاري الصدر عاري الإبطين «جابونيز» وتسير في الطريق، أو تجلس في السيارة أو تجلس في «الكازينو» وسط الرجال والشباب وتقول إنها تمارس «حريتها» في انتقاء ما تريد من الملابس، إنها فتاة متحررة تحقق كيانها المتحرر. ما لكم أيها الناس؟ من أنتم بالنسبة إليها؟ ما دخلكم في شئونها؟ ما علاقتكم بها وما وصايتكم عليها؟ إنها حرة في نفسها تصنع بها ما تشاء، هل تحجزون على حرية المرأة؟ هل تلغون كيانها المستقل؟ هل تستعبدونها؟ هل تجعلونها تابعة للرجل تلبس ما يفرضه عليها و يختار لنفسه ما تريد؟

ولكن .. هل الحرية حقاً هي مقصد الفتاة؟ هل هي قضية نفسية وروحية وفكرية تؤمن بها وتحققها؟ فلننظر، هذا الشاب الذي أثار صدرها العاري نزوة الحيوان فيه .. الذي يحملق كالمسعور في ما بدا وما استتر .. الذي يلتهمها التهاماً بعينيه المنهومين .. أو ليست تراه؟ وما رأيها في نظرته وإن أبدت في الظاهر الاستياء؟ أما عملت حسابه؟ أما عملت حساب أن صدرها العاري وحركتها المثيرة ونظرتها الخليعة تثير فيه كوامن الحيوان؟ أو ليست متأكدة من ذلك تأكد اليقين، منذ اللحظة التي اختارت فيها الفستان، ومنذ اللحظة التي لبسته فيها عند الخروج؟ ما رأيها فيه؟ هل لبست الفستان لنفسها؟ أو لهذا الفتى المنهوم»[1].

والغريب في هذه النقطة أن الفتاة قد تقول بأنها ترتدي ثيابها لنفسها، ولكي لا تبدو مختلفة عن زميلاتها، ولباسها إذا صادف أن أعجب به أحد الشبان، فهي لا تقصد به إغراءه ليفعل الفاحشة بها، لأن ما من امرأة تسعى إلى إيذاء نفسها، ولكن إن أعجب بلباسها فهو سيقول بأنها امرأة

(1) قطب، محمد، معركة التقاليد، دار الشروق، القاهرة . مصر، الطبعة السابعة عشر، 1413هـ .، 1993م.، ص106.

متحررة معاصرة وقد يرغب بالتقرب منها، وهكذا يزداد عدد معجبيها وعدد خطّابها، وقد سها عن بال مثل هذه الفتاة أن تفكير الرجل يختلف عن تفكير المرأة، وأن ما تطلبه المرأة يختلف عما يطلبه الرجل، وإذا صادف وجود شخص يفكر مثل تفكيرها فماذا تفعل بالباقين، وكيف تستطيع أن تردّهم عنها، خاصة أنه لا يمكن أن تعجب بالجميع وتحب الجميع؟

وقصة التعري في اللباس تختلف من مجتمع إلى آخر، وإذا كان الأمر في مجتمعاتنا لا زال محصوراً عند فئة معينة من الناس، فقد وصل في المجتمعات الغربية إلى درجة أن بدأت إدارات بعض الجامعات تدعو إلى حفلات ومسابقات للتعري بين طلابها، وقد نشرت مجلة المجتمع في أحد أعدادها مقالاً جاء فيه:

«أرسل لنا أحد الأخوة القراء رسالة تحدث فيها عن التردي الذي تسير فيه حضارة الغرب، ومع الرسالة إعلان بالإنجليزية أرسله إليه أحد أصدقائه في جامعة (بوردو) ننقل للقراء ترجمة لهذا الإعلان:

استعراض جامعة بوردو، هذه الجمعة / 15 مارس / سوف تعقد جامعة بوردو أول مسابقة لها في الإعراء السريع، يبدأ السير من قاعة الاتحاد حتى مركز الخدمات، وذلك من الساعة التاسعة مساء، الرجاء من كل من يرغب في الاشتراك أن يأتي مرتدٍ بطانية فقط، ونحن نرحب بالمشاركين والمتطوعين.

المشتركون سوف يتسابقون كالآتي:

1 ـ مدى كشفهم لأجسامهم.

2 ـ المقدرة على الوقوف عراة بدون حرج أمام العامة.

3 ـ مدى الاستجابة لمطالب العامة.

درجات المكافأة:

1 ـ شهادة استحقاق سوف تمنح لكل من يكمل المدة المقررة عارياً.

2 ـ سوف يمنح لقب سمير خاص لأول فتاة في الجامعة.

3 ـ سوف تمنح مكافأة للمجموعة التي تؤدي عرضاً سريعاً.

4 ـ أعلى درجة شرف سوف تمنح لكل من يظهر على شاشة التلفزيون.

معتمدة من جمعية طلبة بوردو للتعري»[1].

3 ـ الخلوة والاختلاط

حرّم الإسلام الخلوة والاختلاط بين الرجال والنساء من غير المحارم، فقد قال رسول الله ﷺ: (لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان)[2].

وقال أيضاً في تحريمه الدخول على النساء في حال غيبة أزواجهن: (لا تدخلوا على هؤلاء المغيّبات فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، قيل: يا رسول الله ومنك؟ قال: ومني إلا أن الله أعانني عليه فأسلم)[3].

أ ـ تعريف الاختلاط

الاختلاط هو «اجتماع الرجل بالمرأة التي ليست بمَحْرَم، أي التي يباح له زواجها، اجتماعاً يؤدي إلى ريبة»[4].

وقد جعل الإسلام عقوبة للرجل والمرأة في حال الخلوة، وهي وإن لم تصل إلى الحدّ فإنها تعتبر عقوبة تعزيرية، وقد سئل الإمام مالك «عن الرجل يوجد مع المرأة في بيت واحد وهما متهمان قال يُضربان ضرباً جيداً وجيعاً، قيل: بثيابهما؟ قال: لا، بل على ما يضرب المحدود.

---

(1) غزال، مصطفى فوزي، أفول شمس الحضارة الغربية، من نافذة الاباحية، م. س، ص143، عن المجتمع 201/ 49.

(2) ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، كتاب الرضاع، م.س، ج5، ص121.

(3) الهندي، كنز العمال، حديث رقم 13038 ،ج5، ص323.

(4) رمضون، عبد الباقي، خطر التبرج والاختلاط، م. س.، ص62.

وفي مختصر الواضحة قال ابن حبيب: وحدثني صعصعة عن الأوزاعي عن ابن شهاب، أن عمر رضي الله عنه ضرب رجلاً دون المائة وُجد مع امرأة بعد العتمة، فقال الأوزاعي: وقال مكحول: ضربه مائة»[1].

ب ـ آداب الدخول على المحارم

لم يقتصر الإسلام على منع الخلوة بين غير المحارم، بل جعل للدخول على المحارم آداباً، من استئذان وسلام وغير ذلك، وقد تعرض لهذا الموضوع عدد من العلماء في كتب مختلفة، منهم ابن العربي في كتابه أحكام القرآن حيث أورد بعض هذه الآداب الإسلامية فقال: إذا دخلت «بيتك الذي تسكنه فإن كان فيه أهل فلا إذن عليها، وإن كانت فيه معك أمك أو أختك فقالوا: تنحنح واضرب برجليك حتى تنتبه لدخولك، لأن الأهل لا حشمة بينك وبينها وأما الأم والأخت فقد تكون على حالة لا يجب أن تراها منها»[2].

إلا أن الأحكام الإسلامية السابقة توقف العمل بها في بعض المجتمعات الحالية، حيث لم يعد هناك وجود لتلك الآداب بين الأب وابنته أو الأخ وأخته .. بل إن مثل هذه الآداب لم تعد معروفة بين المرأة وصديق زوجها، أو بين المرأة وزوج الأخت أو بينها وبين الخادم، مع وجود أدلة تحريم مثل هذه الخلوات في السنة النبوية، فقد قال ﷺ:

(إياكم والدخول على النساء، فقال رجل من الأنصار يا رسول الله افرأيت الحمو؟ فقال الحمو الموت)[3].

ج ـ اختلاط المرأة في العمل

حاربت المرأة منذ أن بدأت تطالب بحريتها من أجل حقها في العمل

---

(1) ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم بن علي بن أبي القاسم المالكي، تبصرة الحكام في الأقضية ومناهج الحكام، راجعه وقدم له عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1406هـ .، 1986م.، ج2، ص181.

(2) ابن العربي، أحكام القرآن، م. س، ج3، ص1349.

(3) مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، م. س، ج14، ص153.

خارج المنزل، ومن أجل مساواتها بالرجل، إلا أن ما لم تنتبه إليه أنها هي التي كانت الخاسرة في هذه الحرب وليس الرجل، ذلك أن خروج المرأة للعمل ولّد عدة مشكلات، «منها ما هو ناتج عن غيرة الزوج وحساسيته ضد كل التقاء لزوجته مع الجنس الآخر، أو من عدم انتظام في دوام العمل حيث تصبح المرأة عرضة للشكوك وتعامل كمتهمة، أو من عدم تمكنها من القيام بعملها المنزلي على الصورة التي تقوم بها سواها من غير العاملات خارج المنزل فتعامل كمُقَصِّرة بحق أسرتها وأبنائها»[1].

وفي هذا التعريف يمكن التركيز على نقطتين هامتين:

1 ـ أسباب غيرة الرجل على زوجته.

2 ـ تقصير المرأة في واجباتها.

1 ـ أسباب غيرة الرجل: تنبع غيرة الرجل على زوجته من مُسلَّمات موجودة، منها تواجد المرأة بشكل دائم مع رجال تخالطهم في العمل أكثر مما تخالط زوجها في المنزل مما قد ينتج عن ذلك الود والإلفة، كما أن الإحصاءات المختلفة في مناطق عديدة من العالم أثبتت تعرض عدد كبير من النساء العاملات إلى ابتزاز جنسي من قبل رؤسائهن، إن كان بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، ومن الأمثلة على الابتزاز المباشر الحقائق التي أشارت إليها «لين فارلي» مؤلفة كتاب «الابتزاز الجنسي» والذي أوردت فيه ما نصه:

«استجوبت 875 من السكرتيرات العاملات في الأمم المتحدة عن الابتزاز الجنسي فأجابت خمسون بالمائة منهن بأنهن تعرضن للمضايقات والاعتداءات الجنسية.

استجوبت 333 شرطية فأجابت خمسون بالمائة منهن بأنهن تعرضن للاعتداءات الجنسية من رؤسائهن، وأن من لا ترضخ لرئيسها في هذا الأمر تتعرض لعقوبات مختلفة»[2].

---

(1) حطب، زهير، الطاقات النسائية العربية، م. س، ص164.

(2) العقيلي، يحيى بن سليمان، الغفة ومنهج الاستعفاف، م. س، ص67.

وسيتم التطرق بإذن الله في سياق هذا البحث لأنواع هذا الابتزاز.

أما الأمثلة عن الابتزاز غير المباشر فهي كاستغلال الرئيس أو المدير لجمال المرأة وإغرائها لجذب الزبائن والمستثمرين، «فالصحفي الذي يشغل الفتاة في صحيفته يقول إنه يعمل على تحرير المرأة، يساعدها على أن تقتحم كل ميدان للعمل وتثبت كفايتها وتحقق شخصيتها، يقول إن المرأة أثبتت أنها اكفأ من الرجل وأقدر على القيام بمهامه، يقول إنها أصبر على العمل وأكثر إخلاصاً له، يقول ويقول ...

أو حقا يعمل على تحرير المرأة وإثبات كفايتها؟ أم يتخذها مصيدة للعمل الصحفي الذي يؤديه؟ يرسلها لاقتناص الأخبار وهو يعلم علم اليقين أن حركة مائعة من هنا وبسمة مثيرة من هناك تفتح مغاليق الأفواه وتستخرج مكنون الصدور، أو يبقيها في المكتب فيتحلق حولها الشباب (ويخلصوا) في العمل للصحيفة ليستمتعوا بصحبة الفتاة؟...»[1].

2 ـ التقصير في الواجبات العائلية: إن من البديهي أن يحصل تقصير من قبل المرأة في واجباتها الزوجية والعائلية بسبب عملها فتكثر نتيجة لذلك خلافاتها مع زوجها نتيجة مقارنة وضعها بوضع الأخريات، ويعتبر بعض الدارسين أن الخلافات الزوجية هي «نتيجة من نتائج عمل المرأة خارج المنزل، وأنه بخروجها وإطلاعها على أحوال الآخرين وأوضاع أسرهم فقدت قناعتها وكثرت متطلباتها واحتياجاتها وأصبحت ملحاحة، الأمر الذي يُؤزِّم حياتها الزوجية ويُغيّرها»[2].

ومن ناحية أخرى فإن المرأة العاملة تقصر في واجباتها تجاه أطفالها، حيث أنها تضطر إلى تركهم فترات طويلة مع الخادمة أو في مراكز الحضانة مما يولد عندهم الإحساس بالنقص ويقول تقرير هيئة الصحة العالمية الذي نشر في عام 1980 «إن كل طفل مولود يحتاج إلى رعاية أمه المتواصلة لمدة ثلاث سنوات على الأقل، وإن فقدان هذه الرعاية يؤدي إلى اختلال الشخصية لدى الطفل كما يؤدي إلى انتشار جرائم العنف الذي انتشر بصورة

---

(1) قطب، محمد، معركة التقاليد، م. س، ص106.

(2) حطب، زهير، الطاقات النسائية العربية، م. س، ص165.

مريعة في المجتمعات الغربية»[1].

د ـ أثر الاختلاط على الشباب

كان من أبرز أهداف الداعين إلى التحرر الدعوة إلى الحرية الفكرية والعقلية، إلا أن ما حدث هو أن المرأة ظلت «هي هي لم تتقدم، ولم يتبلور ذهنها نحو الأمام بل ظل كما هو من حيث الخلفية العقلية، مثل امرأة الماضي الحاضر من حيث الخلفية النفسية، إلى جانب الأزمات العصبية والإنهيارات الجسدية، مع خوار قواها الروحية والجسدية على سد كل هذه الثغرات الواسعة بينها وبين تطورها ورُقيها»[2].

وكان من نتائج الضياع الفكري والنفسي أن أخذ كل من الرجل والمرأة بالانغماس في الملذات الدنيوية مُستخْفِين بستار الحرية، فكثر الاختلاط بين الرجل والمرأة ليشمل كل الأمكنة، وسيقتصر البحث هنا عن الاختلاط في الجامعات والاختلاط في الملاهي.

1 ـ الاختلاط في الجامعات: لم يكتف الشباب بالاختلاط في المجالس العامة، بل كثيراً ما تحصل خلوات بين الشباب والفتيات داخل حرم الجامعات وبشكل علني معبِّرين تماماً عن الحرية التي يدافعون عنها وقد أجرت جريدة السفير تحقيقاً مع عدد من الطلاب وسألتهم عن مشاهداتهم فقال أحدهم: «منذ زمن ليس بالبعيد كنت خارجاً من الباب الخلفي لبناية «نايسلي»[3] حوالي الساعة الخامسة عصراً فرأيت مشهداً فظيعاً .. هناك على مقعد في أول الدرج المؤدي إلى الملعب الأخضر كان شاب وفتاة وقد .. يتردد ثم يستجمع طاقته ويقول: .. وقد جعلت «رأسها في خصره»، ثم أشاح بوجهه الذي اعتلته حمرة الخجل وهو يتمتم: «لقد انقطع شِلْشُ[4] الحياء في نفوس الناس»، وأضاف: «خاطبتهم من بعيد كي

---

(1) البار، محمد علي، عمل المرأة في الميزان، م. س، ص63.

(2) كيّال باسمة، سيكولوجية المرأة، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة، 1403هـ .، 1983م.، ص21.

(3) احدى مباني الجامعة الأميركية في بيروت، وقد تضمن المقال معلومات وأمثلة عن العلاقات بين عدد من طلاب وطالبات الجامعة كان المثل المذكور أعلاه لأقلها سوءا.

(4) شِلش: شِرش، عِرْق.

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

يلملموا أنفسهم ثم دنوت فأنبتهم» ثم قال كأنه يريدنا أن نوافقه فعلته: «إذا بَدُّن[1] يعملوا هيك شي ما ضروري يْفَرْجو[2] كل العالم ...»، وأضاف: «كانت واضحة جداً هشاشة الشاب وضعفه فهو لم يكن قادراً على الدفاع عن فعلته، بل إنه طأطأ رأسه وقد تغيّر لونه ... استأنف محدثي قائلاً من يومها أدركت وزملاء لي انه من واجبنا الشرعي أن نمنع هذه الحركات، نظمنا ما يشبه الدوريات بشكل يومي، وكنّا كلما رأينا حالة من هذا النوع نحاول أن ندخل في نقاش منطقي مع الشباب لنقنعهم بسلبية الحالة»، مستدركاً: «كنا نَنْجَرُّ لأن نؤنب الفاعلين في حالات أخرى، لكن إدارة الجامعة أحست بما نقوم به أنا ورفاقي شأناً من شؤونها، فكثفت دورياتها، وهدَّدت بسحب البطاقة الجامعية من أي اثنين يضبطان في وضع «غير أخلاقيس»[3].

2 ـ الاختلاط في الملاهي: كان من نتائج سعي الشباب إلى التمتع بحريتهم أن انجرفوا وراء الملذات دون وعي وإدراك، ومن هذه الملذات النوادي الليلية التي تغص كل ليلة بزوارها المنتمين إلى سائر الطوائف، بما فيهم بعض المسلمين الذين يرفضون معاقرة الخمور ويلتزمون بفريضتي الصلاة والصيام وغيرها من التكاليف الشرعية. ويرتاد الشباب مثل هذه الأماكن للترويح عن أنفسهم وتمضية الوقت الممتع، وقد تكون الفتاة مع صديقاتها، أو مع زملائها، أو حتى مع أهلها وقد تراقص من تشاء من الموجودين في النادي سواء كانت على معرفة مسبقة بهم أم لا.

ومن هذه النوادي نادي «أوبشن» options في منطقة الكسليك، ويتميز هذا النادي عن غيره بأنه يشبه كثيراً النوادي الأجنبية وقد تكلّف صاحبه أكثر من خمسة ملايين دولار لتأسيسه، وميزة هذا النادي أنه «يقدم لك كل الخيارات المتوفرة، في إمكانك أن تلبس ما تشاء، وترقص كيف ما تشاء، وتجنّ ما تشاء وتشرب ما تشاء، إنما «الخيارات» تبقى محصورة لمن

---

(1) بَدُّن: يريدون.

(2) يْفَرْجُو: يُروا.

(3) جريدة السفير اللبنانية، عدد 7203، تاريخ 5/ 10/ 1995، ص22.

توفرت لهم إمكانية الخيار»[1] من حيث إمكانية دفع ما يتطلبه الدخول إلى هذا النادي من أموال.

المبحث الثالث
الإعلام

1 ـ الإعلام قديماً

يعتبر الإعلام عبر الإعلان من أقدم الوسائل في دعوة الناس وإبلاغهم بالمستجدات الأمنية أو العسكرية، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر إبلاغ فرعون لقومه بالتجمع لمواجهة موسى عليه السلام فقال عز وجل:

﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوٓاْ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾[2].

كانت «دعوة الناس إلى مشاهدة ما سيجري إحدى وسائل الإعلام التي لها تأثيرها البالغ بعد أن تناقل الناس أمر موسى عليه السلام، فهم في شوق إلى التعرف إلى دعوته أو التلذذ بهزيمته وإنكاره»[3].

وقد بقي الإعلام عبر الإعلان منتشراً حتى زمن الرسول عليه الصلاة والسلام، وكان الإعلام في الجاهلية مقتصراً على الأدب من شعر ونثر إلا أنه في العصر الإسلامي ازدادت الوسائل لتشمل إضافة إلى الشعر والنثر الخطابة داخل المسجد وخارجه.

2 ـ أنواع وسائل الإعلام

تطورت وسائل الإعلام وأساليبه في العصر الحديث تطوراً كبيراً وتنوعت هذه الوسائل وانقسمت إلى أقسام وهي: «ـ 1 ـ الإذاعة ـ 2 ـ

---

(1). جريدة السفير اللبنانية، عدد 7203، تاريخ 5/ 10/ 1995، ص22.

(2) سورة الأعراف، الآيات 109 ـ 112.

(3) كجك، مروان، الأسرة المسلمة امام الفيديو والتلفزيون، دار الكلمة الطيبة، القاهرة. مصر، الطبعة الاولى، 1407هـ، 1986م.، ص19.

التلفزيون ـ 3 ـ الفيديو ـ 4 ـ المسجل ـ 5 ـ القرص (ألدسك أو الاسطوانة) ـ 6 ـ الفانوس السحري (آلة عرض الشرائح والصور غير المتحركة) ـ 7 ـ السينما ـ 8 ـ المسرح ـ 9 ـ الملاعب الرياضية ـ 10 ـ المطبوعات كالكتب والنشرات والمجلات والصحف ـ 11 ـ الخطابة ـ 12 ـ الأناشيد والأغاني والقصائد ـ 13 ـ الندوات والمناظرات ـ 14 ـ الملصقات واللافتات والإعلانات ـ 15 ـ الأقمار الاصطناعية وهي وسيلة إعلامية فائقة المقدرة، إذ تمتلك خاصية السيطرة والهيمنة على مختلف الأجهزة وخاصة التلفزيون ـ 16 ـ الهاتف والبرق والتلكس واللاسلكي ـ 17 ـ المعارض المحلية أو الدولية»[1].

وهذه الوسائل وإن كانت تشترك في بعض الصفات إلا أنَّ لكل وسيلة منها ميزة خاصة بها، وسيقتصر البحث هنا على التلفزيون والسينما والصحافة وذلك لإشتراكهم بأكبر عدد من المزايا أو باعتبارهم أحدث ما توصل إليه العلماء.

1 ـ التلفزيون

يتميز التلفزيون عن غيره من وسائل الإعلام بأنه الأقرب إلى الإنسان والأسهل من ناحية الحصول عليه والتمتع به، إضافة إلى أنه لا يحتاج إلى مجهود شخصي من التركيز والانتباه كما يحصل مثلاً عند قراءة الصحف، بل إنه يمكن أن يقوم الإنسان بعمل آخر وهو يشاهد التلفزيون، إضافة إلى حالة الاسترخاء التي يكون عليها الشخص وهو أمام التلفزيون مما يجعل هذا الجهاز أحب إلى القلب بخلاف السينما والمسرح مثلاً فإنهما يتطلبان التجهيز، إن كان من ناحية الشكل الخارجي من لباس وغيره، أو من ناحية التحضير النفسي والمعنوي.

مميزات التلفزيون: يتميز التلفزيون بعدة مميزات منها:

(1) . كجك، مروان، الأسرة المسلمة امام الفيديو والتلفزيون ،م.س، ص40.

1 ـ التنويم المغناطيسي

يشترك التلفزيون مع غيره من وسائل الإعلام بأنه وسيلة اتصال من جهة واحدة، إذ إنه لا دور للمشاهد إلا الأخذ والتلقي لأن «الصور التلفزيونية تتحرك بطريقة أسرع من أن يتداركها المشاهد بصورة كلية، ولذلك فهو يلحق بها داخل عقله ولا يترك له مجال لمناقشة المعلومات المارة على الشاشة إن هذا يبطل العقل الإنتقادي ويجعل المشاهد كأنه تحت تأثير التنويم المغناطيسي، ولذا فإن التلفزيون يبدو في الحالة هذه منوماً مغناطيسياً بارعا مستخدماً أسلوب (الارتباك) الذي طوره الدكتور (ملتون أريكسون) وهو أحد الرواد في التنويم المغناطيسي، وأسلوب الارتباك يقوم على أن يعطى الشخص الذي نريد التأثير فيه أشياء كثيرة يتعامل معها لدرجة إنك لا تعطيه فرصة لعمل أي شيء والانتقال السريع إلى شيء آخر، وربما يطلب المنوِّم من الشخص المراد تنويمه الاهتمام بموضوع معين، أيَّ موضوع فليس لذلك أي أهمية عنده، وهنا نصل إلى العمل المفرط حيث يبدي المريض عوارض إنهيار ويقوم المنوِّم بعد ذلك بتقديم بعض ما يطمئن المنوَّم بإعطائه أمراً واضحاً فيذهب المريض مباشرة في حالة (الغشية).

إن ما يقوم به التلفزيون والفيديو يشبه إلى حد كبير أسلوب الارتباك في التنويم المغناطيسي الذي ينتهي بانتزاع أفكار أخرى قد تكون مغايرة لسابقتها وهذا ما تعمد إليه الجهات التي تتقن صناعة غسيل المخ»[1].

وأسلوب التنويم والتخدير يبين مدى تأثر المشاهد بما يراه وقد يؤدي به إلى التقليد لأنه يتصرف بناء للأفكار الجديدة التي اكتسبها، وقد تكون هذه الأفكار مغايرة تماماً لما اكتسبه في حياته وتربيته المعروفة، ويظهر خطر هذا التنويم والتخدير على كل مشاهد مهما كان عمره وجنسه وإن كان أشد خطرا عند الطفل لأن المعلومات «الآتية إلى الطفل عبر الشاشة الصغيرة قد تحوي من المشاهد والحوارات والقيم والقواعد الحياتية ما يخالف تماماً ما ينطق به الأهل ويوصي به المربّون والمرشدون التربويون،

(1) كجك، مروان، الاسرة المسلمة امام الفيديو والتلفزيون، م. س، ص16.

وهذا ما يخلّف نوعاً من الالتباس والتناقض يؤدي بالطفل نفسياً وعقلياً وتربوياً إلى حال من الاضطراب والبلبلة. فبينما يوصي الأهل الطفل بضرورة إتباع قواعد السلوك السليمة عندما يزور العائلة ضيف معين، كأن نرحب به باحترام، وأن نحسن الاستماع إلى حديثه وأن نتجنب المقاطعة أو التلفظ بكلام غير مقبول، فإن الطفل غالباً ما يرى على الشاشة الصغيرة مشاهد مثيرة من الفظاظة في الكلام والتصرّف لا يربطها بما سبقها وبما يليها، بل يعتبرها مشاهد واقعية من الحياة تثير عنده السؤال: أين الحقيقة بالمقارنة مع توجيهات الأهل والمربين؟»[1].

وهكذا فإن الطفل لا يهتم بنهاية القصة المعروضة أمامه بل ما يثبت بذهنه هو ما رآه من فعل أو جرم أو غير ذلك، وقد يعود السبب في بعض الأحيان إلى عدم قيام الأهل بالغالب بالتفسير والتعليق لأولادهم عن مغزى ما يشاهدون، بل كثيراً ما نجدهم مسرورين لانشغال أولادهم بأمر ما أراحهم قليلاً عن إزعاجهم.

وهذا الأمر لا يقتصر على الأطفال فقط، ذلك أن الكبار أيضاً الذين يتأثرون بالتلفزيون لا ينظرون إلى النهاية، فلو تيقن السارق أن البطل الذي قام بالسرقة كانت نهايته السجن لما سرق ونهب.

2 ـ التعلم الاجتماعي

تنطلق فكرة نظرية التعلم الاجتماعي social learning theory لعالم النفس الأميركي ألبرت باندورا أساساً من القول بأن «الإنسان يتعلم من خلال (المشاهدة والملاحظة) أكثر مما يتعلم من خلال الأسلوب القديم وهو أسلوب (المحاولة والخطأ) عبر التجربة المباشرة، لقد أظهر أسلوب التجربة المباشرة نتائج محدودة جداً في عملية التعلم نظراً لأنه يصعب إن لم يكن مستحيلاً على الإنسان أن يجرب كل شيء متى يتسنى تعلمه.

ألبرت باندورا أراد أن يثبت أن التعلم من خلال القدوة والمثال عبر

(1) كرم، جان جبران، التلفزيون والأطفال، دار الجيل، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1988 م.، ص37.

المشاهدة والملاحظة من أخطر وظائف وسائل الإعلام، ولكي يبرهن على هذه الحقيقة من خلال نظرية (التعلم الاجتماعي) التي وضعها، فقد أجرى تجربة على مجموعتين من الأطفال.

أحضر باندورا مجموعتين من الأطفال وجعل كل مجموعة في غرفة فيها نفس الألعاب التي في الغرفة الأخرى إلا أنه عرض على المجموعة الأولى شريط فيديو يظهر فيه شخص يمارس سلوكاً عدوانياً (عنف لفظي وعنف جسدي) ضد دمية بحجم الإنسان. بعد فترة قام هو والفريق الذي معه وبشكل مفاجئ وسحبوا الألعاب من أطفال المجموعتين وجمعوهم في غرفة أخرى خالية إلا من دمية شبيهة بتلك التي كانت تتعرض للعنف في شريط الفيديو، لاحظ باندورا أن الأطفال في المجموعة الأولى الذين تعرضوا لشريط الفيديو عبّروا عن سخطهم على الموقف الذين تعرضوا له (نزع الألعاب منهم ونقلهم إلى غرفة أخرى) بضرب الدمية وشتمها بالطريقة نفسها التي شاهدوها في الفيديو أكثر من أطفال المجموعة الثانية الذين عبر بعضهم عن غضبهم بأساليب أخرى غير ممارسة العنف ضد الدمية. استنتج باندورا أن تعرض الجمهور لوسائل الإعلام وبخاصة الأطفال يجعلهم يتعلمون منها أشياء كثيرة من بينها العنف، وخلص باندورا إلى نتيجة فحواها أن الأطفال يصطنعون من بين شخصيات وسائل الأعلام (نموذجا) يحاكونه ويتعلمون منه كما حدث لأطفال التجربة الذين قلّدوا الرجل الذي كان يضرب الدمية ويشتمها»[1].

وهذا التعلم لا يقتصر على الأطفال بل إن التجارب دلّت على أن المشاهد مهما كان عمره يتأثر بما يراه، خاصة إذا كان ما يراه يحاكي معاناته وآلامه ويجد فيه حلولاً لأزماته ومثالاً على مدى تأثر المشاهد بما يراه على التلفزيون، أرسلت شبكة NBC في 10 سبتمبر 1974 «للمحطات التابعة لها دراما تليفزيونية بعنوان «مولودة بريئة»، وتشير هذه الدراما إلى قوة تأثير التليفزيون على السلوك الإنساني، وتدور فكرة الدراما حول فتاة

(1) الحضيف، محمد بن عبد الرحمن، كيف تؤثر وسائل الاعلام، مكتبة العبيكان، الرياض . المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى، 1415هـ، 1994م.، ص67 ـ 68.

شريدة يتم انتهاك عرضها داخل إصلاحية الأحداث، وتتضمن هذه الدراما مشاهد عنيفة يمكن الاعتراض عليها من جانب بعض المشاهدين، لذلك وضعت شبكة NBC تحذيراً في بداية عرض الدراما تقول فيه: «إن هذا العمل يحكي عن سلوك حقيقي بشأن انتهاك الأحداث وأثره على حياتهم وشخصياتهم، وتقترح الشبكة على المشاهدين أن يقرروا إمكانية مشاهدة هذه الدراما من جانب أبنائهم الشباب والصغار». وبناء على ذلك التحذير قررت خمس عشرة محطة تابعة لشبكة NBC عدم تقديم هذه الدراما. وبعد تقديم هذه الدراما تلقت الشبكة مئات المكالمات التليفزيونية التي تعترض على هذا العمل كما تلقت الشبكة مكالمات قليلة جداً من أفراد يحيون هذا العمل وصورته الواقعية ... وبعد ثلاثة أيام من تقديم هذه الدراما تعرضت فتاة عمرها تسع سنوات للاغتصاب في منطقة قريبة من «سان فرنسيسكو»، وكان المغتصبون ثلاث فتيان وطفلاً واحداً تتراوح أعمارهم ما بين التاسعة والخامسة عشرة، وتم استخدام زجاجة بيرة فارغة في عملية الاغتصاب، وتمت هذه العملية البشعة بصورة مطابقة تماماً لما حدث في الدراما التليفزيونية المقدمة.

وقد رفعت والدة الفتاة قضية ضد شبكة NBC بدفع مبلغ أحد عشر مليوناً من الدولارات كتعويض عن الضرر الذي أصاب الفتاة وفي سبتمبر 1976 صدر الحكم لصالح شبكة NBC وقررت المحكمة «أن الشبكة غير مهملة، وليس مطلوباً منها تجميد الإبداع الفني»[1].

ـ 3 ـ العنف في التلفزيون

كثرت الدراسات الحديثة حول تبيان أثر العنف التلفزيوني على المشاهد ودوره في ارتفاع نسبة الجرائم وفي إحساس الناس باللامبالاة تجاه الأحداث التي تعترضهم، ومن خلال التعمق في تفاصيل هذه الدراسات ونتائجها يمكن ملاحظة عدة أمور، ومن أهم هذه الأمور ما يلي:

---

(1) مكاوي، حسن عماد، اخلاقيات العمل الاعلامي، الدار المصرية للبنانية، القاهرة. مصر، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1994م.، ص339 . 340.

ـ أ ـ ارتباط العنف بارتفاع نسبة الجريمة: تدل الأبحاث على وجود علاقة بين ارتفاع نسبة الجريمة وبين العنف التلفزيوني عملاً بنظرية التعلم الاجتماعي التي ورد ذكرها سابقاً، وقد نشرت منظمة الائتلاف الدولي ضد العنف التلفزيوني «بحثاً استغرق إجراؤه (22 عاما) أظهر الأثر التراكمي للتلفزيون الذي يمتد حتى عشرين سنة لتظهر نتائجه، قال البحث: (هناك علاقة مباشرة بين أفلام العنف التلفزيوني في الستينات وارتفاع الجريمة في السبعينات والثمانينات). وقالت المنظمة: إن ما يتراوح بين 25 بالمائة و50 بالمائة من أعمال العنف في سائر العالم سببها العنف في التليفزيون والسينما»[1].

وتكمن خطورة هذه النتائج في أن هذه الأبحاث جرت في فترة زمنية لم يكن العنف التلفزيوني يشكل فيها خطراً كبيراً من حيث نوعيته وأساليب عرضه كما هو في الأيام الحالية.

ـ ب ـ ارتباط تأثير العنف بشخصية المشاهد: يربط كثير من الباحثين بين العدوان والسلامة النفسية، فالفرد «يتعلم العنف من وسائل الإعلام، لكنه لا يعمد إلى محاكاته وتقليده إلا في حالات الإحباط النفسي، وحينما تستثار عواطفه ومشاعر السخط والغضب لديه»[2].

ويرى دايفيد إبراهمسين في كتابه سيكولوجية الجريمة أن «الأطفال الذين يصبحون ضد المجتمع أو مجرمين توجد بداخلهم سمات بحيث أن أي مثير يؤثر فيهم. ويجب أن نعترف أن هناك بعض الحالات التي تثير فيها المادة التليفزيونية السلوك الإجرامي حتى بين الأشخاص المضطربين عقلياً»[3].

ـ ج ـ إرتباط العنف باللامبالاة: يعتبر كثير من الدارسين أن للعنف دوراً كبيراً في إحساس المشاهد باللامبالاة وعدم الإحساس بالحوادث

---

(1) كجك، مروان، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، م. س، ص 129.

(2) الحضيف، محمد بن عبد الرحمن، كيف تؤثر وسائل الإعلام، م.س، ص72.

(3) عيسوي، عبد الرحمن، الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان، 1404هـ، 1984م.، ص50.

وبالآلام التي يصاب بها مَنْ حَوْلَه وقد قام فكتور كلين من جامعة يوتاه UTAH باختبار هام يؤكد هذه المقولة، فلقد عرض فيلم عنف على» مجموعتين من الأطفال كل مجموعة مؤلفة من أطفال وأولاد تتراوح أعمارهم بين خمس سنوات وأربع عشرة سنة. المجموعة الأولى قليلاً ما شاهدت البرامج والأفلام التلفزيونية في خلال عامين سابقين، والمجموعة الثانية كثيراً ما شاهدت البرامج والأفلام التلفزيونية (42 ساعة أسبوعياً وفي خلال السنتين السابقتين)، وقد وصل كل فرد من أفراد المجموعتين بأجهزة تسجل ردود فعل القلب والتنفس والعرق وغيرها من الردود الجسمانية الدالة على حالات نفسية.

وفي خلال فترة ثماني دقائق من الفيلم[1] سجّلت الأجهزة ردود فعل الأعضاء الجسمانية الموصولة بها وكانت النتيجة هي التالية:

المجموعة الأولى أظهرت أحاسيس وانفعالات تتناسب إنسانياً مع المشاهد المعروضة، (نبض سريع، ضيق في التنفس، تصبب عرق).

المجموعة الثانية كانت ردودها متجاهلة تماماً ما يبث من مشاهد رعب وشراسة وعنف على الشاشة الصغيرة، وهذا يعني أن إدمانها مشاهدة هذه الأنواع من العنف خفّف من أحاسيسها الإنسانية إلى حدّ الانعدام»[2].

ـ د ـ ارتباط العنف بالتنفيس عن المشاعر: يغلب على ظن كثير من الناس أن مشاهدة العنف على التلفزيون تؤدي إلى تفريغ طاقة العنف الموجودة عند الناس، وقد أثبتت الدراسات خطأ هذه النظرية إذ إن التعرض لوسائل الإعلام التي تعرض الممارسات العنيفة «لا تنفس عن الفرد بقدر ما تدفعه وتحرّضه على ممارسة السلوك العنيف»[3].

وتجدر الإشارة هنا إلى دراسة أعدتها «جمعية الصناعات التلفزيونية الأميركية» وجاء فيها: «إن العنف في التلفزيون قد تكون له تأثيرات خطيرة

---

(1) لم يذكر الكاتب سوى ان الفيلم هو فيلم عنف.

(2) كرم، جان جبران، التلفزيون والأطفال، م. س، ص63.

(3) الحضيف، محمد بن عبد الرحمن، كيف تؤثر وسائل الاعلام، م. س، ص73.

في تبلد الإحساس لدى المشاهدين أو خوف مفرط عندهم من أن يتحولوا إلى ضحية.

أعد الدراسة خبراء بعلم النفس والطب والتربية فضلاً عن جمعية الصناعات التلفزيونية والجمعية الوطنية لمحطات التلفزيون عبر الكابل ...

وفي النتائج ارتكازاً على 2500 ساعة من البرامج التلفزيونية ما يأتي:

- يفلت المسئولون عن أعمال العنف من العقاب في 73 بالمائة من الحالات مما يخلق لدى المشاهدين ميل إلى اعتبارهم أن العنف عملية ناجحة إذ تمر بدون عقاب.

- لا تعرض البرامج التلفزيونية العواقب السلبية للعنف على الضحايا من حزن وألم وأضرار نفسية ومالية وغيرها.

- يشمل ربع مشاهد العنف استخدام أسلحة نارية مما قد يؤدي إلى أفكار أو سلوك عدواني»[1].

- 4 - الجنس في التلفزيون

يعتبر موضوع الجنس وعلاقته بالإعلام من المواضيع المهمة التي شغلت ولا زالت تشغل الدارسين، ومن المهم الإشارة إلى اختلاف مفهوم الجنس والإباحية بين مجتمع وآخر، فما يعتبره الإسلام مشاهد إباحية لا تعتبره أميركا كذلك، ولذلك لا بد من تبيان أثر هذه المشاهد التي يعتبرها الإسلام إباحية على المشاهدين في مختلف الأعمار.

دور المرأة في المشاهد التلفزيونية

يركز المسئولون الإعلاميون كثيراً على المرأة وعلى استخدامها في كافة الأعمال، ولا يكتفون بإظهار وجهها بل إنهم يتفننون في إظهار كافة أنحاء جسدها. وهم يستخدمون المرأة في كل المجالات، فنادراً ما يحدث أن يظهر مشهد خال من وجود المرأة، اللهم إلا بعض الخطابات

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد19359، في 8/ 2/ 1996 الصفحة الأخيرة.

السياسية، وأكبر استخدام لها هو في الإعلانات وفي ربط وتقديم البرامج.

ـ أ ـ المرأة في الإعلانات: تستخدم المرأة في الإعلانات كوسيلة لجذب الأنظار إلى مادة استهلاكية معينة، فتستخدم المرأة «كأداة للجذب الجنسي وكطعم للتشجيع على الاستهلاك، وفي كل الأحوال تظهر المرأة كمخلوق ساذج لا همّ له إلا الأكل والشرب والتجمل.

فالمرأة تستخدم كأداة للإعلان عن السلع لجذب الرجل والمرأة على السواء، فالإعلان يدعو المرأة إلى تخيل نفسها في دور المرأة التي حصلت على أغلى أمنية بشراء السلعة، وهي الرجل، أما الرجل فيغريه بالحصول على المرأة الجميلة التي تعرض السلعة كجائزة لشراء هذه السلعة»[1].

ـ ب ـ المرأة المذيعة: يعتبر لباس المرأة المذيعة ومنظرها الخارجي تعبيراً عن أحدث الموديلات الموجودة في الأسواق، لذلك غالباً ما نسمع بين الناس من يقول: هل رأيت قصة شعر المذيعة الفلانية، هل رأيت ما أجمل ثوبها؟

ومن هذا المنطلق يتبين مدى تأثير مظهر المذيعات وسلوكهن على «المشاهدات وقد أصبحن مثلاً يحتذى وخاصة من الفتيات وذوي الثقافة المحدودة، فما زال الشكل دون الجوهر هو الأهم، وقد تطغى الأنوثة في بعض الأحيان اعتقاداً من صاحبتها أنها الوسيلة للمجد والشهرة»[2].

دور المشاهد المختلطة

يحرّم الإسلام الاختلاط بين الرجل والمرأة ويعتبرها من المحرمات، ومع ذلك كثرت البرامج التلفزيونية التي تصور الرجل والمرأة جنباً إلى جنب في كل المجالات، حتى في الأماكن العامة والخاصة.

وهكذا تطور الأمر وتناسى الناس أن الإسلام حرّم هذا كله، والسبب في هذا النسيان هو وجود أشياء أكثر خطورة تحدث وتستوجب التحريم،

---

(1) فهيم، فوزية، الإعلام والمرأة ،الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة، 1986م.، ص68.

(2) فهيم، فوزية، الإعلام والمرأة، م.س، ص67.

لذلك نجد «أن جمهور الأفلام السينمائية والتلفزيونية مدرج على تقبّل النزعات الإيروتيكية[1]، جرعة تلو جرعة، تبعاً لإيقاع تطور العادات والتقاليد والمفاهيم الأخلاقية والسلوكية، فمن قبول لظهور المرأة إلى جانب الرجل يعملان معاً أو يتصادقان أو يتحابان، إلى قَبول بالقبلة السريعة فالقبلة المحمومة، إلى الضمّ ولثم أجزاء أخرى من الجسد، إلى رقص الإغراء في جميع أشكاله، إلى مشاهد من الحياة العاطفية الزوجية أو الغرامية، إلى المشاهد الكاملة في لحظات السرير، ... إنها حركة تغيير وتطور في مفهوم الصورة الفيلمية وفي طبيعة السينما والتلفزيون وفي المفاهيم الأخلاقية والدينية والسلوكية»[2].

ومن الأمثلة عن هذا الانفتاح في التلفزيون اللبناني هو تنافس المحطات التلفزيونية على شراء المسلسلات المكسيكية التي لا تنتمي إلى أعراف وتقاليد لبنان، مما أثار مخاوف بعض الناس والأهالي على وجه الخصوص، وقد أوردت إحدى الصحف رأياً لإحدى الأمهات جاء فيه: «إن ابنتها البالغة من العمر سبعة أعوام أصرت على معرفة لماذا يقبّل البطل المكسيكي البطلة المكسيكية وهما عاريان، أليس من الممكن أن يقبّلها وهي غير عارية مثلاً»[3].

وقد كان من نتائج نجاح هذه المسلسلات وتنافس المحطات التلفزيونية على شرائها أن قامت بعض المحطات المحلية ومنها التلفزيون اللبناني بإنتاج برامج محلية تنافس هذه البرامج من حيث عرضها للخلاعة الأخلاقية بكافة وجوهها، ومن أبرز هذه المسلسلات مسلسل «العاصفة تهب مرتين» الذي عرضه تلفزيون لبنان والذي تضمن إضافة إلى الخيانات الزوجية والاستعانة بالمومسات في المهمات الرسمية، تنافس بين الممثلات على إظهار أكبر مساحة من أجسامهن، والغريب في الأمر أن هذا المسلسل

---

(1) الايروتية EROTISM: مصطلح عام يستخدم في كتابات التحليل النفساني للدلالة على التهيج الجنسي أو الشهوة الجنسية، انظر: اسعد، رزوق، موسوعة علم النفس، م.س، ص166.

(2) كرم، جان جبران، التلفزيون والأطفال، م. س، ص75.

(3) جريدة النهار اللبنانية، الدليل، العدد 18820، الجمعة 29/ 4/ 1994.

لاقى نجاحاً كبيراً بين الناس برّره كاتب المسلسل بأنه يعبر عن واقع الحياة اللبنانية.

ومن البرامج التي يحصل فيها التنافس أيضاً الأفلام الإباحية الأجنبية التي انتشرت في كل المحطات وفي كل الأوقات، مما دفع بعض الصحفيين إلى الاعتراض على وقت عرض هذه الأفلام وإن لم يعترضوا على مضمونها، وقد جاء في إحدى المقالات التي نشرت حول الموضوع ما يلي:

«في العام الماضي اجتاحت شاشتنا موجة الأفلام التي اعتبرت إباحية إلى حد ما والتي تسابقت «شركات» التلفزيون اللبناني إلى عرضها في فترات مختلفة من النهار والليل، وقامت القيامة على هذه الموجة التي توقفت نهائياً مسببة بلبلة لدى الرأي العام الذي انقسم بين مؤيد ومعارض، واليوم نلاحظ أن هذه الأفلام عادت تتسلل إلى شاشتنا ولو في شكل متقطع، إذ بدأت بعرضها منذ أسابيع بعض شركات التلفزيون وفيها من المشاهد الإباحية والحوارات الصريحة ما يثير ويلفت. لسنا من دعاة التخلف لكننا نعتبر أن هذه الأفلام لا يجوز عرضها في أوقات مبكرة من الليل بما تشكله من خطر على النشء، ونحن مع بقاء هذا النوع من الأفلام ضمن برمجة معقولة بحيث تترك الفترات الأولى من السهرة للبرامج الثقافية والعلمية التي تصلح لأولادنا وتبقى الأفلام موضوع حديثنا إلى منتصف الليل»[1].

نتائج الإباحية على التلفزيون

كثرت الأبحاث والدراسات حول تأثير المواد الإباحية التي تعرض على التلفزيون على المشاهد، وتنوعت نتائج هذه الأبحاث والدراسات تبعاً لاختلاف نوعية المشاهدين وأهم ما توصلت إليه هذه الأبحاث والدراسات من نتائج هو:

أولاً: الإحساس بعدم الرضا عند المراهقين: يرى الباحث الإعلامي

(1) جريدة النهار اللبنانية، الدليل، العدد 18820، الجمعة 29/ 4/ 1994.

«ستانلي باران» STANLEY BARAN أن إدراك المراهقين للشخصيات التي تقدم المشاهد الجنسية في وسائل الإعلام بطريقة إيجابية يجعلهم يشعرون بعدم الرضاء عن خبراتهم الجنسية، كما لاحظ الباحث أنه كلما زاد عمر المراهق زاد اعتقاده بأن الجنس الذي تمارسه الشخصيات الدرامية أكثر تعبيراً عن الواقع وأن شخصيات التلفزيون تمارس خبرات جنسية مُرْضِية»[1].

وإذا تمّ الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الدراسة حصلت في أميركا، وأن المراهق في لبنان وفي الدول العربية قد لا يتمتع بالحرية الجنسية ـ في بعض شرائح المجتمعات في هذه الدول ـ كما يتمتع بها زميله الأميركي، فإنه سيتبين كم أن إحساس هذا المراهق بعدم الرضى سوف يكون أخطر وأقوى.

ثانياً: التشجيع على الاغتصاب: تعتبر الجرائم الجنسية من أخطر النتائج المترتبة عن مشاهدة المشاهد الإباحية، وهذا ما أثبتته الدراسات، فقد أشار «أحد المسوح[2] في المجتمع الامريكي إلى أن نصف العينة تعتقد أن مشاهدة المواد الجنسية في وسائل الأعلام، وخاصة التلفزيون، يحض على ارتكاب جريمة الاغتصاب»[3].

ويعود السبب فى حصول هذه الجريمة والتشجيع عليها إلى إحساس الفرد أن فعله أمر عادي ينطوي على المتعة وليس جريمة يمكن أن يعاقب عليها، كما أنه بدافع هذا الإحساس يمكن أن يعتقد أنه يستطيع أن يقدم على الاغتصاب ثم ينجو من العقاب بسهولة[4].

ثالثاً: نشؤ موقف متسامح أمام الجنس: تؤدي كثرة التعرض للمواد الجنسية إلى وجود إحساس بالتسامح إزاء الرذيلة عند غالبية المشاهدين، «فالفرد الذي يجد أنه قد أستثير جنسياً مرة وأخرى، يصبح أكثر قبولاً وأكثر

---

(1) مكاوي، حسن عماد، أخلاقيات العمل الاسلامي، م. س. ،ص332.

(2) المسوح: جمع مسح، والمقصود: مسح اجتماعي أي بحث اجتماعي.

(3) مكاوي، حسن عماد، أخلاقيات العمل الاسلامي، م. س. ، ص332.

(4) الحضيف، محمد بن عبد الرحمن، كيف تؤثر وسائل الإعلام، م.س، ص75 ـ 76

تسامحاً مع الفساد الأخلاقي، لأنه يعتقد أنه في النهاية سيوفر له فرصة يشبع منها رغبته وغريزته التي تحركت بسبب تعرضه لتلك المشاهد المثيرة جنسياً»[1].

ـ 5 ـ الاستفادة من الاختراعات الحديثة

لا بد في نهاية الكلام عن أثر التلفزيون على الناس من الإشارة إلى ظاهرتين خطيرتين بدأتا تجتاحان الدول العربية والإسلامية، الأولى ظاهرة البث عبر الأقمار الاصطناعية، وظاهرة مشاهدة الأفلام عبر الكومبيوتر.

ـ أ ـ البث عبر الأقمار الاصطناعية: أخذت منذ فترة تظهر في الأسواق اللبنانية بعض الأجهزة اللاقطة المتطورة مثل الصحون اللاقطة «الدّش» التي يستطيع المشاهد بواسطتها أن يلتقط ويشاهد برامج تلفزيونات العالم المختلفة والمتضمنة الكمّ الهائل من المعلومات والمشاهد، بحيث تفقد الدولة والأهل معاً القدرة على السيطرة على مشاهدات الأطفال والمراهقين، وإذا كان الناس في هذا الزمن يعانون من بعض المشاهد الإباحية، فإنهم بعد سنوات سيعانون من الأفلام الإباحية الكاملة التي تبثها بعض تلفزيونات العالم بشكل عادي ومباح وإن كان في أوقات متأخرة من الليل.

ـ ب ـ مشاهدة الأفلام عبر الكومبيوتر: يعاني العالم اليوم من انتشار عرض الأفلام الإباحية عبر أجهزة الكومبيوتر، وقد أوردت صحيفة «ونهوي» الرسمية في شانغهاي في الصين أن «العاب الكومبيوتر الإباحية بدأت تنتشر في هدوء في مدينتنا وتبعث تياراً خفياً من القلق، ويواجه زعماء الصين الشيوعيون الإباحية في شدة حتى كثيراً ما يحكم على البعض بالإعدام بتهمة تهريب أشرطة فيديو إباحية أو كتب أو صور.

وأوضحت الصحيفة أن قاعة ألعاب مجاورة لإحدى المدارس الثانوية في شنغهاي تعرض ألعاب كومبيوتر إباحية، وان الآباء يظنون أن أبناءهم يذاكرون ... وقالت الصحيفة إن ألعاب الكومبيوتر الجنسية «تنتشر في أنحاء

(1) الحضيف، محمد بن عبد الرحمن، كيف تؤثر وسائل الإعلام، م.س، ص79.

المدينة بهدوء وعلانية»[1].

والأخطر من ذلك أن هناك تبادلاً لأفلام جنسية خلاعية بواسطة أجهزة الكومبيوتر بين المشتركين في شبكة إنترنتINTERNET، فقد ورد في جريدة النهار أن «الاختراع الكبير المفتوح اليوم على الاحتمالات هو شبكات الـ INTERNET في أجهزة الكومبيوتر وما يعرف بـCYBER SPACE حيث شركات تقدم ما هو متنوع وجديد، وهي في كل مجالات الحياة من اقتصاد ومال وتجارة وأسواق وأزياء وعلوم وفن وطبيعة وبحار وفضاء وسياحة وألعاب وغيرها كثير، وهنا يستطيع المشترك بواسطة جهاز الكومبيوتر لديه أن يختار ما يريد معرفته في اللحظة ذاتها ويحصل على المعلومات بالأحرف والصور والألوان ... وإلى كل ما في الكومبيوتر المنظور من مفاتيح لآفاق جديدة للإنسان و شحذ لقدراته الفكرية والحضارية، ثمة من يمعن في تحديد هذه الآفاق في إطار محدد أوحد يرتكز على إثارة الغرائز الجنسية إلى أقصى أبعادها وأسفلها، ولا مثيل لها في كل أسواق الدعارة الحية، (وعرض في مجلس الشيوخ) نماذج من الموضوعات التي تمرّر في تلك الأجهزة، ومنها مشاهد لعلاقات جنسية بحيوانات وأشكال من الجنس الذليل والداعر وعري الأطفال، وتبين أن ثمة حلقات بواسطة أجهزة الاتصال هذه في غرف الثرثرة لمبادلات بورنوغرافية[2] وثمة برامج من هذا النوع تركز على الأطفال الذين يتسلّون بأجهزة الكومبيوتر وفي اعتقاد أهلهم أن اشتراكهم في شبكة خاصة بهم يقوي قدراتهم الفكرية وهي آمنة خارج البرامج الفاضحة»[3].

ـ 6 ـ طريقة التعامل مع التلفزيون

تضاربت الآراء حول طريقة التعامل مع التلفزيون مع وجود هذه الآثار الضارة التي ورد ذكرها في الفصل السابق، وكانت الآراء متناقضة بين المطالبين بإلغاء التلفزيون ورفض وجوده في المنازل، وبين من يُرْجِع

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19026، تاريخ 4/ 1/ 1995، ص18.
(2) بورنوغرافية: مؤلفات خليعة.
(3) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19173، في 3 / 7/ 1995، ص20.

الأمر إلى الأهل و يوكل إليهم مهمة السيطرة على أولادهم ومنعهم من مشاهدة البرامج المسيئة إليهم، وفيما يلي عرض لهذه الآراء مع تبيان السبيل للتوفيق بينهما:

ـ 1 ـ **الدعوة إلى إلغاء التلفزيون**: يرى أصحاب هذا الاتجاه أنه لا سبيل للتكيف مع التلفزيون ويجب إلغاء هذا الجهاز من المنزل، «ويعتمدون في رأيهم هذا على أن طبيعة التلفزيون التقنية ترفض أي إصلاح لبرامجه، فكما أن العنف كامن في الأسلحة فإن الشر والفساد كامنان أيضاً في التلفزيون ذاته كجهاز»[1].

ـ 2 ـ **الدعوة إلى التعامل مع التلفزيون**: يعتبر أنصار هذا المذهب أن مسئولية التعاطي مع أطفالهم وترتيب الحوار حول مضمون الأفلام والبرامج تقع على الأهل و«أن الغرب سابق في ميدان الحضارة فلا عجب في تقليده، وهكذا بدأت تظهر في بعض الأفلام والبرامج المستوردة مشاهد اعتداءات جنسية وعلاقات زوجية في الغرف العائلية، ولقطات عري شبه كامل في ولائم وحفلات وبرامج لهو ومرح»[2].

والواقع أنه لا يمكن الأخذ بأحد هذين المذهبين لأنه لا يمكن إلغاء التلفزيون من جهة كما لا يمكن أن يستطيع الأهل السيطرة التامة على أولادهم لعدم تواجدهم الدائم معهم، كما أن للتلفزيون حسنات لا يمكن التغاضي عنها، ومن هذه الحسنات:

ـ 1 ـ توحيد الأفكار: إن للتلفزيون خاصية مهمة وهي «توحيد الأفكار والمشاعر بين الناس، يوحد من عاداتهم وتقاليدهم وأنماط سلوكهم وقيمهم، لأن الآلاف منهم يشاهدون نفس المؤثرات فهو يساعد على تحقيق وحدة الفكر والمعايير والثقافة والأذواق الجمالية، وهو بذلك أداة من أدوات التثقيف الجماهيري»[3].

ـ 2 ـ التوجيه الإسلامي: يمكن الاستفادة من التلفزيون في التوجيه

---

(1) كجك، مروان، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، م. س، ص252.

(2) كرم، جان جبران، التلفزيون والأطفال، م. س، ص77.

(3) عيسوي، عبد الرحمن، الآثار النفسية للتلفزيون العربي، م. س، ص25.

الإسلامي لأن المجتمع الإسلامي مجتمع شمولي متكامل و«الإعلام فيه لا بد أن يعكس شمول العقيدة وتكامل التيار الاجتماعي، ومن ثَمَّ فإن كل شيء فيه إسلامي بدءاً من المرح والمزاح وحتى مواجهة الموت. والإعلام في مثل هذه الحالة إسلامي في صدق أخباره، وإسلامي في الترويح والتسلية، وإسلامي في إعلاناته وإسلامي في تعليمه، وإسلامي في شرح الأخبار وتفسيرها»[1].

وقد لخص ميثاق الشرف الإسلامي الذي صدر عن منظمة إذاعات الدول الإسلامية عام 1358هـ النتائج التي يجب أن يتبعها الإعلامي المسلم وهي: «ترسيخ إيمان الإنسان بربه، تعميق القيم الأخلاقية، الامتناع عن إذاعة كل ما يمس الآداب العامة، الاهتمام بالطفل والناشئة والشباب، مكافحة المسكرات والمخدرات والمقامرة ... مكافحة كافة الجرائم، احترام المهن المشروعة وأصحابها، مكافحة الأمية والأمية الوظيفية، الامتناع عن إذاعة الإعلان التجاري في حال مساسه بالأخلاق، التمسك بمبادئ المساواة والعدالة، الالتزام باحترام الشرعية وعدم المساس بهيبة العلماء»[2].

ومن المهم التذكير هنا بالهدف من وراء التركيز على احترام هيبة العلماء بناء على ما يظهر في بعض المسلسلات التلفزيونية، حيث يحرص بعض الكتّاب على إظهار رجل الدين بهيئة «رجل متشدق، متفيهق، بدين الجثة ...عظيم البطن ... همّه الأكل والشرب، مع تصويره بصورة مزرية لا تمت إلى الواقع بصلة، بل تثير السخرية من الدين وأهله، وتحمل الناس على احتقار الدين والتنصّل منه بطريق غير مباشر أو مباشر»[3].

والاستهزاء بالدين وطلاب العلم واللباس الإسلامي والمظهر الخارجي للعالم المسلم أمر آخذ في الانتشار في الوقت الحالي، خاصة في المسلسلات المصرية.

---

(1) محمد، سيد محمد، المسئولية الإعلامية في الاسلام، مكتبة الخانجي، القاهرة . مصر، الطبعة الاولى، 1403هـ، 1983م.، ص26.

(2) محمد، سيد محمد، المسئولية الإعلامية في الاسلام، م.س، ص377 . 378.

(3) عبد الله، فاطمة، الموضة في التصور الاسلامي، م.س، ص45.

ـ 2 ـ السينما

تتميز السينما عن التلفزيون بشموليتها وسرعة تصديرها، كما أن جمهور السينما قد يختلف في بعض الأحيان عن جمهور التلفزيون لما في السينما من مؤثرات صوتية وإضاءة وغير ذلك، كما أن الإباحية في السينما تبدو أوضح وذلك لتضمنها كثيراً من المشاهد الإباحية، بينما تقوم الرقابة في التلفزيون بعملية قص المشاهد التي تخدش الحياء العام، من هنا يمكن التساؤل: لماذا يصرّ أهل الفن على تقديم الانحراف السلوكي؟ والجواب على شقين:

الشق الأول هو «أن الانحراف السلوكي الجنسي يمثل مادة خصبة وتجارية ولا تكلف فكراً ولا عناءً فنياً.

والشق الثاني هو أن أهل الفن يمثلون منهجاً مدروساً ومخططاً للإفساد الاجتماعي والتدمير الخلقي والتخريب القومي، في غياب تربية إسلامية صحيحة ناضجة وثقافة علمية عميقة واعية ...»[1].

وهنا يبرز دور اليهود ومخططهم التدميري الذي ذكر سابقاً، وقد قال مناحيم بيغن[2] في أحد مؤلفاته: «يجب أن نعمل، ولنعمل بسرعة فائقة، قبل أن يستفيق العرب من سباتهم فيطّلعوا على وسائلنا الدعائية، فإذا استفاقوا ووقعت بأيديهم تلك الوسائل وعرفوا دعاماتها وأسسها فعندئذ سوف لن تفيدنا مساعدات أميركا»[3].

ـ أ ـ اهتمامات السينما المعاصرة

يعتبر التنفير من الدين والأخلاقيات من اهتمامات السينما العالمية والمحلية، لذلك يصرّ بعض الكتّاب على إبراز وتحسين الحياة المادية في

---

(1) القاعود، حلمي محمد، أهل الفن وتجارة الغرائز، دار الاعتصام ،مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص26.

(2) مناحيم بيغن: رئيس وزراء اسرائيل الأسبق.

(3) كجك، مروان، الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، م.س، ص29. نقلا عن كتاب رفيق بكري: مدخل في الرأي العام والاعلام والدعاية، ص51.

مقابل تشويه صورة الدين ومن يمثله من علماء ومشايخ، كما يحصل في التلفزيون. أما تحسين الحياة المادية فيكون بالتركيز على الغرائز الجنسية عن طريق التركيز على الإباحية في الأفلام، وهذه الإباحية على نوعين: إباحية في الأفلام العادية والإباحية المطلقة في بعض الأفلام الخاصة والتي لها تعريفات خاصة بها.

- ب - أثر مشاهدة الأفلام الإباحية

يعتبر علم النفس أن أكثر سن يمكن أن تشكل خطراً على الإنسان هي سن المراهقة، ذلك لأن الطفل عادة يمتنع أو يمنعه أهله عن مشاهدة الأفلام الإباحية والرجل الكبير الناضج قد لا يتأثر إذا كان قادراً على إشباع شهوته، أما المراهق فهو وحده العاجز عن إشباع هذه الشهوة، لذلك قال الدكتور عبد اللطيف المعاليقي أستاذ علم النفس في الجامعة اللبنانية:

«مشاهدة المراهق للأفلام الإباحية تحمل مخاطر جمة، حيث يشاهد المراهق ما لا يدرك معناه الحقيقي بالكامل، قد يَنْفِر، أو يكون سلبياً، وربما وجد نفسه في موقف نكوص من الجنس، أي العودة إلى الاستمناء الطفلي والتلذذ الذاتي، إنها بعض الانعكاسات الناتجة عن مشاهدة المراهق للأفلام الإباحية لأنها تؤدي إلى الإدراك الخاطئ للعلاقات الجنسية، مما يدفعه للتهالك على اللذة البيولوجية حيث يكون الفرد ذاتاً وموضوعاً دون أن يتمكن من بناء علاقة مع الآخر، فيما الإدراك الصحيح للجنس يتمثل بأنه حاجة بيولوجية وعاطفية ونفسية. إذاً المراهق الذي تتفتح أحاسيسه الجنسية عبر الأفلام الإباحية يستسهل الأمور، ليس فقط في التوصل إلى اللذة بل أيضاً في استهانته بالقيم الروحية والأخلاقية، وقد يصل إلى درك الاعتداء على الآخرين واغتصاب حقوقهم لتحقيق الرغبات التي نشأ المراهق عليها»[1].

أما بالنسبة لتأثير مشاهدة الأفلام الإباحية (البورنو) فقد جاء في دراسة «تمت سنة 1982 في INDIANA UNIVERSITY للبحث في نتائج

(1) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد911، تاريخ 15/ 1/ 1996، ص32 ـ 34.

التعرض الدائم لأفلام البورنو على المعتقدات الجنسية العامة، وتاثيرهاعلى المرأة خصوصاً ... أن الذين يتعرضون لهذه الأفلام يعتقدون أن الذين يمارسون الجنس مهمين جداً.

وأظهر البحث أن الرجال والنساء الذين يشاهدون هذه الأفلام لا يهتمون بضحايا الاغتصاب، وأن النساء أظهرن اهتماماً بالضحايا أكثر من الرجال، ولكنهن اعتبرن أيضاً أنه لا أهمية للاغتصاب لأنهن يرونه بشكل دائم»[1].

- ج - مواضيع الأفلام الإباحية

تتعدد المواضيع التي تثير اهتمام المنتجين، وكلما مرَّ الزمن كلما حاول الكتّاب معالجة مواضيع أكثر جرأة وانفتاحاً، ومن هذه المواضيع موضوع السحاق، فقد اهتمت السينما الفرنسية بهذا، وظهر حديثاً فيلم «يعالج موضوع السحاق بجرأة بالغة ... قامت الممثلة الفرنسية جوزيان بالاسكو بكتابة سيناريو فيلم يتناول قصة غرام بين سحاقيتين إحداهما متزوجة وعندها أولاد وتعيش حياة طبيعية مع زوجها، إلا أنها لا تتورع عن المجيء بصديقتها إلى البيت للعيش معها ومشاطرتها العلاقات الخاصة والشاذة أمام ذهول الزوج وعجزه عن معالجة الموضوع»[2].

- 1 - الاغتصاب في الأفلام

ينقسم الحديث عن الاغتصاب في الأفلام إلى قسمين:

القسم الأول: يتعلق بالأفلام التي يظهر فيها بعض مشاهد اغتصاب.

القسم الثاني: يتعلق بالأفلام المتخصصة بموضوع الاغتصاب، إن كان بتصوير سينمائي، أو بنقل حي.

- أ - مشاهد الاغتصاب في الأفلام: تعتبر مشاهد الاغتصاب في

---

(1) LEDRAY LINDA, RECOVERING FROM RAPE P197.

(2) جريدة اللواء اللبنانية، العدد 8337، تاريخ 25/ 3/ 1995، الصفحة الاخيرة.

الأفلام من المشاهد العدوانية المتكررة في كثير من الأفلام، وليس من الضروري أن يكون الفيلم إباحياً حتى يحتوي على مشاهد اغتصاب وإن كانت عابرة، فمن الممكن مشاهدة ذلك في كثير من الأفلام غير الإباحية، ولذلك فنادراً ما نشاهد فيلماً خالياً من مشاهد اغتصاب. ويؤدي هذا النوع من «ضرب النساء في الفيلم وتلذذ الرجال بإذلالهن إلى تولد الإحساس بأن هذا الفعل مقبول، بل وأيضاً طبيعي»[1].

- ب - تخصص الفيلم بموضوع الاغتصاب: كثرت في السنوات الأخيرة الأفلام التي تتناول موضوع الاغتصاب مع التنبيه في بداية الفيلم أو نهايته على كون هذا الفيلم منقولاً من الواقع، ومن الأمثلة على ذلك الفيلم الذي عرض في مهرجان كان عام 1975 «المخرجة كندية إسمها آن كلير بويرير تحت عنوان «الموت حتى قمة الرأس» والفيلم بين الدراما والتسجيلية، وقد تمّ جمع معظم معلوماته من أفواه الضحايا اللواتي تعرضن للاغتصاب الفعلي ... والفيلم يركز على بشاعة لحظات الاغتصاب وتأثير ما حدث للأنثى نفسها بعد ذلك ...

تبدأ المرحلة الثانية من الفيلم حيث الاستجوابات بطريقة مستفزة من الشرطة، فرغم ضخامة المأساة ومرحلة الانهيار الكاملة التي تعيشها الفتاة عقب الاغتصاب إلا أن رجال الشرطة يتعاملون في مثل هذه الحالات مع الضحية باعتبارها مسئولة بشكل أو بآخر عن الجريمة، وطبعاً رجل الشرطة يريد أدق التفاصيل عن ما حدث وبالتالي يجب على الضحية أن تعيد إسترجاع الشريط البشع في ذاكرتها مرة ثانية بما في ذلك السباب القذر الذي وجهه المجرم أثناء ذلك»[2].

ومثل هذا الفيلم، وإن كان يعرض لأمر واقعي، إلا أن ضرره يكمن في أنه إضافة إلى تشجيع المغتصبين على ارتكاب جرائمهم فإنه يشجع الضحايا على عدم الإبلاغ عن تلك الجرائم، كي لا يمروا بالتجربة التي

---

(1) MACKELLAR,JEAN,LE VIOL,P: 288.

(2) لاشين، هشام، سينما الاغتصاب والعنف: المركز العربي للصحافة والنشر والإعلام، الطبعة الأولى، 1992م.، ص16.

مرّت بها الضحية والمعاناة التي عانتها أثناء التحقيق وإن حصلت في نهاية الفيلم على حقها بحبس المتهم.

إلا أن أحدث الأفلام غرابة هو فيلم DISCLOSURE الذي يتناول «موضوع السلطة وما يترتب عليها من فرض أوامر وإخضاع المرؤوسين لأحكام ديكتاتورية. ميريديت جونسون (ديمي موز) تجسد السلطة في شركة تقنيات صناعية متطورة، فهي نجحت في الفوز بمركز نائب رئيس قسم التخطيط والعمليات، الذي كان من المقرر أن يتسلمه طوم ساندرز (مايكل دوغلاس) عشيقها سابقاً، وبعدما أصبحت رئيسته تحاول ميريديت إخضاعه لسلطتها، فتستدرجه إلى مكتبها وتحاول إجباره بالقوة على ممارسة الحب، لكن طوم الذي يرفض التضحية باستقراره العائلي وبزوجته سوزان (كارولين غودال)، وخصوصاً برجولته المقيّدة، يرفض الإذعان لرغبتها ويلوذ بالفرار، لكنه يفاجأ في اليوم التالي برئيسته تقاضيه في المحكمة بتهمة محاولته الاعتداء عليها جنسياً. فهل سبب الدعوة امرأة مجروحة أو خطأ تقني في الشركة تحاول ميريديت المسئولة عنه إلصاقه بطوم بعد أن تَضْمَن فضحه وبالتالي رحيله»[1].

وميزة هذا الفيلم أنه يتحدث عن نوع مختلف ومعاصر من الاغتصاب، وهو اغتصاب النساء للرجال الذي جرى الحديث عنه سابقاً.

ـ ج ـ الاغتصاب بالنقل الحي: يمتاز هذا النوع من الأفلام عن الذي سبقه في أنه ليس سينمائياً وإن كان مصوراً، فهو فيلم يروي قصة حقيقية تَحْدُث مع أبطالها الحقيقيين، والهدف من تسجيل الواقع قد يكون بهدف إثارة الغرائز كما قد يكون بهدف الانتقام والتشفي.

ومن الأمثلة على أفلام الاغتصاب التي تثير الغرائز، أفلام دعارة الأطفال واغتصابهم، «ففي الولايات المتحدة وبريطانيا شرائط فيديو تدور حول اغتصاب الأطفال من قبل الكبار، ويتبع ذلك قتل هؤلاء الأطفال،

(1) جريدة النهار اللبنانية، الدليل،العدد 19115، تاريخ 21 /4/ 1995، ص8.

وهذه الأفلام لها أيضا اسم LES SNUFFS»[1].

ولم تنته حقارة الغرب عند هذه الدرجة من الإجرام بل قام بعض الأهل بتصوير أنفسهم وهم يجامعون أولادهم، ففي «عام1980 لوحظ في فرنسا وجود صور إباحية للأطفال، وبعض هذه الصور كانت حقاً مخجلة، وهي تظهر علاقات جنسية بين الكبار والصغار الذين لم يبلغوا الثامنة من العمر، وقد تمّ توقيف الأهل الذين قاموا بتصوير أنفسهم وهم يجامعون أطفالهم»[2].

أما أحدث الاكتشافات المخزية فهي تصوير مجرمي الحرب الاغتصاب الذي يجري للنساء المعاديات، فقد «بدأت تباع في الأسواق الأوروبية أشرطة فيديو مسجل عليها اغتصاب الصرب للنساء المسلمات، ويصل ثمن الشريط الواحد إلى 1000 مارك ألماني.

تعرض الأشرطة قيام «التشتينك» ـ وهوالإسم الذي يطلق على العصابات الصربية ـ باغتصاب النساء والفتيات القاصرات اللواتي لا تتجاوز أعمارهن الثماني سنوات، وينتهي مشهد الاغتصاب بالقتل بعد التعذيب واستخدام جميع الأساليب الوحشية. وبدأت بعض الدول الأوروبية تجري تحقيقات عن مصدر هذه الأشرطة وفاعليها، ففي هولندا قامت شركة برأسمال صربي بترويج هذه الأشرطة والحصول على أرباح طائلة من ترويجها، ولذلك قررت وزارة العدل الهولندية إجراء تحقيقات يمكن أن تستفيد منها محكمة العدل الدولية في رصدها لجرائم الصرب، و يظهر في تلك الأشرطة ضباط صرب قاموا بعمليات الاغتصاب وإطلاق النار على رأس الضحية ... وأبشع ما تتضمنه هذه الأفلام اغتصاب الفتيات أمام آبائهن وأمهاتهن ومن ثم قتلهن وإجبار الأب على أن يلعق دم ابنته بعد قتلها»[3].

---

(1) MENEY, PATRICK,LES VOLEURS D'INNOCENCES,P161.

(2) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D'INNOCENCES,P151.

(3) مجلة المسلمون، العدد 574، السنة 11، تاريخ 2/ 2/ 1996، الصفحة الأولى.

ـ 3 ـ الصحافة

تشترك الصحافة مع التلفزيون والسينما في أنها وسيلة إعلامية هامة تكون على اتصال دائم مع الناس، وتتميز الصحافة بالتنويع، إذ توجد في المجلة أو الجريدة الواحدة الأخبار الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقانونية وغير ذلك. لذلك عرف اليهود أهمية الصحف وعملوا جاهدين على بث عملاءهم في الصحف الكبرى لإضلال الرأي العام، وقد جاء في بروتوكولات حكماء صهيون حول هذا الموضوع ما نصه:

«ولكي تبقى الجماهير في ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولا ما يراد بها، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباهج، والمسليات، والألعاب الفكهية، وضروب أشكال الرياضة، واللهو، وما به الغذاء لملذاتها وشهواتها ... والإكثار من القصور المزوقة والمباني المزركشة، ثم نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية رياضية، من كل جنس، فتتوجه أذهانها إلى هذه الأمور وتنصرف عما هيأناه، فتمضي به إلى حيث نريد»[1].

وسيقتصر الحديث بإذن الله في مجال الصحف على نشر الإباحية ونشر الإعلانات ونشر أخبار الجرائم.

ـ أ ـ نشر الإباحية

نص قانون العقوبات المصري في المادة 178 على «عدم نشر ما يعد انتهاكاً لحرمة الآداب أو تحريضاً على الإخلال بها، وألا تنشر الصحافة ما يسيء إلى النشء.

وورد في المادة 56 فقرة رقم 6 من قانون المطبوعات اللبناني ما يلي: يحظر نشر التقارير والكتب والرسائل والمقالات والصور والأنباء المنافية للأخلاق والآداب العامة»[2].

---

(1) نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون ،م.س، البروتوكول الثالث عشر، ص241.

(2) مكاوي، حسن عماد، أخلاقيات العمل الإعلامي، م.س.، ص336.

والإباحية غالباً ما تظهر في بعض الصحف عن طريق نشر مقالات أو مقتطفات من كتب مترجمة أو معربة وغير ذلك، إضافة إلى اختصاص بعض الكتب بالإباحية، وقد أوردت مجلة المجتمع قراراً صدر عن وزارة الإعلام في الكويت يمنع صدور بعض الصحف لتنافيها مع الآداب العامة، وقد عمدت المجلة إلى لفت النظر إلى أسماء بعض المكتبات التي تبيع مثل هذه الكتب والمجلات فجاء في المجلة :« تغمر الكويت موجات متلاحقة من الكتب الجنسية والصحف الخلاعية، وعلى سبيل المثال ندعو الرقابة على المطبوعات أن تمرّ على المكتبتين الآتيتين لترى هذه المرحلة الانحلالية الطاغية:

- 1 - شركة فرج الله الحلو للتوزيع.

- 2 - مكتبة الكويت المتحدة لصاحبها اللبناني علي فارس.

فالشركة الأولى توزع كبريات الصحف العالمية ولكنها تعرض على المكتبات أن تأخذ إلى جانب ذلك كتباً وصحفاً جنسية خلاعية، ومن هذه المكتبات توزّع مجلات ألمانية وصل انحطاطها إلى القاع مثل مجلات (شتيرن) و(كويك) ... وأن تلك المكتبات وغيرها توزع كتباً خلاعية صغيرة، كتاب جيب، ليسهل على الشباب حملها وقراءتها»[1].

ومن المؤسف في الأمر وجود كتّاب يدعون للمحافظة على هذه الإباحية ويرفضون تدخل الرقابة في بعض المجلات لاقتطاع ما لا يناسب الآداب العامة فقد جاء في صحيفة النهار تحت عنوان «بين التطرف والتشدد لا تمزقوا صفحة الحرية»:

«لن ندخل في تفاصيل الرقابة على المسرح أو التلفزيون أو السينما أو الكتب والمجلات والمطبوعات كافة، لكننا نتوقف عند أمر نرفضه ونبدي حوله ملاحظاتنا، وصلت إلينا أخيراً مجلات ذات طابع فني ثقافي تحمل في صفحاتها موضوعات معينة على شيء من الجرأة والطرافة،

---

(1) غزال، مصطفى فوزي، أفول شمس الحضارة الغربية، م.س، ص 128، نقلا عن المجتمع، 65/ 6.

كلية الإمام للدراسات الإسلامية

وفوجئنا عند تصفحها باقتطاع الصور العائدة لتلك الموضوعات بمقص الرقيب:

ـ 1 ـ مجلة VOICI الفرنسية العدد296 (12 ـ 18 ـ تموز 1993) ص 26،

Serie Sexologie, L'art De Toucher.(1)

ـ 2 ـ مجلة VSD الفرنسية العدد 829 (22 ـ 29تموز 1993) ص30 موضوع عنوانه

Les Nuits Folles Des Bronzes En Vacances.(2)

لن نستفيض في التعليق على الأمر لكننا نتساءل: هل إن مجرد صورة فاضحة أو قليلة الحشمة من مجلة أجنبية لا تطالعها إلا فئة قليلة من الناس ستؤدي إلى إنهيار القيم وإفساد الأخلاق، إذا كان من ذريعة لمنع هذه الصور عن الأحداث والأولاد والمراهقين، فلم لا يلجأ جهاز المراقبة إلى فرض تغليف هذه المجلات والمطبوعات بالنايلون المختوم وبيعها في المكتبات من البالغين والراشدين وحدهم، وإلا فلتتحمل المكتبات مسئولية مخالفة هذا التدبير الذي كان معمولاً به سابقاً»(3).

ولا يقتصر الأمر على مجرد صور موجودة في بعض الصحف تخدش الحياء بل إن بعض الأدباء يكتبون مدافعين عن حقهم في إباحية الكتابة، وقد كتب إبراهيم عيسى تحت عنوان الجنس وعلماء الإسلام في كتاب كتب عليه ملاحظة للكبار فقط قال فيه:

«لا أنا منشغل إلى هذا الحد بالجنس، ولا أراه همّي وجلاء غمّي ومقصدي وملتجأ قلمي، وكل ما في الأمر إني كاتب وأديب، فإذا عنّ الإبداع أن يدخل مناطق ملغمة أو مساحات غامضة أو منافذ محرمة التحريم من الناس لا من الله، فهذا حق أمارسه بشكل عارض وفي الفرع لا في الأصل، من حقي إذا رأيت أن الكتابة عن همسة أو لمسة يسمح لفكرتي

(1) سلسلة علم الجنس، فن اللمس.

(2) ليالي جنون السمراوات في العطلة.

(3) جريدة النهار اللبنانية، الدليل، العدد 18604، في 13/ 8/ 1993، ص8.

أن تتضح ولصورتي أن تُوَضَّح أن اكتب»[1].

ويبيّن هذا الكلام غياب مفهوم الحرية عند الكاتب، اذ إن الحرية مسئولية وليست اباحية، وهذه المسئولية تبدأ في الدنيا عبر الأفكار التوجيهية التي يبثها الكاتب في كتبه، وتنتهي في الآخرة عندما ياتي السؤال عن الأثر الذي تركه كلام الكاتب في نفوس قرائه.

- ب - نشر الإعلانات

يعتبر الإعلان الصحفي من الأبواب المهمة للقارئ والناشر على حد سواء، إلا أن ما يدهش هو الإعلانات الإباحية التي تظهر من حين لآخر والتي تعتبر غريبة بعض الشيء، وهذه الإعلانات نوعان: نوع مصور ونوع مكتوب، وتتضمن الإعلانات المصورة في الغالب صوراً إباحية لفتيات أو حتى شباب يعرضون المنتجات التي يراد تسويقها، ومن أغرب هذه الإعلانات إعلان مصور لفتى وفتاة عاريان يركبان على حصان، والغريب في هذا الإعلان إنه إعلان لمحل ألبسة نسائي رجالي، والمشاهد لم ير أي نوع من الألبسة يروّج له هذا الإعلان.

والإعلان المكتوب لا يقل غرابة عن الإعلان المصور، فقد نشرت جريدة النهار في صفحة الإعلانات المبوبة:

«مطلوب فوراً: محررات اقتصاد، فن، رياضة، أرشيف، توثيق، علاقات عامة، بمواصفات عارضات أزياء»[2].

وإذا تمّ التساؤل عن الرابط بين طلب العمل و بين مواصفات عارضات الأزياء فإنه يمكن للخيال هنا أن يسرح.

ومن الإعلانات الإباحية المباشرة ما ينشر في بعض المجلات المتخصصة مثل مجلات الدلالة السياحية التي توزع في مطارات العالم بدون مقابل، ومن هذه المجلات مجلة ALLO PARIS التي توزع في

---

(1) عيسى، إبراهيم، الجنس وعلماء الإسلام، مكتبة المدبولي الصغير، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1993م.، ص15.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد 18979، في 7 / 11/ 1994، ص8.

مطارات فرنسا وفيها إعلانات عن أهم الأماكن السياحية التي يمكن أن يرتادها القادمون إلى باريس، ومن هذه الأماكن المسارح الإباحية التي تكثر عناوينها في صفحات هذه المجلة، ومن هذه العناوين عنوان ورد في اللغة العربية جاء فيه:

«6 من أصل 10 محلات يعرضون SHOW STREPTIS[1].

إضافة إلى العرض الجماعي عرض[2] CESBONNES[3]».

- ج - نشر أخبار الجرائم

تعمد معظم الصحف إلى نشر أخبار الجرائم وحكم القضاء فيها، وتنقسم الآراء حول نشر أخبار الجريمة في الصحف إلى مؤيد ومعارض ولكل فريق آراؤه الخاصة به:

- 1 - آراء المؤيدين

يعتبر المدافعون عن فكرة نشر أخبار الجريمة في الصحف أن هذا النشر يفيد المجتمع لعدة أسباب:

«- 1 - نسبة الجريمة إلى المجرم تقلل من ارتكاب الجريمة، لأن الإنسان إذا عرف أن صورته سوف تنشر وتوصف بالجرم فإن ذلك ولا شك ينفره من الجريمة.

- 2 - إن عرض أساليب المجرمين وطرقهم على الرأي العام يساعد المجتمع على تحاشي الوقوع في شراكهم كما يساعد رجال الأمن في القبض عليهم.

- 3 - إن نشر أخبار الجرائم يغري الأخصائيين بمحاولة إيجاد العلاج الناجح»[4].

---

(1) عرض إباحي.

(2) تلك الخادمات.

(3) ALLO PARIS ,16 . 27 JANVIER 1985, 28 EME ANNEE ,N 1439

(4) كحيل، عبد الوهاب، الجريمة والجنس، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1412هـ، 1991م.، ص32.

ـ 2 ـ آراء المعارضين

يعتبر المعارضون لفكرة نشر أخبار الجرائم في الصحف أن هذا النشر يؤدي إلى محاكاة الناس للمجرم، وهذا ما قاله العالم الجنائي الهولندي «وليم بونجر» الذي أكد على «أثر الصحافة السيئ في نشر جرائم جديدة، عن طريق تضليل الرأي العام من جهة واستثارة ما أطلق عليه «غريزة المحاكاة» عند الإنسان من جهة أخرى، وذلك بنشر تفاصيل الجرائم الكبرى وصور المجني عليهم بقصد حب الاستطلاع المَرَضِيِّ عند العامة، أما أصحاب الصحف، وكلهم رأسماليون، فلا يهمهم إلا الثراء بأية وسيلة، حتى ولو كانت استغفال القراء وتسميم أفكارهم»[1].

وتأتي الإساءة في طريقة عرض الجريمة «كأن يجري التركيز على المجرم و كأنه «بطل» استطاع أن يحقق ما لم يستطعه غيره، أو استطاع أن يحصل على ثروة طائلة بعد جريمة سرقة سهلة، أو استطاع أن يوقع رجال الأمن في حيرة بالغة حيث لم يستطيعوا التوصل إلى معرفة جريمته، وأنهم بذلوا جهوداً طائلة حتى توصلوا إليه ثم استطاع الهرب منهم، وهكذا فهو أمام هؤلاء القراء وخاصة الشباب المتهور والمراهق يبدو في صورة بطل ورجل شجاع ذكي مخادع»[2].

ـ د ـ المعيار الواجب إتباعه عند نشر أخبار الجريمة

تكمن خطورة نشر أخبار الجرائم في التقليد الأعمى الذي يُبتلى به بعض ضعاف النفوس الذين يقلدون المجرم في جريمته دون الانتباه للعواقب، لذلك يجب ايجاد آداب عامة ومراعاتها عند نشر أخبار الجرائم، ومن هذه الآداب:

ـ 1 ـ تبيان أن الجريمة لا تفيد: وذلك يكون عند نشر الجريمة بعد توقيع العقاب بالمجرم، لأن هناك «خطورة في نشر أخبار جرائم نجح مرتكبوها في تجنب العقاب أو كان العقاب من الضآلة بحيث لا يمثل

---

(1) الساعاتي، سامية حسن، الجريمة والمجتمع، م. س، ص113.

(2) كحيل، عبد الوهاب، الجريمة والجنس، م. س، ص38.

رادعاً. فهذا يؤدي بطبيعته إلى كسر حاجز الخوف وإضعاف عناصر الردع في النفوس.

ـ 2 ـ لا رومانسية في الجريمة: أن لا يصور المجرم في صورة بطل رومانسي مما قد يدفع الآخرين إلى تقليده جرياً وراء الشهرة والصورة الإعلامية البراقة، وعندما نشرت الصحف في مصر في أوائل الخمسينيات أخبار المجرم المسمى بـ «الخط» وكيف استطاع أن يتعب مطارديه من رجال البوليس، وكتبت عن مهارته في الاختفاء ودقته في الرماية وغير ذلك، ظهر في مصر ثلاثون خطاً.

ـ 3 ـ الحذر من تقديم وصفات جاهزة للإجرام: مثلاً كيف قامت عصابة ما بثقب جدار مصرف مستخدمة آلات معينة ...»[1].

ومن الأمثلة أيضاً ما نشرته جريدة النهار في قصة تعرض ب. ا.ح. (35 عاما) لاغتصاب متكرر بعد تخديرها بعشبة دست لها في مرطب، والغريب في القصة ما قالته الصحيفة عن اسم العشبة التي سقاها المجرم للضحية، فقالت النهار «وتبين أن ن... اشترى العشبة المخدرة...[2] من أحد المتاجر وقال: إن تناولها يؤدي إلى ارتخاء ونشوة وما يشبه الغيبوبة»[3].

فالكاتب هنا لا يكتفي بنشر اسم العشبة بل ويبين للناس تأثير هذه العشبة على النفس.

ـ 4 ـ الإثارة الجنسية وإشاعة الفاحشة

يعتبر البعض أن ما تنشره الصحف من أخبار الجرائم هو أحد أسباب انتشارها، وذلك لأن ما تنشره الصحف «من قصص الاغتصاب بأسلوب

---

(1) مجلة المسلم المعاصر ،حسن رجب: «أخبار الجريمة من منظور اسلامي»، العدد51، ص217.

(2) ذكرت الصحيفة اسم العشبة، وقد تم اسقاطها من النص بغية عدم الوقوع في الخطأ الذي وقعت به الصحيفة.

(3) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19240، تاريخ 19/ 9/ 1995، ص8.

درامي مثير، بسرد تفاصيل تمزيق ثياب الضحية، وغير ذلك من الأوصاف المثيرة لضعاف النفوس»[1] يتسبب في توليد شعور بالإثارة عند بعض القراء، بحيث يدفعهم ذلك إلى تقليد الجرائم التي يقرؤون عنها وإلى ارتكاب جرائم جديدة من نوعيتها انطلاقا من تفاصيل الجرائم المنشورة.

ولا بد في النهاية من ذكر بعض الآداب القرآنية في نشر القصص، ومنها ما جاء في قصة النبي لوطﷺ والتي وردت عدة مرات في القرآن الكريم، «وما من مرة وردت فيها هذه القصة إلا وبدأت بنصيحة نبي الله لوط لقومه، وانتهت بتبيان ما نزل بهم من العقوبة، ثم الدعوة إلى الاتعاظ والاعتبار»[2].

وحسن التعبير عن الواقعة أمر حدث مع الرسولﷺ وصحابته من بعده، فقد جاء عن السيدة عائشةرضي الله عنها أنها قالت: (ما نظرت، أو ما رأيت فرج رسول اللهﷺ قط)[3].

وعن عمررضي الله عنه أنه قال للنبيﷺ: (هلكت قال: وما أهلكك قال: حولت رحلي[4] البارحة)[5].

---

(1) مجلة المسلم المعاصر ،حسن رجب، «أخبار الجريمة من منظور اسلامي»، عدد51، ص217 ـ 231.

(2) كحيل، عبد الوهاب، الجريمة والجنس، م. س، ص148.

(3) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، م.س، ج1، ص217.

(4) الرحل: منزله ومسكنه، والجمع أرحُل: وفي حديث عمر... كنى برحله عن زوجته، أراد به غشيانها في قبلها من جهة ظهرها لأن المجامع يعلو المرأة ويركبها مما يلي وجهها، فحيث ركبها من جهة ظهرها كنى عنها بتحويل رحله ،انظر: ابن منظور، لسان العرب، ،م.س، م11، ص279.

(5) ابن حنبل، أحمد، مسند الامام أحمد، اشراف سمير طه مجذوب، المكتب الإسلامي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م.، ج1، ص368.

الفصل الثاني

عوامل مساهمة في انتشار جريمة الاغتصاب

تتعدد العوامل التي تؤدي إلى انتشار الجرائم كما تختلف نوعية هذه الجرائم من بلد إلى آخر، فقد تكثر في بلد ما جرائم السرقة بينما تنتشر في بلد آخر جرائم القتل. وقد تعددت النظريات عن العوامل المؤثرة ذات الدور الفعال في انتشار الجرائم، ونظراً إلى أنه لا يمكن عرض كل هذه النظريات بشكل تفصيلي في هذا البحث، فإن الحديث عن هذه العوامل المؤثرة سيتم بإذن الله بعد تقسيمها إلى عدة أقسام، وهذه الأقسام هي: عوامل طبيعية، عوامل اجتماعية، عوامل تربوية، عوامل اقتصادية، عوامل سياسية، إضافة الى العوامل العضوية التي سيتم الحديث عنها في الفصل اللاحق إن شاء الله.

المبحث الأول
العوامل الطبيعية والجغرافية (الطوبوغرافية)

ترجع العوامل الطوبوغرافية إلى قوى الطبيعة وظواهرها من حرارة الجو وحالة الطقس وإتلاف الفصول ونوع التربة وغير ذلك، وفي ملاحظة وجود علاقة بين درجة حرارة الجو وبين ظهور نوعية معينة من الإجرام، ومن هذه الملاحظات:

«(أ) ترتفع نسبة جرائم الدم في الجو الحار، وتميل الى الانخفاض في الجو البارد.

(ب) ترتفع نسبة جرائم الإعتداء على المال في الجو البارد بينما تنخفض في الجو الحار ...

أما بالنسبة لجرائم العرض فإن ارتفاع نسبة هذه الجرائم في الجو الدافئ أو المعتدل يمكن تفسيره بسببين: أولهما أن النشاط الجنسي للرجل له عدة دورات بحيث يصل إلى ذروته في الربيع وأوائل شهور الصيف، ويؤيد ذلك المقارنة بين عدد الجرائم الجنسية وبين عدد حالات الحمل خلال أشهر السنة ... أما السبب الثاني فمؤداه أنه في الجو الدافئ يطول الوقت الذي يمضيه الناس خارج مساكنهم فيزداد الاتصال بينهم، ومن شأن ذلك أن يساعد على ارتكاب جرائم العرض»[1].

ومن الأسباب التي تؤدي إلى كثرة الجرائم في فصل الصيف طول النهار وكثرة الاحتكاك بين الناس، فقد «أثبتت الإحصاءات الرسمية في بلدان مختلفة أن فصل الصيف يتصف بأعمال العنف كالضرب والإيذاء، وهذا يعود من ناحية إلى طول النهار مما يتيح للناس الاحتكاك ببعضهم أكثر من الشتاء، والاحتكاك يسبب سوء التفاهم، وسوء التفاهم يسبب التصادم، كما أن الحرارة تثير بعض الأشخاص ذوي الحساسية العصبية أو من لديهم استعداد للتعدي على الآخرين أو التحرش بهم، فيسبب هذا أيضا التضارب وتبادل الشتائم والإيذاء ... وإذا انتقلنا من الفصول إلى أيام السنة نلاحظ أن عدد الجرائم يزداد في أيام العطل، أي في يومي السبت والأحد، ويعود ذلك إلى زيادة الاحتكاك بين الناس، كما سبق وذكرنا، وإلى تعاطي المشروبات الروحية وارتياد الحانات»[2].

ولا تقتصر أسباب كثرة الجرائم على الحرارة والبرودة، بل هناك عوامل جغرافية لها تأثيرات أيضا على ارتفاع نسبة الجرائم، منها تلك التي تتعلق بطبيعة الأرض وبالموقع الجغرافي، «وطبيعة التربة لها تأثير بالغ على

---

(1) رمضان، عمر السعيد، دروس في علم الإجرام، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص91 ـ 92.

(2) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م.س، ج1، ص263 ـ 264.

السلوك الإجرامي، ولكنه في الغالب تأثير مباشر يرجع إلى العلاقة بين الموقع الجغرافي للمكان أو طبيعة التربة وبين درجة ثراء الناس ومدى كثافتهم. فمثلاً لا يمكن أن يتكاثف السكان في المناطق الجبلية أو القاحلة، وبالعكس فإنهم يميلون إلى التركز في الوديان الخصبة ويتكاثفون بدرجة أكبر في المدن التي تقع على المدائن الكبيرة، وهذا التركز السكاني له صلة مباشرة بظاهرة الإجرام، وبالمثل فإن درجة ثراء الناس في أي مكان، وهي أيضاً ذات صلة بارتكاب الجريمة، تتوقف إلى حد كبير على موقع هذا المكان وتربته»[1].

المبحث الثاني
العوامل الإجتماعية

تنتشر الجرائم المختلفة في العالمين النامي والمتخلف على حد سواء، مما يدلّ على أنه لا أثر للحضارة في القضاء على الجرائم، وتدل الأبحاث المعاصرة على وجود الجرائم في كل البيئات الاجتماعية، الحضرية منها والريفية، وتختلف نوعية الجرائم بين البيئتين تبعاً لاختلاف الاهتمامات عند الناس، فما يهم الإنسان الحضري لا يهم الإنسان الريفي، وما يحتاج إليه الأول لا يحتاج إليه الآخر.

ولا بد قبل الحديث عن أسباب انتشار الجرائم في كل من البيئتين الحضرية والريفية، من تبيان سبب الاختلاف في التسمية بين البيئتين المذكورتين.

ـ 1 ـ الفرق بين الحضر والريف

يختلف الحضر عن الريف من ناحية عدد السكان ومن ناحية نوعية عملهم واقتصاره في الريف في الغالب على الزراعة، ولهذا تعتبر «ريفية تلك المراكز التي يقل عدد سكانها عن خمسة آلاف أو ألفين مثلاً، بينما تعتبر حضرية تلك التي يفوق عدد السكان فيها هذا القدر ... وتعتبر مراكز ريفية تلك التي يقوم جُلّ الاقتصاد فيها على أساس الزراعة، بينما تعتبر

(1) رمضان، عمر السعيد، دروس في علم الاجرام، م. س، ص88.

مراكز حضرية تلك التي تكون الصناعة قوام اقتصادها، أو أن تعتبر عاصمة كل مركز إداري من قبيل الحضر بينما يعتبر ريفاً ما عداها من رقعة المركز، أو أن يحصى عدد المشتغلين بالزراعة في كل مركز إداري وتحدّد نسبتهم في مجموع القاطنين بهذا المركز، فإن بلغت هذه النسبة حداً معيناً أعتبر المركز ريفياً، وإن نقصت عن هذا الحد أعتبر حضرياً»[1].

ـ أ ـ اختلاف نوعية الجريمة بين الحضر والريف: تختلف نوعية الجريمة بين الحضر والريف فترتفع في الحضر نسبة جرائم العرض كالدعارة والقوادة وهتك العرض بينما ترتفع في الريف نسبة جرائم من نوع آخر مثل «أفعال الانتقام والأخذ بالثأر وسرقة المواشي»[2].

إلا أن هذا التحديد للاختلاف لا يمكن الركون إليه كثيراً لأن كثيرين من مرتكبي جرائم العرض في المدن هم أصلاً من المهاجرين الريفيين إلى المدينة.

أسباب اختلاف نوعية الجريمة بين الحضر والريف: تتعدد أسباب اختلاف نوعية الجريمة بين الحضر والريف، ويمكن حصر هذه الأسباب في نقطتين: نقطة لها علاقة مباشرة بالريف مثل الهجرة، والنقطة الأخرى تتعلق بالحضارة المدنية.

1 ـ الهجرة الريفية إلى المدن: إن ما ورد ذكره في الفصل السابق عن حركة التصنيع وما احتاجت إليه من الأيدي العاملة التي جيء بها من الريف بهدف التوفير المادي نتيجة لارتفاع أسعار العمال داخل المدن يعتبر من أوائل الأسباب التي أدت إلى هجرة الريفيين إلى المدينة، وقد جاء العمال الريفيون من القرى النائية برفقة عائلاتهم وتمركزوا في المناطق القريبة من مصانعهم، وعاشوا منعزلين عن سكان المدن، وقد «أثبتت جميع الدراسات حول تأثير الهجرة الريفية على السلوك الاجتماعي أن هذا السلوك يتغير نتيجة لابتعاد الإنسان عن موطنه الأول لانحلال الروابط

---

(1) بهنام، رمسيس، المجرم تكويناً و تقويما، منشأة دار المعارف، الإسكندريه . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ ص251.

(2) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا و تقويما، م.س، ص9.

الشخصية والعائلية لديه، فقد ذكر العالم الاجتماعي مارشال كلينار أنه نتيجة لدراسات عديدة أجريت في أميركا وأوروبا تبين أن الاتفاق تام بينها على الأمور التالية:

أولاً: بقدر ما يتمركز سكان بلد معين في المدن بقدر ما تزداد في هذه المدن جرائم السرقة والاعتداء على الأموال والملكية.

ثانياً: إن المجرم الذي جاء من الريف يتميز بفقدان الروابط الشخصية والعاطفية مع المحيط الحضري الذي دخل فيه، وهذا ما يشجعه على ارتكاب جرمه دون النظر إلى ما سيلحق بضحيته من أذى.

ثالثاً: إن اختلاف الثقافات في المدن يولد ثقافات فرعية تتنافر مع الثقافة المسيطرة على المجموعة الحضرية السائدة، وهذا التنافر يولّد السلوك المنحرف ويؤمّن له الاستمرار تحت غطاء فقدان الشخصية بين الأفراد.

رابعاً: يجب أن يُنظر للمجرم القادم من الريف وكأنه بالأحرى ضحية تنافر ثقافتين مختلفتين بدلاً من أن ننظر إليه كشخص قادم من محيط اجتماعي يختلف فيه نهج الحياة عنه في المدن.

خامساً: إن الفرد الذي يرتكب جرمه في الريف لا يشعر بنفسه وكأنه ينتمي إلى فئة إجرامية من الناس بعكس ما يحصل في المدن حيث يشعر المجرم أنه مصنف كأحد أفراد طبقة من الناس تتميز بإجرامها وتعدّياتها على الآخرين، أي أن المحيط الحضري يفرز الناس إلى فئات منها فئة المجرمين، بينما المحيط الريفي وإن كان ينظر إلى المجرم كإنسان خرج على المبادئ السلوكية المقررة إلا أنه لا يدمغه بوصمة الإجرام كوصمة مميزة لفئة معينة من الناس»[1].

ويمكن هنا إضافة سبب آخر لارتكاب الريفي للجرائم بشكل عام والجرائم الجنسية بشكل خاص، هو ذهاب الرقابة والتشديد الموجود في

---

(1) العوجي، مصطفى ،دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م.س، ج1، ص248 ـ 249.

الريف، حيث ينبهر الشاب بالمظاهر الإباحية الكثيفة التي يجدها في الأفلام والصور الإباحية المنتشرة على الطرقات وعبر وسائل الإعلام، كما يجدها في العري الذي يظهر على أجساد النساء، مما يدفعه إلى أن يقوم بإشباع حاجاته الجسدية عن طريق الزنا الرخيص في حال وجود المال، أو عن طريق الاغتصاب في حال عدم تمكنه من الزنا لأسباب مختلفة.

2 ـ الحضارة المدنية: تتنوع الأسباب التي تسهل للمجرم الحضري فعلته، من أهم هذه الأسباب غياب الرقابة الاجتماعية والكثافة السكانية.

الرقابة الاجتماعية: تهيئ المدينة للمجرم إقامة أفضل من القرية نظراً لإمكانية الاختباء وعدم القدرة على كشف هويته، ففي حين يعرف القرويون بعضهم، فإنه في بعض أحياء المدن الكبيرة لا يعرف سكان الحي بعضهم بعضاً مما يجعل الإنسان يشعر بأنه «ضائع في محيط خضم لا يعرف الناس فيه بعضهم بعضاً، ولا يأبه واحد منهم إلى غيره ويهرول كل منهم إلى قضاء مآربه دون أن يحفل بأحد سواه، وقد كان من شأن هذا الجو في الحضر تشجيع الأشقياء على اقتراف أفعال العنف والإرهاب»[1].

ومما يساعد هؤلاء الأشقياء على تحقيق مآربهم ضعف القضاء والشرطة في تثبيت الأمن والقبض على المجرمين، وتشهد الشوارع الخالية في الليل من أي أثر لشرطي أو حارس على هذا الإهمال للرقابة من قبل الدولة.

وهناك أيضاً نوع آخر من الرقابة المفقودة في المدن هي الرقابة الاجتماعية، ففيما كان الإنسان في الماضي يعيش في مجتمع متكافل مبني على الأخلاق الإسلامية القائمة على نجدة الضعيف ومساعدة المحتاج، أصبح في هذا العصر يعيش في مجتمع ممزق يتأرجح في مبادئه بين بعض المبادئ الإسلامية، العائدة في كثير من جذورها لديه إلى التقاليد والعادات أكثر مما هي عائدة الى الالتزام الديني، وبين بعض المبادئ الغربية المكتسبة كالحرية الشخصية وعدم التدخل في شؤون الآخرين.

---

(1) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م.س، ص9.

ـ ب ـ الكثافة السكانية

تكثر الجرائم بشكل عام والجرائم الجنسية بشكل خاص في المدن نتيجة الكثافة السكانية وما ينتج عنها من ازدحام في الشوارع، وهو أمر تعاني منه بعض البلدان العربية كمصر حيث تصل الكثافة السكانية في القاهرة وحدها في النهار إلى ما يزيد عن العشرة ملايين نسمة، وتزدحم وسائل النقل وخاصة الأوتوبيس بالركاب نظراً لرخص أسعاره مقارنة بالتاكسي، وقد «كتب كثير من الكتّاب والصحفيين المصريين من أمثال يوسف إدريس وأنيس منصور عن ابتزاز المرأة جنسياً في الأوتوبيسات»[1].

وقد وضعت دراسات عدة حول هذه الظاهرة، ومن هذه الدراسات دراسة قام بها اللواء نيازي حتاتة أستاذ القانون الجنائي بكلية الشرطة ومدير مصلحة الأمن العام الأسبق، «وفي تلك الدراسة نجد نتاج بحث ميداني أجري على عينة ضخمة من السيدات اللواتي اعتدن ركوب الأوتوبيس يومياً .. وأشارت نتيجة البحث إلى أن ثمانين بالمائة من هؤلاء السيدات قد تعرضن، داخل الأوتوبيس ووسائل أخرى للنقل العام، إلى أفعال فاضحة وصلت في بعض الأحيان إلي هتك العرض .. ولم تتمكن واحدة من هؤلاء السيدات من الشكوى لعجزهن عن إثبات أي اتهام ضد أي أحد .. وفي الدراسة نفسها حكايات أخرى كثيرة بطلاتها فتيات صغيرات وطالبات في الجامعة»[2].

ولعل أكبر نموذج على هذا الاعتداء حادثة فتاة العتبة التي تمّ فيها اغتصاب شاهيناز على سلم الأوتوبيس و«اتهم فيها محاسب وعامل، وظلت القضية تشغل الرأي العام لمدة عام كامل طوال انعقاد جلسات المحكمة، فمن كان يصدق أن تتم حادثة كهذه تحت سمع وبصر وأقدام مئات المصريين وفي إحدى ليالي شهر رمضان، وقد توقع الكثيرون وطالبوا بضرورة إعدام الجناة في ميدان عام حتى تفجرت القضية ثانية عندما أعلن

---

(1) البار، محمد علي، عمل المرأة في الميزان، م. س، ص202.

(2) أيوب، ياسر، الإنفجار الجنسي في مصر، م. س، ص179.

القاضي براءة المتهمين لتضارب أقوال الفتاة»[1].

وقد علق سيد رزق الطويل عميد كلية الدراسات الإسلامية بالأزهر على حادثة فتاة العتبة فقال :« إن هذه الجريمة بالغة الخطورة، ولا تقف خطورتها عند حد اغتصاب فتاة وإنما تجاوز الأمر إلى مدى أبعد، لأنه بجانب الجريمة البشعة يظهر مؤشر آخر وهو هزيمة الروح الجماعية وعدم التصدي لمنع المنكر، هذه القيم التي أكدها الإسلام في نفوس الأمة»[2].

وهناك دور آخر للكثافة السكانية في تأثيرها على انتشار الجريمة في المدن أكثر منه في الريف وهو عامل التقليد، وتقول نظرية العالم الاجتماعي تارد: «إن التقليد والمحاكاة في المدينة تزيد عنها في القرية، حيث يزيد احتكاك واختلاط الفرد بالأفراد الآخرين مما يؤدي إلى ارتفاع حراكهم ونشاطهم في المدينة عنه في القرية أو البلدة ... أما بالنسبة لارتكاب الجريمة عن طريق التقليد والكيفية التي يتمّ بها انتقال البعض منها دون سواها، أو التجديد في وسائل ارتكابها، فقد أشار تارد إلى أنه يتم إدخال وسائل جديدة لدى المجتمعات المتطورة المتقدمة (مجتمع المدينة والحضر مثلاً) حيث يعمّ انتشار وسيلة ما لدى طبقات معينة يتمّ بعدها انتقالها إلى غيرها من المجتمعات وغيرها من الطبقات، الأدنى فالأدنى، ويضرب تارد مثلاً على ذلك بجريمة القتل باستخدام السمّ أو باستخدام غيره من الوسائل، كتقطيع الجثث وتشويهها أو إذابتها في الحوامض، والتي يؤكد بأنه قد تمّ اقترافها بهذه الكيفية والوسيلة غير المعروفة ولأول مرة في فرنسا بمدينة باريس عام 1875 ـ 1876 من قبل الطبقات الأرستقراطية والأسر الحاكمة فيها، ثم انتقلت فيما بعد ذلك إلى غيرها من الطبقات، وبعدها إلى الريف والقرية»[3].

---

(1) حرب، عفاف، جرائم الاغتصاب ،م. س، ص45.

(2) مجلة التصوف الإسلامي، الشواربي، أحمد، «حتى لا تكثر جرائم الاغتصاب»، عدد11، شهر ايار1992، ص39.

(3) كارة، مصطفى عبد المجيد، مقدمة في الإنحراف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1985 م.، ص300.

ـ 2 ـ العوامل التربوية

ينشأ الإنسان عادة في جو عائلي يؤمن له الاستقرار والأمان، وهما شرطان أساسيان لإيجاد النفسية السليمة عند الطفل، لذلك شدّد الإسلام على أهمية التوافق بين الرجل والمرأة إن كان من حيث اختيار الرجل للمرأة الصالحة أو من جهة حسن المعاملة بين الزوجين يقول رسول الله ﷺ

(تخيروا لِنُطَفِكم وأنْكِحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم)[1] .

ويقول الله سبحانه وتعالى في ضرورة وجود المودة بين الزوجين:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2] .

فإذا فقدت المودة والرحمة أنقلب البيت إلى أتون نار، وكثرت الخلافات بين الزوجين لتنتقل آثارها إلى الأولاد، وتكون النتيجة إما الطلاق والفراق وإما زيادة الخلافات والمنازعات الزوجية، وقد أثبت إحصاء Carolie et Olie كارولي وأوليه الذي أجري على عينة من المجرمين أنهم نشئوا في ظل أسرة حصل فيها «فراق بين الأهل عند 25 في المائة من أفراد العينة وسوء تفاهم عند 11 في المائة منهم»[3] .

ولعل بعض الناس يرجعون السبب في هذه الخلافات إلى نفسية المرأة، «فقد كتب عباس محمود العقاد في جريدة البلاغ عام 1923 مقالاً قال فيه: إن كل امرأة تعيش حياتها ينازعها إحساسان قويان هما إحساس العاشقة وإحساس الأم .. فإذا تنبه في المرأة إحساس الأمومة آثرت تلك المرأة الرفق والسلام وتمنت لو كانت الأرض كلها رخاء بلا حرب ولا خصومة ولا غل .. وإنما هي المودة والحسنى والسماحة .. أما إذا تغلب عليها إحساس العاشقة .. أصبحت تطالب رجلها بالكثير .. وتدفعه للصراع مع أنداده والاستعلاء على منافسيه والمجازفة في المطامح والمطامع بكل

---

(1) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح، حديث رقم1968، م. س، ج1، ص633.

(2) سورة الروم، الآية 21.

(3) DEBRAY, QUENTIN, LE PSYCHOPATHE P: 60.

ما يستتبع ذلك من قسوة تغرسها الحياة في فكر ومشاعر تلك المرأة»[1].

ـ أ ـ دور المرأة في الأسرة

تعتبر المرأة ركيزة الأسرة لأنها هي التي تهتم بالدرجة الأولى بتربية الأولاد في حين ينشغل الزوج بالعمل خارج المنزل، لذلك جاء الإسلام يؤكد على ضرورة برّ الولد لأمه في الدرجة الأولى فقال الله سبحانه وتعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[2].

(وعن أبو هريرةرضي الله عنه قال، قال رجل: يا رسول الله، أيّ الناس أحق مني بحسن الصحبة؟ قال «أمك» قال: ثم من؟ قال «ثم أمك» قال ثم من؟ قال: «ثم أمك» قال: ثم من؟ قال أباك)[3].

ويعود اهتمام الإسلام بالأم لكونها هي التي تربي وتزرع في أطفالها الأخلاق والمبادئ والقيم، ومن هنا جاء إصرار الإسلام على حسن اختيار الرجل للزوجة الصالحة، فإذا اختار الرجل المرأة السيئة تكون النتيجة أن ينشأ أولاده في جو لا أخلاقي قد يصل بهم في بعض الحالات إلى الإجرام، فإذا «كانت الأم ضعيفة الإرادة والشخصية نشأ الأولاد على هواهم لا يعرفون حدوداً لنشاطهم ولا حرمة لمن يكبرهم في العمر لا طاعة لأوليائهم ولا تقديراً لإقرانهم، وإن كانت الأم قوية الشخصية شديدة المراس وقاسية في المعاملة نشأ الأولاد وهم منكمشون على أنفسهم، محرومون من الشعور بالعطف، شديدو الحساسية، يعانون من كبت في شخصيتهم وميولهم، وفي كلتا الحالتين لا تعتبر التنشئة طبيعية بل يعتريها خلل أساسي يؤثر في تكوين شخصية الطفل وحاسته الاجتماعية»[4].

---

(1) أيوب، ياسر، الإنفجار الجنسي في مصر، م.س، ص303.

(2) سورة لقمان، الآية14.

(3) إبن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد، حديث رقم8319، م. س، ج2، ص432.

(4) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م. س، ج1، ص543 ـ 544.

ـ ب ـ دور الأم والأب في الأسرة

تعتبر الأسرة خلية اجتماعية هامة مؤلفة من الأم والأب والأولاد، وعلى كل فرد مسئوليته الخاصة فيها، لذلك قال رسول الله ﷺ:

(كلكم راع وكلكم مسئول فالإمام راع وهو مسئول والرجل راع على أهله وهو مسئول والمرأة راعية على بيت زوجها وهي مسئولة والعبد راع على مال سيده وهو مسئول ألا فكلكم راع وكلكم مسئول)[1].

ومن منطلق هذه المسئولية تقع أهمية كل من الأم و الأب في الأسرة، وقد لاحظ علماء الاجتماع وجود علاقة بين شخصية الولد وشخصية أهله، فهناك من قال أن بعض المجرمين نشئوا من طبقة متوسطة من أب و أم «قضوا حياتهم في الطاعة والرضوخ للمدراء، مما يمنعهم من زرع فكرة المسئولية والاستقلال الذاتي عند أولادهم»[2].

وهناك قول آخر مفاده أن التربية في ظل «رجل قاس وأم ملازمة للمنزل ينتج عنها ولد عنده ميول للاغتصاب، فالولد يكتسب فكرة أنه لا يمكن الثقة بالنساء، وبأنهن مخلوقات قليلات الأهمية، ويكتسب القسوة من والده ... وهناك نظرية أخرى تقول بأن المجرمين الجنسيين تلقوا تربية من قبل الوالدة بدون وجود أب، وفي هذا الوضع قد ينتج الشذوذ أو على العكس من ذلك الاعتداء الجنسي»[3].

والملاحظ في هذا الموضوع أن كل هذه النظريات تنطبق على مجتمع غير إسلامي، إذ أن المرأة المسلمة وإن لازمت بيتها إلا أن هذا الأمر لا يزعجها، بل هي وإن لم تعمل إلا أنها تتعلم وتغرس في نفوس أولادها المبادئ الإسلامية، كما أن تربية الولد من قبل الأم فقط نادراً ما يحدث في المجتمعات الإسلامية، لأن الطلاق، وإن حصل من قبل الزوج، إلا أن مسئولية تربية الأولاد متى بلغوا سناً معينة تعود للأب وليس للأم، أما في

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح،ج6، ص146.

(2) QUENTIN DEBRAY: LE PSYCHOPATHE, P:61.

(3) MACKELLAR, JEAN : LE VIOL P: 124.

حال وفاة الأب فإن الولاية أو الوصاية تنتقل إلى العم أو الخال.

- ج - دور الأب في الأسرة

يستخلص مما سبق أهمية دور الأب في الأسرة وسلوكه بين أفراد عائلته وانعكاس هذا السلوك على شخصية أولاده، «فإذا كان الأب ضعيفاً ينشأ الولد ولا حرمة لديه لأحد ولا تقدير، ويكون غالباً قليل التهذيب نحو الآخرين، ولكن إذا كان الأب شديداً أكثر مما يلزم، مبالغاً في الضغط على ولده وتحطيم إرادته وإخضاعه بصورة عمياء لسلطته، فَقَدَ الولد شخصيته وأصبح بحالة انقياد تؤثر على سلوكه وثقته بنفسه مما يسبب له تأخراً عقلياً وعدم نضوج اجتماعي متردداً في اتخاذ قراراته يخاف دوماً اللوم و يخشى الوقوع في الخطأ متوهماً أنه دائماً على خطأ وأن الغير أفضل منه، وبقدر ما يكون الأب متحكماً وظالماً بقدر ما يولّد لدى أولاده نزعة نحو الرفض فيشبون على ذلك فتتصف أفعالهم ومواقفهم بالسلبية.

أما إذا كان الوالد يتعاطى الكحول، ويعود إلى البيت بحالة السكر يعربد و يهين أهله وأولاده، فإن هذه الحالة تولد لدى أبنائه شعوراً بالازدراء والاحتقار نحوه، فيشعر الولد بأن كرامته تمس من الصميم ويحاول أن يثأر من هذه الحالة بأعمال تفوق مقدرته في عمره. وتكون هذه الأعمال موجهة نحو الخير، كالعمل المبكّر ومحاولة الاتكال على النفس وإنقاذ والدته وإخوته من نير والده، أو موجهة نحو الشر، كالقيام بأعمال إجرامية لفقدان الضابط الأخلاقي لديه ولعدم اعتقاده بالمثل العليا أو المبادئ القويمة، إذ يرى والده غير مكترث بها بل متجاوز لها بتصرفاته، ويصدف أحياناً أن يبتعد الولد عن جوه العائلي وينضم إلى جماعات تعاني نفس الوضع العائلي والنفساني وكثيراً ما تكون هذه الجماعات مصدر اضطراب في الحياة الاجتماعية»[1].

ومن المفيد التذكير هنا بأن المرأة قد تستطيع تجنب كثير من هذه المصاعب بحسن اختيارها لزوجها فقد قال رسول الله ﷺ:

---

(1) العوجي، مصطفى ،دروس في العلم الجنائي، الجريمة و المجرم، ج1، م.س. ، ص545.

(إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض)[1].

وبهذا الاختيار تستطيع أن تجنب أسرتها كثيراً من المصاعب التي يمكن أن تواجهها في المستقبل.

ـ د ـ أثر الوراثة

لا يعتبر تأثيرا التربية والبيئة الاجتماعية هما العاملان الوحيدان الناتجان عن الأهل، فإن هناك أيضاً عامل الوراثة الذي سيرد ذكره إن شاء الله عند الحديث عن شخصية المجرم، ولكن ما يهم الإشارة إليه في هذا الموضع هو تفاعل كل من البيئة والوراثة في إيجاد السمات الإجرامية عند المجرمين، فالرأي «النهائي الذي وصل إليه علماء النفس في جميع البحوث في هذا المجال هو أن عاملي الوراثة والبيئة متفاعلان معاً في إيجاد الفروق الفردية في السمات الإنسانية، وأنه من الصعب أن نفصل فصلاً تاماً بين أثر كل منهما. وتغيّرت مشكلة البحث بعد ذلك إلى محاولة معرفة القدر النسبي الذي تساهم به كل من الوراثة والبيئة في تحديد سلوك الإنسان وسماته، ويبدو أن الوراثة تساهم بالدور الأكبر في تحديد السمات البدنية كالطول والوزن والقوة، وبعض السمات العقلية كالذكاء، ولو أننا لا نستطيع في نفس الوقت استنفاد أثر البيئة أيضاً في هذه السمات، فإن ما يلقاه الفرد من البيئة من عناية بالتغذية والصحة والتدريب الرياضي له أثر كبير في إظهار الإمكانات الوراثية في هذه النواحي، كما أن ما يلقاه الفرد من عناية بالتعليم والتعرض لكثير من المؤثرات الحسية والعقلية، والتدريب على كثير من المهارات له أثر كبير في نمو ذكائه»[2].

---

(1) ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي،كتاب النكاح،م.س، ج4، ص305.

(2) نجاتي، محمد عثمان، الحديث النبوي وعلم النفس، دار الشروق، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1413هـ .، 1993م.، ص260.

ـ 3 ـ تأخر سن الزواج

بدأت دلائل قول رسول اللهﷺ:

(إن من أشراط الساعة أن يُرفَعَ العلم ويَظْهَرَ الجهل ويفشو الزنا وتُشْرَبُ الخمر وتَكثُرُ النساء ويقلّ الرجال حتى يكون لخمسين امرأة قيّم واحد)[1].

تظهر في العصر الحالي، فقد أخذت الدعوة إلى تأخير سن الزواج تأخذ صداها في المجتمع من خلال وجود كثير من الفتيات والشبان الذين تجاوزوا سن الثلاثين أو حتى الأربعين من العمر وهم لم يفكروا في الزواج وبناء الأسر، إما بسبب ضيق اليد، وإما بسبب مبادئ فكرية اعتنقوها، مثل الرفض للزواج ومسئولياته، خاصة مع قدرة الشاب على إشباع شهوته متى شاء. ومن المفيد هنا التوسع في أهم أسباب تأخير سن الزواج، والبديل الذي أخذ بالانتشار رويداً رويداً عند بعض أفراد المجتمع.

أسباب تأخر سن الزواج

تتعدد أسباب تأخر سن الزواج، ومن أهم هذه الأسباب ما يلي:

ـ 1 ـ يعتبر غلاء المهور السبب الأول لتأخر سن الزواج، فما يطلبه الوالد من المبالغ الطائلة كمهر لإبنته ينفر الشاب من الزواج من إبنة بلده هرباً من التكاليف وسعياً إلى الفتاة الأيسر مؤنة والأسهل تجهيزاً، وهذا الأمر قد يجده الرجل عند المرأة الأجنبية التي تختلف عنه ديناً وثقافة، مما يؤدي بكثير من الفتيات إلى البقاء عانسات في المنزل نتيجة تعنت الأهل.

ـ 2 ـ غلاء ثمن الشقق والمساكن غلاءً فاحشاً مع غياب نظام الإيجارات المعمول به سابقاً، كما أن الاستثمار، الذي هوالإيجار لفترة زمنية محددة، يعتبر نظاماً مكلفاً، مع ما في التبديل المستمر للمساكن من مشقة.

ـ 3 ـ إختيار الرجل للفتاة الجميلة الصغيرة حتى ولو كان كبيراً في

---

(1) إبن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، باب الفتن، م. س.، ج9، ص56.

السن، فنجد أن أول المواصفات التي يطلبها الرجل الذي يبحث عن زوجة، أن تكون جميلة، شقراء، زرقاء العينين، متعلمة، وتبلغ من العمر السابعة أو الثامنة عشر من العمر.

ـ 4 ـ ارتفاع نسبة التعليم عند الفتاة لدرجة أصبحت معها ترفض كل شخص لا يساويها علماً وشهادة.

ـ 5 ـ تأخر الشاب في التحصيل العلمي مما يؤدي إلى تأخير زواجه إلى فترة طويلة قد تطول إلى أن يحصل على الشهادة العليا في بعض الحالات.

ـ 6 ـ رغبة بعض الفتيات في الشاب الغني، الجميل، الأنيق، والعصري (السبور SPORT) الذي يحب الخروج والسهرات، ويحب الحياة الاجتماعية، ولا يحب التقوقع في المنزل.

ـ 7 ـ هرب كثير من الشباب، من الجنسين، من الزواج على الطريقة التقليدية، وسعيهم إلى التعرف على بعضهم البعض قبل أن تتم الخطبة، حتى ولوأدى الأمر إلى الاختلاط والخلوة.

ـ 8 ـ تعلق الوالدين بالبنت، إما رغبة في خدمتها لهما، أو حرصاً على راتبها إن كانت عاملة أو موظفة.

ـ 9 ـ رفض كثير من الفتيات السكن مع أهل الزوج والمطالبة بالمسكن المستقل.

2 ـ نتائج تأخر سن الزواج

إن تأخر سن الزواج تسبب ولا زال يتسبب، في مشاكل وأزمات كثيرة في المجتمع، ومن أهم هذه المشاكل والأزمات ما يلي:

ـ 1 ـ العنوسة عند النساء والرجال على حد سواء، وإن كان خطرها عند النساء أكبر بسبب توقف سن الإنجاب عند المرأة في الأربعينيات من عمرها، بينما يستطيع الشاب الزواج في أي سن شاء. ومن نتائج العنوسة ظهور الأمراض وخاصة الأمراض العصبية عند الفتيات الكبيرات اللواتي تخطين سن الثلاثين، وسوء نظرة الناس إلى العانس عامة، وهي نظرة

مشوبة بالعطف والشفقة عند بعض الناس، وبالكره والرفض عند بعض آخر.

ـ 2 ـ محاولة بعض الناس إيجاد بديل عن نظام الزواج، وهو بديل مأخوذ من النظام الغربي، ألا وهو المساكنة بدون زواج، ويقوم الأدباء والفنانون والشعراء بمساكنة نساء بشكل علني ومعروف، ومن هؤلاء الشاعر شوقي بزيع الذي قال عن تجربته: «لم تكن التجربة ناتجة من قرار سابق، فهي حصيلة قرار بعدم الزواج، فما حصل لي من عزوف عن الزواج كان لقناعتي بأن الشعر فيه من الجاذبية وقوة التأثير عليّ بحيث أنه لا يقبل المشاركة مع أحد. لذا رفضت الانتماء إلى أي مؤسسة وضقت ذرعاً بالتعليم ولو أني مارسته لسنوات طويلة، من هنا رفضت أن أتطوع في الخدمة الإلزامية التي تسمى الواجبات الزوجية، أضاف بزيع: ونظراً إلى نمط الحياة التي عشتها والبيئة التي سكنت فيها من القرية إلى مدينة صور ثم العاصمة بيروت، فإن المساكنة لم تتخذ عندي شكلاً واحداً، بل إنها كانت تُقطَع بين مرحلة وأخرى، ففي مدينة صور لم يكن جائزاً اجتماعياً لرجل عازب مثلي ولمدرس ثانوي يسمى في لغة اللياقات الاجتماعية والتربوية مربياً أن يساكن إحدى النساء، مع ذلك فإني عشت حال المساكنة في صور، ولكن كنت أحاذر جداً أن تكون ظاهرة للعيان لما يترتب عليها من انعكاسات على موقعي، بينما كانت تجربتي للمساكنة في بيروت أقل قسوة لأن المدينة لا تضيق بواحد مثلي، فهي مدينة فيها من الرصانة كما فيها من الجنون، فيها من العبث كما فيها من الحكمة، واختياري للإقامة في الحمراء تحديداً كان مقصوداً لأنه لا يمكنني أن أعيش في مناطق ذات لون مذهبي تفرض عليَّ نوعاً من القِيَم»[1].

ـ 3 ـ تأخير سن الزواج انتشار جريمة الاغتصاب وغيرها من الجرائم، فقد اعتبر محمد الشحات الجندي أن الشاب يرتكب جريمة الاغتصاب «عندما لا تتوفر له أسباب الزواج، فإذا تيسر له ذلك، فقد نفينا الأسباب المؤدية إلى الجريمة، أوعلى الأقل أقوى الأسباب في وقوعها،

(1) جريدة النهار اللبنانية، عقيل، رضوان «نسبتها ما زالت متدنية، المساكنة نمط حياة ام فعل زنى». العدد18817، نهار الشباب، في26/ 4/ 1994، ص4.

لأنه يغتصب الأنثى مندفعاً نحوها لإشباع شهوته وتلبية نداء غريزته الحيوانية، فمتى أمكنه ذلك في نطاق مشروع ميسر لن يقدم عليها، و لن تقع الجريمة إلا من الشُذَّاذ والفُجَّار، المتأصل فيهم الانحراف، وسلوك طريق الرذيلة»[1].

ـ 4 ـ الخمر

تعتبر أول آية نزلت في القرآن الكريم في الخمر قوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[2].

وقد حرّمت هذه الآية الخمرة ووصفتها بالإثم، واعتبر الجَصّاص أنه لو «لم يرد غيرها في تحريمها لكانت كافية مُغْنِية وذلك لقوله ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾، والإثم كله محرم بقوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ﴾[3]، فأخبر أن الإثم محرم. ولم يقتصر على إخباره بأن فيها إثماً حتى وصفه بأنه كبير تأكيداً لخطرها، وقوله: ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ لا دلالة فيها على إباحتها، لأن المراد منافع الدنيا، وإن في سائر المحرمات منافع لمرتكبيها في دنياهم، إلا أن تلك المنافع لا تقي بضررها من العقاب المُسْتَحَقِّ بارتكابها، فذِكْرُهُ لمنافعها غير دال على إباحتها لا سيما وقد أكد خطرها مع ذكر منافعها بقوله في سياق الآية ﴿وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾، يعني أن ما يستحق بهما من العقاب أعظم من النفع العاجل الذي ينتفي عنهما»[4].

أما الآية الثانية التي نزلت في الخمر فإنها بينت ضرر الخمر على العقول، وأن على شارب الخمر أن لا يقرب الصلاة إلا في حال كونه يعي ما يقول، فقد قال ﷻ:

---

(1) الجندي، محمد الشحات، جريمة اغتصاب الاناث، م.س، ص25.

(2) سورة البقرة، الآية 219.

(3) سورة الأعراف ،الآية 33.

(4) الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، مطبعة البهية المصرية، بدون رقم الطبعة، 1347هـ، ج1، ص380.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾[1].

وفي أسباب نزول هذه الآية أن عبد الرحمن بن عوف دعا ناساً «فشربوا وسكروا، فأمّ بعضهم فقرأ: «قل أيها الكافرون اعبد ما تعبدون»، فنزلت: ﴿لاَ تَقرَبُواْ الصَّلاَ ةَ وَأَنتُم سُكَارَى﴾، فَقَلَّ من يشربها»[2].

ثم جاءت الآية الثالثة التي حرّمت الخمر تحريماً كاملاً وهي قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾[3].

وسبب نزول هذه الآية ذكره ابن عباس رضي الله عنه فقال: «إنما نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا فلما أن ثملوا عبث بعضهم ببعض، فلما أن صحوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه ورأسه ولحيته فيقول: صنع بي هذا أخي فلان، وكانوا أخوة ليس في قلوبهم ضغائن فيقول: والله لو كان بي رؤوفاً ما صنع بي هذا، حتى وقعت الضغائن في قلوبهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية»[4].

وقد اقتضت هذه الآية تحريم الخمر في وجهين: «أحدهما قوله: (رجس)، لأن الرجس إسم في الشرع لما يلزمه[5] اجتنابه، ويقع اسم الرجس على الشيء المستقذَر النجس، وهذا أيضاً يلزم اجتنابه، فأوجب وصفه إياها بأنها رجس لزوم اجتنابها، والوجه الآخر قوله تعالى: (فاجتنبوه)، وذلك أَمرٌ والأمر يقتضي الإيجاب، فانتظمت الآية تحريم الخمر في هذين الوجهين»[6].

---

(1) سورة النساء، الاية 43.

(2) الزمخشري، جاد الله محمد بن عمر، الكشاف، دار الكتاب، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج1، ص260.

(3) سورة المائدة، الآية 90.

(4) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، م. س، ج2، ص98.

(5) يلزمه: يلزم المسلم.

(6) إبن العربي، أحكام القرآن، م. س، ج2، ص561.

وتحريم الخمر جاء أيضاً على لسان رسول اللهﷺ إذ قال:

(ما أسكر كثيره فقليله حرام)[1].

وقولهﷺ: (كل مسكر حرام وكل خمر حرام)[2].

وروي عنه أيضا: (لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه)[3].

ـ أ ـ تعريف الخمر: عُرِّفَت الخمر بأنها «ما غلى واشتدّ وقذف بالزبد من عصير العنب، وهو حرام، وكذلك نقيع الزبيب أو التمر الذي لم يطبخ»[4].

ـ ب ـ حدّ الخمر: اتفق الفقهاء على أن حدّ شارب الخمر هو الجَلْدُ سواء سكر أم لم يسكر، والسكر هو ما «يزيل العقل الذي كان يميز السكران به بين الحلال والحرام، والعقل الصحيح ينهى عن مواقعة الحرام، ولهذا يُكْثِر شارب الخمر من مواقعة الفواحش ما لا يكثر في غيرها، حتى ربما يقع على ابنته وابنه ومحارمه»[5].

وقد اعتبر الأحناف أن حد شارب الخمر «ثمانون سوطاً يفرق على بدنه كما ذكرنا في الزنا، وإن كان عبداً فحدّه أربعون سوطاً»[6].

فيما قال الشافعية أنه «يجلد أربعين بالأيدي وأطراف الثياب

---

(1) إبن حنبل، احمد، مسند الإمام احمد، م.س، حديث رقم5642، ج2، ص127.

(2) إبن حنبل، احمد، مسند الامام احمد، م.س، حديث رقم5725، ج2، ص132.

(3) أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبو داود، دار الحديث، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1389هـ .، 1969م.، كتاب الأشربة، حديث رقم3674، ج4، ص82.

(4) الزمخشري، الكشاف، م. س،ج1، ص261.

(5) ابن تيمية، تفسير سورة النور، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـ، 1983م.، ص64.

(6) الميداني، عبد الغني الغنيمي الدمشقي الحنفي، اللباب في شرح الكتاب، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج3، ص194.

ويبكت[1] بالقول الممض[2] والكلام الرادع للخبر المأثور فيه، وقيل بل يُحدّ بالسوط اعتباراً بسائر الحدود، ويجوز أن يتجاوز الأربعين إذا لم يرتدع بها إلى ثمانين جلدة فإن عمر رضي الله عنه حد شارب الخمر أربعين إلى أن رأى تهافت الناس فيه فشاور الصحابة فيه وقال: أرى الناس قد تهافتوا في شرب الخمر فماذا ترون؟ فقال علي رضي الله عنه : أرى أن تحدّه ثمانين، لأنه إذا شرب الخمر هذى، وإذا هذى افترى فحدّه ثمانين حدّ الفرية، فجلد فيه عمر بقية أيامه»[3].

وقال الحنابلة أنه «من شرب مسكراً قَلَّ أو كثر جُلد ثمانين جلدة إذا شربها وهو مختار لشربها وهو يعلم أن كثيرها يسكر»[4].

أما المالكية فقد جعلوا حد الخمرة «ثمانون جلدة للحُر وأربعون للعبد... وكيفيته أن يُضرب بسوط معتدل ليس بخفيف ولا مبرح، وقيل الضرب في الحدود كلها سواء»[5].

وفي النهاية لا بد من التذكير أن الفقهاء اتفقوا أنه إذا زنى شارب الخمر فإنه يحدّ حد الشرب وحد الزنى لعدم تداخل الحدود، فقد قال ابن جُزَي «وإذا اختلفت أسباب الحدود لم تتداخل، ويستوفى جميعها كالشرب والزنى والقذف، إلا ان حد الشرب يدخل تحت حد القذف لأنه فرع عنه فيغني أحدهما عن الآخر»[6].

ـ ج ـ نفسية شارب الخمر: يؤكد علماء النفس أن الإنسان قد يلتجئ إلى شرب الخمر والإدمان عليها إذا كان يعاني اضطراباً سلوكياً يعجز عن السيطرة عليه، ومن صفات السكارى أنهم «أشخاص عاطفيون، قلقون،

---

(1) التبكيت: التقريع او الغلبة بالحُجَّة.

(2) الممض: الموجع.

(3) الماوردي، الأحكام السلطانية، مطبعة الوطن، مصر، بدون رقم الطبعة، ص228.

(4) ابن قدامة المقدسي، المغني، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، 1392هـ، 1972م.،ج10، ص320.

(5) ابن جزي، القوانين الفقهية، دار الفكر، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص310.

(6) ابن جزي، القوانين الفقهية، م.س، ص310.

يشعرون بالخجل، غير سعداء يتألمون نتيجة إحساسهم بالنقص وعدم الثقة بأنفسهم»[1].

وقد أجرى العلماء الدراسات الكثيرة والمفصلة عن الكحول وعن شاربيها، ومن هؤلاء Tibout تايبوت الذي حدّد أوصاف السكير بعد تجارب دامت تسع سنوات، «وهو يرى أن نواة شخصية السكير تتكون من المميزات التالية:

- 1 - دافع أو حاجة لا شعورية للسيطرة.
- 2 - شعور طاغ بالعداء السلبي.
- 3 - قدرة على الوصول إلى قمة الانفعال التي تختفي فيها مؤقتاً كل انفعالات العداء في تيار المشاعر الإيجابية.
- 4 - شعور بالوحدة والعزلة.
- 5 - مشاعر متوالية بالنقص والتفوق.
- 6 - التعطش للكمال»[2].

ومن المهم الإشارة إلى أن السكر يؤدي إلى التصرف اللاواعي الذي ينتج عنه ارتكاب الجرائم باختلاف أنواعها، وهذا الأمر يلاحظ عند الإطلاع على أخبار الجرائم، فكثيراً ما تنتهي الحادثة بالقول أن المجرم ارتكب فعلته تحت تأثير الخمرة، فقد قال عالم الاجتماع Enrico Ferri إنريكو فيري: «إن كل الإحصاءات تؤكد على دور السكر في جرائم القتل، الجرح الضرب، الإساءة إلى الأطفال، الجرائم الجنسية، الحرائق والجرائم الناتجة عن قلة الحذر»[3].

وهذا لا يعني أن كل شارب خمر مجرم، بل لا بد أن يكون عند المخمور ميل إجرامي مسبق لظروف أخرى غير السكر، ففي حالة وجود

---

(1) HEUYER, GEORGES, LES TROUBLES MENTAUX, P :263.

(2) عبيد، رؤوف، أصول علم الإجرام و العقاب، دار الفكر العربي، بيروت . لبنان، الطبعة الرابعة، 1977م.، ص367.

(3) HEUYER, GEORGES, LES TROUBLES MENTAUX, P: 265.

هذا الميل الإجرامي فإنه يكفي قدر بسيط من الخمر لإرتكاب جريمة شنيعة على جانب كبير من الخطورة، ذلك لأنه من المعلوم أن الخمر يضاعف الرغبة في الجريمة حتى تتولد في النفس، ويبدد المخاوف الحائلة دون تنفيذها كالخشية من العقاب، أي أنه يساعد على انعقاد العزم وتغليب الدافع إلى الجريمة على المانع منها، لا في جرائم الأشخاص فحسب، بل كذلك في جرائم الأموال[1].

وقد قسّم القانون مسئولية السكران عن أفعاله إلى ثلاثة أقسام:

«ـ 1 ـ حالة السكران بغير اختياره، كالشخص الذي تناول المسكر وهو لا يعلم حقيقته فلما فقد وعيه ارتكب جريمة ما، فهو لا يُسأل جنائياً بإجماع الآراء عن جريمة عمدية ويسأل عن جريمة غير عمدية إذا ثبت في حقه صدور رعونة أو خطأ كان أيهما سبباً في تناول المسكر ...

ـ 2 ـ حالة الشخص الذي تناول المسكر مريداً مختاراً، وعندما فقد وعيه ارتكب جريمة غير عمديه كأن قاد سيارة فقتل إنساناً، فعندئذ يُسأل بإجماع الآراء أيضاً عن جريمة القتل خطأ، ولا يعفيه سكره من المسئولية، بل قد يشددها في بعض الشرائع.

ـ 3 ـ حالة الشخص الذي تناول المسكر مريداً مختاراً، قاصداً من تناوله أن يكتسب قدراً من الشجاعة حتى يتمكن من ارتكاب جريمة معينة فكّر فيها ودبّرها وهو في كامل وعيه، وعندئذ يُسأل أيضاً بإجماع الآراء ومسئوليته كاملة عن جريمته العمدية، لتوافر جميع العناصر المطلوبة للمسئولية في وقت الإقدام على السكر الاختياري: إدراك، وحرية اختيار، وقصد جنائي»[2].

ـ 5 ـ المخدِّرات

ـ أ ـ أنواع المخدّرات: تقسم المخدّرات إلى نوعين: «نوع يحدث إثارة نفسية تتخذ صورة الغضب والنزعة إلى العنف، وكثيراً ما يؤدي إلى

---

(1) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م. س، ص136.

(2) عبيد، رؤوف، أصول علم الإجرام والعقاب، م. س، ص369.

الجنون وإلى إجرام القتل، ولا تخفى خطورة هذا النوع على الآخرين، ومن قبيله الكوكايين والكلورال والحشيش، ونوع يسبب خمولاً عاماً وهبوطاً في المَلَكات الذهنية، وحالة من عدم الإكتراث، وهذا النوع لا يهدد الوسط المحيط بأخطار مباشرة إلا أن فصائل منه، مثل المورفين والهيروين، تُولِّد لدى متعاطيها إحساساً بأن جسمه أسير للمخدر وبأنه على ظمأ فسيولوجي يتطلب ارتواء، فتبلغ به حدة الحاجة إلى المخدِّر درجة الاختلاط الذهني وتلمس الطرق للظفر بالكثرة اللازمة من النقود في سبيل الحصول على ثمن شرائه، وهو باهظ واقتضى ذلك اقتراف جريمة قد تصل إلى درجة القتل»[1].

- ب - حكم المخدرات في الشريعة

تعرض الفقهاء لحكم المخدرات في الشرع ومنهم ابن تيمية الذي أورد في فتاويه:

«هذه الحشيشة الصلبة حرام سواء أَسكَرَ منها أم لم يسكر، والسكر حرام منها باتفاق المسلمين ... وإنما يتناولها الفجّار لما فيها من النشوة والطرب، فهي تجامع الشراب المسكر في ذلك، والخمر توجب الحركة والخصومة وهذه توجب الفتور والذلة، وفيها مع ذلك من فساد المزاج والعقل وفتح باب الشهوة وما توجبه من الدِّياثة[2] مما هي من شر الشراب المسكر، وإنما حدثت في الناس بحدوث التتار، وعلى من تناول القليل منها والكثير حدّ الشرب ثمانون سوطاً أو أربعون»[3].

- ج - دور الفراغ في تعاطي المخدرات: تكثر نسبة من يتعاطى المخدرات بين الأثرياء عن من يتعاطاها بين الفقراء، وذلك نتيجة اتساع وقت الفراغ عند الأثرياء، ونتيجة سوء التربية وانشغال الأهل عن أولادهم، ومدِّهم بالمال الذي يحتاجونه لشراء المخدر. وقد أجرت جريدة L'orient - Le Jour بحثاً عن المخدّرات في لبنان عام 1979 أكدت فيه «أن نسبة

(1) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م. س، ص138.

(2) الديوث: المستحسن على أهله، والقواد الساعي بين الاثنين بالفساد.

(3) إبن تيمية، الفتاوى الكبرى، مكتبة المثنى، بدون رقم الطبعة والتاريخ، م4، ص311.

الأثرياء الذين يفوق دخلهم الستين ألف ليرة لبنانية[1] هي أعلى نسبة بين الذين يرغبون في سن تشريع يبيح تعاطي المخدّرات، إذ بلغت هذه النسبة 25 بالمائة من مجموع العينة التي أُخِذَ رأيها، كما ثبت في نفس الدراسة أن بين الشباب المدمنين الذين سئلوا عن سبب تعاطيهم المخدر 38 بالمائة نسبوا ذلك أي الضعف والجهل، و35 بالمائة إلى الحرب، و30 بالمائة إلى الانهيار العصبي، و30 بالمائة إلى الضجر، و17 بالمائة إلى الضيق النفسي.

فالضجر إذاً، أي فراغ الشخصية من اهتمامات معينة ومفيدة، يمثل نسبة الثلث من بين الذين تعاطوا المخدر، وهذا ما يثبت إطار خلو الشخصية من تلك الاهتمامات والأهداف»[2].

ـ د ـ دور المخدرات في ارتكاب الجرائم: يعتقد كثير من الناس أن الجرائم بشكل عام، والجرائم الجنسية بشكل خاص، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتعاطي المخدّرات، وذلك لما تبثه من روح العنف والمغامرة، وهذا الاعتقاد غير صحيح، فإذا ارتبطت جرائم الاغتصاب مثلاً بتناول الخمرة فإنها «نادراً ما تنسب إلى المخدرات، لأن الحشيشة تضعف القوة والعنف»[3].

وإذا كان «الكوكايين مادة مهيجة يتعاطاها أحياناً قطّاع الطرق وغيرهم من المجرمين قبيل ارتكاب جرائمهم لكي تبث فيهم الشجاعة وتدفعهم إلى المغامرة إلا أنه من الثابت في هذه الحالة أن التصميم على السلوك الإجرامي قائم بالعقل قبل تعاطي المخدر»[4].

وإذا كانت نسبة ارتكاب الجرائم الجنسية بين مدمني المخدرات

---

(1) كان هذا المبلغ يعادل آنذاك حوالي عشرين الف دولار اميركي.

(2) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م. س، ج1، ص588، عن
L'ORIENT LE JOUR N 3139 11/5/1979 ,(ENQUETE DE M . BAGHDADI ET N . DE FREIGE)

(3) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 115.

(4) رمضان، محمد السعيد، دروس في علم الإجرام، م. س، ص79.

متدنية، فإن هذا لا ينفي ارتكاب هؤلاء الجرائم الأخرى مثل السرقة والقتل، وقد يصل الأمر إلى ارتكاب الجرائم الجنسية إذا كان الهدف من وراءه الحصول على المال الكافي لشراء المخدر.

المبحث الثالث
العوامل الاقتصادية

يربط كثير من رجال القانون بين الإجرام وبين الحالة الاقتصادية في بلد معين، والإجرام لا يقتصر على الفقراء فقط بل هو منتشر أيضاً بين الأغنياء والأثرياء وإن كانت نسبته عند هؤلاء غير معروفة، وهناك من العلماء أيضاً من يربط «بين الإجرام والدورة الاقتصادية، سواء في ذلك فترة الرخاء التي تشجع على ارتكاب جرائم الاغتصاب والقتل وإهمال الأطفال وتشردهم بسبب انكباب الآباء على جمع المال وإنفاقه في الملذات أو فترة الكساد التي تنتشر فيها البطالة وتكثر جرائم السرقة والسطو والاعتداء والنصب»[1].

ولا بد في بداية البحث من التعريف بالفقر وتأثيره على الإجرام مع تبيان كثرة المشاكل الناتجة عن الفقر.

ـ 1 ـ الفقر

ـ أ ـ تعريف الفقر

مدح الإسلام الغنى واعتبره نعمة من نعم الله على عباده، وجعل «الفقر مشكلة بل مصيبة يستعاذ بالله منها، ويضع مختلف الوسائل لعلاجها»[2].

وقد جعل الله سبحانه وتعالى المال وسيلة لمثوبة عباده المؤمنين، فقال تعالى:

---

(1) الساعاتي، سامية حسن، الجريمة والمجتمع، م. س، ص118.

(2) القرضاوي، يوسف، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، مكتبة وهبه، القاهرة . مصر، الطبعة السادسة، 1415هـ، 1995م.، ص 12.

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا كُنتُمْ يَغْفِرْ لَكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا[1].

وقد حذر الإسلام من الفقر، ولذلك عدّ الرسولﷺ الفقر بين الفتن التي يستعاذ منها، فقال عليه الصلاة والسلام: (اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار وعذاب النار وفتنة القبر وعذاب القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر اللهم إني أعوذ بك من شر فتنة المسيح الدجّال اللهم إغسل قلبي بماء الثلج والبرد ونقّ قلبي من الخطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم إني أعوذ بك من الكسل والمأثم والمغرم)[2].

ويتمثل الفقر بانقطاع الموارد المادية عند أفراد معينين مما يجعل مستويات الفقر متفاوتة بين الناس، فالفقر يشمل «إنعدام المورد بصورة تامة مما يحمل الإنسان على القيام بأي عمل، منحرف أم لا، بغية سد حاجاته الغذائية الأساسية، أي أن هناك حالة مجاعة تفرض على الإنسان معالجتها بأية وسيلة، كما يشمل انخفاض المورد إلى ما دون الحد الأدنى الضروري لسد حاجات الإنسان العادية، ويشمل أيضاً التفاوت بين الدخل العادي والدخل الحالي بحيث يشعر الإنسان في الحال الأخيرة أنه مغبون من حيث الأجر والدخل وأن ظلماً حلّ به لعدم تمكنه من الارتقاء نحو وضع أفضل»[3].

فالفقر إذاً يختلف من بلد إلى آخر تبعاً لاختلاف المستوى المعيشي، ففي لبنان مثلاً لا يعتبر وجود السيارة والأدوات الكهربائية المنزلية وغير ذلك مؤشراً على الغنى، لأن هذه الأشياء موجودة عند غالبية الشعب، اللهم إلا في حال الفقر المدقع، بينما يمثل المذياع والتلفاز مؤشراً لارتفاع نسبة المعيشة في البلدان الفقيرة مثل «سيري لانكا» مثلاً.

---

(1) سورة نوح، الآيات 10 ـ 12.

(2) البخاري، صحيح البخاري، م.س، ج7، ص161.

(3) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م. س، ج1، ص613.

- ب - تأثير الفقر على الإجرام

لا يعتبر الفقر مؤثراً على شخصية الفرد إلا في حال استمراره مدة زمنية طويلة، فالإنسان إذا عانى ضيقاً مادياً مؤقتاً، وكان يتمتع بالتربية الدينية والأخلاقية، فإنه نادراً ما ينقلب إلى الإجرام، فالإجرام إذاً «ليس رهناً بضغط ظروف اقتصادية سيئة في وقت ما بقدر ما هو رهين بتواتر هذا الضغط واستمرار تأثيره على الفرد وعلى سلالته على مرّ الأوقات، فالبؤس العابر ليس خطراً خطورة البؤس الدائم المتواتر، ذلك لأن استمرار وتواتر البؤس على الإنسان وسلالته ينزل الوهن بملكاته الجثمانية والنفسية ويسوقها إلى التقهقر والانحلال، فيصبح الفرد غير صحيح لا في بدنه ولا في نفسه وهذا هو العامل الذي يعد وثيق الصلة بالجريمة»[1].

- ج - المشاكل الناتجة عن الفقر:

- 1 - إهمال التربية: يترافق مع الفقر عادة فقدان المرء لبعض المنافع الأساسية من تغذية وتعليم وتأديب، ويتربى الطفل منذ نشأته في الشارع ومع أقرانه الذين يتشاركون معه في معاناته، فينتج عن هذه العشرة فقدان التعليم والتأديب، فكثيراً ما يجري التحدث بالأمور الجنسية بشكل فاضح «و ذكر الأعضاء التناسلية في السباب وسهولة الطعن في الشرف والعرض عند نشوب الخلافات، ثم عدم الحرص على الأجساد وإهمال إخفاء الأماكن الحساسة في الجسم، كل ذلك يؤدي إلى نشأة الأولاد وقد اعتادوا على الاستخفاف بالقيود والضوابط والمحذورات المتعلقة بالجنس، وهو ما أثبته البحث الذي أجراه (كينسي)، فقد تبين فيه أن السلوك الجنسي للصبية غير البالغين، أو ما يسمى العبث الجنسي لدى الصبية من الطبقة الدنيا الذين حاولوا الاتصال الجنسي مع إناث تبلغ نسبتهم 74,4 بالمائة وتنخفض النسبة إلى 25,7 بالمائة عند الصبية من الطبقة الوسطى وتقلّ عن ذلك كثيراً بين الصبية من الطبقة العليا»[2].

- 2 - ازدحام المساكن: أثبتت بعض الدراسات التي أجريت على

---

(1) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م. س، ص219.

(2) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الإناث، م. س، ص161.

مجرمي الاغتصاب أن «بعض مرتكبيها من الشبان أتوا من أسر فقيرة تعيش الواحدة منها مع أطفالها الكثيري العدد في حجرة واحدة، مما يجعلهم عرضة لرؤية والديهم وهم يمارسون الجنس، وقد يصيبهم ذلك، إذا كانوا في سن المراهقة، بجرح نفسي يكون له آثار ضارة في مستقبل حياتهم، وبخاصة في علاقتهم الجنسية»[1].

ومن الأمثلة على نتائج تكدس الأولاد في غرفة واحدة ما ورد ذكره في جريدة النهار تحت عنوان «جريمة برسم الفقر»، فقد جاء في المقال:

«عمره ستة عشر عاماً، يعيش مع شقيقته التي تصغره بأربع سنوات ووالدته وزوجها الثاني، مصري الجنسية يعيشون جميعاً في غرفة واحدة متواضعة فقيرة لا يتعدى طولها وعرضها أمتاراً قليلة، في داخلها خزانة خشب وضعتها الوالدة لتفصل سريرها عما تبقى من الغرفة، فكانت النتيجة اغتصاب البنت من قبل شقيقها الذي تم توقيفه على أثر اكتشاف الأم حالة ابنتها الوحيدة وبعدما عرضتها على طبيب شرعي، واكتفى الحكم الصادر عن محكمة الأحداث في بيروت بمدة توقيفه شرط إبقائه تحت المراقبة ووضع البنت في دير الراعي الصالح، وحسب رأي جمعية اتحاد حماية الأحداث فإن الدافع الرئيسي لهذه الجريمة انعدام رعاية الأهل إضافة إلى حال البؤس والفقر التي تعيشها هذه العائلة ضمن غرفة واحدة»[2].

ومن نتائج كثرة الازدحام داخل الغرفة الواحدة هروب الولد من البيت واجتماعه مع أقرانه في الحي، وتؤدي هذه الاجتماعات في بعض الأحيان إلى نشوء عصابات تقوم بالاعتداء على سكان الحي أو المنطقة، وكدليل على هذا الأمر ما ورد في دراسة أجراها أحد الباحثين عن سكان العِشش[3] في القاهرة حيث جاء فيها ما نصه: «عشش الشرابية .. حيث أكبر تجمع للعشش في مدينة القاهرة .. وحيث تتلاصق عشش البوص والطين والخشب .. وحيث هناك دورة مياه واحدة لكل سبعة عشر عشة،

(1) الساعاتي، سامية حسن، الجريمة والمجتمع، م. س، ص12.
(2) جريدة النهار اللبنانية، نهار الشباب، العدد 19003، تاريخ 6 / 12/ 1994، ص9.
(3) العِشش: جمع عِشة، وهي المسكن الصغير البسيط.

يجب أن تتسع في نفس الوقت للبشر والبهائم أيضاً .. أعتاد الشباب مهاجمة دورات المياه حيث يعتدون على النساء .. وباتت كل امرأة أو فتاة تخاف على نفسها وعلى جسدها تضطر لتأجيل قضاء حاجتها حتى يجيء النهار الذي من المحتمل أن يغدو أكثر أماناً واطمئناناً»[1].

- **3 - السرقة**: يلعب الفقر دوراً هاماً في انتشار الجريمة وانجراف الشباب إليها، وتكثر الجرائم التي ترتكب تحت إسم الفقر، ومن الأمثلة على ذلك جريمة السرقة التي ترتكب لسد الحاجات التي تنقص الفرد من جهة، وللتعبير عن سخط السارق على كل من يتمتع بالأموال ورغبته في حرمانه منها.

وقد دلّت بعض الدراسات أن السرقة تكون هي الهدف الأساسي عند بعض مجرمي الاغتصاب الغرباء، «فإذا كانت الضحية امرأة وكان المكان آمنا، فلماذا لا يستفاد من الفرص وتغتصب المرأة؟ والاغتصاب بالنسبة للمعتدي هو لذة إضافية وإن قام بها فإنه لن يعاقب عليها»[2].

وفي النهاية لا بد من التذكير بأن الجريمة وخاصة الاغتصاب تجري في كل المجتمعات وفي كل الطبقات، إلا أن «أفراد الطبقات العليا عندهم من الوسائل ما يهربون به من الاتهام إذا أجرموا أو من الإدانة إذا حوكموا، إذ أن لهم نفوذاً شخصياً كما في وسعهم أن يعهدوا بمهمة الدفاع عنهم إلى كبار المدافعين من رجال القانون»[3].

- 2 - استغلال السلطة

يعتبر استغلال السلطة بغية الابتزاز الجنسي في العمل من المشكلات المعاصرة، وهو من أبرز نتائج خروج المرأة إلى العمل واحتكاكها المباشر مع الرجال، وهذا ما أكدته لين فارلي في كتابها «الابتزاز الجنس Sexual Shake down» فقد قالت: «إن تاريخ ابتزاز المرأة العاملة جنسياً قد بدأ منذ

---

(1) أيوب، ياسر، الانفجار الجنسي في مصر، م. س، ص183.

(2) MACKELLAR ,JEAN, LE VIOL P: 62.

(3) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م. س، ص237.

كلية الإمام / قسم الدراسات الإسلامية

ظهور الرأسمالية ومنذ التحاق المرأة بالعمل.

ولقد ساهم ابتزاز المرأة جنسياً أثناء العمل في قتل أعداد لا تقدر من النساء العاملات في القرن التاسع عشر وأوائل العشرين ... وذلك عن طريق انتشار الزهري والأمراض التناسلية. وعن طريق طرد المرأة إلى قارعة الطريق إذا رفضت الاستجابة لرغبات رئيسها في العمل ... وبالتالي تتعرض لأمراض سوء التغذية والأمراض المعدية.

وكانت المرأة تستجيب وترضخ تحت التهديد المستمر بالفصل من العمل إذا هي لم تستجب لرغبات رئيسها الجنسية. وليس هذا فحسب، ولكن بإمكانه أن يشوه سمعتها ويتهمها باللاأخلاقية ويكون بذلك قد منعها فعلاً من الحصول على أي عمل آخر نظيف ... ويدفعها دفعاً إلى تجار الدعارة والبغاء أو إلى الهرب خارج المدينة»[1].

وسبب استسلام المرأة للابتزاز الجنسي وعدم مقاومته هو خضوعها لنوعين من الإكراه: الإكراه الاقتصادي والإكراه العاطفي، ويتمثل الإكراه العاطفي بأن «الضحية لا تخاف فقط من المقاومة ولكنها تخاف من عدم تصديق كلامها في حال تقدمت بالشكوى، لأن الاغتصاب من قبل ممثل للسلطة[2] يمكن أن يسبب للمرأة اضطراباً وتشويشاً ذهنياً، لأنها تعوّدت دائماً على احترام السلطة التي تعتبرها في هذه الحالة متواطئة»[3].

ـ 1 ـ ابتزاز المرأة في العالم

أدى استفحال مشكلة ابتزاز المرأة داخل العمل إلى عقد الاجتماعات بغية إيجاد الحلول لما تتعرض له النساء في العمل، ففي 26/ 5/ 1993 «عقدت لجنة الشؤون الحكومية في مجلس الشيوخ الأميركي جلسة استماع حول مشكلة التحرش الجنسي في أماكن العمل داخل هيئات ومصالح الحكومة الاتحادية الأميركية. واستمعت اللجنة خلال ذلك إلى عدد من الشهود من موظفات الحكومة الاتحادية الأميركية يحكين عن التجارب

---

(1) البار، محمد علي، عمل المرأة في الميزان، م. س، ص168.169.

(2) السلطة هنا تعني معان عدة: الدولة، العمل، العائلة.

(3) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL P: 329.

المرة التي تعرضن لها من جانب رؤسائهن - وفي حالات أقل - من جانب زملائهن من الرجال. شهادات سيدات تحدثن عن الدمار الذي لحق بمستقبلهن كموظفات نتيجة امتناعهن عن الاستجابة للمحاولات الجنسية من جانب رؤسائهن، وعن المهانة التي يشعرن بها والأعمال الانتقامية التي يتعرضن لها بسبب مقاومتهن. وتحدث بعضهن عن ميلهن بعد التعرض لهن للجوء إلى محاولة الانتحار»[1].

وهذه الأقوال قد تدفع القارئ إلى القول أن هذه الإبتزازات تحدث في مجتمعات غربية لا إسلامية، وهذا لا يمكن أن يحصل في مجتمعاتنا العربية الإسلامية، إلا أن ما يحدث مغاير لهذا القول فإن مثل هذه الاجتماعات والجلسات تعقد في كل الدول وحتى العربية، فقد عقد للمرة الأولى في المغرب تجمع في مدينة «الرباط» نظمته «الهيئة المغربية للنساء المغربيات» «حول التحرش الجنسي في أماكن العمل، ولاقى هذا التجمع نجاحاً كبيراً ذلك أن خلافاً يدور منذ أسبوعين بين عاملات في أحد مصانع النسيج وإدارته من «التحرشات العنيفة والمتكررة» التي تعرض لها عدد من العاملات من أحد أصحاب المصنع، وطالبت الجمعية النسائية بالتنديد بالتصرفات السيئة والمنحطة التي تصدر عن هذا الشخص والتي تتراوح بين الشتم والتحرش الجنسي»[2].

- 2 - نماذج عن استغلال السلطة

تكثر النماذج عن استغلال الرؤساء لموظفيهم، كل حسب موقعه الوظيفي، وهذا الأمر لا تخلو منه وظيفة من الوظائف بدءاً باستغلال رجال الدين، وإنتهاء باستغلال المخدوم لخادمته في المنزل، ولا بد لإظهار حجم المشكلة من إعطاء أمثلة عن هذه الإستغلالات:

- أ - استغلال رجال الدين: فقد القساوسة ورجال الدين الاحترام منذ زمن طويل، وانتشرت أخبار انتهاكاتهم لأعراض الناس، حتى وصلت إلى الصحف والمجلات، ومن هذه الأخبار ما نشرته الصفحة الدينية

(1) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد776، تاريخ14/ 6/ 1993، ص38.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد19299، تاريخ 28/ 11/ 95، ص20.

الأسبوعية في صحيفة» واشنطن بوست «تحت عنوان «الإيذاء الجنسي من جانب القساوسة يوصف بأنه بلغ مستوى أزمة تاريخية».

«وفي هذا التحقيق يقدر أندرو غريلي ـ وهو قسيس كاثوليكي وفي الوقت نفسه أستاذ لعلم الاجتماع ـ أن هناك عدداً يراوح بين ألفين وأربعة آلاف قسيس أميركي ارتكبوا جرائم من هذا النوع خلال فترة ربع القرن الأخير، ويقول «إنني اعتقد أنه في تاريخ الكنيسة تعدّ الأزمة الأخلاقية الراهنة أسوأ أزمة من نوعها منذ الثورة الفرنسية، وربما منذ زمن الإصلاح الديني (أي منذ القرن السادس عشر)»[1].

أما بالنسبة لليهود فإن قصصهم مع حاخاماتهم لا تنتهي، ومثال على ذلك الحادثة التي شغلت الرأي العام الإسرائيلي طويلاً و«تورط فيها 7 من كبار حاخامات تل أبيب والقدس والتي عرفت بقضية «السبعة الكبار في الدين»، وقد كان هؤلاء السبعة التي تناولتهم الصحف الإسرائيلية من أهم حاخامات اليهود الذين يستقبلون الآلاف من أبناء إسرائيل طلباً لـ «البركة» أو للعمل أو للزواج أو للطلاق ... وأيضاً من تريد انتزاع أحد الرجال من زوجته.

أحد الحاخامات كان يستضيف السيدات في حلقات خاصة طبقاً للطلبات، وكان لديه 5 من الشبان العاطلين عن العمل يعملون معه، فمثلاً السيدة التي تريد الحمل لكنها لم تستطع ذلك مع تأكيد الأطباء لها بأنه لا يوجد سبب طبي عندها، كان الحاخام يجعلها تتناول شراباً منوماً ثم يدخلها إلى هؤلاء الشباب ليضاجعوها جميعاً مرتين أو 3 مرات أسبوعياً»[2].

وعلى رغم وجود أدلة تدين رجال الدين على إنتهاكاتهم، فنادراً ما يوجد من يعاقبهم أو يحاسبهم على فعلتهم، ويقول أحد رجال الشرطة: «قد تستغربون أنه كلما توصلنا إلى إكتشاف إستغلال جنسي داخل المؤسسات والأديرة، هناك ضغوط تمارس، وفجأة لا شيء يحدث»[3].

---

(1) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد 776، تاريخ 14/ 6/ 1993، ص37.

(2) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد 841، تاريخ 12/ 9/ 84، ص34 ـ 35.

(3) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D' INNOCENCES, P: 184.

- ب - **استغلال الرؤساء والحكام**: ورد في الباب الأول ذكر نماذج عن إستغلال الحكام لمناصبهم وحقهم بالليلة الأولى عند بعض الشعوب، وورد ذكر الملك فاروق واغتصابه لعروس ليلة زفافها، ونورد هنا نماذج أخرى أكثر حداثة، أولها نموذج الرئيس الأميركي بيل كلينتون الذي اتهم بالتحرش الجنسي، فقد «أعلن مصدر قضائي أن محكمة استئناف فيدرالية فتحت الطريق أمس أمام مقاضاة الرئيس بيل كلينتون بتهمة التحرش الجنسي بعدما أقامت إحدى موظفاته السابقات دعوى، واعتبرت المحكمة أن في الإمكان ملاحقة الرئيس قبل انتهاء ولايته.

ويلغي قرار المحكمة الذي اتخذه ثلاثة قضاة قراراً سابقاً يمنع باولا جونز الموظفة السابقة في ولاية اركنساس من ملاحقة الرئيس فيما هو في سدة الحكم.

واتهمت جونز كلينتون بالتحرش بها جنسياً في غرفة في أحد فنادق ليتل روك عاصمة ولاية اركنساس التي كان كلينتون آنذاك حاكما لها»[1].

وثانيها في أميركا أيضاً حيث حصل تحرشات جنسية في مجلس الشيوخ، واتهم إثنان من أبرز أعضاء مجلس الشيوخ بالقيام بتحرشات جنسية مع موظفات كن يعملن كمساعدات لهم، والإثنان المتهمان «أحدهما السناتور بوب باك وود، وهو جمهوري يمثل ولاية أورغون، متهم من عدد من النساء اللاتي عملن كمساعدات له في مكتبه في الكونغرس أو في مكتبه في دائرته الانتخابية بالقيام بأعمال تحرش غير لائق طلباً للدخول في علاقة جنسية، والثاني السناتور دانييل انيوي وهو ديمقراطي يمثل ولاية هاواي، متهم أيضاً من بعض النساء بالتحرش بهن جنسياً، لكنه لم يفعل ذلك مع سيدات من موظفات الكونغرس .. إنما من سيدات خارج مجال عمله»[2].

- ج - **استغلال الشرطة**: كان الشرطي ولا زال مصدر خوف عند كثير من الناس لما يمثله لباسه من الهيبة والفزع، ولا زالت الأمهات إلى الآن يخوفن أولادهن بالشرطي «البوليس» الذي سيجرهم إلى الحبس في حال

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19334، تاريخ 10 / 1/ 1996، ص11.

(2) مجلة الكفاح العربي اللبنانية، العدد 776، تاريخ 14/ 6/ 93، ص38.

أذنبوا ذنبا ما، والواقع أن هناك كثير من رجال الشرطة يستغلون بذلتهم وسطوتهم بين الناس من أجل تسهيل أعمالهم وتحقيق نزواتهم، ومن هؤلاء مصطفى ثابت الملقب «وحش الدار البيضاء» الذي قام باغتصاب أكثر من 1600 امرأة، وقد صدر أمر قضائي بإعدامه في المغرب، فقد «أفادت وزارة العدل المغربية أن مفوض المخابرات العامة في الدار البيضاء مصطفى ثابت المتورط في قضية الاغتصابات الشهيرة أعدم فجر أمس رمياً بالرصاص في الرباط، وجاء في بيان لها صدر بعد ظهر أمس أن الحكم الصادر على ثابت في آذار نفذ بعدما رفضت محكمة الرباط العليا الطعن الذي تقدم به وبعدما رفض الملك الحسن الثاني التماسه العفو.

وكانت قضية المفوض روعت الرأي العام المغربي بضعة أسابيع نظراً إلى العدد الكبير لضحاياه والذي زاد في ثلاث سنوات عن 1600 امرأة أرغمن بالقوة أو الخداع أو الابتزاز على الخضوع لرغباته وشهواته، وقد صور ثابت كل فعلاته الجنسية مع ضحاياه بكاميرات فيديو مخبأة في مكتبة مواجهة لسرير غرفة نومه وصودر أكثر من مئة شريط فيديو عرض قضاة التحقيق بعضاً منها»[1].

وإذا كان نصيب ثابت الإعدام فإن هناك دولاً اخرى قضت بالسجن سبع سنوات على اغتصاب شرطيين لفتاة، وقد جاء الخبر في صحيفة كويتية ذكرت أن «محكمة كويتية قضت على شرطيين بالسجن سبعة أعوام بعد إدانتهما بتهمة اغتصاب فتاة لم تحدد جنسيتها.

وقالت الصحيفة إن الشرطيين أمرا الفتاة بركوب سيارة الدورية لمرافقتهما إلى المخفر، بَيْدَ أنهما اتجها بها إلى منطقة نائية حيث تناوبا على اغتصابها ثم أوصلاها الى منزلها»[2].

ـ د ـ استغلال الاساتذة: يتعلم الولد منذ نشأته احترام أساتذته وتقديرهم، وتكثر الأقوال عن أهمية احترام التلميذ لاستاذه، ومن هذه الأقوال ـ مع مخالفتها للشرع ـ: «من علمني حرفاً صرت له عبداً» وقول

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 18601، تاريخ 10/ 8/ 1993، ص12.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19025، تاريخ 3/ 1/ 1995، الصفحة الأخيرة.

الشاعر: «قف للمعلم وَفِّهِ التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا»

إلا أن هناك بعض الأساتذة الشاذين الذين يستغلون سلطتهم على التلميذ وقدرتهم على إفساد سنته الدراسية لكي يصلوا الى غاياتهم الشاذة، ومن الأمثلة على استغلال الاساتذة ما شكا منه عدد من طالبات الفرع الأول لكلية الاعلام والتوثيق في الجامعة اللبنانية، من اللواتي تقدمن إلى الامتحانات النهائية، «من تحرشات وعمليات ابتزاز يحترفها بعض من الأساتذة، ولدى بعض الشاكيات «أدلة» تقدمن بها إلى إدارة الجامعة، وعلم أن مجلس الجامعة كلّف بعض أعضائه التحقق»[1].

وأوردت جريدة النهار أيضاً حادثة حصلت مع معلِّم «موسيقى خصوصي وإسمه فرانسوا م.ز. (38 عاما) استغل براءة طفلين صغيرين الفتاة عمرها 12 عاماً وشقيقها عمره 11 عاماً، وقام بتصويرهما عراة بواسطة آلة تصوير أحضرها معه لهذه الغاية»[2].

ـ هـ ـ **استغلال الأطباء**: يلجأ الانسان إلى الطبيب لحاجته إلى الدواء أو لرغبته في تحقيق أمل يئس من الحصول عليه، وكثيراً ما يستغل بعض الأطباء هذه النقطة ورغبة الإنسان بالشفاء ليصلوا إلى إشباع نزواتهم، ومن هؤلاء الاطباء Dr. Flaud دكتور فلو الفرنسي الذي تحدث عن طريقته في الوصول إلى ضحاياه، فكان يقول للصغار: «أنت عندك السيدا وانا عندي المضاد، وسأنقله لك بواسطة الجنس، وهذا سيبقى سراً بيننا»، أو قد يقول: «عندي طريقة كي تجعلك تكبر»، وأحياناً يلجأ الدكتور فلو إلى حقن الضحية بالمخدر على جرعات خفيفة كي لا يشعر الطفل بالألم عند الاستيقاظ»[3].

ومن الحوادث الغريبة في هذا المجال ما ذكرته وكالة رويتر في نيويورك عن قصة سيدة عمرها 29 عاماً كانت قد دخلت في غيبوبة منذ عشر سنين وتعرضت للاغتصاب في «بيت للتمريض في برايتون في نيويورك

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19259، تاريخ 11/ 10/ 1995، ص19.

(2) جريدة النهاراللبنانية، العدد19289، الاربعاء 15/ 11/ 1995، ص8.

(3) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D' INNOCENCES, P: 188.

الصيف الماضي وهي مستمرة في غيبوبتها، ولم تعتقل الشرطة أحداً في القضية رغم اعتراف عامل سابق في بيت التمريض أنه الفاعل، وجاء هذا الاعتراف أثناء محاكمته الإثنين بتهمة أخرى هي التحرش جنسياً بمريضة عمرها 48 عاماً.

وولد الطفل طبيعياً وإن جاء مبكراً عن موعده تسعة أسابيع، وأعرب جدّا المولود عن رغبتهما في تنشئته. قال متحدث بإسم مستشفى سترونغ ميموريال في روشستر أن الطفل والأم في صحة جيدة وإن كانت السيدة لم تفق من غيبوبتها رغم أحداث الحمل والولادة»[1].

ومن الحاجات التي يستغلها بعض الأطباء عادة حاجة المرأة الى الإنجاب، فيدّعي بعض هؤلاء قدرتهم على حل مشكلة العقم عندها، وأبرز من يدّعي مثل هذه القدرات المشعوذون الذين يدّعون قدرتهم على معالجة جميع الأمراض، ومن هؤلاء الطبيب العربي الدجال إبراهيم محمد القفي 51 عاما من القاهرة الذي دِينَ بممارسة الشعوذة في قرية بركة السبع في القاهرة، وقالت جريدة الأخبار المصرية: «إن «آخر ضحاياه» عروس في الثامنة عشرة كان زوجها عاجزاً عن إتمام زواجه بها، فأحضرها الى الشيخ ليعالجها، وكان أن انفرد بها في «غرفة الجان» لمدة ساعة قام خلالها بتنويمها لتفيق وتكتشف أنه اعتدى عليها، ولم يتمكن الزوج من القبض على الدجال الذي هرب من النافذة، وعلى الأثر تم ابلاغ الشرطة التي قبضت على الدجال وعثرت في منزله على «أدوات الدجل والعديد من صور النساء وملابسهن» ...

وقد أصيب بتشنج لدى صدور الحكم عليه في إحدى محاكم القاهرة، وتوفي من هبوط حاد في الدورة الدموية، وفق تقرير الطب الشرعي»[2].

ـ و ـ **استغلال الخدم**: تعتبر الخدمة في المنازل من أخطر المهن بالنسبة لكل من الرجل والمرأة على حد سواء، إذ إنها اضافة إلى كونها

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19392، تاريخ 20/ 3/ 1996، ص20.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19335، تاريخ 11/ 1/ 1996، الصفحة الأخيرة.

غالباً ما تبعد الشاب أو الفتاة عن أهله او حتى عن موطنه، فإن في الاختلاط بين الخدم وأفراد الأسرة من المخاطر ما لا يحصى.

ـ 1 ـ مخاطر وجود الخادم في المنزل

عانى الناس منذ القدم من مشكلة وجود الخدم في المنازل، وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام أكبر دليل على ذلك، إذ إنه ورد في هذه القصة العظيمة نموذج من نماذج جرائم هتك العرض، وقد ورد في هذه القصة أيضاً ذكر النتائج المترتبة عن تربية الغرباء في البيوت، وما ينتج عنه من تعلق هؤلاء الغرباء بأصحاب البيت، أو تعلق صاحبة البيت بالغريب، الذي قد لايكون خادماً في جميع الحالات، بل قد يكون إبناً بالتبني، كما يحصل في بعض المجتمعات غير الاسلامية التي تبيح التبني وتشجع عليه.

من الأمثلة المعاصرة عن خطر تواجد الخدم الرجال مع النساء في البيوت ما حدث في الكويت، إذ لم يستطع عامل نظافة من بنغلادش أن يمنع يده من أن تمتد إلى صدر إحدى الفتيات اللاتي يعمل في دار سكنهن في الكويت، فأثارته مفاتنهن وهو يراهن بملابس السباحة يوماً بعد يوم.

و ذكرت صحيفة «الوطن» الخبر قائلة: «إن الرجل الذي لم تذكر الصحيفة إسمه قال للشرطة: إنه لم ير مثل جمال هؤلاء الفتيات من قبل ولم يتحمل خلال فترة عمله الإغراءات التي كان يراها باستمرار ... وقام بلمس صدرها بحركة لا إرادية.

والرجل الذي كان يقوم بعمله عندما استثارته فتاة مرت إلى جانبه بملابس قصيرة تبرز مفاتنها، وكان أن مد يده إلى صدرها إلا أنه تلقى من الضرب ما أنساه ما حظي به قبل أن ينتهي به المطاف إلى المخفر»[1].

ـ 2 ـ مخاطر وجود المرأة الخادم في المنزل

تختلف طبيعة العلاقة بين سيد البيت وبين خادمته عما هي بين أي رب عمل وموظفته، ذلك لأن العلاقة الأولى تعتبر أكثر قرباً من الأخرى،

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19049، تاريخ 31/ 1/ 1995، ص18.

إذ إن «الخادمة تنظف الملابس الداخلية وتحمل الفطور حتى الفراش، وتسلّم المنشفة في الحمّام، فالعلاقة بين السيد والخادمة علاقة مطبوعة بالحميمية إلى جانب اللامساواة التي تشكل جوهرها الرئيسي، و يزودها كل ذلك بشحنة إنفعالية وعاطفية قابلة للإنفجار»[1].

إضافة إلى ذلك فإن الإنسان داخل المنزل يتصرف بحرية أكبر، فتنزع عنه الجدية والوقار الذي كان متمسكاً بهما في العمل، فيصبح في المنزل إنساناً عطوفاً ودوداً مما يؤدي إلى كسر حواجز الخوف والحذر عند الفتاة، وعندئذٍ يستغل الرجل سذاجة الفتاة ويستغل حاجتها إلى المال أو حاجتها إلى العاطفة ليقوم بفعلته مطمئناً بعدم معرفة أحد بالأمر، لأن الفتاة لن تجرؤ على إخبار أحد، إما لتعلقها به وإما خوفاً من عدم تصديقها.

إلا أن ما يحدث في كثير من الحالات أن الفتاة تكسر حاجز الخوف وتخبر عن فعلة مخدومها بعد تأكدها من استغلاله لها، ومن ابرز الأمثلة على اغتصاب الخدم حادثة سارة بالاباغان الخادمة الفيليبينية التي اعتدى عليها مخدومها الاماراتي ابن السبعين، فما كان منها إلا أن قتلته، وحكم على سارة بالسجن عاماً واحداً ومائة جلدة وغرامة 40 ألف دولار، وجاء في الحكم في محكمة الاستئناف في مدينة العين الحكم بالسجن «لمدة عام واحد وبمائة جلدة على الخادمة الفيليبينية سارة بالاباغان لإدانتها بقتل مخدومها محمد عبد الله البلوشي عمداً بطعنه 34 مرة بسكين.

وأعلنت وزارة العدل الاماراتية أن الخادمة الفيليبينية ستمضي عاماً آخر في السجن بموجب الحكم الصادر عن محكمة الاستئناف خلافاً لما أعلنه محاموها من أنه سيتم الإفراج عنها فوراً.

وجاء في الحكم الصادر عن محكمة الاستئناف أن المحكمة «حكمت حضورياً بقَبول الاستئناف شكلاً في الموضوع بعد سقوط دعوى القصاص بحق المستأنفة سارة بالاباغان لتنازل الورثة، وإلزامها بديّة القتيل البلوشي الشرعية وقدرها 150الف درهم (40الف دولار) تسلم لورثته الشرعيين،

(1) المرنيسي، فاطمة، السلوك الجنسي في مجتمع إسلامي رأسمالي تبعي، دار الحداثة، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1982م.، ص144.

وعقابها تعزيرها بالحبس سنة إبتداء من تاريخ صدور الحكم وجلدها مائة جلدة وإبعادها عن البلاد.

وقال الملحق العمالي في سفارة الفيليبين أن قيمة الديّة أصبحت في حوزة المحكمة، وقد تمَّ جمعه من الفيليبين ...»[1].

وفي لبنان حادثة أخري حصلت مع سارة أخرى، إلا أن الاغتصاب هذه المرة جاء بالتواطؤ مع الزوجة، فقد «شكت سارة أ .خ. (17 عاما) أن مخدومها إبراهيم ف .ك .(54 عاما) عاشرها بالقوة طوال ثلاث ليال وفض بكارتها، ثم راح يعاشرها في فترات مختلفة إلى أن حملت منه سفاحاً.

وأضافت أن زوجة مخدومها حلا (58 عاما) هي التي حرضت إبراهيم على اغتصابها وإخضاعها لتحبل وتلد له إبناً يكون وارثاً له لأنها عاقر. أوقف إبراهيم وحلا فاعترفا بصحة إدعاء سارة، ووعد إبراهيم بطلاق زوجته والزواج من الخادمة وبوضع نصف مليون دولار بإسمها في أي مصرف لقاء موافقتها على الزواج، لكن الزوج والزوجة أودعا النيابة العامة في بيروت، وتبقى الكلمة الأخيرة لسارة»[2].

ـ 3 ـ الرقيق الأبيض[3]

كان الرقيق موجوداً قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام ظلّ نظام الرق موجوداً لأنه كان موجوداً عند الشعوب السابقة، فكان «مما عمّت به البلوى بين الأمم، فلذلك لم يمنعه منعاً باتاً ولكنّه خفف مصائبه ومهد السبل لمنعه، حتى إذا جاء وقت تقتضي فيه المصلحة العامة منعه مع عدم وجود مَفْسَدَة تُعارض المنع وتَرْجَح عليه كان الأولى الأمر بمنعه، فإن المصلحة أصل في الأحكام السياسية والمدنية يُرجع إليه في غير تحليل المحرمات أو إبطال الواجبات»[4].

---

(1) جريدة الديار اللبناينة، العدد 2578، تاريخ 31/ 10/ 1995، ص16.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد18946، تاريخ 30 / 9/ 1994، ص7.

(3) الرقيق الأبيض: الاسترقاق الجنسي.

(4) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، م.س، ج5، ص9 ـ 10.

وقد حث الإسلام أتباعه على تحرير الرقاب بعدة طرق، ومن هذه الطرق:

الطريقة الأولى: أنه جعل تحرير الرقاب دليل شكر لله تعالى فقال ﷻ في سورة البلد

﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾[1].

الطريقة الثانية «أنه جعل تحرير الرقاب من مقدمة كفّارات كثيرة عن جرائم تَحْرُم فقال في كفارة القتل الخطأ في سورة النساء:

﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[2].

وقال في كفارة الظهار في سورة المجادلة:

﴿وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[3].

و قال في كفارة اليمين في سورة المائدة:

﴿فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ﴾[4].

الثالثة: أنه لما بَيَّنَ مصارف الزكاة جعل منها سهماً من ثمانية للرقاب.

الرابعة: أنه أمر بإجابة من طلب المكاتبة[5] من الأرقاء ومساعدتهم على تأدية المطلوب منهم»[6].

---

(1) سورة البلد، الآيات 11، 13.

(2) سورة النساء، الآية 92.

(3) سورة المجادلة، الآية 3.

(4) سورة المائدة، الآية 89.

(5) الكتابة، اعتاق المملوك يدا «حالا»، ورقبة مآلا، حتى لا يكون للمولى سبيل على إكسابه. انظر: الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت . لبنان، الطبعة التاسعة، 1413هـ، 1992م.، ص235.

(6) الخضري بك، محمد، تاريخ التشريع الاسلامي، دار الفكر، بيروت . لبنان، الطبعة الثامنة، 1387هـ .، 1967 م.، ص57 ـ 58.

فقال في سورة النور: ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾[1].

ـ أ ـ نظام الرق في العصر الحديث: اختفى نظام الرق في أواخر القرن التاسع عشر، ولم يكن الهدف من وراء إلغاءه هدفاً أخلاقياً أو إنسانياً وإنما كان هدفه نفعي اقتصادي، «فإن محاولة تحرير الرقيق إنما كانت نتيجة للخلافات والمنازعات التي كانت بين أصحاب الصناعات الكبرى في البلاد التي تعطي الأجور المرتفعة للصناع وبين أصحاب الصناعات الصغيرة الذين يستخدمون الأرقاء في هذه الصناعات. فقد حارب أصحاب الصناعات الكبيرة الرق للقضاء على هذه المنافسة فقط، كما أن الحاجة إلى تجنيد الأرقاء في الجيوش أو استخدامهم في مصانع الأسلحة دفعتهم إلى التفكير في تحقيق الناحية الشكلية في إلغاء الرق ...

كذلك كانت المناداة بمنع الرق دعاية أزيد بها الاستفادة من أصوات الرقيق في الانتخابات التي يتنافس فيها المرشحون، فوعدوا الرقيق بالحرية ليحصلوا على أصواتهم في هذه الانتخابات»[2].

ـ ب ـ الرق في القرن العشرين: ورد في الفقرة السابقة أن الرق ألغي في القرن التاسع عشر والواقع أن إلغاء الرق كان ظاهرياً فقط، فهو إنما «الغي كمؤسسة قانونية لكنه قائم كمؤسسة واقعية، ففي النطاق الدولي نجده متخفياً تحت إسم الإستعمار والتمييز العنصري والتفريق العنصري وفي هذا النطاق[3] نجده متخفياً تحت ستار البغاء وتجارته المعروفة بإسم الرق الجنسي، وتقول تقارير اللجنة الدولية لحقوق الإنسان وتقارير جمعيات مكافحة الرق والبوليس الدولي (الإنتربول) على أن الرق ما زال موجوداً وهو يمارس في صوره المتعددة في كثير من أنحاء العالم»[4].

---

(1) سورة النور، الآية33.

(2) إبراهيم، عبد الحميد محمد، الرق في الاسلام والأمم الأخرى، مكتبة مدبولي، القاهرة . مصر، الطبعة الاولى، 1410هـ، 1990م.، ص74.

(3) هذا النطاق: نطاق الدعارة.

(4) الترمانيني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، م. س.، ص244.

ويعتبر الاسترقاق الجنسي من أهم أنواع الإسترقاق المعروفة حالياً، وتعريفه: هو «إخضاع شخص لسلطة شخص آخر وإجباره على تعاطي البغاء أو القيام بعمل مخل بالأخلاق وإستثماره، وكان يسمى إلى وقت قريب (الإتجار بالرقيق الأبيض .La Traite Blanche)

وقد استبدلت به التسمية الأولى ليدلّ على حقيقته من جهة، ولأنه يشمل غير البيض من جهة أخري، و يتم هذا الاسترقاق بعدة وسائل منها: التضليل والخداع والخطف والشراء»[1].

- ج - **كيفية استرقاق النساء**: تعتبر أفضل طريقة للحصول على النساء من أجل استرقاقهن هي طريقة فتح مكاتب العمل التي تدّعي تشغيل النساء في البلد وخارجه، و«يتمّ هذا النوع من الاسترقاق بالإعلان في الصحف عن العمل خارج البلاد بشروط مغرية، وتصدر هذه الإعلانات عن مكاتب تسمي نفسها (مكتب توظيف) تتخذ لنفسها مقراً في بناء فخم يقع في شارع مشهور ومؤثث بثمين الرياش»[2].

ومن الأمثلة على هذه المكاتب «مؤسسة النجاح القانونية للصحافة والتجارة والقضايا القانونية والخدمات العامة .. وكل هذا دفعة واحدة .. يقع في شارع شريف .. صاحبه كان تاجراً لبنانياً معروفاً إسمه كريم أبو مراد (الأخبار عدد 26/ 3/ 69)، واكتشف رجال المباحث المصرية قيام هذا المكتب بتسفير أكثر من مائتي فتاة في عام واحد فقط قبل إكتشاف نشاطه المشبوه والإيقاع بصاحبه»[3].

ومن الأمثلة أيضاً مكاتب الزواج والإستخدام التي تستقطب الفتيات القادمات من الريف، ففي تايلاند «كانت البغايا من الرقيقات، فلما ألغي الرق فيها اتخذ الزواج وسيلة الاسترقاق التي أحلّت مكاتب الزواج محل مالكي الرقيق.

---

(1) الترمانيني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، م. س، ص288.

(2) الترمانيني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، م. س، ص282.

(3) أيوب، ياسر، الإنفجار الجنسي في مصر، م. س، ص81.

ويدل تحقيق أجراه المجلس الوطني للأبحاث في تايلاند عام 1965 على أن اكثر البغايا فتيات مضللات، خدعهن تجار الرقيق بالزواج أو الاستخدام ثم دفعوهن بالإكراه أو الإقناع والإغواء إلى الرذيلة»[1].

وفي لبنان أيضاً تستخدم النساء الأجنبيات كرقيق ابيض داخل النوادي الليلية، ويقول القنصل الروسي في لبنان «الكسي إيفناتوف» : «بادئ الأمر سمعنا إشاعات حول هذا الموضوع، وأخذت تكثر، فبدأنا نجمع المعلومات والوثائق من مصادر مختلفة للتأكد من الأمر والبحث عن الحقيقة ومن ثم توجهنا إلى الشرطة اللبنانية، التي لا تقر بوجود هؤلاء الفتيات كبائعات هوى، بل تقول أنهن فنانات، بحسب معلوماتنا انهم يعاملونهن كالعمال القادمين من بنغلادش وباكستان، وهناك عدة فنادق في مناطق جونية تستخدم هؤلاء الفتيات ظاهرياً ولكنهن في الواقع يمارسن الدعارة في شكل خفي ومنظم بطريقة سرّية يصعب حتى على قوى الشرطة إكتشافها»[2].

المبحث الرابع
العوامل السياسية

تتعدد العوامل السياسية المؤدية إلى وجود الإستغلالات والإعتداءات على الأعراض، ومن هذه العوامل: الجاسوسية وما تتضمنه من اغتصابات وإعتداءات على الأعراض، ومنها الاعتداءات خلال الحروب، والاعتداءات على المهاجرات والسجينات داخل السجون.

ـ 1 ـ استغلال الجواسيس

تحصل الدولة عادة على معلوماتها عن البلدان الأخرى بواسطة جهاز الاستخبارات، ويضم هذا الجهاز عناصر بشرية كبيرة، منها الأجنبي ومنها الوطني، ويسمى الأول عميلاً ويسمى الثاني ضابطاً، والفرق بين الإثنين أن الضابط هو «عضو في جهاز الاستخبارات، وهو مواطن ينتمي للدولة،

---

(1) الترمانيني، عبد السلام، الرق ماضيه وحاضره، م. س، ص287.

(2) جريدة النهار اللبنانية ،الملحق، العدد18647، تاريخ2/ 10/ 1993، ص12.

ويقوم بعمله في مكان ما كأي موظف آخر في الدولة، سواء كان هذا العمل داخل البلاد أو خارجها.

أما الشخص الذي يكتشفه ضابط المخابرات ويستأجره ويدربه ويوجهه لجمع المعلومات بطرق سرية، فهو العميل الذي قد ينتمي لأي جنسية، وقد يأتي بالمعلومات بنفسه، أو قد يكون له صلة بمن يعملون في داخل الهدف حيث يمدّونه بالمعلومات»[1].

ـ أ ـ أسلوب تجنيد العميل

يدرس ضباط المخابرات عادة ظروف ونفسية الشخص الذي يريدون اصطياده للعمل معهم فيستغلون حاجاته ونقاط ضعفه، وتتعدد الأسباب التي تدفع الشخص إلى امتهان الجاسوسية، فقد يكون السبب «وطنياً أو عقائدياً، أو يكون بحثاً عن المال أو كسب شخصي أو ارتباطات عاطفية أو حب المغامرة أو لإخفاء جريمة مرتكبة»[2].

ويستخدم ضباط المخابرات الجنس للإيقاع بالعميل في شباكهم، ويستعينون في قضاء مهمتهم بجهاز نسائي كبير، وتعود فكرة الإستعانة بالجنس إلى «عبقري التجسس النازي والتر شلنبرج، فقد أمره رئيس الجستابو رينهارد هيدرنج عام 1939 أن يدسّ بعض الفاتنات الموثقات إلى المواخير لينقلوا الهمسات التي تدور فوق الوسائد»[3].

وطريقة تجنيد الفتيات لهذا العمل لا تختلف بين بلد وآخر، وتتم عادة بالإغراء أو بالتهديد. وقد ذكر دايفيد لويس في كتابه «التجسس الجنسي» مقابلة أجراها في تونس مع إحدى هؤلاء الفتيات التي استطاعت الهرب من المخابرات الروسية والتي أخبرته خلالها «كيف تجند المخابرات

---

(1) نصر، صلاح، حرب العقل والمعرفة، الوطن العربي، بدون ذكر البلد ورقم الطبعة والتاريخ، ص113.

(2) نصر صلاح، الحرب الخفية، فلسفة الجاسوسية ومقاومتها، الوطن العربي، بدون ذكر البلد، الطبعة الثانية، بدون تاريخ، ص380.

(3) مور روجر، ملف جواسيس العالم، ترجمة وإعداد لجنة الترجمة والاعداد في دار الكتاب العربي، دار الكتاب العربي، دمشق . سورية، 1990م.، ص157.

الروسية أجمل وأذكى الفتيات في المدارس والكلّيات وتعِدهن بأجور وامتيازات تفوق ما يحصل عليه معظم الروس مقابل أعمال هامة للدولة لا تحدّد في البداية، ثم يؤخذن إلى معسكرات سرية في مناطق نائية لأخذ دروس لإزالة كل مشاعر الإنسانية والعوائق الضميرية، وفي البداية يراقبن أفلام الدعارة لتعلم الفعاليات الجنسية ثم يؤمرن بالتجرد من ثيابهن أمام نساء أخريات ثم أمام رجال، وتعوّد الفتيات على ممارسة الحب مع أشخاص غرباء تماماً، وتصور أفلام أثناء ذلك يعاد عرضها وتناقش الأخطاء والملاحظات، وبعد عدة أسابيع تفقد الفتيات الخجل و يصبحن جاهزات لتنفيذ أية مهمة تتعلق بالإغراء وبدون أي تردد»[1].

ـ ب ـ أساليب التهديد

تتعدد أساليب التهديد التي يستعملها الجهاز الاستخباري للإيقاع بالعملاء، فقد يعتمد هذا الأسلوب على أساس مبدأ إجبار «الرجل على أن يعمل لحساب المنظمة التي أوقعته في الشرك، فإذا قام الرجل بعمل لا ينبغي أن يكشف أمام الناس أو أمام زوجته أو حكومته، إستغلت المنظمة هذا الفعل وهددته بالتشهير به إذا لم يوافق على العمل لصالحها»[2].

وتكون الفضيحة عادة بتصوير العميل وهو في أحضان عميلة، ثم تتّم المساومة معه على أساس فضحه في حال عدم تعاونه، فإذا استجاب العميل إلى طلب الضابط نجا بنفسه من الفضيحة ووقع في براثن المخابرات، وإلا فإن المخابرات يقوموا بإرسال الصور إلى من يهمه الأمر.

مثال على ذلك ما حصل عام 1979 حيث تلقت «زوجة المهندس ريتشارد كلاسبر البريطاني وعمرها 54 سنة مغلفاً بالبريد في منزلها في إنكلترا يحتوي صوراً لزوجها وعمره 57 عاماً وهو يمارس الحب مع فاتنة شقراء شابة، وأصيبت السيدة كلاسبر بصدمة ونقلت للمستشفى، وقد أخبر زوجها الصحافيين إنه على الرغم من تنبيهات الفرع الخاص للتحري قبل أن

(1) مور، روجر، ملف جواسيس العالم، م. س، ص 166.

(2) نصر، صلاح، الحرب الخفية، فلسفة الجاسوسية ومقاومتها، م. س، ص315.

يغادر إلى روسيا فقد عذبته الوَحْدَة في المكان المعزول الذي كان يعمل فيه وذهب للفراش مع المترجمة الرائعة ذات الـ27 ربيعاً، وبعد ذلك حضر رجل غامض وطالبه بالتجسس لحسابه ولما رفض فضحوه بقسوة، وقال كلاسبر: «لقد كانت الخيانة الزوجية الأولى خلال زواج 31 سنة وقد حطموا زواجي وآذوا زوجتي ودمروني»[1].

إلا أن هذه الطريقة لا تنجح مع كل الناس فهناك «رواية عن مسئول كبير في إحدى الدول تم تصويره في الفراش مع غانية تم تجنيدها لهذا الغرض، وطُلِب منها أن تتخذ أوضاعاً معينة بحيث تُظهر الصور وجه المسئول واكثر ما يمكن من التفاصيل، ثم قامت الموساد بعد ذلك بعرض دليل مغامراته الماجنة ووضعوا الصور أمامه على المنضدة وهم يقولون: «قد ترغب في أن تتعاون معنا»، لكن بدلاً من أن يكون ردّ فعله الصدمة والخوف أعجب المسئول بالصور وقال: «هذا رائع سآخذ صورتين من هذا الوضع وثلاث صور من ذلك»، وأضاف أنه يرغب في عرضها على جميع أصدقائه ...»[2].

والواقع أن مثل هذا الشخص «لا يهتم بالتهديد أو انه كان يعرف جيداً كيف يلعب دوره إزاء هذا التهديد»[3].

وهناك نوع آخر من الضغوط والتهديدات استخدمتها بعض الأجهزة الاستخبارية، «فقد حاولت المخابرات الإسرائيلية أن تهدد الطلبة العرب الذين يدرسون في بعض دول أوروبا بتعذيب أقاربهم في الأراضي المحتلة بعد كارثة 5 يونيو 1967.

والأسلوب نفسه استخدمه الشيوعيون في الماضي مع المهاجرين أو المستوطنين الذين لهم أقارب يعيشون خلف الستار الحديدي، فقد يتلقى

---

(1) مور، روجر، ملف جواسيس العالم، م. س، ص167.

(2) أوستروفسكي، فكتور، عن طريق الخداع، صورة مروعة للموساد من الداخل، ترجمة هشام عبد الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1990 م.، ص129.

(3) نصر، صلاح، الحرب الخفية، م. س .، ص318.

أحد المهاجرين الذين يعيشون في الغرب زيارة من شخص غريب يعرض عليه اقتراحاً بالتعاون مع السوفييت، وإلا تعرضت أمه أو أخته أو زوجته أو أطفاله إلى خطر بليغ»[1].

- ج - دور المال والجنس في المخابرات العربية

استخدمت المخابرات العربية أسلوب الغرب نفسه في استغلال حب الإنسان للمال والجنس من أجل الحصول على المعلومات المطلوبة، وقد كتب «هيكل» الصحافي السياسي في الأهرام 20/ 10/ 1967 : « إن بعض أجهزة المخابرات العربية في محاولاتها لإستعمالها بعض وسائل العدو وبينها المال والجنس مثلا - خلطت كما يبدو الآن بين الوسائل والغايات - أي إنها توقفت عند الوسائل في عدد من المرات، وغرقت فيها ولم تستطع مقاومة الغواية والإغراء وتجاوزها إلى تحقيق الهدف»[2].

وقد قالت الممثلة نبيلة عبيد في فيلمها «كشف المستور» أن الدولة تقول للنساء بأنهن كالجنود يقدِّمن أجسادهن فداء للوطن .

وقد ردّ يوسف القرضاوي على استغلال السلطة للنساء والدعارة في الوصول إلى أهدافها بقوله: «هل يقبل ديننا أو مروءتنا أو تقاليدنا أن نجعل من بناتنا أدوات نستخدمها في كشف الأسرار أو اصطياد الجواسيس بأي ثمن؟ ولو كان الغرق بين الوحل والنجاسة»[3].

- د - دور الشذوذ الجنسي في التجنيد

تحاول أجهزة الاستخبارات في كل أنحاء العالم إستغلال نقاط الضعف عند الإنسان بغية الحصول على غايتها مستخدمة بذلك جهازاً بشرياً خاصاً، فلقد درّبت موسكو «أوسم الرجال على العلاقات الجنسية الشاذة، وقد اشترك أحدهم في فخ الابتزاز الذي أدى لتجنيد جاسوس الأدميرالية

---

(1) نصر، صلاح، الحرب الخفية، م. س .، ص319.

(2) القرضاوي، يوسف، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، 1391هـ، 1971 م.، ص260 - 261، (عن الأهرام 20/ 10/ 67).

(3) القرضاوي، يوسف، الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، م.س، 261.

البريطانية وليم هاسال في عام 1954، وقد أخبر ثلاثة من اللاجئين السياسيين الروس في أوائل الستينات أن اثنين من غربان الشذوذ الجنسي أغويا جون واتكينز عندما كان سفيراً لكندا في موسكو، والتقطت الكاميرات الخفية صوراً لتهديد السفير بالفضيحة إذا لم يبذل جهده لتشجيع الخط المناسب للروس في السياسة الخارجية الكندية، وكان واتكينز مرشحاً لمنصب كبير في وزارة الخارجية الكندية وقد عمل سفيرا لبلاده في الدانمارك قبل أن يتقاعد بسبب سوء صحته، وقد استدعي إلى مونتريال للتحقيق بعد أن كشف اللاجئون أمره المخجل ومات بسبب نوبة قلبية عن 62 عاماً بعد استجوابه في تشرين الثاني 1964»[1].

ـ 2 ـ الاعتداءات خلال الحروب

وردت كلمة الحرب في عدة آيات من القرآن الكريم، ومن هذه الآيات قول الله ﷻ:

﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾[2].

وقوله أيضاً:

﴿فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾[3].

وتعتبر الحرب سُنَّة من سُنن الله في خَلقِه لم يخل منها زمن من الأزمان، فالحرب «سنة من سنن الاجتماع البشري أو أكبر مظهر وأثر لسنة تنازع البقاء وتعارض المصالح والمنافع والأهواء، ولا سيما أهواء الملوك والرؤساء، رؤساء الدين ورؤساء الدنيا، بل هي سنة من سنن بعض الحشرات التي تعيش عيشة التعاون والاجتماع كالنمل، فهو يغزو ويبيد ويسترق ويستخدم رقيقه في خدمته وترفيه معيشته وغزو أعدائه»[4].

وقد ثبت أن للحرب فوائد هامة في ترقية الأمم ورفع شأنها شرط

---

(1) مور، روجر، ملف جواسيس العالم، م. س، ص177.

(2) سورة المائدة، الآية 64.

(3) سورةالأنفال، الآية 57.

(4) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، م. س، ج10، ص364.

إلتزام ما جاء به الشرع الإسلامي من «منع جعل الحرب للإكراه على الدين، أو للإبادة، أو للاستعباد الشخصي أو القومي، أو لسلب ثروة الأمم، أو للذة القهر والتمتع بالشهوات، و ... منع القسوة كالتمثيل ومنع قتل من لا يقاتل كالنساء والأطفال والعُبَّاد، ومنع التخريب والتدمير الذي لا ضرورة تقتضيه»[1].

ولكن مع كل القوانين التي فرضها الإسلام والقوانين التي فرضتها الأنظمة الدنيوية فقد بقيت الحرب أداة تخريب واعتداء وقتل لا رحمة في غالبية أحداثها ولا رأفة.

ـ أ ـ أسباب انتشار الجرائم في الحروب

تعدد الأسباب المؤدية إلى انتشار الجرائم في الحروب، فمنها ما هو عائد لأسباب سياسية ومنها ماهوعائد إلى قسوة الجنود وما تفرضه الحرب من التخلي عن بعض الأخلاقيات والمبادئ.

ـ 1 ـ استخدام الجرائم كوسيلة سياسية: يقوم العدو بدراسة نفسية عدوه للوصول إلى أسهل الطرق للقضاء عليه وهزيمته، فتبدأ أجهزة الحرب النفسية عادة «بدراسة العوامل التي تحدد معنويات العدو ومزاجه النفسي وعقائده وعاداته وتقاليده ومفاهيمه الدينية والتربوية والسلوكية، ثم تحدّد بعد ذلك نقاط القوة والضعف النفسية فيه، ثم تحدّد العقبات التي يمكن أن تعترض أو تعطل أو تضعف الهجوم النفسي عليه وتحدد كذلك ردود الفعل المحتملة من العدو، وبعد ذلك تقوم هذه الأجهزة بوضع خطط الهجوم عليه من ناحية وخطط الدفاع عن شعبها وتعزيز نفسيته من الناحية الأخرى»[2].

وتستخدم نقاط الضعف عند العدو بهدف الإسراع في الإنتصار عليه، ومن الأمثلة على هذه الإستخدامات ما ابتكره الألمان من وسيلة مروعة خلال الحرب العالمية الثانية «إذ راحوا يكلفون عملاءهم في فرنسا بإرسال

---

(1) رضا، محمد رشيد، تفسير المنار، م. س، ج10، ص365.

(2) السيد، جمال، أضواء على الحرب النفسية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة، 1972م.، ص89.

خطابات بدون توقيع إلى الجنود الفرنسيين في ميدان القتال، وبتصدير هذه الخطابات من نفس قرى هؤلاء الجنود ومدنهم ... وكانت هذه الخطابات تقول للجندي أن زوجته تخونه وأنها أصيبت من جراء ذلك بمرض تناسلي وتقدم على ذلك أدلة مزيفة[1] .

وقد يستخدم العدو مثل هذه الأخبار لرفع معنويات جنوده، فإن انتشار قصة «اغتصاب فتاة من العدو ينتج عنها نوع من السرور الداخلي عند عدد من الأشخاص الذين يحلمون باغتصاب شخص آخر من الجهة الثانية»[2].

ـ 2 ـ القسوة عند الجنود: تتميز الحياة العسكرية بالتدريب على القسوة والعنف وعدم المبالاة بأحاسيس الآخرين مما يجعل الجندي يفقد مشاعر الرحمة والرفق، وقد «أعلن «رينان»[3] أن كل امرئ مرَّ بالثكنة فهو على العموم مفقود من ناحية الرقة واللطف».

إن الحياة العسكرية تتميز قبل كل شيء بروح الشراسة وتُوَلِّد مع الإحساس بالخطر الرغبة في التمتع في سرعة وبدون مراعاة لأي شيء وأي شخص بالمزايا المتاحة، فإن الزمن غير موجود بالنسبة لمن يحيا من لحظة إلى لحظة أو من معركة إلى معركة، وتبدو تعويضات المستقبل أشياء خيالية ولذة اللحظة الحاضرة هي وحدها الشيء الثابت، ولأجل أن نستعمل هنا تعبيراً مناسباً فإن كل متعة هي نصر على العدو»[4].

وتشكل الحرب بالنسبة للجنود غطاء يطلقون من خلاله العنان لشهواتهم، «فالرجال الذين يغتصبون النساء في زمن الحرب هم أشخاص عاديون جعلت منهم الحرب أشخاصاً غيرعاديين، لأن الإنتصار بالسلاح على الأعداء يعطيهم القوة التي لا يحلمون بها في حياتهم المدنية، ... هذه

---

(1) السيد، جمال، أضواء على الحرب النفسية ،م.س، ص151.

(2) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL P: 59.

(3) مؤرخ وكاتب فرنسي في القرن التاسع عشر.

(4) بوتول، جاستون، الحرب والمجتمع، ترجمة عباس الشربيني، دار النهضة العربية، بيروت . لبنان، 1983م.، ص93.

القوة التي تشعرهم بأنه يجب ان يثبتوا تفوقهم الجديد بها، وهذا الاثبات موجه إلى المرأة، وإلى أنفسهم والى الرجال الآخرين»[1].

وفي بعض الأحيان قد يعمل الجنود ضمن خطة أقوى وأمتن هي الإذلال والإثبات بالتفوق، «فالاغتصاب بالنسبة للألمان واليابانيين يلعب دوراً مهماً ومنطقياً في واقعهم الذي يبدو لهم واضحاً ونهائياً إذلال وتدمير شامل للشعوب الأدنى وتثبيت بأنهم شعب الله المختار»[2].

ـ 3 ـ ارتداد العنف إلى الداخل: تتوجه الجرائم خلال الحروب إلى العدو، فتكثر جرائم القتل والأسر والاعتداء، إلا أنه في أكثر الأحيان قد ترتدّ هذه الجرائم إلى البلد نفسه، فيلاحظ تكاثر هذه الجرائم بين أبناء البلد الواحد نتيجة لتقلبات الظروف الاجتماعية والاقتصادية.

الظروف الاجتماعية: تطرأ خلال الحروب تغيّرات كثيرة على نظام الأسرة، من ابتعاد للرجل عن بيته وغياب للمؤسسات الاجتماعية المساعدة وغياب التعليم والتوجيه للأبناء، فالآباء يجندون في خدمة الجيش أو ينقطعون للمساهمة في الصناعات الحربية وغيرها من شؤون الحرب ويهملون تبعاً لذلك مراقبة أبنائهم وتوجيههم، وفي الوقت نفسه يتوقف خلال الحرب نشاط كثير من المؤسسات التي تقدم عادة قيماً ونماذج للسلوك القويم حيث يسحب موظفوها وتوجه الأموال المخصصة للصرف عليها إلى أغراض حربية[3].

وإضافة إلى كثرة الجرائم التي يرتكبها الأحداث تكثر أيضاً جرائم النساء نتيجة الأعباء التي تتحملها بسبب غياب الرجل عن البيت، إضافة إلى جرائم تفرض عليها تحت ستار الحاجة المادية أحيانا وأحيانا تحت ستار خدمة البلاد، ففي فرنسا مثلا خلال الحرب العالمية الأولى افتقرت البلاد إلى المقاتلين والمحاربين فأخذت الدولة في التشجيع على الإنجاب وأخذ «الكتّاب والصحفيون والخطباء، وحتى أهل الجَدّ من رجال الدين

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P: 44 - 45

(2) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P: 64.

(3) رمضان، عمر السعيد، دروس في علم الإجرام، م. س، ص140.

وزعماء السياسة كلّهم، يهيبون بالناس من كل جانب وبصوت واحد أن يكثروا في التوليد والتناسل ولا يبالوا بالقيود التقليدية من النكاح والزواج ونادوا أن العذراء التي تتبرع برحمها للتوليد خدمة للوطن تستحق العز والكرامة لا العتب والملامة»[1].

الظروف الاقتصادية: تنتج عن الحروب واستمرارها ظروف اقتصادية تؤدي إلى ارتكاب الجرائم نتيجة لتفاوت توزيع الثروة بين الطبقات والذي يؤدي إلى ازدياد كبير في طبقة الفقراء «التي تساهم بدرجة كبيرة نسبياً في إرتكاب الجرائم وفضلاً عن ذلك إن الحرب تؤدي إلى اضطراب في دائرة التجارة والصناعة من شأنه تعريض الأحوال الاقتصادية لبعض الأفراد للخطر، كخطر البطالة أو الإفلاس، وهذا بدوره يضاعف من الفرص والدوافع الإجرامية، وأخيراً إن التقلبات الكبيرة في الأسعار تتيح للمضاربين الجشعين فرصاً نادرة لجمع ثروات طائلة ومن شأن ذلك أيضاً أن يضاعف من التفاوت في توزيع الثروة»[2].

ـ ب ـ الآثار الناتجة عن الحروب

تكثر الأمراض الجسدية والعقلية بعد الحروب نتيجة للضغوط والكبت الذي يعاني منه الشعب خلال فترة طويلة، وقد أثبت الأطباء النفسيون في الكويت أن من آثار الحرب التي دارت بين الكويت والعراق ظهور فئة من الناس الذين أطلق على أفرادها لقب «مجانين الحروب»، وهؤلاء هم الذين يظهرون في الشوارع ويطلقون ناراً وهمية على أعداء وهميين، أو يرتقون فوق مناطق مرتفعة كأسطح المنازل لرصد آليات وهمية لعدو وهو يتقدم.

كما أن المستشفيات عادة ما تمتلئ أقسامها الداخلية بقطاعات من المرضى النفسيين إثر الحروب، ومن الأعراض الشائعة للتعبير عن العدوانية حالة الاغتصاب وهو نوع متطرف من السلوك العدواني»[3].

ومن الأمثلة على ارتداد هذا العنف قصة نعمات 35 سنة الفتاة

---

(1) المودودي، أبو الأعلى، الحجاب، م. س، ص60.

(2) رمضان، عمر السعيد، دروس في علم الإجرام، م. س، ص143.

(3) مجلة الوسط البريطانية، عدد 78، تاريخ 26/ 7/ 1993، ص35.

اللبنانية التي عاشتَ في الكويت فترة طويلة واتهمها بعض أفراد المقاومة الكويتية بالتعاون مع العدو فقام أحدهم بقتل أبيها وأخيها واغتصبها ثم أطلق عليها الرصاص[1].

ـ 3 ـ الاعتداء على المهاجرات

من العوامل السياسية المؤدية إلى الاغتصاب اغتصاب المهاجرات في بلاد الاغتراب، بهدف التقليل من الهجرة وإرغام المهاجرين على العودة إلى بلادهم.

ومن الأمثلة على هذه الاعتداءات ما ذكرته منظمة «افريكا ووتش» التي تتخذ من لندن مقراً لها عن «اغتصاب الصوماليات داخل المعسكرات وخارجها، بل داخل مراكز الشرطة الكينية المكلفة الحفاظ على الأمن في المخيمات الريفية القريبة من المعسكرات ... وكشفت رقية عمر، المدير التنفيذي لمنظمة «افريكا ووتش»، لـ «الوسط» التي التقتها في مكتبها في لندن «أن الليالي الخمس التي أمضاها زميلي «ألك دي وول» متنقلاً بين معسكرات منطقة داواب، اغتصبت خلالها نحو 22 صومالية في شكل جماعي، إحداهن في الثالثة عشرة من عمرها، وفي نهاية فترة الأيام الخمس والأسبوع التي تلاها سجلت لدى مكاتب الأمن داخل المخيمات نحو 200 حالة اغتصاب. وحوادث مثل هذا النوع لا تقاس ولا يمكن التوصل إلى أرقامها الصحيحة لما في عملية إبلاغ رجال الأمن الكينيين ومسئولي الأمم المتحدة من حرج وإزعاج بالنسبة إلى النساء المغتصبات، ولاحظ مندوب «افريكا ووتش» أن مرتكبي جرائم الاغتصاب يختارون الفتيات الصغيرات كأنهم يريدون بهن أكبر قدر من الأذى والإذلال، فالرغبة الكامنة وراء هذا الفعل هي إرغام الصوماليين على العودة إلى بلادهم»[2].

ومن الأمثلة الأخرى عن اغتصابِ المهاجرات اغتصابُ المهاجرات

---

(1) مجلة الوسط البريطانية، عدد 78، تاريخ 26/ 7/ 1993، ص33 . 35.

(2) مجلة الوسط البريطانية، العدد98، تاريخ 13/ 12/ 1993، ص39.

في أميركا اللاتينية، وقد قالت النقابية الكولومبية يني هورتادو في منتدى المنظمات غير الحكومية المنعقد على هامش مؤتمر الأمم المتحدة للسكان والتنمية «أن المرشحات للهجرة يواجهن منذ مغادرتهن مخاطر أن ينظر إليهن مستخدمهن كجزء من ممتلكاته بما يصل إلى حد اغتصابهن أو يقعن في أيدي شبكة دعارة»[1].

ـ 4 ـ الاغتصاب داخل السجون

إن الاغتصاب داخل السجون متنوع الأشكال والغايات، وسيقتصر الكلام هنا بشكل موجز عن الموضوع تحت عنوانين، هما: الاغتصاب في المعتقلات والاغتصاب داخل السجون.

ـ 1 ـ الاغتصاب في المعتقلات: إن هدف الاغتصاب في المعتقلات هو هدف سياسي يهدف إلى إجبار السجين على الكلام أو إلى اعتماده كوسيلة لإذلاله وتحقيره، و«تحكي زينب الغزالي (أيام في حياتي) عن محاولة اغتصابها التي لم تتم في الزنزانة بأمر حمزة البسيوني وبواسطة اثنين من الجنود»[2].

ومن الأمثلة أيضا ما يروى «إن جهاز «السافاك» أيام الشاه في إيران، اعتقل آية الله طالقاني، كانوا يريدون إن يعترف فعذّبوه، ولكن آية الله صمد، أحضروا ثلاثاً من بناته كن عذراوات، أبلغوه إن رجال «السافاك» سوف يتناوبون على الفتيات أمامه، قال آية الله كلمات بينها: «يا حثالة» بدأت حفلة الاغتصاب، وكلما اعتلى وحش فتاة، كان آية الله يردد: بسم الله الرحمن الرحيم، إني زوجتك إياها... صمد آية الله ... ولم ينكسر ... وبقي الوطن أغلى من البكارة»[3].

وفي لبنان أيضاً تحدث عدد من المعتقلين والمعتقلات عن تهديد الإسرائيليين لهم بالاغتصاب، وقالت إحداهن وهي كفاح عفيفي التي

---

(1) جريدة الديار اللبنانية، تاريخ 12/ 9/ 1994، ص16.
(2) أيوب، ياسر، الإنفجار الجنسي في مصر، م. س، ص62.
(3) جريدة السفير اللبنانية، سفير الناس، عدد14، تاريخ 4/ 1/ 1996، ص9.

اعتقلت في سنة 1988 في منطقة كفركِلا أنها تعرضت «للتعذيب بحجب المياه عنها وتهديدها بالاغتصاب والإعدام واستخدام الكهرباء والسوط وصب المياه كل أربع ساعات»[1].

ـ 2 ـ الاغتصاب في السجون: تشجع السلطة في بعض الأحيان الاغتصاب داخل السجون بغية السيطرة على بعض المجرمين، فقد قال Patterson باترسون (كاتب مذكرات، 1937): إن الاغتصاب مسموح به بل «مشرع به من قبل المسئولين عن السجن لأن ذلك يساعدهم في السيطرة على الرجال الأقوياء الذين يسمونهم شياطين»[2].

لذلك نجد السجين يبحث عن السجين الضعيف ليعتدي عليه وليجبره على أن يكون خليله، وقد تحدث الصحفي Robert .A. Martin عن تجربته في السجن فقال: «إن الأسبوع الأول الذي قضاه في سجن كولومبيا مرّ بدون حوادث مع جماعة من المساجين العجائز القدامى ... ولكنه بعد ذلك نقل إلى الطابق الثاني الذي يقع تحت إشراف الشباب السود، وهو مجهز للجرائم الكبيرة، وفي هذا الطابق خلال الفسحة دعا بعضهم هذا الصحفي بحجة إجراء مقابلة معه، وعندما دخل وأقفلت الأبواب اعتدي عليه، ثم انتقل من جماعة إلى أخرى طوال الليل»[3].

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 18889، تاريخ 24/ 7/ 1994، ص5.

(2) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIIOL, P: 317.

(3) BROWNMILLER ,SUZAN, LE VIOL, P: 314.

الفصل الثالث

العوامل العضوية المؤثرة في جريمة الإغتصاب

تمهيد

تتنوع الدوافع الفطرية التي أوجدها الله سبحانه وتعالى في مخلوقاته لتأمين استمرارية الحياة على الأرض، ومن هذه الدوافع الدافع الجنسي الذي يؤدي «وظيفة هامة في حياة الإنسان والحيوان، فهو يجذب الذكر والأنثى كُلاً منهما نحو الآخر، فتتكون الأسرة، ويحدث التناسل، وتتعاقب الأجيال، ويبقى النوع»[1].

ومن مميزات الدوافع بشكل عام أنها متواجدة عند الناس كافة، سواء كانوا أصحاء أو مرضى، أسوياء أو مجرمين، فلا يستطيع الإنسان أن يتنكر لهذه الدوافع أو يرفضها، بل كل ما يستطيع فعله هو ضبط هذه الدوافع وتوجيهها إلى وجهتها السليمة، وإذا فقد الإنسان السيطرة على مشاعره وأفكاره فإن النتيجة ستكون الميل إلى إشباع حاجاته بشتى الطرق ولو أدى ذلك إلى الإجرام، والملاحظ أن «معظم الجرائم الخطيرة في نظر المجتمع يمكن تفسيرها بنمو الغرائز الدنيئة وعدم مراقبتها»[2].

وإشباع الغريزة الجنسية عن طريق الحلال أمر حث عليه الإسلام،

---

(1) نجاتي، محمد عثمان الحديث النبوي وعلم النفس، م. س، ص27.

(2) رمضان، عمر السعيد، دروس في علم الإجرام، م. س، ص36.

فهو لا ينكر «دوافع الإنسان الأساسية الفطرية، وهو لا ينظر إلى الدافع الجنسي نظرة استقذار واستحقار، ولا يدعو إلى إنكاره والحرمان منه، غير أن الإسلام مع ذلك لا يطلق العنان لإشباع دوافع الإنسان دون قيود، بل إنه يدعو إلى السيطرة عليها والتحكم فيها، وذلك بتنظيم عملية إشباعها عن طريق أسلوبين في التنظيم، فهو يدعونا أولاً إلى إشباع دوافعنا عن طريق الحلال فقط، والابتعاد عن إشباعها عن أي طريق آخر من طرق الإشباع الحرام، وهو يدعونا ثانياً إلى التوسط والاعتدال في إشباع دوافعنا، وينهانا عن الإسراف في ذلك»[1].

المبحث الأول
الأسباب العضوية

ورد في الفصل السابق ذكر لبعض الأسباب المؤدية إلى ارتكاب الجرائم الجنسية، وهذه الأسباب التي ورد ذكرها لا تتعلق بالمجرم بشكل مباشر بل هي ترتبط بالمحيط العام الذي يترعرع فيه المجرم، بحيث يكون لهذا المحيط دور فعال في التأثير على تصرفات هذا المجرم، إلا أن هناك أسباباً أخرى تتعلق بالمجرم بشكل مباشر وتؤثر على تصرفاته تأثيراً قوياً، وهذه الأسباب لها علاقة بشخصية المجرم وتكوينه البيولوجي والنفسي.

وقد تعدّدت النظريات في أسباب ارتكاب المجرم لجريمته، ومن هذه النظريات من حصر الأسباب بالأسباب الوراثية العائدة إلى أهل المجرم، «كالانحراف في المزاج أو العصبية لدى والديه أو أجداده أو التكوين الجسماني المميز بصفات يعتبرها علماء الانثروبولوجيا صفات خطيرة تدفع بالإنسان دفعاً إلى الجريمة بلا إرادة حقيقية منه نحو ارتكاب الفعل»[2].

بينما تضاربت النظريات الأخرى في أسباب ارتكاب المجرم لجريمته، فمنهم من قال: إن المجرم مجبر على ارتكابه لجرمه، ومنهم من قال: إن المجرم يعاني من اختلال عضوي في الوظائف الجسمية ... وقد

---

(1) نجاتي، محمد عثمان، الحديث النبوي وعلم النفس، م. س، ص49.

(2) صدقي، عبد الرحيم، الظاهرة الإجرامية، م. س، ص187.

كان لكل نظرية من هذه النظريات مؤيدوها من أطباء وعلماء.

ـ 1 ـ نظرية لومبروزو

بنى سيزار لومبروزو، أخصائي الطب النفسي الإيطالي، وطبيب الجيش الإيطالي نظريته نتيجة لأبحاثه المكثفة التي أجراها على أفراد من الجيش الإيطالي، وقد لاحظ هذا العالم أن التركيب الجسماني للمجرم يختلف عنه عند الإنسان العادي، فقد أمكنه «ملاحظة بعض مميزات في الجنود الأشرار لم تكن متوافرة في الجنود الأخيار، ومنها وشمات ورسوم قبيحة كانوا يحدثونها على أجسامهم، واتضح له من تشريح جثث كثير من المجرمين وجود عيوب في تكوينهم الجُثماني، كما فحص جماجم كثير منهم فلاحظ في هذه الجماجم شذوذاً في الأسنان وفي الطاقة الاحتمالية وفي حجم الجبهة»[1].

أما بالنسبة لأبحاثه فيما يتعلق بمرتكب جريمة الاغتصاب، فقد وضع لومبروزو الصفات التي يتميز بها مرتكب الاغتصاب وهي:

«ـ طول الأذنين.

ـ الجمجمة المبططة Ecrasement du Crane[2].

ـ العيون المسحوبة Oblique والمقتربة من بعض.

ـ الأنف المبططة Epate أو الفطساء.

ـ الطول المبالغ فيه للذقن»[3].

إلا أن ما جاء به لومبروزو لم تُعتمد نتائجه لفترة طويلة، إذ «كشف البحث الدقيق عن حقيقة هامة هي أن بعض الظواهر الشاذة التي شوهدت في تركيب الجسم، والتي اعتبرها لومبروزو ومدرسته سِمات طبيعية للمجرم بالفطرة، توجد أحياناً في أشخاص لم يسبق لهم أصلاً ارتكاب أي فعل

---

(1) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م. س، ص45.

(2) المبططة: الفطساء.

(3) صدقي، عبد الرحيم، الظاهرة الإجرامية، م. س، ص32.

إجرامي، فضلاً عن هذا فقد تبيّن بصورة حقيقية أن البيئة والأحوال الصحية غير الملائمة كانت، قبل أي شيء آخر، هي المتسببة في تشوهات الجمجمة والعيوب الهيكلية الأخرى»[1].

نقض نظرية لومبروزو: تعتبر نظرية لومبروزو مناقضة للفكر الإسلامي لما فيها من أفكار مشابهة للفكر الجبري، الذي يرى أن الإنسان مجبر على ارتكاب فعله وأنه لا خيار له في تجنب ارتكاب الفعل ولو كان ضد إرادته، فقد جاء في المِلَل والنِّحَل للشهرستاني أن عقيدة الفرقة الجبرية كانت تنص على:

«إن الإنسان ليس يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة وإنما هو مجبر في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وينسب إليه الأفعال مجازاً كما ينسب إلى الجمادات، كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وتحرك الحجر وطلعت الشمس وأزهرت الأرض وانبتت إلى غير ذلك، والثواب والعقاب جبر كما إن الأفعال جبر ...»[2].

وهذا القول يتفق مع قول لومبروزو بأن الإنسان لا علاقة له في كونه مجرماً، وليس مخيراً على فعله، وهذا مناقض للقاعدة الإسلامية ومعارض للتكاليف الشرعية «لأنه لا يجوز تكليف إنسان ما بعمل ليس له فيه دخل، كما إن ذلك يبطل نظرية الثواب والعقاب في الشريعة الإسلامية لأنه لا يجوز أن يثاب الإنسان أو يعاقب على ما هو مجبور عليه، والأهم من هذا كله: ما سند المجتمع إذن من عقاب مثل هؤلاء الجناة؟ وكيف يعاقبهم بينما هم لم يفعلوا إلا ما أجبروا على فعله؟ وما جدوى العقاب طالما أن هذا العقاب لن يغير من الأمر شيئاً»[3].

---

(1) الخولي، محمد كامل، الطب النفسي الشرعي، القاهرة . مصر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص25.

(2) الشهرستاني، الملل والنحل، دار المعرفة، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج1، ص87.

(3) جاد سليمان، الحسيني، العقوبة البدنية في الفقه الاسلامي ودستوريتها بالدفاع الشرعي، دار الشروق، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1411هـ .، 1991م.، ص97.

ومعارضة هذه النظرية لم تكن فقط من جهة مخالفتها للقواعد الإسلامية بل إن علماء الغرب أنفسهم قاموا بنقضها، ومن هؤلاء Goring غورينغ الإنكليزي الذي «أجرى دراسة على عيّنة من المحكوم عليهم، بلغ عددهم ثلاثة آلاف شخص فضلاً عن عدد آخرين من الأسوياء من مختلف المهن اتخذ منهم مجموعته الضابطة، وذلك بقصد التحقق من صحة النتائج التي سبق أن خرج بها لومبروزو في دراسته وخاصة فيما يتعلق بالملامح الخارجية للمجرمين والتي زعم أنها تميزهم عن غيرهم، وكانت النتيجة عدم صحة ما ذهب إليه وأعلنه لومبروزو»[1].

ـ 2 ـ نظرية غاروفالو

قام غاروفالو وهو أحد تلاميذ لومبروزو بنقض نظرية أستاذه رافضاً فكرة كون الإنسان المجرم يملك خِلْقَة جسمية شاذة «وإنما هو نفس شاذة ينقصها الورع والأمانة، ويُعَدُّ تخلف الورع منها مصدراً لجرائم الدم، وتخلف الأمانة مصدراً لجرائم المال»[2].

ـ 3 ـ نظرية إرنست هوتون

يمثل إرنست هوتون المدرسة الوصفية الأمير كية التي عملت على بعث الاعتقاد من جديد في فكرة المجرم العضوي ذات العلاقة المباشرة بالوراثة والسلالة على غرار المذهب اللومبروزي، وجاء في نتائج تحليلات هذا العالم فيما يتعلق بالشكل الخارجي للمجرمين بأن:

«ـ 1 ـ الطوال، نحيلو البنية، يميلون إلى ارتكاب جرائم القتل، بالإضافة إلى جرائم التزييف والتزوير.

ـ 2 ـ الطوال، نحيلو البنية، يميلون إلى ارتكاب جرائم القتل والسرقة المسلحة.

ـ 3 ـ صغار الحجم، يغلب عليهم ارتكاب جرائم السرقة.

---

(1) جاد، الحسيني سليمان، العقوبة البدنية في الفقه الاسلامي، م. س، ص102.

(2) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م. س، ص47.

كلية الإمام/ دراسات الدراسات الإسلامية

ـ 4 ـ القصار، مليئو البنية، يغلب عليهم ارتكاب جرائم الاعتداء الجسدي والجنسي، وغير ذلك من الجرائم اللاأخلاقية.

ـ 5 ـ الأشخاص ذوو الأوصاف العضوية غير المتناسقة والتي لا تقع ضمن ما ذكر أعلاه، أو أولئك الذين يتصفون ببُنية جسدية هزيلة، غالباً ما يترددون على ارتكاب مختلف الجرائم دون تخصيص»[1].

ـ 4 ـ نظرية دي توليو

أخذ دي توليو ببعض أفكار لومبروزو في أثر التكوين الجسمي في ارتكاب الجرائم، إلا أنه أضاف إلى هذه النظرية أسباباً أخرى تتعلق بوظائف الأعضاء الداخلية، فرأى «دي توليو أن التكوين الإجرامي يتميز إجمالاً بالخصائص الآتية: فمن ناحية الأعضاء الجسمية الظاهرة، لوحظ أن المجرم بحكم تكوينه مصاب بعيوب فيها وإن كان لا يخلو منها الشخص العادي إلا أنها توجد في ذلك المجرم بعدد أكبر ... ومن هذه العيوب ما يتوافر في الدماغ وفي شقي الجبهة.

ومن ناحية وظائف الأعضاء الداخلية، لوحظت في المجرمين بحكم تكوينهم عيوب في إفرازات الغدد الداخلية لا سيما الغُدَّة الدَّرَقية، وخلل في الجهاز الدموي أو البولي، ومظاهر تَسَمُّم كثيراً ما ترجع إلى الإصابة بالسِّلِّ الرِّ ئَوي أو الزُّهْري، واضطراب في الجهاز العصبي أهم مظاهره التشنج، هذه العيوب كسابقتها تتوافر كذلك في الأشخاص العاديين ... إلا أنها توجد بنسبة انتشار أوسع وبقدر أكبر في المجرمين بحكم التكوين»[2].

وقبل الحديث عن الأمراض العضوية التي تساعد على ارتكاب الجرم لا بد من الإشارة إلى بعض العوامل المؤثرة في تكوين المجرم ومنها:

«ـ 1 ـ أن يكون الزوجان أو أحدهما عند الوِقاع المنتج للحمل على حالة من الإرهاق الشديد نفساً أو جسداً.

---

(1) كارة، مصطفى، مقدمة في الإنحراف الاجتماعي، م. س، ص151 ـ 152.

(2) بهنام، رمسيس، المجرم تكويناً وتقويما، م. س، ص53.

ـ 2 ـ الحمل في سن مبكر قبل العشرين أو في سن متأخر بعد الخامسة والأربعين، أو حالة وجود فارق في السن بين الرجل والمرأة قد ينشأ منه أطفال ضعاف التكوين جسمياً ونفسانياً يسهل انقيادهم لنداء الجريمة.

ـ 3 ـ أن يحدث الوقاع والحمل بينما يكون أحد الزوجين أو كلاهما في حالة سُكْر، والسكر الذي يكون عليه الوالد أسوأ أثراً من السكر الذي تكون عليه الوالدة لأن اثر الكحول على ما يبدو أقوى على الخلية المنوية منه على البويضة ...

وبرجوع البحاثة BOZZOLA بوزولا إلى تواريخ ميلاد ثمانماية من الأطفال الشواذ اكتشف أن الحمل بهم يرجع إلى أوقات يطغى فيها النبيذ جارفاً، هي أعياد الميلاد ورأس السنة والكرنفال»[1].

وإضافة إلى هذه العوامل فإن هناك عوامل أخرى تلعب دوراً مهماً في كثرة انتشار الجرائم، حيث يعتبر «سن البلوغ، والحمل، وسن اليأس أعماراً تكثر فيها الجرائم، وهذا ما يؤكده لومبروزو من أن الجرائم تبلغ ذروتها في سن البلوغ وفي السن المتقدمة، عندما تكون الصفات الجنسية غير ناضجة أو تكون قد انتهت»[2].

المبحث الثاني
الأمراض العضوية

ذكر دي توليو كما جاء في الفقرة السابقة أن المجرم يعاني أكثر من غيره اضطرابات صحية مثل الخلل في إفرازات الغدة والسل الرئوي، وقد أضاف بعض العلماء عوارض صحية أخرى مثل الشذوذ في تعداد الكروموزومات، والنقص في مَلَكَةِ الذكاء.

ـ 1 ـ افرازات الغدد

الغدة هي جسم صغير بحجم البصلة وهي موجودة في كافة أنحاء

---

(1) بهنام، رمسيس، المجرم تكويناً وتقويما، م. س، ص125 . 126.

(2) HEUYER, GEORGES, LES TROUBLES MENTAUX P : 30.

الجسم، والغدد على أنواع، منها الغدة النخامية الموجودة في الرأس والغدة الدرقية الموجودة في الرقبة، وقد صنف العلماء عمل هذه الغدد إلى صنفين «فميزوا بين زيادة الإفراز ونقصانه، فإذا زاد الإفراز، أي إفراز الغدة النخامية أو سائر الغدد، نتج عن ذلك زيادة غير طبيعية في نشاط الفرد ونموه كما يزداد حجم الوجه واليدين والرجلين وتزداد قوة العضلات، ويتصف طابع مثل هذا الشخص بكثرة الحركة والحماس في كل مواقعه ويصبح شديد الانفعال أنانيا في تفكيره وتصرفه ومستعدا دوما للمشاجرة والتعدي وهذا ما يؤدي إلى حالات مرضية تستدعي المعالجة، وإذا نقص الإفراز حصل كسل في عمل سائر الأعضاء واصبح الإنسان يشكو الكسل والبطء في الحركة والتفكير وتسيطر عليه حالة من الخمول والمرض»[1].

وقد أثبتت الدراسات التي أجريت في السجون الأميركية أن «قسماً من المجرمين مصابون باضطرابات في افرازات الغدة النخامية وأن العلاج بواسطة الهرمونات كان يعطي نتائج إيجابية»[2].

وما قيل عن الغدة النخامية ينطبق على الغدة الدرقية.

ـ 2 ـ السل الرئوي

يؤدي وجود مرض السل الرئوي عند بعض الأشخاص إلى الخلل في توازن جسمه ونفسه مما يؤدي به إلى ارتكاب الجريمة وخاصة الجرائم الجنسية، «فقد دلت أبحاث العالم فرويك VERWECK على أن السل من المثيرات غير الطبيعية للغريزة الجنسية. ما يقال عن السل من حيث تيسير الجريمة يصدق كذلك على الزهري والتيفوئيد والملاريا والانفلونزا، أي على الأمراض التي تسري بسببها في الجسم سموم تخل به وبالتالي تسيء إلى الحالة النفسية كذلك، على أن هذه الأمراض لا تكون بمفردها سبباً للإجرام ولا تبدو أهميتها إلا حين تصبح عوامل موقِظة منبِّهة لمفعول ما

(1) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم م. س، ج1، ص432 ـ 433.

(2) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم م. س، ج1، ص434.

يكون لدى المريض أصلاً من استعداد إجرام»[1].

ـ 3 ـ الشذوذ في تعداد الكروموزومات

اكتشف علماء الأبحاث الجنائية أن بعض المجرمين يملكون شذوذاً في تعداد الكروموزومات، إذ إن الجسم الإنساني مؤلف من خلايا، و«كل خلية من خلايا الجسم تحمل 23 زوجاً من الكروموزومات بينها زوج يحدد الجنس (ذكر أم أنثى)، فكروموزومات الجنس لدى الأنثى هو (XX) ولدى الذكر (XY)، عند التقاء الكروموزومات الصادرة عن الأب وهي (XY) مع كروموزومات الأم وهي (XX) تنفصل Xعن Y فيلتحم احدهما مع (XX) الأم، فاذا كان الكروموزوم الملتحم Xمع كروموزوم الأم، وهو دائماً X، كان الجنين أنثى (XX)، واذا كان الكروموزوم الملتحم Yمع كروموزوم الأم X كان الجنين ذكراً (XX) . وهذا هو الالتحام الطبيعي الذي يحدد جنس الجنين ذكراً كان أم أنثى، ولكن وجد لدى بعض الأشخاص ومنهم مجرمون أن توزع الكروموزومات في خلاياهم كان(XYY)، و يتميز هؤلاء بالعدوانية والعنف والاستعداد الفطري للمنازعة والسيطرة، كما وجد لدى الاشخاص الذين تتألف خلايا جسمهم من كروموزومات (XXX) نزعة نحو التخنث، أي إنهم على صورة الرجال ولكن تصرفاتهم تصرفات النساء من حيث الميوعة والليونة وفقدان الرجولة.

ووجد الباحثون في ادنبورغ ـ انكلترا ـ أنه بين 197 سجينا فحصوا في مستشفى كارستيرز في تلك المدينة سبعة من هؤلاء يحملون خلايا (XYY) وواحد يحمل خلايا (XXYY)، وهذا العدد يشكل نسبة شواذ تراوح بين 5 الى 60 مرة ما يُصادف لدى عامة الناس»[2].

إلا أن نتيجة هذه الأبحاث ليست كافية لأن وجود أناس غير مجرمين يحملون هذا الشواذ في خلاياهم لهو أكبر دليل على أن هذا الشواذ ليس السبب الرئيس لارتكاب الجريمة.

---

(1) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م. س، ص139.

(2) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م.س، ج1، ص439.

ـ 4 ـ النقص في ملكة الذكاء

بيّنت بعض الأبحاث التي أجريت على بعض مجرمي الاغتصاب أن «المعتدي يتمتع بدرجة من الذكاء والعلم أقل من العامة»[1].

وارتباط العلم بالذكاء أمر طبيعي، إذ إنه «كلما كانت درجة الإدراك، أي الذكاء، عالية استفاد الشخص عادة من التربية والتعليم، فازدادت قدرته على ضبط انفعالاته وشهواته ... وبالعكس كلما قلّ ذكاؤه إزداد سلطان الانفعالات والشهوات وتأثيرها في أفعال الفرد»[2].

وإضافة إلى نقص الذكاء يتميز كثير من المجرمين بنقص في ملكة الذاكرة، فيملكون «ذاكرة مَعِيبة سواء من حيث تعلق الوقائع بالذهن عند حدوثها أو من حيث مدى رسوخها في الذهن والقدرة على استعادتها، فقد يكون المجرم مصاباً بفِقْدِ الذاكرة أو بضَعْفِها أو بِمَيْل طبيعي إلى اختراع تكمل به مواضع النسيان»[3].

ـ 5 ـ الأسباب الجنسية

دلّت الأبحاث على أن جريمة الاغتصاب ليست جريمة جنسية بل إنها جريمة عنف، وهي لا تنبع عن حاجة جنسية لدى المغتصِب عجز عن تلبيتها، إذ إن «غالبية الرجال الذين يقومون بالاغتصاب هم في نضج جنسي حتى بالنسبة إلى الشباب بين 17و18 سنة، والأشخاص الذين تشكل جريمة الاغتصاب تجربتهم الجنسية الأولى هم نادرون، وعلى العكس من ذلك فإن غالبية المغتصِبين يعيشون حياة جنسية مليئة»[4].

وقد دلّت بعض الأبحاث التي أجريت على مجرمي الاغتصاب «أن غالبية هؤلاء يستطيعون تلبية حاجاتهم بطريقة أخرى، سهلة ولا تؤدي إلى المشاكل، وان 16% منهم متزوجون واكثر من 50% منهم لديهم شريكة

---

(1) KAPMAN, BEWNJAMIN, THE SEXUAL OFFENDER AND HIS OFFENSES, JULIEN PRESS, NEW YORK, 1954, P: 32.

(2) الخولي محمد كامل، الطب النفسي الشرعي، م. س، ص40.

(3) بهنام رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م. س، ص92.

(4) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 117.

جنسية منتظمة»[1].

إلا أنه في بعض الحالات قد تكون جريمة الاغتصاب جريمة جنسية وذلك عندما يعجز المغتصب عن إيجاد شريكة جنسية، لذلك يعمد إلى الاغتصاب بغية الحصول على الاطمئنان الجنسي لأن «بعض المجرمين يكونون بحاجة إلى إختبار قدراتهم الجنسية مقارنة بالأفلام التي يشاهدونها على التلفاز للتأكد من أنهم رجال عاديون طبيعيون»[2].

ـ 6 ـ الأسباب النفسية

تتعدد الأسباب النفسية وراء ارتكاب جريمة الاغتصاب، ومن هذه الأسباب: تفريغ شحنة العدوان وإحساس المعتدي بالدونية وبالذنب.

ـ أ ـ تفريغ شحنة العدوان

ورد في المقطع السابق أن غاية الاغتصاب ليست إشباع الحاجة الجنسية بل غايته هي تفريغ شحنة العنف والعدوان التي تمتلئ بها نفس المعتدي ضد شخص الضحية، وهذه الحقيقة هي ما أكدته أيضاً نتائج علم النفس التحليلي التي أجريت على عنف الجسد، فقد تبين أن «رغبة الوصال الجنسي ليست هي التي تقود المعتدي إلى الحاجة الشبقية الملحة، بل فقط حاجة التحقير، «التوسيخ» والإذلال، وجرح الشعور ودفع المرأة إلى ممارسة الدعارة دون النظر إلى الطريقة التي تتم فيها، فالجنس هو الغاية، العدوانية هي الوسيلة»[3].

وقد أكد العلماء أيضاً أن أحاسيس العنف والكره هما السببان الأساسيان وراء الاغتصاب، ويلعب الغضب دوراً فعالاً في الانتقال إلى الفعل العدواني فيصبح الجنس وسيلة للتعبير وللتخلص من مشاعر الغضب المكبوت، والاغتصاب في هذه الحالة يكون ناشئاً «عن وجود رغبة لدى

---

(1) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 22.

(2) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 25.

(3) أنطونيني، فاوستو، عنف الإنسان او العدوانية الجماعية، ترجمة نخلة فريفر، معهد الإنماء العربي، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة، 1989م.، ص76.

الجاني في الإنتقام أو الثأر من تجربة سيئة خاضها على أيدي آخرين أكثر مما يسعى إلى الإشباع الجنسي، إنه يسعى إلى إيلام وعقاب و إذلال ضحيته، و يتخذ من الجنس سلاحاً لبلوغ هذه الغاية»[1].

ـ ب ـ السيكوباتية

تطلق لفظة السيكوباتية على الخلل الذي يصيب الإنسان في خلقه ومعاييره، وأول من أطلق لفظة السيكوباتية هو العالم كوك KOCK سنه 1888 م، و يمكن أن توصف السيكوباتية بأنها «حالة التخلف النفسي» أو الروحي، «وهي تنجم في الراجح عن تخلف روحي عريق في تطور الحاسة الخُلُقِيَّة التي ينبغي أن تتطور عند الأشخاص الأسوياء بمقدار تطور الوعي»[2].

ويبدأ القصور في تطور الحاسة الخلقية عند السيكوباتيين منذ الطفولة، حيث يبدي السيكوباتيون سلوكاً عدوانياً منذ السنين الأولى لحياتهم، «وقد يكون من اغرب الصفات اللاسَوِية التي تميز السيكوباتيين اللامبالاة وعدم الاهتمام إطلاقاً بمشاعر الآخرين والأنانية المتمركزة حول الذات والاندفاع، حيث يميل السيكوباتي العدواني إلى الاستيلاء على ما يريد في الحال بصرف النظر عن حاجات أو حقوق الأشخاص الآخرين، ونتيجة لعمله هذا نجده يفتقر إلى بعد النظر، إن السيكوباتي عبد لحوافزه الملحة الآنية التي يحاول إشباعها في الحال، وإذا ما حال الآخرون دون إشباع حاجاته الملحة فقد يتوقعون المعاناة منه بصورة أو بأخرى»[3].

الصفات الرئيسية للسيكوباتي: يتصف السيكوباتي بصفات خاصة تميزه عن الإنسان السوي، ومن هذه الصفات:

ـ 1 ـ عدم الاستقرار في حياته العملية، المهنية والعاطفية، فهو «لا يستطيع أن يثبت بشكل دائم ونهائي، فهو يغير بانتظام مهنته، إهتماماته،

---

(1) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الاناث، م. س، ص226.

(2) عبيد رؤوف، أصول علم الإجرام والعقاب، م. س، ص378.

(3) أنتوني، ستور، العدوان البشري، ترجمة محمد أحمد غالي، إلهامي عبد الظاهر عفيفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة . مصر، الطبعة الأولى، 1975م.، ص153.

مسكنه، علاقاته الاجتماعية والعاطفية»[1].

- 2 - عجز كبير عن ضبط نتيجة لإنتفاء الذات العليا، لذلك يتمتع السيكوباتي «بشخصية قاسية هجومية ميالة إلى الإنتقام والى الإضرار بالآخرين وإلى إستغلالهم»[2].

ويبرر السيكوباتي إتجاهه إلى العنف بأنه مدفوع «دون سبب، وبشكل مُحرِّض لارتكاب فعل العنف»[3].

وهذا العنف قد يكون في بعض الحالات عنفاً جنسياً، فهو يرتكب «الشناعات الجنسية حيث يجد في السادية واللواط والجنس الجماعي مكانه المفضل»[4].

ولا بد في النهاية من الإشارة إلى أن هناك ثلاثة إتجاهات في تحليل الشخصية السيكوباتية:

الإتجاه الأول يعتبر أن مرض السيكوباتية يمثل شذوذاً خُلقياً وليس مرضاً عقلياً.

والإتجاه الثاني يرى أن مرض السيكوباتية يمثل مرضاً عقلياً، لذلك يجب إنتفاء المسئولية الجنائية عنه.

أما الإتجاه الثالث «فيتخذ موقفاً وسطاً بين هذين الإتجاهين المتطرفين، فيذهب إلى أن الشخصية السيكوباتية من صور المرض النفسي لا من صور المرض العقلي، فهي لا تترك ملكة التمييز على حالتها، ولا تقضي عليها قضاءً مبرماً، بل ينبغي اعتبارها من مصادر تخفيف المسئولية الجنائية أسوة بحالات الأمراض النفسية التي تنال منالاً مُسَلَّما به في حرية الاختيار لدى أصحابها، حتى وإن كانت لا تقضي عليها بتاتاً»[5].

---

(1) QUENTIN, DEBRAY, LE PSYCHOPATHE, P: 15.

(2) عبيد رؤوف، أصول علم الإجرام والعقاب، م. س، ص385.

(3) QUENTIN, DEBRAY, LE PSYCHOPATHE P: 39.

(4) QUENTIN, DEBRAY, LE PSYCHOPATHE, P: 19.

(5) عبيد رؤوف، أصول علم الإجرام والعقاب، م. س، ص388.

- ج - السادية

ترتكز فكرة السادية على تحقير الآخرين وإذلالهم في سبيل إعلاء شأن الذات، «ويكمن جوهر السادية، في نظر انطونيني، في البحث اليائس عن الأنا، في الحاجة إلى توكيد الذات، في دفع الآخر للاستجابة إلى حقيقتك الذاتية: هذا أنا، أنا هنا، يقول السادي، يجب أن تلاحظ وجودي، إذا لم تلاحظه بمحبتي فعليك أن تدركه من خلال ألمك، إني أنا من يجعلك تتألم، بألمك تعترف بوجودي الذي يصبح أكثر واقعية بمقدار ما تكبر معاناتك»[1].

ورغبة الإيلام ليست عامة بل تقتصر على العلاقة الجنسية، فهي إذاً «انحراف جنسي ... يكون فيه إيلام الطرف الآخر مثيراً للرغبة والمتعة الجنسية»[2].

والواقع إن السادي يحاول من وراء تصرفه أن يشبع حاجتين:

- 1 - الإحساس بالقبول الجنسي، إذ إن «الإنسان السادي لا يعتقد أنه مقبول جنسياً بصورته الطبيعية، إنه يفتقر إلى الحب .. والنضج الكفيلان باستمتاعه عند ممارسته الطبيعية للجنس .. فيلجأ إلى سلب إرادة الطرف الآخر قبل الممارسة الجنسية معه»[3].

- 2 - الإحساس بالسيطرة على الطرف الآخر، لذلك «يلاحظ أن الرجل السادي برغم تصرفاته العدوانية نحو المرأة التي يحبها ويرغبها يستمتع فعلاً بإذلالها .. وذلك لأن رغبته الفعلية ليست إيلام الطرف الآخر فقط .. بقدر شعوره الذاتي بسيطرته، ولهذا يلجأ هؤلاء الرجال الساديون إلى ممارسة الجنس مع العاهرات ... اللاتي يتقبلن مثل هذا الأسلوب في التعامل الجنسي»[4].

---

(1) حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الإنسان المقهور، معهد الإنماء العربي، بيروت . لبنان، الطبعة السادسة، 1992م.، ص191.

(2) شوقي، مدحت، سيكولوجية الجنس، الدار المصرية للنشر والتوزيع، نيقوسيا، الطبعة الاولى، 1410هـ .، 1981م.، ص99.

(3) شوقي، مدحت، سيكولوجية الجنس، م.س، ص105.

(4) شوقي، مدحت، سيكولوجية الجنس، م.س، ص106.

وتطلق لفظة السادية على نوعين من الحالات:

النوع الأول هو «الحالات التي تتميز فقط باتجاه إيجابي أو قاس نحو الموضوع الجنسي، والنوع الثاني هو الحالات التي يتوقف فيها الإشباع كُلِّيَّة على إذلال الموضوع أو إساءة معاملته، وهذه الحالة المتطرفة الأخيرة فقط، على وجه الدقة، هي التي تستحق أن توصف بالإنحراف»[1].

سبب تكوين الشخصية السادية: اعتبر بعض علماء النفس، ومنهم سيجموند فرويد، انه «إذا شاهد الأطفال في سن مبكرة إتصالاً جنسياً بين الراشدين - و يهيئ الفرصة لذلك اعتقاد الكبار بأن الأطفال الصغار لا يستطيعون فهم أي شيء جنسي - فإنه لا يسعهم إلا أن يعتبروا أن الفعل الجنسي كنوع من سوء المعاملة أو كعملية إخضاع، أي إنهم يفهمونه بمعنى سادي، ويبين التحليل النفسي أيضاً أن انطباعاً من هذا النوع يسهم إسهاماً كبيراً في تكوين الاستعداد لحدوث نقل سادي للهدف الجنسي فيما بعد»[2].

- د - الماسوشية

الماسوشية هي كالسادية انحراف جنسي إلا أنه يختلف عنه في «أن الإحساس بالألم» هو المثير «للرغبة والمتعة الجنسية»[3].

فالاختلاف بين الماسوشية والسادية إذن هو أن الماسوشي يبحث عن إيلام نفسه بينما يبحث السادي عن إيلام الآخرين، ومن ناحية أخرى فان الماسوشية هي امتداد للسادية «المرتدة نحو ذات الفرد نفسه التي أصبحت بالتالي تحل محل الموضوع الجنسي»[4].

علاقة الماسوشية بالجريمة: تختلف علاقة كل من السادية

---

(1) فرويد، سيجموند، ثلاث رسائل في نظرية الجنس، إشراف محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة، 1409هـ .، 1989م.، ص70 - 71.

(2) فرويد، سيجموند، ثلاث رسائل في نظرية الجنس، م.س، ص123.

(3) شوقي، مدحت، سيكولوجية الجنس، م. س، ص99.

(4) فرويد سيجموند، ثلاث رسائل في نظرية الجنس، م. س، ص72.

والماسوشية بالجريمة، ففي حين يرتكب الإنسان السادي جريمته بغية إشباع نزعته إلى العنف، يرتكب الماسوشي جريمته بغية الحصول على العقاب وإشباع نزعته إلى أيلام نفسه، وقد أطلقت مدرسة التحليل النفسي على هذه الظاهرة تسمية «الجريمة والمجرم الناتج عن الشعور بالإثم»، وقد أشارت هذه المدرسة إلى أن «الفرد حين يبلغ شعوره بالإثم بدرجة لا يمكن معها احتماله، وحين يرى أن اعترافه بذنبه ونيله للعقاب سيؤدي إلى الطمأنينة والراحة النفسية فإنه سيرتكب الجريمة حتى يكتشف المسئولون أمره وينال العقاب الذي يرجعه إلى حالة التوازن من جديد، وتشير هذه المدرسة كذلك إلى أن أحد أسباب العود إلى الجريمة إنما يرجع إلى هذه العلاقة السببية.

ومن خلال هذه العلاقة تتبين أسباب رفض مدرسة التحليل النفسي لفكرة العقاب، حيث أن من آثاره تشجيع الفرد على ارتكاب الجريمة حتى يُكتشف أمره وينال جزاءه»[1].

ـ هـ ـ إحساس المغتصِب بالدونية

يسعى المغتصِب من وراء اغتصابه إلى القضاء على إحساسه بالدونية وبأن غيره أفضل منه، وإلى الإحساس بأنه إنسان له قيمة وتقدير. ويمكن تفسير الحالة المزاجية للمغتصب بأنها إحساس بعدم الرضا عن حياته ككل، و«الأشخاص الذين يشعرون بهذه الأحاسيس هم أشخاص غير مقتنعين بقَدَرَهم أو بظروفهم»[2].

والإحساس الآخر الذي ينتاب مثل هؤلاء الأشخاص هو الإحساس بعدم التقدير «حتى من الأشخاص الذين يعتبرونهم دون مستواهم، والسبب في ذلك أنه في لا وعيهم يشعرون بأنهم لا يستحقون الإهتمام من الآخرين»[3].

---

(1) كارة، مصطفى، مقدمة في الإنحراف الاجتماعي، م. س، ص217.

(2) KLEIN, MELANIE, L'AMOUR ET LA HAINE, PARIS, P.B . PAYOT, 1972, P: 13.

(3) KLEIN, MELANIE, L'AMOUR ET LA HAINE, P: 81.

ويؤدي هذا الإحساس بعدم التقدير وبعدم الكفاءة إلى الإحساس بالتعاسة «والشعور بعدم القدرة على مواجهة مسئوليات حياة البالغ مما يؤدي إلى إصابته بالحصر النفسي، كذلك فإن حاجاته غير المشبعة، والتي لم يتم إنجازها، مثل حاجته إلى أن يكون مقبولاً وحاجته إلى الحب والصداقة تجعله يصاب بالإحباط، يضاف إلى ذلك أنه يدرك أن الآخرين عوائق في طريقه أو أنهم السبب في حرمانه، وأنهم يرفضونه أو يأخذون فرصاً على حسابه أو على مزايا هو الأولى بها، مما يسبب له شعورا بالغضب وبالعداء.

وفضلاً عن ذلك فإن إحساس المغتصب بالانعزال عن الآخرين يؤدي إلى شعوره بالفراغ والخَواء، فيحاول البحث عن إشباع قليل أو يبحث عن معنى لوجوده، ولذلك يلاحظ أن حياته تخلو من المرح والسعادة ومن الدفء، كما أن حالته المزاجية تتميز بالقلق والإحباط والاستياء»[1].

- و - إحساس المغتصب بالذنب

يعتبر علماء النفس أن الإحساس بالذنب شعور يلازم المجرم عند وبعد الاعتداء، إلا أن «درجة إحساسه بالذنب تعود إلى وضع مستواه العقلي، فهناك بعض منهم يشعرون بالذنب ولكنهم يعجزون عن المقاومة ... أما الذين لا يشعرون بالذنب فهم إما متخلفين عقلياً أو رجال يعانون من عقدة نقص تجاه سلالتهم أو نقص في ثقافتهم»[2].

- 7 - الفرق بين المجرم العادي والمجرم المصاب بالتخلف النفسي

اهتم العلماء الجنائيون بتحليل نفسية المجرم واكتشاف الأسباب التي أدت إلى الجريمة، وقسموا هذه الأسباب إلى أسباب ثقافية ونفسية واجتماعية وحتى طبية، وكذلك اهتم العلماء أيضا بتحديد الفارق بين المجرم العادي والمجرم المصاب بالتخلف النفسي، وحصروا هذه الأهداف بثلاثة:

---

(1) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الاناث، م. س، ص237.

(2) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 122.

«ـ 1 ـ للمجرم العادي هدف معين يروم الاستحواذ عليه عن طريق عمله الإجرامي، بينما المتخلف النفسي يقدم على اقتراف الجريمة دون أن يكون له هدف واضح في الغالب، أو لمجرد تحقيق لذة تافهة على الرغم من العقوبة القاسية التي يُعَرِّض نفسه لها بصورة أكيدة في أحوال كثيرة، فهو مثلاً قد يقدم على سرقة سيارة لمجرد التنزه مع فتاة تكون بصحبته.

ـ 2 ـ المجرم العادي يحاول جهده عدم تعريض نفسه لأي أذى، بينما المتخلف النفسي لا يؤذي الآخرين فقط وإنما يؤذي نفسه أيضاً، ويظهر ذلك واضحاً في إقدامه على الانتحار أحياناً وتحطيم وإتلاف ممتلكاته.

ـ 3 ـ المتخلف النفسي لا يميل إلى ارتكاب الجرائم الخطيرة كالقتل مثلاً، وإن كان يحتمل إقدامه على ارتكابها في سياق ثوراته الإندفاعية، ودون أن تكون مُسْبَقَة بتدبير أو تحضير إلا فيما ندر»[1].

المبحث الثالث
الأمراض العقلية

ورد في المقطع السابق ذكر عدد من الأمراض النفسية التي تصيب الشخصية فتؤدي إلى وجود خلل يؤدي إلى ارتكاب العنف، وارتكاب العنف لا يقتصر على الأمراض النفسية، إذ إن هناك أمراضاً عقلية يصاب بها العقل وتؤدي بالمصاب إلى ارتكاب جرائم العنف، ومن هذه الأمراض: الجنون.

ـ 1 ـ تعريف الجنون

قسّم الفقهاء الجنون إلى قسمين: جنون مُطْبِق وجنون متقطع، والجنون المطبق «هو الجنون الذي يصاحب الإنسان منذ ولادته، أو يكون طارئاً عليه، ويكون مستمراً حتى يزيل العقل والتمييز ويسقط الإدراك كلية، ويسمى الجنون الممتد، أما الجنون المنقطع فهو مشابه للجنون المطبق إلا

(1) عبيد رؤوف، أصول علم الإجرام والعقاب، م. س، ص 382.

أنه يأتي للشخص في فترات منقطعة وبين ذلك فترات يعود إليه عقله، ففي الفترات التي يكون فيها مجنوناً تنعدم مسئوليته الجنائية وفي الفترات التي يعود إليه عقله تعود مسئوليته، ويسمى بالجنون غير الممتد»[1].

ويحدث الجنون عادة من ضعف يصيب خلايا الدماغ ويؤثر على الوظائف الذهنية، فيصبح «المصاب بهذا المرض كائناً عضوياً يحيا حياة عضوية دون أي رابط بين مقومات الشخصية من مواهب ذهنية ونفسانية وبين حركاته وتصرفاته الخارجية فلا يفقه القول ولا يقوى على الفكر ولا يتحكم بالحركات الصادرة عنه، وهذه أقصى حالات الجنون والتي يعبّر عنها إجمالاً بفقدان العقل»[2].

ـ 2 ـ الجنون الشيخوخي

ينشأ عن تقدم الإنسان في السن تناقص في قوى الإنسان الحيوية، وقد يصاب الإنسان ببعض الحالات بمرض عقلي ينشأ عن ضعف القوة الضابطة للسلوك، ويسمى هذا المرض بالجنون الشيخوخي ومن أعراض هذا المرض ازدياد ظاهري مَرَضِي في قوة الشهوة الجنسية، وهذا ما يفسر ميل بعض المرضى «لإرتكاب جرائم الشهوة التي تكون عادة عبارة عن فعل فاضح لكشف العورة، أو عن هتك عرض الأطفال من الجنسين ... ومن الأهمية من الوجهة العملية مراعاة أن مثل هذه الجرائم قد ترتكب في مرحلة مبكرة من الجنون الشيخوخي، عندما لا تكون هناك شواهد أصلاً أو شواهد تذكر على وجود أي ضعف إدراكي، وبينما قد تكون الإمارة الوحيدة على بدء الحالة المرضية هي عجز المرتكب عن ضبط نفسه، وهو العجز الذي كشف عنه الفعل الإجرامي من شخص ربما كان إلى ذلك الحين رجلاً وقوراً ومتزناً»[3].

---

(1) بهنسي، أحمد فتحي، المسئولية الجنائية في الفقه الاسلامي، بدون دار نشر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص171.

(2) العوجي، مصطفى، القانون الجنائي العام، المسئولية الجنائية ،مؤسسة نوفل، بيروت . لبنان، الطبعة الثانية، 1988م.، ج2،ص242.

(3) الخولي، محمد كامل، الطب النفسي والشرعي، م. س، ص82.

ـ 3 ـ أمراض ملحقة بالجنون

اكتشف الأطباء وجود أمراض عصرية مشابهة للجنون تدفع صاحبها إلى ارتكاب الجرائم دون وعي منه وإدراك، ومن هذه الأمراض مرض «تسلط الأفكار الخبيثة»، وهذه الحالة المرضية «تنشأ عن ضعف الأعصاب أو الوراثة، ومظهرها وقوع الإنسان تحت سلطة فكرة معينة، والشعور القوي الذي يدفع بالرغبة في إتيان فعل معين استجابة للفكرة المتسلطة، كمن يعتقد أنه مضطهد أو أن أناساً يريدون قتله أو تسميمه، فيشعر بالرغبة الجامحة في قتل من يتوهم أنه يريد قتله أو الإنتقام منه، وقد يأتي المريض الفعل استجابة لميل غريزي جامح لا تحت تأثير فكرة متسلطة عليه.

وحكم المرضى من هذا النوع إلحاقهم بالمجانين إذا كانوا يأتون الفعل وهم فاقدو الإدراك أو كان إدراكهم من الضعف بحيث يساوي إدراك المعتوه فإن لم يكونوا كذلك فهم مسئولون جنائياً»[1].

المبحث الرابع
أنواع أخرى من المغتصبين

ورد في المبحث السابق ذكر لصفات مجرم الاغتصاب بشكل عام، إلا أن هناك حالات خاصة من الاغتصاب يجب إفرادها بالبحث لأهميتها وخطورتها على المجتمع وعلى الفرد، وهذه الأنواع هي: الاغتصاب الجماعي، اغتصاب الأطفال، واغتصاب المحارم.

ـ 1 ـ الاغتصاب الجماعي

يختلف الاغتصاب الفردي عن الاغتصاب الجماعي بكون الأول ناتج في كثير من الحالات عن عوامل مرضية عصبية، فيما ينتج الاغتصاب الجماعي عن سعي «مجموعة من الشبان في التعبير عن حاجتهم إلى الانتماء ... وحاجتهم إلى اقتسام تجاربهم مع الآخرين»[2].

---

(1) عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الاسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت . لبنان، الطبعة الثالثة عشر، 1415هـ .، 1987م.،ج1، ص588.

(2) MACKELLAR,JEAN, LE VIOL,P: 172.

وقد علق عالم النفس Blanchard بلانشار على موضوع الاغتصاب الجماعي بقوله:

«فكرة اقتسام الفتاة بين المجموعة كأصدقاء، وفكرة الاجتماع حول موضوع جنسي موحد، وفكرة وجود الإثارة المشتركة، كل هذا يحمل دلالة لوطية»[1].

وتتم عملية الاغتصاب في الغالب نتيجة إحساس المجموعة بالملل، أو قد تكون في بعض الحالات «وسيلة لحل مشكلة فقدان السيطرة من قبل قائد المجموعة»[2].

علاج المغتصب الجماعي: يتميز المغتصب الجماعي بكونه لا يرتكب فعله مرة أخرى إلا في بعض الحالات النادرة، و«باستثناء بعض قادة المجموعات فإن الشاب الذي يغتصب اغتصاباً جماعياً لا يختلف عن الشباب من عمره الذين ينتمون إلى مجموعة ولكن لا يغتصبون»[3].

لذلك فإن من المهم الاهتمام بعلاج المغتصب الجماعي، لأن «العلاج المستخدم عادة بالنسبة للمعتدي الفردي لا يفيد بالنسبة إلى هؤلاء الأشخاص، فيجب إعادة تكييف تصرفاتهم فيما يتعلق بالنساء، وتعديل أفكارهم التي يعتنقونها ... العقاب يجب أن يكون إعادة تأهيل وليس انتقاماً ... لذلك يجب فصل المجرم الجماعي عن رفاقه وإبعاده عن منطقته حيث يدرس أو يعمل»[4].

وهذا العلاج المقترح يذكر بقول رسول الله ﷺ.

(انظر من تُخالِل فان الإنسان على دين خليله)[5].

كما أن علاج الإسلام للمحارب عن طريق نفيه في الأرض، في

---

(1) BROWNMILLER,SUZAN, LE VIOL,P: 223.

(2) MACKELLAR,JEAN,LE VIOL,P: 172.

(3) MACKELLAR,JEAN,LE VIOL, P: 192.

(4) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 205.

(5) أبو داود، سنن أبو داود، كتاب الأدب، حديث رقم4833، م. س، ج5، ص168.

بعض الحالات، يعتبر علاجاً إسلامياً ناجحاً، ينبغي العمل به، والعودة إلى تطبيق أحكامه.

ـ 2 ـ اغتصاب الأطفال

يشكل اغتصاب الأطفال نموذجاً من نماذج الإنحرافات الجنسية الخطيرة، وتدل الإحصاءات في العالم على تفاقم هذه الحالة في السنين الأخيرة فتقول «مجلة «الريدرز دايجست» أن هناك مليون حالة من حالات الاعتداء على الأطفال جنسياً في كل عام في الولايات المتحدة الأميركية»[1].

ودلّت أيضاً الدراسات التي أجريت في بروكلين وبروكس عام 1969م. من قبل مؤسسة American Human Association على 250 حالة أبلغت للشرطة أو إلى المؤسسات الخاصة بحماية الأطفال على النتائج الهامة التالية:

«ـ إن الجرائم الجنسية ضد الأطفال تشكل إحصائياً نسبة أكبر بكثير من باقي الجرائم التي ترتكب ضد الأطفال.

ـ إن السن الوسطي للطفل الضحية هو 11 سنة ولكن الأطفال تحت هذه السن قد يتعرضون لهذا الخطر.

ـ إن الفتيات أكثر تعرضاً من الذكور بنسبة 97% و في 75% من الحالات كان المجرم معروفاً من قبل الضحية، ومن قبل عائلته، و27% من المعتدين كانوا يعيشون مع الضحية (أب، جد، عشيق الأم، أخ)، و11% لم يكونوا يعيشون مع الضحية ولكنهم كانوا أهلا بالدم أو بالزواج، وعدد لا بأس به من المجرمين كانوا: تجار المنطقة، جيران، أصحاب ملك، نواطير، أو أشخاص أُوكِل إليهم مهمة الحراسة المؤقتة، أو أشخاص وكّل إليهم الاهتمام بالأطفال، و25% فقط كانوا غرباء»[2].

---

(1) العقيلي، يحيى بن سليمان، العفة ومنهج الاستعفاف، م. س، ص20.

(2) BROWNMILLER,SUZAN, LE VIOL, P 337 . 338.

ـ أ ـ شخصية المعتدي على الأطفال

لا يختلف المعتدون على الأطفال عن غيرهم من الناس، إن كان من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو حتى الفكرية، ولكنهم يختلفون «في أنهم عندما يتعرضون لمتاعب الحياة التي تفوق احتمالهم فإنهم يبحثون عن الراحة في علاقات جنسية مع الأطفال»[1].

ويمكن التمييز بين نوعين من المستغلين للأطفال:

«النوع الأول يجد ميلاً للأطفال منذ بداية نضجه الجنسي، ويصبح الطفل هو موضوع الجاذب الجنسي له، ومع أنهم في الغالب قد يتزوجون وينجبون الأطفال إلا أن هذه الرغبة تستمر معهم نفسياً وتتحول إلى أطفالهم.

والنوع الثاني قد يكون الميل عنده نتيجة ضَعْفِ نمو جنسي، وعادة فإن هذا النوع ينجذب إلى الأطفال لرغبته بالبقاء طفلاً»[2].

وقد عدّد علماء النفس الأسباب التي تجعل المعتدي يفضل العلاقة بالأطفال على الكبار، ومن هذه الأسباب سببان أساسيان:

الأول: كون المجرم ناقص عقل، ضعيف، «لديه جسد رجل ولكن تفكيره تفكير طفل ابن سبع أو ثمان سنوات وهو عاجز عن إقامة علاقة مع الكبار ... وتشكل هذه الفئة نسبة 7% من الكبار الذين يعتدون على الأطفال»[3].

الثاني: كون المجرم قد اعْتُدِي عليه في طفولته فيكون بذلك مجرماً وضحية في آن واحد، ويقول أحد الأشخاص: عندما كنت طفلا اعْتُدِي عليَّ وأنا ابن خمس سنوات وقد بكيت، ولكن في تلك الفترة لم يكن أحد يحبني وقد انتهى بي الأمر إلى أن أصبحت أجد لذة في الأمر»[4].

---

(1) SCROI ,SUZANNE, L' AGRESSION SEXUELLE ET L'ENFANT, EDITIONS DE TECRANE, CANADA .1986, P: 246.

(2) SCROI, SUZANNE, L' AGRESSION SEXUELLE ET L' ENFANT, P: 246 . 247.

(3) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D' INNOCENCES ,P: 50.

(4) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D'INNOCENCES, P: 51.

ومن مميزات المعتدين على الأطفال أنهم «يشكلون نوعاً من المافيا، فإنهم يحصلون على الأطفال لأنفسهم ولأصدقائهم ولمعارفهم، والطفل نفسه يمكن أن يستغل من قبل خمس أو عشر أشخاص مختلفين وهذا الأمر قد يستمر طويلاً»[1].

ـ ب ـ علاج المعتدي على الأطفال

لاحظ الأطباء الذين أشرفوا على علاج المعتدين على الأطفال صعوبة شفاء مثل هذا المجرم ففي مقاطعة كيبيك Quebec في كندا عبارة مشهورة تقول:

« Pedophile un Jour, Pedophile Toujours » من يعتدي على طفل مرة واحدة يعتدي على الأطفال دائماً، ويؤكد طبيب الأعصاب Henri Giraud هنري جيرو أن «هؤلاء الأشخاص لديهم اضطراب شبه تام للمعنى الأخلاقي، وحتى في السجن فإن المجرم يحلم كل ليلة في سجنه باغتصاب طفل، وبعد أن يخرج بعد خمسة عشر عاماً فإنه سيعود لفعلته لأن الدافع لا زال موجوداً، ويردد هذا الطبيب: لدينا كل أنواع المرضى الذين يشكلون خطراً حقيقياً على المجتمع ولا نستطيع أن نفعل شيئاً»[2].

ـ 3 ـ اغتصاب المحارم

يستغرب الإنسان عادة عندما يسمع خبراً عن اعتداء أب على إبنته أو أم على إبنها، لِما في هذا الحدث من الأضرار بالطفل الذي من المفترض بأهله حمايته ورعايته، وقد قال رسول الله ﷺ:

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته)[3].

إلا أن هذه المسئولية لم يَعِها بعض الأهل وفسّروها تفسيراً خاطئاً، فاعتبروا أنهم أحق من سواهم بقطف ثمار تربيتهم، أحدهم «يعقوبٌ الذي قال: أن ابنته أشبه بشجرة الفواكه، وهو أحق من غيره بها قبل أن يسمح

---

(1) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D'INNOCENCES, P: 142.

(2) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D'INNOCENCES, P: 28.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب النكاح، م.س، ج6، ص146.

للآخرين بأكل الفواكه»[1].

وتدل الإحصاءات التي ورد ذكرها في الباب الأول أن الإعتداء على المحارم هو أكثر أنواع الإعتداءات شيوعاً.

ـ أ ـ شخصية المعتدي على المحارم

يتسم الاعتداء على المحارم بأنه متواجد في كل المجتمعات، فهو ليس محصوراً في الحياة الريفية وحدها أو الحياة المدنية وحدها أو عند الأشخاص الذين يعانون من «ظروف اجتماعية اقتصادية غير ثابتة، بل هو متواجد في الكوخ والقرية كما هو متواجد في الصالونات الأرستقراطية وفي القصور»[2].

ومن أغرب الحالات ما ذكره الطبيب النفسي نزار الحلبي عن «رجل دين اغتصب فتياته ابتداء من سن الثامنة، وبعد الزواج ظلت إحداهن تشعر بالرغبة الجنسية كلما رأت والدها مما استدعى ذهابها إلى الطبيب النفسي»[3].

ومن الصفات التي يتصف بها المعتدي: الإنطوائية والبرودة في حياته الاجتماعية مع الشريك الآخر، وتعتبر الخمرة من الأسباب الأساسية وراء اغتصاب المحارم، ففي كثير من حالات اعتداء الأب السكران على ابنته تستمر هذه العلاقة لفترات طويلة وبمعرفة الأم «وبموافقة ضمنية منها، حيث تتجنب العنف من زوجها السكران فتتسامح أمام طلباته إلى أن يظهر الحمل أو أثار الضرب وسوء المعاملة فيكون ذلك سبباً للإعلان»[4].

ـ ب ـ أنواع علاقات المحارم

تنقسم العلاقات بين المحارم إلى عدّة أقسام، والمَحْرَمُ قد يكون

---

(1) محكمة التمييز، الغرفة السادسة، أساس 39/ 88، تاريخ 7/ 4/ 1988، (قرار غير منشور).

(2) PICAT, JEAN, VIOLENCES MEURTRIERES ET SEXUELLES, P 93.

(3) مقابلة مع د. نزار الحلبي، الخميس 23/ 6/ 1994.

(4) HEUYER, GEORGES, LES TROUBLES MENTAUX, P 268 . 269.

مقرباً جداً من الضحية كالأب والأم والأخ، ومنهم من يكون بعيداً عنه مثل العم والخال والجد، وسيقتصر الكلام هنا على الأقارب المسئولين عن تربية الطفل، لخطورة هذه العلاقة على نفسية الضحية التي تتواجد بشكل دائم مع المجرم.

ـ 1 ـ علاقة أب/ بنت: تتنوع الأسباب التي تدفع بالرجل إلى اغتصاب أولاده، وأهمها: ذهاب الوازع الديني والأخلاقي، وفقدان الأب للوازع الداخلي الذي يمنعه من ارتكاب فعله، فيفقد في كثير من الحالات السيطرة على انفعالاته، أما بسبب الغضب أو بسبب السكر، إلا أنه في بعض الحالات قد تكون هناك أسباب أخرى تساهم في ارتكاب الأب لجريمته، منها: تشجيع الضحية أو أمها بشكل غير مباشر على ارتكاب الفعل.

أما تشجيع الضحية فيكون بشكل غير مباشر ولا إرادي، إذ أن بعضاً من هؤلاء الضحايا يعرفون عادة «النضج الكاذب»، حيث «يمكن أن يكون قد اكتمل نضوجهن في سن الثانية عشرة أو الثالثة عشرة، مثل هؤلاء الفتيات يلعبن دوراً هاماً في الاهتمام المنزلي، يُحَضِّرنَ العشاء، ويَهْتَمِمْن بالأطفال الصغار[1] ... ويشعرن عادة تجاه والدهن بإهتمام خاص»[2].

أما تشجيع الأم فيكون بشكل غير إرادي، وقد لاحظ AMIR[3] انه «في حال اعتداء الأب على إبنته فان الأم تلعب دوراً مشاركاً في الجناية، فالزوجة التي يكرهها الزوج وتكون ذات شخصية ضعيفة، تكون عادة مدمنة على الشرب، تعامله باستعلاء، وترفض أن تقوم بعلاقة جنسية معه»[4].

وفي كثير من الحالات تلعب الأم دوراً هاماً في تنمية علاقة الأب بابنته عن طريق تغيّبها الدائم عن المنزل، بحجة العمل أو العلاقات

---

(1) جريمة وقعت فصولها في أحد المخيمات الفلسطينية، مقابلة مع د . ابراهيم السمساني أستاذ علم النفس في الجامعة اللبنانية فرع صيدا.

(2) SCROI, SUZANNE,L'AGRESSION SEXUELLE ET L'ENFANT,P: 49.

(3) أمير: طبيب قام بدراسة إحصائية عام 1971 عن الاغتصاب.

(4) MACKELLAR,JEAN,LE VIOL, P: 60.

الاجتماعية، وفي بعض الأحيان قد يكون هذا الغياب عاطفياً ... حيث يستغل الأب الفرصة مبدياً حبّه وعطفه الذي ينتهي بالعلاقة المحرمة.

- ب - **علاقة أم / صبي**: فرض الإسلام آداباً معينة يجب أن يتعلمها الإنسان منذ صغره، ومن هذه الآداب الاستئذان على الأهل، فقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ وَٱلَّذِينَ لَمۡ يَبۡلُغُواْ ٱلۡحُلُمَ مِنكُمۡ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٖۚ مِّن قَبۡلِ صَلَوٰةِ ٱلۡفَجۡرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعۡدِ صَلَوٰةِ ٱلۡعِشَآءِۚ ثَلَٰثُ عَوۡرَٰتٖ لَّكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ وَلَا عَلَيۡهِمۡ جُنَاحُۢ بَعۡدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيۡكُم بَعۡضُكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾[1].

وقد جاء تحديد الإسلام لهذه الفترات الثلاث لكونها فترات راحة، حيث يقوم المرء عادة بتبديل ملابسه والاستراحة خلالها، إلا أنه في العصر الحالي ذهبت هذه الآداب عند كثير من الناس، لدرجة أن بعض الأهل يقومون بتبديل ملابسهم أمام أولادهم الذين ينظرون إليهم بحشرية ووقاحة.

وكان من نتائج ذهاب الحياء بين الأهل والأولاد أن أدى الأمر إلى حصول علاقات شاذة بين الأهل وأولادهم، سواء كانت هذه العلاقات علاقة أب مع إبنته أو أم مع ولدها، وهذه الأخيرة نادراً ما تحصل وهي إن حصلت فتكون ناتجة عن خلل نفسي.

ومن الأسباب التي قد تؤدي الى حصول علاقة بين الأم وولدها فقد تكون بهدف إبدال الزوج او إراحة ولد معذب ...وفي بعض الحالات قد يكون اغتصاب الأم لولدها ناتج عن السكر»[2].

- ج - **علاقة أخ / أخت**: حذر الإسلام من اختلاط الجنسين حتى ولو كانوا إخوة، فدعا الرسول عليه الصلاة والسلام إلى التفريق بين الأولاد في المضاجع، فقالﷺ:

(فرقوا بين أولادكم في المضاجع إذا بلغوا سبع سنين)[3].

---

(1) سورة النور، الآية 58.

(2) PICAT ,JEAN, VIOLENCES MEURTRIERES ET SEXUELLES, P: 95.

(3) الهندي، كنز العمال، حديث رقم 45336، م. س، ج16 ص442.

وقد أكد علماء النفس على أن الأسباب التي تؤدي إلى العلاقة الجنسية بين الإخوة «نوم الأطفال من العمر نفسه، ومن جنس مختلف، مع بعضهم البعض، حيث يحصل بينهم كسر للخجل يعرضهم لخطر العلاقة الجنسية»[1].

كما أن في «عرض الأعضاء التناسلية، وغياب الخجل داخل الحمام أو في غرفة النوم وغير ذلك كَسْرٌ للحواجز، يؤدي إلى الاستغلال الجنسي»[2].

وقد أضاف العلماء أسباباً أخرى لهذه العلاقة المحرمة، منها لعب الأطفال بألعاب معينة كلعبة «الحكيم والمريض»، ولعبة «الزجاجة»[3] التي تَفْرِض في كثير من الأحيان القيام بأعمال معينة قد تكون أعمال لا أخلاقية.

(1) SCROI,SUZANNE, L'AGRESSION SEXUELLE ET LEENFANT, P: 274.

(2) SCROĪ, SUZANNE, L'AGRESSION ET L'ENFANT, P: 276.

(3) لعبة الزجاجة: تشترط هذه اللعبة وجود عدة اشخاص، ويقوم كل واحد منهم بدوره بادارة الزجاجة على جانبها بشكل سريع، وما ان تقف الزجاجة باتجاه شخص معين، حتى يطلب منه القيام بتنفيذ اوامر معينة.

الباب الثالث

الآثار الناجمة عن الإغتصاب وكيفية الوقاية منها

الفصل الأول

آثار الإغتصاب على النفس

المبحث الأول
الأثر النفسي للإغتصاب عند المرأة

تنتاب المرأة المغتصَبَة أثناء وبعد الاغتصاب حالات نفسية متعددة، وتختلف التصرفات الناتجة عن الاغتصاب نظراً لإختلاف التركيب النفسي والبيولوجي لكل ضحية، وذلك تبعاً لاختلاف نظرة الضحية لهذا الفعل والأثر الذي يمكن أن يتركه على نفسيتها وعلى مجتمعها.

ـ 1 ـ تصرف المرأة عند وبعد الاغتصاب

ـ أ ـ تصرف المرأة أثناء الاغتصاب

يوجه كثير من الباحثين أصابع الاتهام إلى المرأة المغتصَبة، معتبرين أن لاستسلام المرأة الكامل دور كبير في حدوث عملية الاغتصاب، وأنه في كثير من الحالات تستطيع المرأة أن تنقذ نفسها من هذا الموقف بقليل من المقاومة، وتتنوع التساؤلات في هذا الصدد، ومن هذه التساؤلات:

«لماذا لم تنتهز المرأة أو الفتاة اللحظة التي يغفل فيها المعتدي عن كل شيء ما عدا شهوته لكي يؤذينه بشكل أو بآخر. فليس هناك أدنى شك في أنه كان بمقدور بعضهن أن يفقأن عيني المعتدي أو أن يعتصرن خصيتيه أو أن يستخدمن أي أداة تكون في متناولهن لإلحاق أذى شديد به، بدلاً من البقاء بلا حَراك إلى أن يقضي منهن وطره، وفي بعض القضايا كشف

التحقيق وأسفرت المعاينة عن أن سلاحاً أو أداة حادة كانت في متناول الضحية أثناء الاعتداء ومع ذلك لم تفكر في استخدامها، مما أثار دهشة المحققين، بل الأغرب من ذلك أنه في قضايا أخرى لم يتجاوز المعتدي حدود التهديد باستخدام السلاح، ثم بعد ذلك تخلى عنه ليتفرغ للضحية التي لم تبذل أي جهد لمنعه من اغتصابها»[1].

ومن الأمثلة عن تصرفات المرأة في مثل هذه المواقف ما روته إحدى المغتصَبَات من قبل صديق زميلتها، فقد «تحدثت عن عجزها عن إيذائه على الرغم مما يفعله بها، قالت بأن إصبعها كان قريباً جدا من عينيه المغلقتين، وكانت يديها قويتين لأنها تنسق السيراميك، وقالت كنت أعلم باني أستطيع بحركة واحدة اقتلاع عينيه، ولكني أخذت أفكر في الألم الذي سأشعر به نتيجة هذا الفعل، وأصبحت عاجزة عن فعله، وقلت في نفسي إني افضل أن أصاب بمرض جنسي أو بالحَمْل على أن أبقى أتذكر ماذا فعلت به. قال لي: «إذا صرخت بعدُ، قتلتك، ولم اشك أنه قادر على ذلك، كنت قادرة على ردّه نصف أعمى، ولكني كنت اشعر بأن هذا ليس جيداً، وإذا لم أتظاهر بعدم القدرة فسيقتلني، كنت عذراء واشعر بالذل والهزيمة الفظيعة، الهزيمة التي لم أشعر بها من قبل، ولكن حتى الحمل عندي كان أفضل من أن اقتلع له عينيه، وأتذكر أني فكرت جيداً قبل إتخاذ قراري»[2].

وفي دراسة أجريت في جامعة Minneapolis مينوبوليس عام 1981 تبين أن «23 بالمائة من النساء اللواتي أجريت عليهن الدراسة استعملن العنف الجسدي للدفاع عن أنفسهن مثل الضرب أو العض أو الرفس، و24 بالمائة منهن صرخن، وأن اكثر من نصف النساء كن يَخَفْنَ إستعمال العنف الجسدي للمقاومة ولكنهن لم يَكُنَّ راضين عن الفعل»[3].

وقد دلت الدراسات على أن الضحية تحاول إستخدام أساليب أخرى

---

(1) المجدوب، احمد علي، اغتصاب الاناث، م. س، ص244.

(2) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL P 92.

(3) LEDRAY, LINDA, RECOVERING FROM RAPE, P: 15.

للخلاص من مثل هذه المواقف، مثل: «النقاش، المساومة، والإنتظار في بعض الأحيان»[1].

ومنهن من تحاول الخلاص عن طريق تنفير المجرم من الفعل أو استجلاب عطفه ومخاطبة إنسانيته، فتحاول مثلا الإدعاء أنها حائض، وهذا الأمر لا يفيد ولا يغيّر من الأمر شيئاً «فإن المعتدي قد يلوط بها، وإذا قالت المرأة أنها حامل، فإن هذا لن ينقذها أيضا، إحدى الفتيات قالت: أنا احب شخصاً وهذا أمر لن أقبله، فقال لها المعتدي: يمكنك دائما أن تقولي بأنه لم يكن لك خيار»[2].

وهناك سبب آخر لعدم مقاومة بعض الضحايا هو «إحساس بعضهن بالمتعة نتيجة قيام المجرم بإثارتها، والمغتصب يعلم في كثير من الأحيان المواضع الحساسة في جسم المرأة التي تفقدها المقاومة وتحوّل فعل الاغتصاب من الرفض إلى القبول»[3].

- ب - تصرف الضحية مباشرة بعد الاغتصاب

تتنوع تصرفات الضحية بعد الاغتصاب مباشرة ولا يمكن حصر هذه التصرفات بالحزن والأسى، بل قد يكون الإحساس أحياناً إحساساً بالفرح والسعادة للنجاة والبقاء على قيد الحياة، ومن هنا لا يمكن حصر هذه الانفعالات، فإن الضحية يمكن «أن تبكي، تصرخ، أو ترتجف، يمكن أن تتسم بالهدوء المطلق، ومن الممكن أن تضحك، أن تشعر بالألم، أو من الممكن أن تروي الحادثة مع الضحك بصوت مرتفع[4]، ولا يوجد تصرف معين يمكن تحديده بالنسبة للاغتصاب، ولا يوجد وقت محدد للتخلص من أثره واستعادة الحياة الطبيعية»[5].

---

(1) PICAT, JEAN, VIOLENCES MEURTRIERES ET SEXUELLES, P: 79.

(2) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 48.

(3) مقابلة مع الدكتور نزار الحلبي، الخميس 23/ 6/ 94.

(4) مقابلة مع إحدى ضحايا الإغتصاب في مجزرة صبرا وشاتيلا عام 1982، حيث كانت أثناء روايتها للقصة تضحك في كثير من الأحيان وقالت في مقابلتها «انها معتادة عندما تروي القصة تضحك لتنسى».

(5) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 39.

ـ ج ـ تصرف المرأة بعد الاغتصاب

تستمر نتائج الاغتصاب على المرأة مدة قد تطول أو قد تقصر نظراً لتكيّف المرأة مع مشكلتها ومحاولة إيجاد الحلول لها، ويرى الطبيب النفسي عدنان الشريف «أن شفاء مريض الاغتصاب هو أمر نادر الحصول وتبقى آثاره إلى فترات متقدمة من العمر»[1].

بينما اعتبر الطبيب النفسي نزار الحلبي «أن العلاج ممكن باستخدام بعض الأدوية والعقاقير واستعادة الضحية لثقتها بنفسها»[2].

وقد ذكر الأطباء النفسيون إن أول مرض يمكن أن تصاب به المرأة بعد الاغتصاب هو مرض «عصاب الصدمة»، وهو يحصل إذا ما لحقت بالمرء حادثة آلية خطيرة أو تعرضت حياته للخطر. «وتبدو أعراض عصاب الصدمة على ما يقرب من عين الصورة التي تبدو بها الهستيريا في كثرة الأعراض الحركية التي تظهر على المرضى بذلك المرض، نجد أن عصاب الصدمة يفوق الهستيريا فيما يظهر على المريض من آلام ذاتية شديدة، حتى ليشبه في هذا مرض الهُجاس[3] السوداوي أو مرض الملانخوليا، وفيما يبدو على المريض من دلالات الإعياء الشامل والاضطراب والفوضى التي تلحق بحياته العقلية بأجمعها»[4].

وأول ما يساعد على كشف المريض بعصاب الصدمة هي الأحلام والكوابيس التي تنتابه أثناء النوم، وكلها تعيد المريض إلى «الموقف الذي حلّت به النكبة فيه وإذا به يستيقظ وقد أخذه الرعب مرة أخرى واشتد فزعه»[5].

---

(1) مقابلة مع الدكتور عدنان الشريف، السبت 11/ 6/ 1994.

(2) مقابلة مع الدكتور نزار الحلبي، الخميس 23/ 6/ 94.

(3) الهجاس: في البحوث النفسية تنطوي هذه اللفظة على وحي نابع من مصادر خارقة للمألوف، على ان الحس الداخلي يشير الى استباق للأحداث يخالطه هواجس القلق وعناصر التحذير، انظر، رزوق، اسعد، موسوعة علم النفس، م. س، ص324.

(4) فرويد، سيجموند، ما فوق مبدأ اللذة، ترجمة إسحاق رمزي، دار المعارف، القاهرة . مصر، بدون رقم الطبعة، 1980م.، ص31.

(5) فرويد، سيجموند، ما فوق مبدأ اللذة، م.س، ص32.

وقد يمتد الاضطراب والرعب عند المصابين بعصاب الصدمة ليشمل حياتهم كلها، يقظتهم ومنامهم، ويبدو الاضطراب ملازماً لهم في كل أوقاتهم حتى خلال النوم، فإن «وظيفة الحلم عندهم قد أصابها الاضطراب هي الأخرى كما أصاب غيرها»[1].

ـ 2 ـ مشاعر المغتصبة بعد الاغتصاب

تتنوع مشاعر المغتصَبة بعد الاغتصاب بين الإحساس بالصدمة وعدم التصديق لما حصل، فغالبية المغتصَبات يتساءلن: لماذا أنا؟ لأنه كان باعتقادهن أن الأمر بعيد عنهن، وهذا الأمر يشابه تعامل البشر مع الموت فإن الإنسان عندما يدفن المَيْتَ يتصرف وكأنه لن يموت الآن، وبأن الموت بعيد عنه، وإن ما أصاب غيره لن يصيبه، وهكذا الأمر بالنسبة للفتاة المغتصبة فهي تشعر بأن ما أصاب غيرها لن يصيبها، وإن الفتاة تُغْتَصَب في العادة لأنها تستحق ذلك، وإنها هي التي دفعت الرجل لاغتصابها.

وتتنوع مشاعر المغتصَبة بين الاكتئاب والرغبة في الانتحار والخوف وفقدان الثقة بالنفس مع إحساس قوي بالذنب.

ـ أ ـ الاكتئاب والانتحار

تنتاب الكثيرات من ضحايا الاغتصاب حالات اكتئاب شديدة تشعر معها بالحزن وبأنها فقدت معنى وجودها، وأنها ترغب في الموت وفي وضع حد لحياتها وقد دلّت الأبحاث التي جرت في «PITSBURGH» بيتسبورغ عام 1979 أن خمسين في المائة من النساء اللواتي بَلَّغْنَ عن الاغتصاب يعانين من اكتئاب قوي إلى متوسط، وكثيرات منهن تظهر عليهن عوارض هذا الاكتئاب، مثل عدم الرغبة في الحياة، عدم القدرة على التغلب على المشاكل، فقدان الأمل، والإحساس بأن الوضع لا يمكن أن يتحسن»[2].

وفي كثير من الأحيان قد تكون الرغبة بالموت هي حاجة للهرب من

---

(1) فرويد، سيجموند، ما فوق مبدأ اللذة ،م.س، ص33.

(2) LEDRAY, LINDA, RECOVERING FROM RAPE, P 72.

وضع الاغتصاب المستمر كما هو الأمر في حالة اغتصاب المحارم.

ـ ب ـ الخوف وفقدان الثقة بالنفس وبالآخرين

تصبح الضحية بعد الاغتصاب شديدة الخوف، فهي تخاف من كل شيء، فإضافة إلى الخوف من الموت الذي يلازمها نتيجة قربها منه وإحساسها بأنها كان يمكن أن تموت، هناك مخاوف صغيرة أخرى تنتابها مثل الخوف من أصوات متشابهة، من روائح متشابهة[1]، اكثر الأوقات يكون الخوف من المواقف التي تذكر بالاعتداء أو المعتدين، أو الخوف من أن تتعرض للتجربة مرة أخرى، وقد أشار الأخصائي النفسي الدكتور عطّوف ياسين الى أن «المرأة التي تغتصب مرة واحدة تكون عرضة اكثر من غيرها للاغتصاب مرة أخرى والسبب في ذلك قد يعود إلى انتشار الخبر بين الناس، مما يجعل من يعرف الخبر يتجرأ على هذا الفعل، معتبراً أن الفتاة لن تخسر شيئاً إضافياً»[2].

ومشاعر المرأة بعد الاغتصاب تختلف نتيجة علاقة الضحية بالجاني، فإذا «كانت الضحية تعرضت للاغتصاب من رجل مجهول فإنها تعاني من الخوف، ومن القلق الذي قد يستمر طويلاً، أما إذا تعرضت الضحية

---

(1) ذكرت جريدة النهار اللبنانية، في العدد19467، تاريخ19/ 6/ 1996، ص7 ،ما يلي:
«تعرضت سيدة اجنبية الأصل لاغتصاب بالعنف ليلا في احراج بيت مري عندما كانت في طريق عودتها الى منزلها مع زوجها، حيث تصدى لها مسلح وهددها بمسدس وارغم الزوج على متابعة سيره بسيارته، وقاد زوجته و هي نروجية الأصل الى داخل الحرج حيث عمد الى اغتصابها بالقوة و تحت وطأة تهديدها بالسلاح، ثم سلبها كل ما كانت تتزين به من حلى ومجوهرات وما كانت تنقله من مال، وفتح تحقيق في الحادث... وتمَّ اعتقال عشرة اشخاص في تلك المحلة وجُلُّهُم غير لبنانيين وعرضوا على المجني عليها فلم تتعرف على واحد منهم لأنها كما قالت كان المكان مظلما ولم تستطع رؤية وجه المعتدي، ولكنها استدركت قائلة: دعوني اشم رائحة كل واحد منهم لأن الذي اغتصبني كانت له رائحة كريهة ومميزة، فأجيب طلبها وشمت المشتبه بهم الى ان وصلت الى الرقم 7 من الموقوفين وشمته وصرخت: «هذه رائحته، انه هو الذي اغتصبني»، وحاول الانكار ولكن رجال الأمن عمدوا الى تفتيش جيوب ثيابه فعثروا فيها على الحلى والمجوهرات والأموال المسلوبة.

(2) مقابلة مع الأخصائي النفسي في مستشفى دار العجزة الاسلامية الدكتورعطوف ياسين، الثلاثاء 2/ 1/ 96.

للاغتصاب من رجل تعرفه فإن مشاعرها تتلخص بفقدان الثقة بالنفس وبالآخرين»[1].

- ج - الإحساس بالذنب

إن من نتائج فقدان الثقة بالنفس البعد عن المجتمع والبحث عن الوحدة لإحساس الضحية بأن كل الناس يلومونها على الفعل، ويعتبرونها مشاركة وموافقة على الفعل، ويعود السبب في إحساس المغتصبة بالذنب إلى نظرة المجتمع بشكل عام والرجل بشكل خاص إلى المرأة، وليس «إلى مسئوليتهن الحقيقية عما أصابهن، كما يدّعي البعض، بل عن توزيع الأدوار التي يفرضه عليهن مجتمع يسوده الرجال، فبموجب هذا التوزيع يعتبر من الطبيعي أن يؤدي الرجل دور الغزو والاقتحام، أما المرأة فشأنها، وفقاً للتوزيع نفسه، أن تتشبث بدور الدفاع، فتحرص على حماية نفسها وصيانة جسدها «السيدة المصونة» أمام مبادرات الذَّكَر، فإذا ما ترسّخ هذا التوزيع في نفسية المرأة بفعل التربية والضغط الاجتماعي شعرت بأن الملامة إنما تقع عليها وحدها إذا أخفقت في صدّ الاقتحام الذي مارسه الرجل عليها بموجب دوره الطبيعي»[2].

- 3 - الحالة الجنسية للمرأة بعد الاغتصاب

ينتاب المرأة بعد الاغتصاب إحساس بالنفور من الجنس لمدة طويلة بسبب تذكر الضحية لتفاصيل جريمة الاغتصاب، ونتيجة إحساسها بالذل والمهانة، وإحساسها بان أي رجل سوف يعاشرها حتى ولو كان زوجها سوف يسبب لها الأذى الذي أصابها سابقاً، وتبدأ عملية النفور بعد الحادث مباشرة حيث تشعر معظم النساء بالضيق، وبرفض ممارسة الجنس لأيام أو ليال، «وكثيرات منهن يَعْجَزن عن ممارسة الجنس ويعجزن عن التمتع ولا يشعرن بالسعادة الجنسية، وكثيرات منهن يشعرن بالقرف والنفور

---

(1) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 164 . 165.

(2) بندلي، كوستي، المرأة في موقعها ومرتجاها، سلسلة دراسات مسكونية، مجلس كنائس الشرق الوسط، 1994م.، ص33.

من بعض التصرفات الجنسية التي فرضت عليهن عند الاعتداء، وتدل الأبحاث على أن 25 بالمائة من النساء المغتصَبات تمتنعن عن ممارسة الجنس مع الرجال ويتحولن إلى سحاقيات، ويبحثن عن فتاة لا تشعرهن بالألم، وهذا غالبًا ما يحدث عندما تتعرض الفتاة للاعتداء وهي صغيرة»[1].

وقد لخص الطبيب النفسي غسان الزهيري نتائج بعض التحقيقات التي أجريت مع بعض النساء المعتدى عليهن فذكر أن ردود فعلهن جاءت كما يأتي:

«50 في المائة فقدن ثقتهن بالرجال كلهم.

32 في المائة واجهن مشاكل جنسية بعد الاغتصاب وأصبن بالكوابيس والبرودة.

25 في المائة يعتبرن إنهن قد فقدن كرامتهن.

16 في المائة تنتابهن الرغبة في الانتحار»[2].

المبحث الثاني
الأثر النفسي للاغتصاب عند الطفلة

ورد في الفصل السابق ذكر أن الاغتصاب أنواع، منها اغتصاب الكبار ومنها اغتصاب الأطفال ومنها اغتصاب المحارم، وقد جاء هذا التفصيل نتيجة اختلاف شخصية مغتصب الأطفال عن شخصية مغتصب الكبار.

وهذا الاختلاف لا يقتصر على المغتصب وحده إذ أن المغتصَبة أيضا لصغر سنها ولعلاقتها بالمغتصِب، ينتابها في العادة مشاعر ومخاوف مختلفة عن المرأة الكبيرة في السن، وأول هذه الاختلافات تكمن في الطريقة التي تستخدم في الاعتداء، فإذا استخدم العنف والقوة في اغتصاب الكبار فان

---

(1) LEDRAY, LINDA, RECOVERING FROM RAPE, P: 85.

(2) جريدة النهار اللبنانية، نهار الشباب، العدد 19061، تاريخ 14/ 2/ 1995، ص18، عنوان المقال: الاغتصاب اشكال الوان والعلاقات مع القاصرات بدل عن ضائع.

استغلال مشاعر الأطفال واستخدام العطف هو السلاح في الحصول على الأولاد.

وهذا ما أكده علماء النفس والباحثون الذين قالوا: «إن الاعتداء الأول بين المعتدي والطفلة نادراً ما يكون عنيفاً، يكفي نقلها إلى مكان هادئ بعيد عن الخطر ... والمعتدي عادة يحصل على الضحايا السهلة، فهو يهجم عادة على الأطفال الذين يعانون من مشاكل عاطفية لأسباب عائلية، وهؤلاء الأطفال يميلون إلى سماع أحاديث العطف والحنان»[1].

وإذا تمّ إلقاء نظرة سريعة على عدد الأطفال الذين يعانون من نقص العطف داخل أسرهم نتيجة إهمال قواعد التربية الصحيحة فيمكن أن يُستنتج عندها الصيد الهائل الذي يمكن أن يحصل عليه المعتدون.

ـ 1 ـ مشاعر الطفلة المغتصَبة

تنتاب الطفلة المغتصَبة مشاعر عديدة وخاصة إذا كان الاغتصاب اغتصاب محارم، إذ أن هذه الطفلة صغيرة وعاجزة عن مقاومة المعتدي، أما لإحساسها بالخوف منه وإما لحبها الشديد له، ويؤدي هذا التضارب في مشاعرها إلى إحساسها بالعجز والاستسلام، ويمكن ملاحظة عدة علامات تظهر على الفتاة، منها ما يظهر أثناء الاغتصاب ومنها ما يظهر بعد الاغتصاب، وقبل الحديث عن هذه العلامات لا بد من ذكر مشاعر الفتاة التي تتعرض للاغتصاب من قبل الأقارب أو المعارف وهي تتلخص بالرفض والعجز، فالفتاة ترفض ما يقوم به المعتدي سواء كان المعتدي والدها أو أحد الأقارب، وفي الوقت نفسه لا تريد أن تفقده لأنها تحبه، لذلك فان «مشاعر الرفض والقرف التي تواجه بها الطفلة هذه العلاقة يحل محلها الاستسلام، إذ تنحدر في أعماق الطفلة مشاعر العجز والقلق، فهي تشعر بالعجز المعنوي والجسدي ولا تقوى على مواجهة الوالد، فشخصيتها النامية الهشة لا تتجرأ على الاحتجاج بعنف، خصوصاً أن خطر زنى

(1) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D'INNOCENCES, P: 73.

المحارم لا يكون بعد قد تأصل في أعماقها، والأب الذي يتوجب عليه أن يغرس هذا الخطر في أعماق ابنته يبرر سلوكه ببساطة «كل الآباء يفعلون ذلك مع بناتهم وهذا أمر عادي جداً»، ناهيك أن بعض الآباء يلجؤون إلى التهديد والوعيد «: إذا تحَدثتي عما نفعل سأضربك بعنف»، أو إلى الابتزاز العاطفي: «إذا لم تكوني عاقلة سأزعل منك ولن أحبك أبداً»[1].

وتضارب مشاعر الطفلة هو الذي يمنعها في كثير من الأحيان من الإعلان عن الجريمة أو من مقاومة المجرم، وأقسى ما تشعر به هو الإحساس بالذنب، وذلك «بسبب مشاعرها العدائية إزاء والدها، فهي لا تستطيع أن تفهم على الإطلاق لماذا يسلك والدها (الذي تحبه) هذا المسلك القاسي والمبتذل، تجتاحها الحيرة والارتباك كيف يمكن أن تكرهه»[2].

ـ 2 ـ الأعراض التي تظهر أثناء الاغتصاب

تتنوع المشاعر التي تنتاب الطفل الذي يتعرض للاستغلال الجنسي، ومن هذه المشاعر: الإكتئاب والرغبة في الإنتحار والغضب والخوف والأرق.

ـ أ ـ الاكتئاب والانتحار

دلت الأبحاث على أن كل ضحايا الاستغلال الجنسي تقريباً «من الأطفال تظهر عليهم بعض أعراض الاكتئاب بعد الإعلان عن الاستغلال، وتظهر هذه الأعراض على بعض منهم حتى قبل الإعلان ... وقد يظهر الطفل حزيناً منشغلاً أو منغلقاً على نفسه، ويمكن للإكتئاب أن يأخذ شكلاً غير مباشر تحت أشكال مختلفة، مثل كثرة الشكوى، والإحساس بالضعف أو بالمرض، وبعض الأطفال يحاول أذية نفسه أو الانتحار»[3].

---

(1) السمسماني، إبراهيم، «العلاقات الجنسية المحرمة» ملحق النهار، تاريخ 23/ 4/ 1994 ص10.

(2) السمسماني، إبراهيم، «العلاقات الجنسية المحرمة «م س.، ص10.

(3) 1 SCROI, SUZAN, L'AGRESSION SEXUELLE ET L'ENFANT, P: 143.

- ب - الغضب والعداوة

يشعر الطفل المغتصَب بالظلم، ولذلك فهو يشعر بالعداوة والغضب ضد كل المحيطين به، و«على الرغم من أن بعض الأطفال قد يظهرون هادئين، إلا أن غالبيتهم يشعرون بالغضب تجاه المعتدي الذي اغتصبهم واستغلهم، وأيضا تجاه الأهل الذين لم ينجحوا في حمايتهم من هذا الاعتداء.

وهذا الغضب قد يكون مكبوتاً وغير ظاهر ومتخذاً أشكالاً مختلفة، كالإكتئاب أو الأوهام أو التصرفات العدوانية»[1].

- ج - الخوف

تُلازم الطفل المغتصَب مشاعر الخوف من نتائج الاعتداء الجنسي، فإذا كان المغتصَب فتاة، فقد تخاف في حال عدم الاستجابة من أذية المعتدي، أو قد تخاف الحمل، أو تخاف من المستقبل، وتقول إحدى الضحايا: «في هذه الفترة كان الخوف هو المسيطر، وفي تحليل الموقف لا أفكر «ما هو جيد» و «ما هو سيئ»، أفكر فقط ماذا يحصل لي»[2].

- د - الأرق

من المخاوف التي تنتاب الطفل أيضاً «الخوف من المجرم، وقد يظهر هذا الخوف بشكل ظاهر، أو قد يظهر على شكل أرق يتخذ شكل كوابيس»[3].

وقد تحدثت إحدى الأمهات عن تجربتها الخاصة مع ابنها الذي تعرض للاعتداء، فوصفت تصرفاته بعد الاعتداء بقولها:

«منذ ذلك الوقت و Gilles جيل كان ضائعاً تماماً ومضطرباً كلياً، ولا

---

(1) SCROI, SUZAN, L'AGRESSION SEXUELLE ET L'ENFANT, P: 144.

(2) NELLY, J' ETAIS SA PETITE PRINCESSE ,EDITION FIXOT, FRANCE, P: 71.

(3) SCROI, SUZANNE, L' AGRESSION SEXUELLE, P: 142.

يجلس في مكان واحد، ويجد صعوبة في التعبير، وقد تمّ فصله من المدرسة، ويعاني غالباً من حالات قلق مع أنه كان في الماضي كثير الفرح، يحب اللعب، وهو يعيش الآن في خوف دائم من شخص يأتي إليه ليأخذه، وفي الليل ينام بشكل سيئ، ويعجز عن النوم، ويستيقظ صارخاً، ويعاني من نفس الكوابيس التي تنحصر كلها في الجرائم حول أشخاص يَقْتُلون أو يُقْتَلون، حول رجال يريدون أن يأخذوه، خلال النهار يتحدث دائماً عن الموت ... أحياناً يتحدث بصعوبة عما حصل له، وبالنسبة إليه فهو شيء غير مفهوم، وهو يتساءل عن السبب الذي دفع الرجل إلي أن يفعل هذا به؟ وكانت تنتابه نوبات بكاء لا تنتهي، وكان يصعب علينا مواساته، كما تصعب علينا محادثته، وكان يغلق على نفسه الباب ويرفض مقابلتنا، ويريد أن يكسر كل شيء، وكانت نظرته إلي العالم نظرة سلبية عنيفة»[1].

هـ ـ نفسية الضحية بعد النضج

إن أول نتائج اغتصاب الأطفال هو تدمير الشخصية تدميراً كاملاً، وإحساس الضحية بالدونية، وبأنه لا حق لها بالحياة وقد أعربت العديد من المغتصَبات عن إحساسهن بالدونية، وبالعجز عن تخطي المشاكل الاجتماعية وببعض الإضطرابات الجنسية.

الإحساس بالدونية: من المشاعر التي تنتاب الفتاة بعد تعرضها للاغتصاب هو إحساسها بالدونية وبالذل، تقول إحداهن: «اليوم، مضى على افتراقي عن والدي سنة ونصف، ولا أصدق إلي الآن أني حرة وسعيدة، سأبلغ التاسعة عشرة من العمر بعد خمسة عشر يوماً، ولا زلت أخاف من الضحك وأخاف من الفرح، ويبدو لي أنه لا يحق لي سوى أن استمر في معاناتي من الماضي، كلما أعطتني الحياة لحظة سعادة ابدأ بالهرب منها، فكما كنت أهرب من أبي كنت أهرب من نفسي، ربما خوفاً من اكتشاف نفسي ... لقد قتل الطفلة التي في داخلي، وقتل المرأة التي يجب أن أكون، وأنا في وسط ذلك كنت أتراوح بين الطفل والمرأة، دون

(1) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D' INNOCENCES, P: 96.

أن أتمكن من إيجاد مكاني الخاص»[1].

العجز عن تخطي المشاكل الاجتماعية: ينتج عن إحساس الضحايا بالدونية والعزلة البعد عن كل ما يمكن أن يسبب الأذى، إذ أنهن يعتقدن أنهن تحملن ما يكفي من الأذى، وأن لا نجاة لهن إلا بالوحدة، لذلك فإنهن «يعانين كثيراً من المشاكل الاجتماعية ... الضحايا يملن إلى العزلة، وعلاقاتهن بالأصحاب ناقصة، وعلاقاتهن الاجتماعية غير مُرْضِية ... العديد منهن كن عدوانيات أو كئيبات، وبعض منهن تنتابهن أفكار انتحارية، وبعض آخر يفقدن الثقة بكل الناس»[2].

المشاكل الجنسية: من أبرز ما يمكن أن يواجه الطفلة المغتصَبة عند الكبر هو الاضطرابات الجنسية، من إحساس بالعجز الجنسي، أو إحساس بالنفور من الجنس بشكل عام.

فالاضطرابات الجنسية إذاً هي من أبرز المشاكل الجنسية التي تواجه الفتاة المغتصبة في المستقبل، «فقد تصاب المرأة بإعاقة جنسية مستديمة، فهي تشعر بلامبالاة مطلقة إزاء الرجال، «جميع الرجال يشبهون والدي» تردد في أعماقها، إنهن يمارسن الحب ولكن لا يبلغن الذروة الجنسية، وهن يتركن جسدهن للشريك، ولكنه جسد بلا حياة، فصورة الجسد عندهن مهشمة، بل يرغبن أحياناً في التخلص من هذا لاحقاً لشتى أنواع الانحرافات الجنسية وافتقارها للقوى الأخلاقية الضرورية لضبط الغريزة الجنسية، وكذلك تعرضها للإصابة بالأعصبة النفسية»[3].

وقد أشار الطبيب النفسي عدنان الشريف إلي «أن سبب مجيء غالبية المغتصَبات إلي عيادته ليس تعرضهن للاعتداء، ولكن سبب مجيئهن هو المرض العصبي الذي يصبن به بعد فترة من الزمن، والذي قد يكون من أسبابه حالة الاغتصاب التي تعرضت لها الفتاة في الصِّغَر»[4].

---

(1) SWEIGHOFFER, NATHALIE, J' AVAIS DOUZE ANS, FRANCE LOISIR, PARIS , P: 215.

(2) SCROI, SUZANNE, L' AGRESSION SEXUELLE ET L' ENFANT, P: 54.

(3) السمساني، إبراهيم، «العلاقات الجنسية المحرمة»، ملحق النهار، م. س، ص10.

(4) مقابلة مع د. عدنان الشريف . السبت 11/ 6/ 1994.

والإضطرابات الجنسية لا تقتصر على الضحية الفتاة، إذ أن الضحية الذكر قد يصاب أيضاً بالاضطرابات الجنسية، حيث أنه قد يميل إلي الشذوذ الجنسي ويشعر بالنفور من المرأة إما لتمتعه بالعلاقات الشاذة السابقة التي مرَّ بها، واما لإحساسه بالنقص وبالعجز عن إتيان المرأة.

المبحث الثالث
التستر على الجريمة

يؤكد علماء الإحصاء أن الجرائم بشكل عام والجرائم الجنسية بشكل خاص تنتشر بشكل واسع لا تدل عليه الأرقام التي تسجل في الإحصائيات، وقد ورد في سياق البحث أن هؤلاء العلماء اعتبروا أن هناك دائماً أرقام مجهولة سمّوها الرقم الأسود، وسبب هذا الغموض في الأرقام يعود إلي تستر الضحية والمحيطين بها عن الإبلاغ عن الجرم، وتتنوع الأسباب التي تدعو إلي التستر على المجرم، منها ما هو شخصي واجتماعي ومنها ما هو عائد إلي شك الضحية في الحصول على العدالة.

ـ 1 ـ أسباب التستر الشخصية والاجتماعية

تنتاب المغتصبة مشاعر متنوعة من الخوف، ومن هذه المخاوف الخوف من الإعلان عن الاغتصاب، خاصة إذا كان المعتدي من المحارم، فتخاف الضحية من تهديدات المجرم المستمرة لها كما تخاف أن يتسبب لها بالأذى الجسدي، إحداهن تقول:

«كنت فتاة صغيرة، ضعيفة، وكنت أحبه، كأب لم يكن لدي أحد سواه، لا أحد ليسمعني، ليصدقني، للدفاع عني، ثم، كانت غلطتي الكبرى أنه كان يجب أن أقول توقف ولكني لم افعل ... ليس فقط لأني كنت ضائعة ووحيدة، بل لأنني كنت خائفة أن يضربني، ولا أزال اذكر تهديداته أمام أسلحة الصيد ... ولكن خاصة، ويجب الاعتراف بذلك، كنت خائفة أن اخسره إذا أعلنت الأمر.

وكنت في تلك اللحظات قد خسرت أمي المريضة، وإذا قلت لا في

تلك اللحظة لكنت خسرت كل ما تبقى لي، نعم، كنت أخاف أن أخسره لهذا السبب، وكنت أخاف إذا قلت لا أن يصبح أبى لا مبالياً تجاهي كما هو تجاه أمي وأختي، ولقد استفاد هو من هذه الخشية»[1].

والخوف من الإعلان بالنسبة إلى الضحية قد لا يقتصر على الخوف على نفسها من المجرم بل يكون من الخوف على عائلتها ككل من نتائج هذا الإعلان، وتدل الأبحاث على أنه «إذا حصل إعلان عن اعتداء جنسي داخل نطاق العائلة، فيمكن أن نتوقع أن يكون العقاب قاسياً، فالمعتدي يمارس هنا وضع المسيطر والمتسلط لممارسة الضغط على الطفل وعلى باقي أفراد العائلة لمنعهم من التعاون مع الممثلين الاجتماعيين، وفي بعض الأحيان، قد يبقى الضغط في مجال الألفاظ والعبارات التي تهدف إلى إشعار الطفل بالذنب الذي لعبه في إعلانه عن هذه العلاقة»[2].

ـ 2 ـ تصرفات المحيطين بالضحية

تتضارب تصرفات المحيطين بالضحية عند الإعلان، فقد يكون التصرف مؤيداً، حامياً للضحية من نتائج هذا الاعتداء، أو قد يكون مهاجماً للضحية بسبب إعلانها لإعتبارهم أنها كان يمكن أن تخفي الأمر، أو لإعتقادهم بأنها السبب في حصول الاعتداء.

ـ أ ـ الخوف من الحماية الزائدة: يرتبط تصرف أفراد العائلة بعد الإعلان بالمردود الذي يعود عليهم بعد الإعلان، ففي حال كان الاغتصاب اغتصاب محارم فإن «قليلون هم الأشخاص الذين يتمتعون بروح قوية وثقة للتغلب على هذا الإعلان والاحتفاظ بتصرف الحامي والحيادي تجاه الضحية، أما الباقون فهم بحاجة إلى دعم واضح وببعض أشكال الضغط للحصول على موقف إيجابي تجاه الضحية، وفي بعض الحالات لا يتوصل أعضاء العائلة إلى الوصول إلى التعاطف مع الضحية»[3].

---

(1) NELLY, J'ETAIS SA PETITE PRINCESSE, P: 54 . 55.

(2) SCROI, SUZANNE, L' AGRESSION SEXUELLE ET L' ENFANT, P: 43.

(3) SCROI, SUZANNE, L'AGRESSION SEXUELLE ET L'ENFANT, P: 41.

أما في حالات الاغتصاب العادي فإن الضحية قد تلاقي الاهتمام من قبل المحيطين بها، بعض هؤلاء قد ينتابهم الإحساس بالذنب لأنهم تركوا الضحية تتعرض لهذا الاعتداء، لذلك فإنه بعد الاعتداء تكون ردة فعل الأهل والأصحاب «هي الرغبة في الانتقام، الزوج والأهل والأحبة والإخوة يشعرون بأنه يجب أن يفعلوا شيئاً للتعويض»[1].

لذلك تعمد كثير من الضحايا إلى إخفاء الأمر عن المحيطين بها خوفاً من فقدانها لبعض الامتيازات التي حصلت عليها وتخاف أن يشددوا عليها الحراسة.

وفي بعض الأحيان قد يأتي التستر على المجرم نتيجة المستوى العائلي للضحية، حيث تعجز مثل هذه العائلات عن مواجهة المجرم وعائلته، أو تعجز عن تحمل مصاريف رفع الدعوى ضده.

ـ ب ـ **الخوف من إلقاء اللوم على الضحية**: تخاف الضحية عادة من إلقاء اللوم عليها من قبل المحيطين بها، خاصة إذا كان الاغتصاب اغتصاب محارم، إحداهن عبرت عن مشاعرها تجاه أختها فقالت: أظن إنه داخلياً، في أعماق نفسها، كانت تلومني على ما حصل، مثلاً، عندما كنا نتحدث عن والدي، كانت تتحدث وهي باكية ... وأظن إنها من جهة أخرى كانت تلومني لإعلاني الخبر، لأنها خسرت والدها، وهذا آلمها حتى ولو كان أبي لا يهتم لها[2].

واللوم يأتي أيضاً من الناس، إذ يسري الإعتقاد بأن الإنسان لا يحصل له شيء إذا كان إنساناً جيداً، «فإذا تعرضت المرأة للاغتصاب فهذا يعني إنها سيئة أو فعلت شيئاً سيئاً وتستحق عليه ما يحصل لها»[3].

وحتى ولو كانت الفتاة صغيرة لا تعي شيئاً فإنها لن تنجو من ألسنة الناس، فتقول إحداهن «هناك في القرية كانوا يقولون كجدتي: يا ليته كان

---

(1) LEDRAY, LINDA, RECOVERING FROM RAPE, P: 64.

(2) NELLY, J' ETAIS SA PETITE PRINCESSE, P: 126.

(3) LEDRAY, LINDA, RECOVERING FROM RAPE, P: 17.

خارج السجن والفتاة مكانه، لأنه لم يفعل شيئاً، فهي التي أفسدته»[1].

ـ 3 ـ أسباب أخرى للتستر

تتستر الضحية في بعض الحالات حفاظاً على بيتها وسمعتها، فكثيراً ما تُعَرِّض المرأة نفسها لخطر الطلاق إذا كانت متزوجة، أو لعدم الزواج في حالة كونها عزباء،[2] كما أنه في بعض الأحيان قد «تفقد المرأة عملها وقد تُطْرَد من قريتها»[3].

وتتستر الضحية أيضاً في حال معرفتها بالمجرم، «فقد دلّت تقارير الشرطة على أن أكثر من خمسين في المائة من الضحايا أعلنّ بأنهن يعرفن المجرم، والملاحظ أنه من النادر في مثل هذه الحالة أن تقوم الفتاة التي اغتصبت من شخص تعرفه بالإعلان عن الجريمة»[4].

والهدف من وراء عدم إعلان مثل هذه الضحية عن الجرم هو خوفها من توجيه أصابع الاتهام إليها بأنها كانت راغبة بالفعل، أو مشجعة عليه.

ـ أ ـ التستر لعدم الثقة بالعدالة

تتعرض المرأة الضحية عند الإعلان عن الجريمة والإلتجاء إلى السلطات المختصة للإبلاغ عن المجرم إلى التحقيق الواسع، وقد ورد سابقاً أنواع الضغوطات التي تعانيها المرأة من رجال الشرطة والمحققين الذين لا يهتمون بمعاناتها، لأنهم في بعض الحالات لا يَعْتَدُّونَ ببلاغاتها، ومن المتعارف عليه عند رجال الشرطة أن «هناك أربعة أنواع من النساء اللواتي لا يعتبرن كضحايا اغتصاب، ذلك لأن الشرطة ترفض أن تعطيهن نفس الحقوق التي لبقية الشعب، وهن: النساء المنتميات إلى سلالات

---

(1) NELLY, J'ETAIS SA PETITE PRINCESSE, P: 95.

(2) ذكرت الفناة التي تعرضت للاغتصاب في مجزرة صبرا عام 1988 أنه تقدم لخطبتها ثلاثة شبان، وقد رفضوا الزواج منها بعد معرفتهم بحادثة الإغتصاب.

(3) PICAT, JEAN, VIOLENCES MEURTRIERES ET SEXUELLES, P: 76.

(4) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 52.

منخفضة كالسود مثلا ... النساء ذوات السمعة السيئة، الهيبيات والغانيات»[1].

وحالات الاغتصاب التي تتعرض لها مثل هؤلاء النسوة ليست قليلة، إلا أنهن لا يفكرن حتى في تقديم البلاغات لعلمهن بأنهن لن يجدن العدالة المطلوبة.

وهناك نوعان آخران من النساء لا يعتدّ ببلاغاتهن: النوع الأول هن الزوجات اللواتي يغتصبهن أزواجهن، وذلك لعدم وجود قانون يمنع الرجال من ذلك.

والنوع الثاني هن «النساء العازبات اللواتي بلغن عمراً معيناً وبدون مهنة، فإن شكواهن تعتبر كأنها أوهام نساء بحاجة للجنس، إلا في حالة وجود دلائل للعنف»[2].

ـ ب ـ التستر لعدم الثقة بالقضاء

تمتنع كثير من الضحايا عن الإعلان عن تعرضهن للاغتصاب لخوفهن من الصعوبات التي سوف تعترضهن أثناء المحاكمة ولعدم الرضى بقرار المحكمة.

ـ 1 ـ الخوف من صعوبات المحاكمة: تعتبر جريمة الاغتصاب من الجرائم التي ينفر منها القضاة عادة، «وإذا لم تكن الأدلة كافية لإدانة الرجل، فان غضب القضاة يتحول إلى المرأة، وتنتقل الشكوى إلى عفتها ومدى مقاومتها، والملاحظ أن الاغتصاب هو الجريمة الوحيدة التي قد تحمل مثل هذا الخطر من أن تكون الضحية ضحية مرة أخرى»[3].

ويعمد المجرم عادة إلى توكيل المحامي الذي يعمل جاهداً لإثبات براءة موكله عن طريق جعل الفعل يبدو إرادياً، وأن الفتاة هي التي شجّعت المتهم على فعله، إن كان عن طريق اللباس أو عن طريق الإغراء، وقد

---

(1) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 91.

(2) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 91.

(3) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 15 . 16.

يحاول المحامي أيضاً الإثبات بأن الضحية هي امرأة سيئة السمعة، وأنها ترغب في استغلال المجرم بقصد الكسب المادي أو التشهير، وإذا عجز المحامي عن إيجاد الإثباتات ضد الضحية فإنه يعمد إلى طريقة قديمة في الإثبات وهي أن المرأة لا يمكن أن تغتصب رغم إرادتها. وهذه الفكرة اقتبسها المحامون من الكاتب الفرنسي بلزاك في إحدى قصصه حيث قال: «لا يمكن إدخال الخيط في إبرة تتحرك»[1].

ومن العبارات التي يمكن أن يستخدمها المحامون في الإثبات قولهم: «إذا رفضت المرأة أن تغتصب، فإنها ببساطة تستطيع أن تضمّ فخذيها»[2].

ـ 2 ـ عدم الرضى بقرار المحكمة: ورد في الباب الثاني أن أقسى عقوبة يمكن أن ينالها المغتصِب هي السجن لمدة اثنا عشر سنة، وذلك في حال تشديد العقوبة، لذلك تجد الضحية أن هذه الفترة ليست كافية لعقاب المجرم، وأن السِّجن والتعويض المادي ليسا كافيين في التعويض عن مأساتهن، ومن الأقوال المعبرة عن هذا الأمر التي عبرت فيها الضحايا عن حقيقة مشاعرهن ما قالته كل من نيللي وناتالي.

فقد قالت نيللي: «أحسست بالخيبة، فقلت: هذا لا يكفي، خمس سنوات ... لا شيء، هكذا كانت ردة فعلي، القاضي جعل لي 65000 فرنك كتعويض لي، هذا لا يكفي لمحو الذكرى وحتى المليار لا يكفي»[3].

أما ناتالي فقالت: «يمكن أن تقولوا لي: انه رحمة به عمد القضاة إلى تجنب مكوثه في السجن مدة عشرين عاماً، فاختصروها إلى اثنتا عشرة سنة ... أما أنا فإني أكره الرحمة، لقد فقدتها ... كل هذا لا يشعرني باني انتقمت، كل الناس يعلمون أنه بعد ثمان سنوات سيصبح في الخارج.

هو الآن في الثانية والأربعين، في الخمسين سيصبح حراً، يديه في

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL, P: 378.

(2) MACKELLAR, JEAN, LE VIOL, P: 18.

(3) NELLY, J' ETAIS SA PETITE PRINCESSE, P: 165.

جيبه، بعد أن يكون قد وفّى الدَين الذي عليه للمجتمع، ولكن هذا الدين ليس لي، بالنسبة لي من المستحيل أن أقبل هذه العدالة التي تفكر في نفسها ولا تنتقم لي»[1].

(1) SCHWEIGHOFFER ,NATHALIE, J'AVAIS DOUZE ANS ,P: 245

الفصل الثاني

آثار الإغتصاب على المجتمع

تتولد من جريمة الاغتصاب حالات تؤثر على المجتمع وتنشأ من جرائها آثار خطيرة تؤدي إلى تدمير شامل للمجتمع بكل قيمه ومبادئه، ومن أشد أنواع الاغتصاب التي تترك مثل هذه الآثار الاغتصاب الجماعي الذي يحصل أثناء الحروب والذي يكون مخططاً له وهادفاً إلى التهدم والتخريب.

ويذكر من الآثار الناتجة عن جريمة الاغتصاب حالات الحمل، الإجهاض، أولاد الزنا، الطلاق، قتل النفس، القتل والبغاء، ولكل حالة من هذه الحالات دورها الخاص في عملية التدمير الاجتماعي.

المبحث الأول
الاجهاض

يأتي الحمل بعد الاغتصاب كنتيجة طبيعية لعلاقة الرجل بالمرأة، وهذا الحمل قد يكون مخططاً له أو غير مخطط له، فالحمل المخطط له هو الحمل الذي يُهْدَف من وراءه إلى التدمير، سواء كان تدميراً شخصياً كالرغبة في الانتقام من الضحية أو من أحد أقاربها، أو تدميراً كاملاً كتدمير أمة بكاملها كما حصل في البوسنة والهرسك، حيث قام الصرب بحجز الضحايا فترات طويلة لضمان حملهن ولإيجاد أزمة اجتماعية خطيرة تربك الحكومة والمجتمع بأسره.

أما الحمل غير المخطط له فهو الحمل الطبيعي الذي قد يحدث في حال عدم أخذ الاحتياطات اللازمة لتجنبه، وهو ما يحدث في حالة

الاغتصاب، حيث يكون لعنصر المفاجأة والمباغتة أثره في إرباك الضحية ومنعها من أخذ الإحتياطات اللازمة لتجنب حدوث الحمل.

ـ أ ـ حكم الإجهاض في الفقه الإسلامي

حدّد فقهاء الإسلام رأي الدين في عملية إجهاض المرأة للجنين فاعتبروا أن هذا العمل مُحَرَّمٌ شرعا مهما كانت أسبابه، وفرض الفقهاء العقوبة على كل من يفعل هذا، وقد تنوعت العقوبة بين وجوب الغُرَّة أو وجوب الغرّة وعِتْقِ رقبة.

ـ 1 ـ المذهب الحنفي

أوجب الأحناف الغرّة في حال إسقاط الحمل فقالوا: «إذا أسقطت المرأة الولد بعلاج أو شربت دواء تعمدت به إسقاط الولد وجبت الغرة على عاقلتها.

والغرة عندنا خمسمائة درهم، نصف عُشر الدية أو عبد أو فرس قيمته خمسمائة درهم، ذكراً كان الولد أو أنثى»[1].

ـ 2 ـ المذهب الشافعي

اتفق الشافعية مع الأحناف في وجوب الدية في حالة إسقاط الولد فقالوا: «إن دية الجنين هي غرّة عبد أو أمة، قيمته نصف عشر دية الأب، أو عشر دية الأم يدفع ذلك إلى ورثته، وإن كان أحد أبويه مسلماً والآخر كافراً، أو أحدهما مجوسياً والآخر كتابياً اعْتُبر بأكثرهما بدلاً، وإن ألقته حياً ثم مات وجب فيه ديّة كاملة، وإن اختلفا في حياته فالقول قول الجاني، وإن ألقته مضغة وشهدت القوابل أنه خلق آدمي ففيه قولان: أحدهما تجب فيه الغرّة، والثاني لا تجب»[2].

---

(1) الأوزجندي، محمد، فتاوى قاضيخان، المطبعة الأميرية، بولاق، بدون رقم الطبعة، 1310هـ.، ج3، ص446.

(2) الشيرازي، ابن اسحاق الفيروذأبادي، التنبيه في الفقه الشافعي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1403هـ.، 1983م.، ص223.

ـ 3 ـ المذهب الحنبلي

اعتبر الحنابلة أنه على المرأة إضافة إلى الغرّة اعتاق رقبة، فجاء في المغني: «إذا شربت الحامل دواء فألقت به جنيناً فعليها غرّة لا ترث منها شيئاً وتعتق رقبة»[1].

ـ 4 ـ المذهب المالكي

اعتبر المالكية أنه على من قتل جنيناً الديّة «عبداً أو وليدة، سواء كان ذكراً أو أنثى، وسواء تمّ خلقه أم لم يتمّ إذا خرج من بطن أمه ميتاً»[2].

وقد جاء تشديد الإسلام في حكمه على إسقاط الحمل نظراً لتكريم الله سبحانه وتعالى للإنسان ولكل من نفخ فيه الروح، «وقد اتفقت كلمة الفقهاء على أن إسقاط الحمل بعد نفخ الروح فيه حرام، لا يحلّ لمسلم أن يفعله لأنه جناية على حي، ولذلك وجبت فيه العقوبة، أما إسقاطه قبل نفخ الروح فيه فزعم فريق أنه جائز توهماً منه أنه لا حياة فيه، فلا جناية بإسقاطه، فلا حرمة، والتحقيق أنه حرام، لأن فيه حياة محترمة، هي حياة القبول والاستعداد، وقال فيها الإمام الغزالي: «إنه جناية على موجود حاصل، وأن أول مراتب الوجود أن تقع المادة في المحل وتختلط بالبويضة وتستعد لقبول الحياة، وإفساد ذلك جناية، وتعظم الجناية كلما انتقلت المادة من طور إلى طور حتى تصل إلى منتهاها بعد الانفصال حياً... ومن هنا وجب حمل القول والإباحة على حالة ترتب الضرر الفادح، كموت الأم إذا لم يُسْقَطِ الجنين»[3].

ـ ب ـ إجهاض المغتصَبات

يواجه المسلمون في العصر الحالي قضية انتشار جرائم الاغتصاب بشكل جماعي والمشاكل الناتجة عنها في عدة دول في العالم، كالبوسنة

---

(1) ابن قدامة، المغني، م. س، ج9، ص557.

(2) ابن جزي المالكي، القوانين الفقهية، م. س، ص297.

(3) شلتوت، محمود، تفسير القرآن الكريم، دار القلم، القاهرة . مصر، الطبعة الرابعة، 1966م.، ص413 ـ 414.

والهند وغيرهما من البلدان، وأدت كثير من حالات الاغتصاب إلى وجود الحمل مما استدعى إيجاد حلول لهذه المشكلة عبر فتاوى مناسبة لحالات الحمل هذه.

وقد تعدّدت الفتاوى في هذا الشأن، ومن هذه الفتاوى فتوى الدكتور يوسف القرضاوي الذي أفتى «بإباحة الإجهاض للمغتصَبة قبل الشهر الخامس من الحمل على أن يتكفل مسلموا العالم بدفع الكفارة الواجبة في هذه الحالة»[1].

بينما اعتبر الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية أن «المرأة المغتصَبة لا يجوز أن تطرح ما في بطنها إذا جاوز الحمل أربعين يوماً»[2].

أما الدكتور عبد الجليل شلبي الأمين العام لمجمع البحوث العلمية سابقا في لندن فاعتبر «أن الفتيات اللاتي يتعرضن للاعتداء لا إثم عليهن في ذلك لأنهن لا يستطعن الدفاع عن أنفسهن، أما الحمل الذي ينشأ عن هذا الاغتصاب فهو مخلوق له حق الحياة ولا يلحق بأبيه ولكنه ابن أمه ولا يجوز قتله»[3].

وهكذا تضاربت آراء الفقهاء المعاصرين بين مؤيد للإجهاض في حالات خاصة ولمدة محدّدة وبين الرافض لفكرة الإجهاض ولو كان نتيجة الاغتصاب.

- ج - الإجهاض في القانون

عرّف علماء القانون الإجهاض بأنه «إخراج الجنين عمداً من الرحم قبل النمو الطبيعي لولادته، أو قتله عمداً في الرحم»[4].

---

(1) مجلة العالم البريطانية، العدد 515، شباط 1994، ص24.

(2) مجلة الموقف اللبنانية، عدد93، نيسان 93، ص9.

(3) مجلة الموقف اللبنانية، عدد93، نيسان 93، ص9.

(4) حسني، محمد نجيب، شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة . مصر، 1992م.، ص501.

وقد اعتبر شرّاح القانون أن الإجهاض لا يباح في أي حالة من الحالات حتى ولو كان الحمل ثمرة لجريمة كالاغتصاب، واعتبروا أن «السياسة الجنائية تأبى أن يعترف الشارع بهذا الإجهاض، فمن ناحية ليست المرأة في حاجة إليه فلها حق الدفاع الشرعي ضِد الرجل الذي يحاول الاعتداء على عِرْضِها، ولها كذلك الحق في الحيلولة دون الحمل باستعمال الوسائل التي من شأنها ذلك، فإذا ما حصل الحمل كان له الحق في النمو والميلاد الطبيعي الذي لا يجوز للحامل الاعتداء عليه، ومن ناحية ثانية يُخشى أن يؤدي الاعتراف بهذا الإجهاض إلى إساءة استعماله حين يكون ثمرة علاقة جنسية رضيت بها المرأة ثم تخلع عليها مظهراً إجرامياً توصلاً إلى إباحة الإجهاض»[1].

وعلى الرغم من تشدّد القانون في الحكم على الإجهاض إلا أنه يجعل للمرأة التي تقدم على الفعل محافظة على شرفها أعذاراً مخففة، فقد أفادت المادة 545 من قانون العقوبات بأنه «تستفيد من عذر مخفف المرأة التي تطرح نفسها محافظة على شرفها ...»[2].

وهناك حالات خاصة أباح فيها القانون الإجهاض الناتج عن الاغتصاب، وهي حالات الإجهاض التي يفرضها العمل العلاجي، «كما لو كانت المجني عليها في الاغتصاب طفلة أو مريضة لا تقوى على احتمال الحمل أو الولادة أو كان محققاً إقدامها على الانتحار ...»[3].

ـ د ـ أثر الإجهاض على المجتمع

يعتبر موضوع الإجهاض من اكثر المواضيع التي تثير الاهتمام، وتنقسم الآراء حول إباحة الإجهاض إلى قسمين: مؤيد ومعارض، ولكل رأي من الآراء مبرراته وحججه.

---

(1) حسني، محمد نجيب، شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، م. س، ص507.
(2) قانون العقوبات اللبناني، المادة 545.
(3) حسني، محمد نجيب، شرح قانون العقوبات الخاص، م. س، ص507.

ـ 1 ـ أسباب تأييد الإجهاض

يعتبر كثير من الناس أن عدم السماح بالإجهاض عامة والإجهاض الناتج عن الاغتصاب خاصة يؤدي إلى آثار سلبية على نفسية المرأة وعلى المجتمع بشكل عام، ومن هذه الآثار ما يلي:

ـ 1 ـ يؤدي عدم السماح بالإجهاض في كثير من الحالات إلى قيام النساء بإجهاض أنفسهن بالطرق البدائية مما يؤدي إلى إصابتهن بأمراض خطيرة، وفي بعض الأحيان بالعقم.

ـ 2 ـ يؤدي عدم السماح بالإجهاض في حالة الاغتصاب إلى التسبب بالضرر للمرأة والجنين معاً، وذلك لاضطرار المرأة إلى حمل ولد من رجل تسبب لها بالأذى، والمعتدي في هذه الطريقة يكون قد انتصر على المرأة مرتين: المرة الأولى عند الاغتصاب والمرة الثانية عندما جعل نطفته في رحمها كدليل مؤبد على جريمته، أما الضرر الذي يقع على الولد فيكمن في اضطراره لمواجهة الناس والمجتمع كلقيط لا أسرة له ولا أب يرعاه.

ـ 2 ـ أسباب رفض الإجهاض

يشكل رجال الدين من كل الطوائف الفئة الكبيرة من الناس الرافضين لفكرة الإجهاض، لما في الإجهاض من قتل للروح التي أذن لها الله سبحانه وتعالى في الحياة والوجود، ومن الرافضين أيضاً الأطباء الذين يجدون في الإجهاض خطراً كبيراً على حياة المرأة والذي قد يفضي في كثير من الأحيان إلى الموت. «ففي البرازيل يموت 4 نساء يومياً نتيجة مضاعفات الإجهاض، وتعترف صحيفة برازيلية بأن هذا الرقم متفائل وأنه يتضاعف في الواقع ثلاث مرات أو أربعاً، ويفيد تقرير الأمم المتحدة أن 50 في المائة من الوفيات بين النساء في أميركا اللاتينية ينبع من الإجهاض بمعدل 41 امرأة يومياً»[1].

ومن الرافضين أيضاً للإجهاض رجال القانون الذين يخشون أن يكون الإجهاض ستاراً تلجأ إليه المرأة الزانية لتستر به جريمتها.

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، نهار الشباب، العدد19228، تاريخ 5/ 9/ 1995، ص7.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى ضرورة الحذر من إباحة الإجهاض، وضرورة الالتزام بآراء الفقهاء في ذلك، وعدم التحجج بالإساءة إلى الجنين، لأنه يصعب الجزم أن هذا الطفل سيكون سيئاً، لأن الإنسان في النهاية هو وليد التربية، فإذا زرعت في نفس الطفل الآداب والأخلاق الإسلامية فإنه سيستطيع مواجهة المخاطر المستقبلية بإذن الله، ومن الأدلة التاريخية على هذا الأمر ما أشار إليه علي صفا في جريدة اللواء بقوله: «إن اللقطاء في الإمبراطورية العثمانية كان لهم دورهم في قيادة الجيش ومن ثم السيطرة عليه فيما بعد، بالإضافة إلى حماية كرسي الخلافة من الطامعين بعد أن رُبُوا ودُرِّبوا على الأمور العسكرية، ونذكر ممن وصل منهم إلى مراكز النفوذ محمد علي باشا والي مصر الألباني الأصل»[1].

المبحث الثاني
نسب ولد الزنا

اتفق الفقهاء على اعتبار أنه لا يحق للرجل أن يُنسب إلى أبيه في حال كونه ولد زنا، وينسب عندئذ إلى أمه، واعتبر الإمام الشافعي أن الحكمة في عدم نسبة إبن الزنا إلى أبيه أن الأبناء هم نعمة من الله سبحانه وتعالى والنعمة لا تكون من جهة المعصية، لذلك أحلّ الله النكاح وحرّم الزنا، ولذلك «كان مفعولاً في كتاب الله أن ولد الزنا لا يكون منسوباً إلى أبيه الزاني بأمه، لِما وصفنا من أن نعمته إلينا تكون من جهة طاعته لا من جهة معصيته»[2].

وقد اتفق الفقهاء جميعاً على عدم ثبوت نسب ولد الزنا إلى أبيه بل ينسب إلى أمه لإنعدام فراش الزوجية، وقد قال رسول اللهﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحَجَر)[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام الولد للفراش أي لصاحب الفراش

---

(1) جريدة اللواء اللبنانية، عدد 7370، تاريخ 28/ 12/ 1991.

(2) الشافعي، محمد بن إدريس، أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، 1395هـ، 1975م.، ج2، ص190.

(3) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الرضاع، م. س، ج10، ص37.

«والمراد في الفراش هو المرأة فإنها تسمى فراش الرجل وإزاره و لحافه. و في التفسير في قوله ﷻ: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾[1] انها نساء أهل الجنة، فسميت المرأة فراشاً لأنها تفرش وتبسط بالوطء عادة.

فعلى هذا، إذا زنى رجل بامرأة فجاءت بولد فادعاه الزاني لم يثبت نسبه منه لإنعدام الفراش، وأما المرأة فيثبت نسبه منها لأن الحكم في جانبها يتبع الولادة»[2].

وإذا كان عدم ثبوت النسب يكون في حالة الزنا فإنه في حالة الاغتصاب أولى لأن الدافع إلى حرمان المجرم من هذا الحق هو أقوى، فإضافة إلى اعتدائه على شريعة الله سبحانه وتعالى فإنه يعتدي على حق المرأة في اختيار الزوج والوالد الصالح.

وهكذا ينسب الولد إلى أمه، إلا في حال كون المرأة زوجة، فإنه في هذه الحالة تنشأ حالتين أوضحهما مفتي مصر الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، فقال:

«حكم حمل المرأة المغتصَبة والمكرَهة على الزنا هو أن الحمل حَمْلُها تحمله حتى تضعه وحتى يستغني عن إرضاعها بالغذاء، وهو منسوب إليها يحمل إسمها وإسم أسرتها، ولا تنسبه لأب جبراً لأنه وُلِد نتيجة علاقة غير الزواج، وبوسيلة مُحَرَّمَة قطعاً.

وقوة القرائن المصاحبة لما وقع لنساء البوسنة والهرسك من اعتداء الصرب عليهن بعد أسرهن واحتجازهن في معسكرات الاغتصاب تؤثر على فراش الزوجية لمن كان لها منهن زوج، ويكون الفراش في حقها كالمعدوم حُكما، لأن المراد بالفراش أن تحمل الزوجة من زوجها في ظل عقد زواج صحيح، فيكون إبنها ولداً لهذا الزوج، ولكن إذا ولد الطفل أثراً لصلة رجل بامرأة بغير عقد زواج، «أي: زنا»، كحمل نساء البوسنة من الصرب

---

(1) سورة الواقعة، الآية 34.

(2) الكاساني، علاء الدين الحنفي، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة شركة المطبوعات العلمية، مصر، الطبعة الأولى، 1327هـ، ج6، ص242.

فإن هذا الطفل كما سبق ينسب لأمه، ترثه ويرثها ويتبعها في الدين، وله عليها كل الحقوق من حضانة ونفقة ورعاية لقوله تعالى:

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾[1].

وعليها كذلك أن تحسن تربيته وتصلح من شأنه، حماية له من الإهمال وخوفاً من التشرد، وارتقاباً لخيره وإتقاء لشره حتى لا يكون وسيلة إفساد في المجتمع، وعسى أن يكون نافعاً لنفسه ولغيره، هذا: ومن كانت من نساء البوسنة والهرسك حاملاً من زوجها الشرعي في ظل عقد الزواج الصحيح، ثم اغتُصِبَت واعتُدِيَ عليها من جنود الصرب فإن فراش زوجيتها قائم وينسب طفلها إلى زوجها لا إلى نفسها ولا إلى من زنا بها بعد اغتصابها، لأن فراش الزوجية قائم فعلاً، والطفل نبت في ظله وما حدث بعد ذلك من الاعتداء، يعتبر مرضاً، لا يؤثر على فراش الزوجية أو يُفْقِده»[2].

لقول رسول الله ﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحَجَر)[3].

ـ 1 ـ كيفية رعاية أولاد الاغتصاب

ترفض المرأة المغتصَبة في الغالب وجود الطفل وتربيته، لأنه إضافة إلى وجوده غير الشرعي فإن وجوده معها يذكرها بالحادثة، وتفقد الضحية كل فرصة لنسيان الحادث، فقد ذكرت إحدى النساء التي احتفظت بولدها الذي كان ثمرة الاغتصاب بأنها «على الرغم من حبها له إلا أنه يذكرها باستمرار بالاعتداء الذي حصل عليها، وأنها لا زالت تحلم بالكوابيس وتعجز عن نسيان هذا الاعتداء»[4].

وقد تحدثت إحدى ضحايا البوسنة، دينا. ف، عن موقفها المتناقض

---

(1) سورة البقرة، الآية 233.

(2) جاد الحق علي جاد الحق، بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة، الأزهر الشريف، القاهرة. مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج3، ص178.

(3) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الرضاع، م.س، ج10، ص37.

(4) LEDRAY, LINDA, RECOVERING FROM RAPE, P: 54.

تجاه وليدها فقالت بعد أن وضعت طفلها الذكر: « مكثت في المستشفى سبعة أيام عندما وضعت طفلاً ذكراً ... لقد سمعت بكاءه ... لكني لم أنظر إليه، شعرت أنني أريد أن أقوم بخنقه ...

ـ والآن كيف تشعرين تجاهه؟

ـ أنا مسرورة لأنه بقي على قيد الحياة، ليكن كذلك.

ـ هل أرضعته؟

ـ ما أردت، لقد كان شاهداً حياً على كل الألم والعذاب الذي تعرضت له، كنت اعتقد أن ذلك هو الصواب والآن لا اعرف، اعتقد أنه سيخفف عني كثيراً لو كان معي بجانبي، لقد كان جرحي دامياً، كل الألم الذي أصابني انغرس في أعماقي، سوف أبحث عنه عندما يأتي الوقت المناسب، سوف يأتي.

ـ وهل تعرفين أين الطفل الآن؟

ـ كتبت لي إحدى صديقاتي بعد سؤالي عنه أن إحدى العائلات تبنته، أجبتها ورجوتها أن تكتب لي عنوان وإسم تلك العائلة.

ـ هل كان لك رغبة في تسميته؟

ـ هذا آخر ما كنت أفكر به، كان همي هو أن أتخلص منه أو أتخلص من نفسي، والآن أحب لو سميته محمد ... فقط محمد ...

وأخيراً تقول دينا: يوماً ما سأجده، وسأحدثه بكل شيء وأربيه أفضل تربية ليكون مجاهداً»[1].

ـ 2 ـ مشكلة أطفال الاغتصاب في البوسنة

استغل كثير من المجرمين الظرف المأساوي التي مرت به النساء البوسنيات وعرضوا عليهن شراء أولادهن، وبعض هؤلاء كان يهدف من وراء هذا العمل الى تربية أطفال البوسنة تربية دينية مسيحية، وإبعادهم عن

(1) مجلة الأمان اللبنانية، العدد 135، تاريخ 16/ 12/ 1994، ص25.

المحيط الإسلامي الذي يمكن أن ينشؤوا عليه في حال بقاءهم مع أمهاتهم، كما عرضت كثير من الدول خدماتها الاجتماعية للهدف نفسه، ومن هذه الدول ألمانيا التي «عرضت تقديم جوازات سفر لكل أم تلد مع طفلها يمكن أن تتحرك به وأن تتمتع بالرعاية في المؤسسات الألمانية، وإنكلترا عرضت تقديم مجموعات عمل لرعاية الأمهات والأطفال، تضم كل مجموعة طبيباً نفسياً وراهباً، وهناك مؤسسات خيرية، «تبشيرية في الواقع»، عرضت شراء كل أولئك الأطفال لرعايتهم ...»[1].

وقد استدعى الأمر تدخل اللجان المحلية عند السلطات البوسنية، فعقدت لجنة الإغاثة في زغرب إتفاقاً مع الحكومة تمّ لها بموجبه حصر حق رعاية هؤلاء الأطفال الذين بلغ عددهم العشرة آلاف.

وقد أدى وجود هذا العدد الهائل منَ الأطفال إلى بروز قضية ضخمة تستوجب إيجاد صيغة مناسبة للتكيف مع هذا الوضع القائم الذي نشأ عنه عدة قضايا منها «رعاية الأطفال أولاً، ثم محاولة الجمع بينهم وبين أمهاتهم ثانياً، وتطبيع العلاقات بين الاثنين وبين المجتمع ثالثاً، ذلك بالنسبة لغير المتزوجات، أما السيدات اللاتي كن متزوجات وتعرضن للجريمة ذاتها، فَوَضْعُ الأزواج في هذه الحالة، فضلاً عن الزوجات يمثل مشكلة إضافية تحتاج بدورها إلى حل»[2].

ومن الحلول المقترحة من عدد من العلماء هو ما حث عليه الدكتور يوسف القرضاوي «الشباب المسلم على الزواج من ضحايا هذه الأعمال الإجرامية تكريماً لهن واحتراماً لتضحياتهن»[3]ففي ظل هذا الزواج يمكن أن يعيش الطفل في ظل أسرة مسلمة، وإن كان الطفل لا ينسب إلى الزوج لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ

(1) مجلة الشراع اللبنانية، العدد579، تاريخ 31/ 5/ 1993، ص52، عنوان المقال: «النساء البوسنيات يرفضن «اطفال العار» والجمعيات التبشيرية تشتريهم».

(2) مجلة الشراع اللبنانية، العدد 579، تاريخ 31/ 5/ 1993، م. س، ص52.

(3) مجلة العالم البريطانية، العدد515، شباط 1994، ص24.

مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

كما أفتى الشيخ عبد الله الشعار أمين سر دار الفتوى في لبنان بما يلي: «ينبغي وضع هؤلاء الأولاد في رعاية أسر مسلمة تقوم على رعايتهم وتنشئتهم دون تبنيهم لأن التبني في الإسلام حرام، ويُشترط في من يرعى مثل هؤلاء أن يكون بدرجة أساسية مسلماً بالغاً عاقلاً رشيداً حراً أميناً قوياً وقادراً على الحفظ وخبيراً بتربية الأطفال. وهذه الشروط تنطبق على الجمعيات الإسلامية، وهذا حق شرعي لهؤلاء الأطفال أن ترعاهم جهات إسلامية، والمعلوم أن الطفل، ولو كانت أمه مغتصَبة من قبل غير مسلم فهو يعتبر مسلماً شرعاً، ذلك لأن الطفل شرعاً يتبع أعلى الأبوين نسباً»[2].

والنسب المقصود هنا النسب الديني.

ـ 3 ـ آثار ولد الاغتصاب على المجتمع

يسمى الولد لقيطاً إذا كان مجهول الأب والأم، والطفل الناتج عن الاغتصاب قد يسمى لقيطاً في حال تخلت أمه عنه ولم تعترف بوجوده، وتشير الأبحاث التي أجريت في دور الأيتا م اللبنانية عن وجود كثير من حالات لقطاء خلال الحرب اللبنانية تركهم ذووهم لأنهم كانوا ثمرة علاقات بين المقاتلين وبعض النسوة[3].

وتتنوع مشاعر الطفل اللقيط بين «الحقد والكراهية تجاه المجتمع بشكل عام ودور الرعاية بشكل خاص نتيجة شعوره بأنه لم يحظ بالاهتمام الكافي خلال حياته من قبلهم، وشعوره بأنهم يعاملونه بحذر وتَرَفُّع مع

(1) سورة الأحزاب، الآيتان 4 ـ 5.

(2) مجلة الموقف اللبنانية، نيسان 93 ،عدد93، م. س، ص 9.

(3) قرقوتي، حنان، اللقيط في الاسلام، مؤسسة السنين، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ .، 1995م .، ص11.

تحسيسه بأنه منبوذ من قِبَلِهم ومفروض وجوده عليهم على الرغم من أن هذا الوجود يتم دون رغبة منه»[1].

أما طفل الاغتصاب الذي يتربى مع أمه فإنه يعاني إضافة إلى إحساسه بالكره للمجتمع الرغبة في الانتقام ممن تسبب لأمه بالأذى، وهدم حياته وحياتها، كما انه قد يعاني من الهمز واللمز اللذان لا يزولان مع الزمن حتى ولو اصبح رجلاً صالحاً.

ويعاني الطفل اللقيط من نبذ المجتمع له ورفضه لوجوده ورفضه الاندماج مع أبناءه، فيكون اللقيط من صِغَرِه معرضاً في أي لحظة لأن يسمع كلمة: «ابن زنا»، وعند الكبر يصبح اكثر تعرضاً لهذا الوضع خاصة إذا أراد أن يتقدم لأية وظيفة، أو أراد الزواج وبناء أسرة، ومما يساهم في تحطيم حياة اللقيط عبارة: «مولود غير شرعي»، إذ إنه لا يزال «لليوم يُطلق على المولود اللقيط إسم ثلاثي مركب شائع التداول بين الناس غير منسوب لعائلة معروفة، ويُعطى اللقيط على أساسه هوية وسجل نفوس مع استمرار ذكر عبارة «مولود غير شرعي» على الهوية»[2].

المبحث الثالث

الطلاق

يشكل الخوف من الطلاق سبباً رئيساً في عدم إبلاغ كثير من الضحايا عن تعرضهن للاغتصاب. كما أنه في كثير من الأحيان، وخاصة في اغتصاب الحروب، يهدف الاغتصاب إلى تدمير المجتمع بشكل عام، إذ أن الاغتصاب في زمن الحرب لا يهدف إلى تدمير امرأة معينة كما في الاغتصاب العادي، بل يهدف إلى تدمير الأسرة بكاملها، ابتداء بوالد الفتاة الذي يشعر بالعار والذل، وانتقالاً إلى الزوج الذي يعجز عن تقبل الوضع الجديد الذي فرض عليه، مما يؤدي إلى الطلاق.

وهذا الطلاق قد يحدث رغم محاولة الزوجين استعادة الحياة

---

(1) قرقوتي، حنان، اللقيط في الاسلام، م.س، ص83.

(2) قرقوتي، حنان، اللقيط في الاسلام، م.س، ص66.

الزوجية، وقد ورد في الباب الأول قصة المرأة اليهودية التي لم يكتف الألمان «باغتصابها بل طبعوا على ذراعها «مومس أتباع هتلر»، وبعد انتهاء الحرب بحثت المرأة عن زوجها وعندما وجدته وحاولا استعادة حياتهما الزوجية السابقة عجزا عن ذلك بسبب وجود هذا الوشم الذي كان موجودا بينهما ليذكرهما بالماضي»[1].

وهذا الأمر حدث أيضاً في الصومال عندما حاولت كثير من النساء الهرب من جحيم الحرب، فوقعوا في مخازي الاغتصاب وقالت إحداهن (حبيبة): «انها صرخت بأعلى صوتها ولكن أحداً من الناس لم يجرؤ على التدخل لإنقاذها خوفاً من أفراد العصابات. وقد قام زوجها بطلاقها واخذ أطفالها الثلاثة منها إلا أن شيوخ القبيلة تدخلوا وأعادوا إليها أطفالها ... وقالت حبيبة أنها فقدت احترامها في المجتمع واضطرت إلى الارتحال إلى جزء آخر من معسكر اللاجئين»[2]..

هذا وتعتمد كثير من الحكومات إلى إيجاد حلول جذرية لمشكلة الطلاق بعد اغتصاب الحروب، وهذا ما حصل في بنغلادش إثر الحرب التي جرت بعد إعلان الاستقلال عن باكستان عام 1971 حيث كان من آثار الحرب التي نشبت بين باكستان الشرقية (بنغلادش) وباكستان الغربية أن حصلت كثير من حالات الاغتصاب مما دفع برئيس وزراء بنغلادش مجيب الرحمان الى الإعلان بأن ضحايا الاغتصاب هن أبطال وطنيون، وكان لهذا الإعلان اثره الفعال في تغلب كثير من المغتصبات على المحنة التي تعرضن لها وإعادة تأهيلهن في المجتمع، سواء بعودتهن إلى أزواجهن أوعن طريق إيجاد أزواج لهن[3].

ـ أ ـ أسباب الطلاق بعد الاغتصاب

أباح الله سبحانه وتعالى الطلاق بين الزوجين في حال اختلت العلاقة الزوجية بينهما، ومن الآيات القرآنية الواردة في إباحة الطلاق قوله تعالى:

---

(1) BROWNMILLER, SUZAN, LE VIOL P: 72.

(2) مجلة الداعي الهندية، العدد6، السنة 17، رجب شعبان 1414، يناير1994، ص43.

(3) BROWNMILLER ,SUZAN, LE VIOL, P: 104.

﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـٔٗا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

والطلاق في الشرع أربعة أقسام:

«حرام: وهو الطلاق البدعي[2]

المكروه: هو الطلاق الذي وقع لغير سبب مع استقامة الحال ...

المندوب: أن لا تكون المرأة عفيفة، أو يخافا ألا يقيما حدود الله أو نحو ذلك.

والمباح: يكون عند الحاجة إليه لسوء خُلُق المرأة وسوء عِشْرَتها والتضرر بها من غير حصول الغرض بها»[3].

وفي حالة الاغتصاب يستخدم الزوج حقه الشرعي في الطلاق باعتبار أن زوجته غير عفيفة، لأنه يضع اللوم عليها في حصول الجريمة، وذلك لعدة أسباب منها:

- 1 - خوفه من أن تكون الزوجة على معرفة سابقة بالمجرم وتحاول أن تخفي هذه المعرفة بالادعاء بالاغتصاب، فهو في مثل هذه الحالة يفقد ثقته بزوجته، ويصبح شَكَّاكا في تصرفاتها.

- 2 - شعوره بأن زوجته لم تقاوم المجرم مقاومة كافية، وكان يمكن أن تمنعه من الفعل لو أرادت، مما يدل على أنها شعرت بالمتعة في هذا الاغتصاب.

- 3 - نفوره من زوجته التي كانت له وحده وشاركه فيها غيره.

---

(1) سورة البقرة، الآية 229.

(2) البدعة: هي الفعلة المخالفة للسنة، سميت بدعة لأن قائلها ابتدعها من غير مقال إمام، انظر الجرجاني، التعريفات، م. س، ص62.

(3) عتر، نور الدين، أبغض الحلال، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة، 1405هـ.، 1985م.، ص43.

ـ 4 ـ هربه من نظرة الناس والمجتمع الذي يرفض دائماً فكرة كون المرأة رافضة للاغتصاب، مما يجعل الرجل في موقع الاتهام في حال إبقاءه على زوجته، فهو إما مؤيد لها في فعلها، وإما حام لها، أو ربما يُتَّهَم بأن فعل الاغتصاب من تدبيره، أو قد يكون دَيّوثا يرى المنكر في أهله ولا يغيره.

ـ ب ـ آثار الطلاق على المجتمع

ينتج عن الطلاق حالات تضر المرأة وأسرتها بشكل خاص كما تضر المجتمع بشكل عام، حيث تؤدي كثرة الطلاق إلى انحلال الرابطة الزوجية التي دعا الإسلام إلى المحافظة عليها من اجل بناء مجتمع فاضل.

ـ ج ـ آثار الطلاق على المرأة

تشعر المطلقة نتيجَة الاغتصاب بالاضطهاد الذي وقع عليها من زوجها الذي لم يقف معها في محنتها، مما يجعلها تشعر بالنفور والحقد على الرجال، وهذا الشعور وان كان مشتركاً بين المطلقات في كل الحالات فإنه في حالة الاغتصاب أقوى، وكثيرا ما «تحض المطلقة بناتها على النفور من الرجال بدعوى أنهم ذئاب كاسرة، فتصرفهن عن التفكير في الزواج»[1].

وتختلف تصرفات النساء بعد الطلاق، فقد يصبن بالانهيارات العصبية بسبب فقدانهن للأمان الذي كن يتمتعن به، وبسبب عدم قدرتهن على تقبل الوضع الجديد بعد الطلاق، وقد تسلك بعض النساء المطلقات طريقاً مختلفاً عن الطريق السابق، فيشعرن بأنهن ظُلِمن وبأنهن لن يُخلِصن لرجل واحد بعد اليوم «ويمارسن عادة إشباع جوعهن مع أي رجل ودون تحفظ»[2].

وبعض النساء قد ينفرن نفوراً تاماً من الرجال، فتفقد الواحدة منهن

---

(1) كيّال، باسمة، سيكولوجية المرأة، م. س، ص379.

(2) كيّال، باسمة، سيكولوجية المرأة، م. س، ص378.

الثقة بالرجل الذي ينظر إليها نظر مطلقها الذي يعتبرها مشاركة في الجريمة، وتعاني المطلقة المغتصَبة وغير المغتصَبة من سوء معاملة الرجال لها، فكثيراً ما تضطر إلى «صدّ كثير من الرجال ممن يقبلون عليها في إلحاح وصفاقة آملين إشباع حاجاتهم الجنسية عندها، لمجرد انهم يعلمون أنها قد أصبحت حرة لا تخضع لأي رجل»[1].

وإذا كانت المرأة المطلقة عامة تعاني من صفاقة الرجال فكيف يكون وضعها والحال أنها متهمة بالزنا والخيانة الزوجية؟

ـ د ـ آثار الطلاق على الأولاد

يواجه الطفل الذي طُلِّق أبواه مصاعب جمة، منها عدم قدرته على التكيف مع الوضع الجديد، والطفل الذي يطلق أبواه عادة يعاني من الإنطوائية والعزلة ويصبح أكثر عرضة للفشل في المستقبل، وتدل «الإحصاءات على أن تفكك الأسرة، وخاصة بما كان راجعاً إلى الطلاق، من أهم العوامل التي تؤدي إلى جنوح الأحداث، وهو مظهر متطرف من مظاهر سوء التكيف الاجتماعي...»[2].

وخطر جنوح الطفل الذي تتعرض أمه للاغتصاب أكبر من غيره من الأطفال لرغبته في الإنتقام ممن سبب لأمه الأذى وتسبب لأسرته بالتفكك، وقد يلعب الأهل هنا دوراً كبيراً في هذا الجنوح نتيجة الصراع الذي يعانيه الطفل بين أم تشكو له مصيبتها من جهة وبين أب يستمر في اتهام زوجته بالخيانة والزنا.

ـ هـ ـ آثار الطلاق على الرجل

يشعر الرجل المطلق في بعض الحالات بأنه حصل على الحرية فجأة، وأنه يستطيع إشباع حاجاته الجنسية بدون رقيب وحسيب، لذلك فانه «يلتجئ إلى أساليب منحرفة في الإشباع الجنسي، وكأنه مراهق صغير مع من يشاء من

---

(1) كيّال، باسمة، سيكولوجية المرأة، م. س، ص379.

(2) باحارث، عدنان حسن، الطلاق وخطره على الأطفال، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى 1414هـ، 1993م .، ص23.

النساء، الإغراء بالفتيات الصغيرات دون تحفظ، وكأنه ينصرف إلى حياة بوهيمية لا رادع فيها للدين والأخلاق والتقاليد ولا رادع من ضمير...»[1].

أما المطلق بسبب تعرض زوجته للاغتصاب، فإن إقباله على إغراء النساء أكبر، وذلك لكي يتخلص من الإحساس بالذنب لأنه طلق امرأته، ولإثبات نظريته انه لا تغتصب المرأة ضد إرادتها.

المبحث الرابع
قتل النفس

حرم الإسلام قتل النفس، واعتبر الفقهاء أن قتل النفس كبيرة من الكبائر التي لا عقاب لها في الآخرة إلا الخلود في النار، فجاء في القرآن الكريم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾[2].

وجاء في تفسير الآية:

«أي لا يقتل بعضكم أيها المسلمون بعضاً إلا بسبب أثبته الشرع، أو لا تقتلوا أنفسكم باقتراف المعاصي، أو المراد النهي عن أن يقتل الإنسان نفسه حقيقة، ولا مانع من حمل الآية على جميع هذه المعاني، ومما يدل على ذلك احتجاج عمرو بن العاص بها حين لم يغتسل بالماء حين أَجْنَبَ في غزاة ذات السلاسل، فقرّر النبيﷺ احتجاجه وهو في مسند أحمد وسنن أبي داود وغيرهما»[3].

وورد عن رسول اللهﷺ كان فيمن قبلكم رجل به جرح فجزع فأخذ سكيناً فحز بها يده فما رَقَأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه حَرَّمْتُ عليه الجنة[4].

---

(1) كيّال، باسمة، سيكولوجية المرأة، م. س، ص379.

(2) سورة النساء، الآية 29.

(3) الشوكاني، علي بن علي بن محمد، فتح القدير، م. س، ج1، ص512.

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، م. س، ج4، ص 146.

ـ أ ـ أسباب قتل النفس

يعمد الإنسان عادة إلى قتل نفسه والانتحار هرباً من الحياة وقسوتها ظناً منه أنه بذلك يضع حداً لآلامه، ويسبق الإنتحار عادة الإكتئاب «ويأتي الإكتئاب عادة بعد تَكَوُّنِ قناعة لدى الفرد بأنه لا يستطيع التكيّف مع مشكلات الحياة اليومية، والشعور المستمر بالعجز واليأس قد يؤدي إلى أفكار انتحارية كطريقة للهرب من موقف لا أمل فيه»[1].

ومن الأسباب التي تؤدي إلى الانتحار الإحساس بالذنب الذي يكون متأصلاً في نفس الإنسان نتيجة سوء تربية الأهل للأطفال وتوبيخهم «ومعاقبتهم، سواء جسمانياً أو معنوياً، على أخطائهم في التكيف أو التعليم أو السلوك، فهم يربطون بين أخطاء الطفل وعجزه عن إصلاح نفسه، أو يخبرونه أنه لو لم يكن اخطأ لما وقع له أو للآخرين هذه الحادثة ... وإذا استمر الوالدان في تأنيب الطفل مراراً وتكراراً فإن كل جوانب عقله إزاء الجريمة التي يفعلونها معه سوف تتأثر لا محالة بهذا التأنيب الذي يصل في حالات كثيرة إلى إحساس الطفل انه ما كان يجب له أن يولد أو يعيش، ويتكرر إحساسه هذا حتى تَعَرِّضُه ظروفه الاجتماعية لحادثة لا يستطيع فيها أن يتحمل شعور تأنيب الضمير القاسي فيقوم بالانتحار»[2].

ويلعب الأهل أيضاً دوراً آخر في دفع الضحية إلى الانتحار، وهو إهمالهم للتربية الدينية لأطفالهم، لأن مثل هذه الجريمة ما كان يمكن أن تحدث لو كان للضحية خلفية دينية مؤمنة، والإنتحار لا يمكن أن يتصور صدوره من إنسان لديه بقية من إيمان بالله سبحانه وتعالى، فمثل هذا الشخص فقد القدرة على أن يشعر ويحس أن الله قادر على تغيير الأحوال وإنقاذه من براثن الهم والحزن[3].

---

(1) شيفر، شارلز، ميلمان هواد، مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها، ترجمة نسيمة داود، منشورات الجامعة الأردنية، عمان . الأردن، الطبعة الأولى، 1989م.، ص169.

(2) عفيفي، عبد الحكيم، الاكتئاب والانتحار، الدار المصرية اللبنانية، بدون بلد النشر، الطبعة الأولى، 1410هـ .، 1990م.، ص142.

(3) عفيفي، عبد الحكيم، الاكتئاب والانتحار، م.س، ص190.

ومثل هذا الشخص جَهِلَ قوله تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[1].

ـ ب ـ اثر قتل النفس على المجتمع

يستدل من عملية قتل النفس بشكل عام وقتل النفس بسبب الاغتصاب بشكل خاص على أن هناك خللاً كبيراً يعاني منه المجتمع نتيجة عدم احتوائه للضحية وتقديم المعونة لها، بل كثيراً ما يتشدّد الناس في إلقاء اللوم عليها مما يدفعها إلى قتل نفسها للتخلص من ألسنتهم.

وتُعَرِّض الفتاة المغتصَبة التي تعمد إلى قتل نفسها نفسها وأهلها إلى مخاطر عديدة منها:

ـ 1 ـ خسرانها للدنيا والآخرة، وذلك لأن قتل النفس كما ورد سابقاً عمل غير مشروع، وهو معاقب عليه في الآخرة وصاحبه لا يدخل الجنة، لحديث رسول الله ﷺ السابق ولقوله ﷺ:

(من تردّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردّى فيها خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن تحسىّ سمّاً فقتل نفسه فسمّه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً، ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً)[2].

ـ 2 ـ احتمال فشل محاولة قتل النفس مع بقاء آثارها كالإصابات أو الكسور أو الأمراض التي لا شفاء منها.

ـ 3 ـ توجيه أصابع الاتهام لها ولأسرتها لانكشاف أسباب الانتحار، ولشك كثير من الناس في صحة تعرضها للاغتصاب وأنها قتلت نفسها غسلاً للعار، وهذا الأمر يؤذي أهلها وأطفالها في حال كانت متزوجة.

ـ 4 ـ إعطاء الفرصة للمغتصِب للفرار من العقاب على فعلته، لذهاب

---

(1) سورة الزمر، الآية 53.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الطب، م. س، ج7، ص32.

الدليل على جرمه، مما قد يجعله يعتدي على الفتيات الأخريات بسهولة ويسر.

ولا بد من الإشارة إلى أن انتشار قتل النفس إنما يدل على فقدان شريحة كبيرة من المجتمع للخشية من الله والإيمان باليوم الآخر لاعتقادهم أن في الموت نهاية لأحزانهم ومصائبهم، مع أن الواقع يشير إلى أنه إذا كان الموت في هذه الحياة هو راحة للمنتحر، فان عقوبة الانتحار في الحياة الآخرة هي الخلود في النار، والخالدون في النار يطلبون الموت ولا يجدونه لقول الله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[1].

المبحث الخامس
القتل

تنتج عن حالات الاغتصاب حالات قتل تقوم بها الضحية أو يقوم بها أهلها انتقاماً لها ودفاعاً عن الشرف، وقد اتفق الفقهاء وشراح القانون في حكم القاتل في مثل هذه الحالة.

- أ - حكم القتل في الفقه الإسلامي

اعتبر الفقهاء المسلمون أنه لا عقاب على القاتل في حال قتل الزاني بامرأته في حال كان معه بيِّنة على ذلك، فإذا «ادّعى رجل أنه وجد مع امرأته رجلاً أو أنه قتله دفاعاً عن نفسه أو أنه دخل منزله يكابره على ماله فلم يقدر على دفعه إلا بقتله لم يقبل قوله إلا ببيّنة ولزمه القصاص، وبه قال الشافعي ...»[2].

ومن الأمثلة على وجوب اشتراط البيّنة في مثل هذه الحالة ما روي

---

(1) سورة فاطر، الآية 36.

(2) ابن رشد، القرطبي، بداية المجتهد ونهاية المقتصد ،، مطبعة الإستقامة، مصر، بدون رقم الطبعة، 1371هـ .، 1952م.، ج9، ص336. وانظر ايضا ابن فرحون، تبصرة الحكام، م. س، ج2، ص185.

«عن عمر رضي الله عنه أنه كان يوماً يتغذى إذ جاءه رجل يعدو وفي يده سيف ملطخ بالدم ووراءه قوم يعدون خلفه، فجاء حتى جلس مع عمر. فجاء الآخرون فقالوا: يا أمير المؤمنين إن هذا قتل صاحبنا، فقال له عمر: ما يقولون؟ فقال: يا أمير المؤمنين إني ضربت فخذي امرأتي فإن كان بينهما أحد فقد قتلته، فقال عمر: ما يقول؟ قالوا: يا أمير المؤمنين إنه ضرب بالسيف فوقع في وسط الرجل وفخذي المرأة، فأخذ سيفه فهزه ثم دفعه إليه وقال: إن عادوا فعد»[1].

إلا أن الإسلام لم يبح للرجل المبادرة بقتل الرجل الذي يغتصب امرأته إلا في حال امتنعت عليه كل الطرق الدفاعية الأخرى ولذلك «اتفق الفقهاء على أن الرجل إذا هجم عليه رجل يريد أخذ ماله، أو قتله في مِصر فيه غَوْث، أو كان في صحراء لا غوث فيها، أو أريد هتك حريمه في واحد منهما، فالاختيار له، أن يكلم المجرم الذي يريده ويستغيث بالمسلمين أو الجند، فإن مُنِع أو امتنع وتركه ورجع عنه لم يكن له قتاله وإن أبى أن يمتنع وهجم عليه يطلب ماله، أو يريد قتله، أو قتل بعض أهله، أو الدخول على حريمه، زوج، أو بنت، أو أخت، أو أم، أو إحدى المحارم، أو خادمة، أو أمة، أو صبي، أو قتل اللص الحامية التي في خارج الدار حتى يتمكن من الدخول على النساء لارتكاب الفاحشة أو اغتصاب إحداهن كرهاً فيجب على رب الأسرة أن يدافع عنها بكل ما أوتي من قوة وسلاح، فإذا لم يستطع رده إلا بالضرب باليد أو العصا أو بالسلاح أو غيره فله ضربه في هذه الحالة، ولكن ليس له تعمد قتله في أول وهلة، بل يضربه من غير مقتل، فإن ضربه دفاعاً عن نفسه، أو ماله، أو عرضه، ومات المعتدي، فلا عَقْل عليه ولا قَوْد ولا دية ولا كفارة ولا إثم يوم القيامة ولا تعزير من الحاكم، ويكون دمه هدراً، وإن قُتِل الرجل المدافع بسلاح اللص الظالم فهو شهيد، وله أجر المجاهد في سبيل الله ﷻ»[2].

---

(1) ابن رشد، بداية المجتهد، م. س، ج9، ص 339.

(2) الجزيري، عبد الرحمن، كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، 5دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، بدون رقم الطبعة، 1410هـ، 1990م.، ج5، ص64.

وروي عن رسول اللهﷺ أنه قال:

(من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، ومن قُتِل دون دينه فهو شهيد، ومن قُتِل دون دمه فهو شهيد، ومن قُتِل دون أهله فهو شهيد)[1].

- ب - حكم القتل في القانون

ورد في القانون أن القاتل يعفى من العقاب إذا ارتكب جريمة القتل من قبيل الدفاع عن النفس في حال ارتكب «الفعل المُقتَرَف عند دفع شخص دخل أو حاول الدخول ليلاً إلى منزل أهل أو إلى ملحقاته الملاصقة بتسلق السياجات أو الجدران أو المداخل أو ثقبها أو كسرها أو باستعمال مفاتيح مقلدة أو أدوات خاصة»[2].

- ج - نماذج عن حالات القتل

تكثر قصص القتل الناتجة عن انتقام الضحية أو ذويها ممن تسبب لها بالأذى، ومن الأمثلة عن انتقام الضحية ما أوردته جريدة النهار عن رجل «غرر بقاصر في صالة سينما أعطاه مالاً واعتدى عليه، وكان القاصر يومذاك في الثالثة عشرة، وظل يعاشره طوال أربعة أعوام حتى أخذ الحقد والكره مكانه في قلب هذا القاصر بعدما أضحى شاباً، فصمم على قتل من افترسه وأقام معه علاقات شاذة غسلاً للعار. واشترى الشاب مسدساً، وحضر من محلة الدورة في المتن الشمالي إلى غرفة «عاشقه» السابق في شارع الحمراء في بيروت وعاجله بطلق ناري في رأسه وهرب، لكن أمره افتضح وقبض عليه واعترف بما اقدم عليه مع المغرر به الذي اسقط حقوقه الشخصية عنه»[3].

وقتل المجرم لا يقتصر على الضحية الرجل، فإن النساء أيضا يقتلن المجرم الذي يعتدي عليهن فقد ورد في جريدة الحياة «أنه عام 1993 صدر

---

(1) ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، كتاب الديات، م. س، ج6، ص191.

(2) قانون العقوبات، المادة 563.

(3) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19005، تاريخ 8 /12/ 1994، ص 8.

كلية الإمام/ دراسي

الحكم بالسجن المؤبد على فتاتين قتلتا فتى في السادسة عشرة، لأنه عاكسهما في الطريق»[1].

وقتل المجرم قد يحصل في بعض الحالات من أهل الضحية وأقاربها، بغية الانتقام من جهة، ولعدم ثقتهم بالقضاء المختص فقد «أطلقت أم روسية النار على المتهم باغتصاب ابنتها الوحيدة وقتلها في 1996، داخل قاعة المحكمة في بيتروبافلوسك ـ كامتشاتكا في أقصى الشرق الروسي ولم تصبه سوى بجروح طفيفة.

واوضحت وكالة الأنباء الروسية «انترفاكس» ان الأم التي أرادت الإنتقام لإبنتها أخرجت مسدساً كانت أخفته تحت شالها عندما دعاها القاضي إلى المنصة للإدلاء بشهادتها ثم أطلقت النار على الجاني المفترض. عندئذٍ أسرع رجال الشرطة في المكان وأوقفوها. ووضعت بعد ذلك قيد الإعتقال»[2].

والإنتقام من قبل الأهل والأقارب قد يطال في كثير من الأحيان الآباء أو الإخوة الذين يعتدون على محارمهم، من الأمثلة عن هذه الجرائم ما قام به المتهم كلود. ق. الذي عاد يوماً إلى منزله «فسمع صراخ أخته القاصر كلير (14 عاما) طالبة النجدة، فهرع محاولاً فتح الباب بالمفتاح ولكن من دون جدوى إذ تبين أن والده سامي أوصده من الداخل، فتسلق الحائط وتسلل من النافذة إلى داخل المنزل حيث شاهد والده يفترس ابنته كلير مهدداً إياها بسكين إذا واصلت صراخها، وأنذر كلود والده داعياً إياه إلى ترك أخته إلا أن الوالد ردّ مهدداً الابن بالسكين، فما كان من كلود إلا أن شهر مسدسه وعاجله بإطلاق النار عليه مما أدى إلى مقتله بينما هربت كلير بعد إصابتها بنوبة هستيرية»[3].

ومن الأمثلة الأخرى قتل أخ لأخيه لتحرشه بأخته، فقد «وضع مفوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية نصري لحود يده على التحقيق في

---

(1) جريدة الحياة البريطانية، العدد 12137، تاريخ19/ 5/ 1996، ص1.

(2) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19729، تاريخ 29/ 4/ 1997، الصفحة الأخيرة.

(3) جريدة النهار اللبنانية، العدد 18545، تاريخ 5/ 6/ 1993، ص5.

الجريمة، وتبين أن الأخوين عبد الله واحمد كانا على خلاف بسبب أمور مالية وراثية، إلى أن اتصل بأحمد، عبر والدته بدرية، إن شقيقه العريف عبد الله يتحرش بأخته علا (19 عاما)، فازداد حقده على شقيقه، وصمم على قتله بأية طريقة، فاشترى بادئ الأمر مسدساً لتنفيذ الجريمة، وما لبث أن صرف النظر عن قتله بالرصاص ... وقرر قتله بواسطة مدقة الكبة ... وانتظره قبل أسبوع حتى نام فتناول من المطبخ المدقة وتوجه إلى الغرفة حيث يضطجع شقيقه وعاجله بالمدقة على رأسه بعدد من الضربات القوية فسحقه، وحمل الجثة إلى قرب مكب النفايات في بستان برتقال»[1].

وبغض النظر عن صدق الإدعاءات التي يحاول المجرم من خلالها الحصول على الأعذار المخففة فان الإعلان عن القتل بسبب الإنتقام من جرائم الاغتصاب يمكن إستنباط عدة إستنتاجات منه، ومن هذه الإستنتاجات:

ـ 1 ـ تفاقم خطر هذه الجريمة، إذ أن الجرائد تحفل يومياً بحالات قتل قامت بها الضحية أو من يعرفها انتقاماً للضحية ودفاعاً عن الشرف.

ـ 2 ـ عدم ثقة الناس بالقانون وبقدرة المسئولين على الإنتقام لما أصابهم من أذى، لذلك فهم يحققون العدالة بأنفسهم.

ـ 3 ـ عدم ثقة الناس بنتائج المحاكمة في حال حصلت، إذ أن قيامهم بالقتل انتقاماً لما أصابهم يعتبر دليلاً على أنهم لا يجدون بديلاً عن عقاب الموت لجريمة كجريمة الاغتصاب.

ـ د ـ آ ثار القتل على المجتمع

تنتج عن القتل بسبب الاغتصاب آثار اجتماعية عديدة منها:

ـ 1 ـ تعريض الفتاة نفسها لخطر الإعدام أو السجن، فبعد أن كانت ضحية أصبحت هي المجرم، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أهلها إذا قاموا بالفعل.

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19300، تاريخ 29/ 11/ 95، ص9.

ـ 2 ـ التسبب بالأذى لأهل الفتاة والمحيطين بها نتيجة انتشار الخبر والإعلان عنه، والأذى قد يكون بالغمز واللمز، أو قد يكون عن طريق التشهير بسمعة الفتاة والقول بأن القتل جاء نتيجة دفاع عن شرف الفتاة الذي أذهبته بعملية زنا.

ـ 3 ـ إنجراف الأهل في بعض الحالات وراء جريمة قتل مخططة، فقد تكون الفتاة قد دخلت في علاقة زنا بأحد الأشخاص، ولما تركها لسبب من الأسباب عمدت إلى الادعاء بأنه اغتصبها، ووجدت الفتاة أن افضل حل للتخلص من شريكها هو الإدعاء بالاغتصاب.

ـ 4 ـ التجاوز في حدود العقاب، إذ إنه في كثير من الحالات تلعب الضحية دوراً مشاركاً في الجريمة عبر تشجيعها للمجرم، إما بطريقة ارتدائها للثياب المثيرة وإما بطريقة تصرفاتها المشجعة على الفعل.

المبحث السادس
البِغَاء

يعتبر انتشار البِغَاء ظاهرة لا تخلو منها المجتمعات منذ بدء التاريخ، وقد شَرَّعَت القوانين البغاء بغية ضبطه وإحكام السيطرة على العاملين فيه من جهة والمحافظة على الصحة العامة من جهة أخرى.

ويعود السبب في سن التشريعات المؤيدة للبغاء إلى كثرة الأصوات الداعية إلى حماية هذه المهنة وإعطائها الصفة القانونية، ومن هذه الأصوات أصوات القساوسة ورجال الدين الذين أعلنوا تأييدهم لهذا العمل، ومن هؤلاء «اوغسطين الذي قال: إن البغايا تدفعن الشرور عن المجتمع، وإن يضطجع الرجل مع مومس لخير له وللمجتمع عن أن يغتصب فتاة شريفة، وشبّه البغايا كنربيج تصريف المياه الثقيلة في دورات المياه في القصور، سُدّ النرابيج تلك وسترى إن روائح خبيثة تتفشى وتسمّم أجواء القصر ويقال إن الأب اوغسطين نفسه كان يتردد على المباغي وكان يحتفظ بواحدة لنفسه»[1].

(1) الخياط، سلام، البغاء عبر العصور، م. س، ص80 ـ 81.

وهذا الإعتقاد، بأن البغي تحافظ على المجتمع من الشرور، تحاول كثير من البغايا التمسك به معتبرات أنهن يقمن «بوظيفة اجتماعية، إذ بتلبيتهن الحاجات الجنسية لدى بعض الرجال يحلن دون وقوع حوادث اغتصاب وشذوذ جنسي ويحمين الرابطة الزوجية من الإنفصال»[1].

وقد تناسى المدافعون عن هذه المهنة أنها لا تقدم مجاناً، بل هي تتطلب المال الذي يعجز كثير من الرجال عن دفعه، مما يجعلهم في بعض الأحيان يبتعدون عن البغايا المُكَلّفات، ويعتدون على النساء المجّانيّات.

ـ أ ـ عوامل احتراف البغاء

عرّف البغاء بأنه «ذلك الفعل الذي تقدم فيه الأنثى نفسها للاتصال الجنسي مع الذكور بدون التمييز وبقصد الحصول على المال»[2].

لا تختلف أسباب احتراف البغاء عن أسباب ارتكاب الجرائم بشكل عام، وقد حصرها العلماء بأربعة إتجاهات: الإتجاه البيولوجي، الإتجاه النفسي، الإتجاه الاجتماعي، والإتجاه التكاملي.

ـ 1 ـ الإتجاه البيولوجي: يذهب أصحاب الإتجاه البيولوجي في تفسير البغاء إلى أن البغي قد أُهِّلَت في الواقع سلفاً لهذا المستقبل الانحرافي عن طريق تكوين بيولوجي خاص يميزها عن غيرها، وما الأحوال الاقتصادية أو الثقافية إلا مجرد مثيرات أو تنبيهات لهذا الاستعداد أو الميل التكويني الكامل ...

ـ 2 ـ الاتجاه النفسي: يذهب علماء النفس إلى أن ظاهرة البغاء أعمق وأشمل من أن تفسر على أساس عضوي أو اجتماعي، ويرون أن احتراف البغاء يرجع إلى قصور في التكوين النفسي للأنثى، أو إلى خلل يعتري العمليات العقلية لديها، أو إلى عدم الاتزان الانفعالي والصراع النفسي عندها، و يرى فريق من النفسيين أنه لا يمكن تقدير العوامل النفسية

---

(1) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، ج1، م. س، ص475.

(2) الساعاتي، سامية، الجريمة والمجتمع، م. س، ص167.

التي يمكن أن تكون مسئولة عن احتراف مجموعة معينة من الإناث لمهنة البغاء إذ لكل حالة فردية ظروفها واستعداداتها التي تتفاعل بعضها مع بعض فتؤدي إلى سلوك سوي أو غير سوي.

ـ 3 ـ الاتجاه الاجتماعي: يرى كثير من الباحثين أن للعوامل الاجتماعية أكبر الأثر في تهيئة الظروف التي تدفع بالأنثى إلى احتراف البغاء، وتنحصر أهم العوامل الاجتماعية فيما يلي:

«(أ) تفكك الأسرة وضعف الرقابة على صغارها.

(ب) سوء التنشئة الاجتماعية.

(ج) فساد الضحية.

(د) فساد البيئة الاجتماعية المباشرة كالحي والجيران.

(هـ) اختلاط المعايير والقيم السائدة وفسادها، وتجسد ذلك في أمثلة من نساء فاسدات.

(و) ظروف الحياة الحضرية والصناعية المعقدة الجافة التي تسودها الفردية والانطوائية.

(ز) الظروف الملحة الناجمة عن الفقر والحرب.

(ح) الغواية المقصودة لإيجاد مورد مستديم لإشباع الطلب القائم من قبل الذكور على البغايا»[1].

ولا بد هنا من الإشارة إلى نقطتين هامتين لهما اثر اكبر من غيرهما في انتشار البغاء وهما الفقر والإغواء والتحريض.

ـ أ ـ الفقر: تؤكد غالبية الأبحاث القديمة والحديثة أن الفقر يعتبر السبب الأول وراء احتراف البغايا لهذه المهنة، ومن هذه الابحاث القديمة بحث أجري في «فرنسا عام 1857» من قبل عائلة دوشاليه «Parent Duchalet» شمل 5000 بغي، فتبين أن 1441 منهن كن متأثرات بالفقر،

(1) الساعاتي، سامية، الجريمة والمجتمع، م. س، ص196 ـ 198.

وان 1425 تمّ استغلالهن وتُرِكْنَ، وان 1255 تركن بدون مورد من أهلهن، والإحصاءات الحديثة تؤكد نتائج متقاربة»[1].

والتأثر بالفقر لا يعني عدم قيام هؤلاء الفتيات بأي عمل، لأن غالبيتهن يعملن ويجنين الأموال وإن كانت قليلة، لذلك يسعين عن طريق البغاء إلى زيادة كسبهن، وأكثر المهن التي تؤدي إلى البغاء هي مهنة الخياطة والخدمة في المنازل، وقد «ذكر بعض الباحثين أن تعاطي مهنة الخياطة، لا سيما في بيوت الأزياء الكبرى، من قبل الفتيات الحديثات العهد بالحياة الاجتماعية يعرضهن للانحراف، إذ أن اغلب هؤلاء الفتيات يأتين من مستويات اجتماعية وضيعة فتنبهرن بمظاهر الثراء التي ترافق حياة زبائن المحلات حيث يعملن، فيتولد لديهن شعور بالغيرة وحب التقليد ويصلن إلى تحقيق رغباتهن بسلوك طريق الإنحراف، سواء بقبول الدعوات الخاصة من الرجال الأثرياء لقاء مبالغ من المال أو انخراطهن ضمن شبكات الرقيق الأبيض أو التهريب أو بيع المخدرات سراً»[2].

أما فيما يخص الخادمات فقد ورد في الباب الثالث ذكر أسباب استغلال الرجل للخادمة واعتداءه عليها، وقد دلّت الأبحاث التي أجريت في القاهرة عام 1961 على «434 بغي أن نصفهن كن يعملن في الخدمة المنزلية»[3].

- ب - الإغواء والتحريض: تعرضت كثير من البغايا في بداية احترافهن لهذه المهنة إلى الإغواء والتحريض، وهذا التحريض قد يكون من المقربين من الضحية أو من الغرباء، وفي الدراسة التي حصلت في القاهرة عام 1961 حول كيفية بدء ممارسة البغاء تبين ما يلي:

---

(1) DE BEAUVOIR, SIMON, LE DEUXIEME SEXE, TOME 2, P: 381.

(2) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م. س، ج1، ص571.

(3) مسح اجتماعي، البغاء في القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، القاهرة مصر، بدون رقم الطبعة، 1961م.، ص51.

	عدد البغايا	النسبة المئوية
تحريض الزميلات	232	%53,5
تحريض مستغلين	109	%25,1
تحريض الأزواج	23	%5,3
تحريض أقارب	6	%1,4
تحريض آخرين	4	%0,9
بدون تحريض	60	%13,8
	434	100%[1]

هنالك أيضاً دوافع أخرى تدفع إلى ساحة البغاء، وهي الدوافع التي ورد ذكرها في الباب الثالث مثل «الدوافع السياسية أو الابتزازية أو التجنيد من قبل جهة إقتصادية أو مخابراتية لجمع المعلومات عن رجال الإدارة أو الزبائن أو الحصول على أرقام الأرصدة أو مجالات العمل الأخرى»[2].

ـ 4 ـ الاتجاه التكاملي

لم يحصر أصحاب هذا الاتجاه العوامل المؤدية إلى احتراف البغاء بعوامل محددة، بل جعلوا الأمر يرجع إلى عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية، «وخير طريقة لفهم سلوك البغي هو تحليل شخصيتها تحليلاً يقوم على الاعتراف بأهمية الجماعات الأولية وشبه الأولية ذات الأثر الفعال في تطبيعها، وبأهمية بناء المجتمع الذي تتم فيه هذه العملية، وعلى الاعتراف أيضاً بأثر العوامل الذاتية التي يمكن أن تُعَدَّ سُداة الشخصية، أما العوامل الأخرى فتُعَدُّ لُحْمَتها»[3].

ولا بد في النهاية من الإشارة إلى أن وجود هذه العوامل لا يؤدي بالضرورة إلى إحتراف البغاء، بدليل «وجود إناث توفرت فيهن العوامل

(1) مسح اجتماعي، البغاء في القاهرة، م. س، ص52.
(2) خيّاط سلام، البغاء عبر العصور، م. س، ص37.
(3) الساعاتي، سامية، الجريمة والمجتمع، م. س، ص198.

المتداخلة في احتراف البغاء، كلها أو بعضها، ولكنهن لم يحترفنه، وذلك راجع إلى العبرة بتفاعل هذه العوامل لا بوجودها»[1].

- ب - الاغتصاب والبغاء

ربط بعض الباحثين بين أسباب احتراف البغاء وبين التعرض للاغتصاب، «فقال سنجر في كتابه الجامع لتاريخ البغاء: إنه من بين ألفي بغي اعترفت 525 منهن بأن العوز والفاقة هما السبب في احترافهن البغاء وقالت 258 منهن إنهن اغتصبن ثم هجرن»[2].

وقد دفعت هذه النتائج إلى الإهتمام بظاهرة اغتصاب الفتيات ومحاولة معالجة آثارها منعاً لاحتراف عديد من المغتصَبات لمهنة البغاء، إذ «تبين أن التعرض للاختطاف أو الاغتصاب أو التورط في علاقة عاطفية عميقة يؤدي بالكثير من النساء إلى احتراف البغاء، مما يوجب أخذ بلاغات النساء عن تعرضهن لهذه الأعمال بجدية بالغة، كما يوجب اهتمام الأسرة بعلاقات بناتها خاصة علاقاتهن بالجنس الآخر»[3].

وقد يستخدم بعض المستغِلين الاغتصاب كوسيلة لجرّ الفتاة إلى البغاء، فقد قالت إحدى القَوَّادات أنها تصطاد الفتيات من أمام مدارس البنات الإعدادية، وأحد الأساليب التي تستخدمها هذه القوادة تتمثل في خداع الضحية وإيهامها بأنها تستطيع أن تساعدها في إيجاد عمل يؤمن لها كثيراً من المال، وتقنعها بأن العمل في البيوت هو السبيل لجني المال، فتقتنع الفتاة وتهرب من مدرستها وتلتحق بالعمل عند القوادة كخادمة، ثم ما تلبث أن تتحول تحت تأثير الإغراءات المادية أو تحت تأثير الضغط والإجبار أو تحت تأثير المخدرات إلى بغي خاصة، وفي بعض الأحيان تستعمل القوادة الاغتصاب وسيلة لإجبار الفتاة إلى سلوك هذا الطريق،

---

(1) الساعاتي، سامية، الجريمة والمجتمع، م. س، ص194.

(2) كحالة، عمر رضا، الزنا ومكافحته، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان، الطبعة الثالثة، 1402هـ.، 1982م.، ص204.

(3) غانم، عبد الله عبد الغني، البغايا والبغاء، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية - مصر، بدون رقم الطبعة، 1990م.، ص38.

حيث تدفع أحد أتباعها إلى اغتصاب الفتاة لإجبارها على تنفيذ أوامر القوادة[1].

- ج - اغتصاب البغي

يظن بعض الناس أن البغي أقل النساء عرضة للاغتصاب لأنها تقدم للرجل ما يريده دون مقاومة ورفض، إلا أن الواقع يشير إلى أنه كثيراً ما تتعرض البغي للاختطاف والاغتصاب، إما بسبب ضيق يد العميل وعجزه عن دفع اجرة البغي، وإما بسبب النزعة السادية التي يتمتع بها كثير من العملاء، والخوف من الاغتصاب هو الذي يدفع بكثير من البغايا إلى الإحتماء بأحد القوادين.

ولا بد هنا من التذكير بأن بعض حوادث الاغتصاب التي تصل إلى الشرطة قد تكون حالات بغاء تحولت إلى اغتصاب، ومن هذه الحوادث حادثة روكسي الشهيرة عام 1981 في القاهرة والتي كانت «ضحيتها فتاة اختطفها ثلاثة من الشباب تحت تهديد المطاوي أثناء سيرها مع خطيبها في ميدان روكسي، وذهب بها هؤلاء الشباب إلى سطح إحدى العمارات حيث قاموا باغتصابها هناك، وأثناء هروبها رأتها مجموعة أخرى من الشباب يزيد عددهم عن العشرين شاباً فأخذوا الفتاة إلى شقة أحدهم وهناك قاموا جميعاً بالاعتداء عليها.

وكان من الممكن أن تنتهي الحكاية عند هذا الحد .. لولا صحفية مجتهدة وعنيدة بمجلة صباح الخير إسمها منى سراج لم يسترح ضميرها لمثل تلك الحكاية، فذهبت بضمير الصحفية ومشاعر الإنسانية تفتش عن الحقيقة .. وكانت الحقيقة كما كتبتها منى في المجلة (صباح الخير عدد 13/ 8/ 1981) هي أن تلك الفتاة واسمها هنية مجرد عاهرة .. وأن كل ما حدث من تهديد واستخدام للمطاوي لم يكن اكثر من خلاف على السعر، سعر ممارسة الجنس مع عشرين شاباً لا مع ثلاثة فقط كما تمّ الاتفاق»[2].

---

(1) غانم، عبد الله عبد الغني، البغايا والبغاء ،م.س، ص235 - 236.

(2) أيوب، ياسر، الانفجار الجنسي في مصر، م.س، ص138.

- د - خطر البغاء على المجتمع

يشكل وجود البغاء خطراً على المجتمع بسبب امتناع كثير من الرجال عن الزواج لقدرتهم على إشباع نزواتهم دون تحمل تكاليف الزواج ومسئولياته، كما أن للبغاء دور كبير في تشجيع عمليات الاغتصاب وذلك لعدة أسباب منها:

- 1 - الربح المادي الذي يربحه المُحَرِّض من البغي مما يجعله في بحث دائم عن الفتيات اللواتي يؤمِّنَّ له هذا الدخل، وهنا يأتي دور الإغواء والاغتصاب في عملية إيجاد هؤلاء الفتيات.

- 2 - عجز كثير من الشباب عن الحصول على المال للدفع إلى البغي يجعله يعتدي على النسوة الأخريات من اجل إشباع شهوته.

- 3 - وقوف كثير من البغايا على الطرق لإصطياد الزبائن الأمر الذي يجعل كثيراً من الشبان يعتقدون أن كل فتاة تقف في الشارع من الممكن أن تكون بغياً.

- 4 - فساد الرجل الذي يتوجه إلى البغي لإشباع شهوته، فلو امتنع هذا الرجل وأمثاله عن الذهاب إلى البغايا، لتوقفت كثيرات منهن عن ممارسة هذه المهنة الحرام و بحثن عن مهن غير محرمة لكسب رزقهن منها.

الفصل الثالث

سبل الوقاية من جريمة الاغتصاب

المبحث الأول
الوقاية من الجريمة

تتعدد الأساليب التي يمكن إتباعها في الوقاية من الجريمة بشكل عام ومن الاغتصاب بشكل خاص، ومن هذه الأساليب ما هو فردي يتعلق بكل حالة على حدة ومنها ما هو عام يتعلق بإصلاح الفرد والمجتمع منعاً له وحماية له من الوقوع في الجريمة، ومن الأساليب المفيدة في هذا المجال التشديد على أهمية الأيمان بالله، العمل على إصلاح المجتمع، وإحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ـ أ ـ التشديد على أهمية الأيمان بالله تعالى

تعتبر الشريعة الإسلامية شريعة متكاملة، تدعو إلى العلم والعمل، العلم بما أنزل الله سبحانه وتعالى على رسوله عليه الصلاة والسلام والعمل بما أمر به والانتهاء عما نهى عنه، وقد بيّن رسول الله ﷺ أن من استمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فإنه لن يضيع أبداً، فقد قال عليه الصلاة والسلام:

(إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلّوا بعدهما، كتاب الله وسنتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض)[1].

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج1، ص93.

كما أوضح الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريمﷺ السبيل الذي يساعد المسلم على تجنب الوقوع في المعاصي وهي القيام بالعبادات على النحو المفروض، فقالﷻ في إيضاح نهي الصلاة عن الفحشاء والمنكر:

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ﴾[1].

وقال في إيضاح أن الزكاة تؤدي إلى تطهير النفس وتزكيتها:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ﴾[2].

وقال عليه الصلاة والسلام في إيضاح أن الصيام كفارة عن الذنوب والمعاصي:

(من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه)[3].

وقال أيضاً في إيضاح أن الحج يغسل ذنوب الإنسان ويعود الحاج كما ولدته أمه:

(من حج لله فلم يرفث، ولم يفسق، يرجع كيوم ولدته أمه)[4].

الوقاية من الجريمة: يستنتج من المقطع السابق أهمية الاهتمام بزرع العقيدة الإسلامية في النفوس لما فيها من صلاح في الدنيا قبل الآخرة، وهذا ما يشير إليه الواقع، فإتّباع أركان الإسلام يمنح الإنسان عقيدة وإيماناً حقيقيان يجعلان «من المستحيل أن ينحرف الإنسان إلى طريق الجريمة، فمن يواظب على صلاته بعقيدة وبإيمان يصعب عليه التفكير في إغضاب اللهﷻ عن عمد لوجوده في حالة طهارة روحية ومادية تمنعه من الإنحراف في طريق الزنا أو شرب الخمر ... الخ ... ومن يواظب على صيام شهر رمضان لا يتصور أن يمتنع عن الزكاة أو أن يقع في زلة الزنا ... الخ، وهكذا الحال بالنسبة لسائر أركان الإسلام كالحج والشهادة، فهذه العبادات المحسوسة جميعها تخاطب النفس قبل الجسد»[5].

---

(1) سورة العنكبوت، الآية 45.

(2) سورة التوبة، الآية 103.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الحج، م. س، ج2، ص141.

(4) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الايمان ،م. س، ج1، ص 15.

(5) صدقي، عبد الرحيم، الجريمة والعقوبة في الشريعة الاسلامية، مكتبة النهضة العربية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1408هـ، 1987م.، ص53.

وقد أكد الرسولﷺ على هذه الحقيقة بقوله:

(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يقتل وهو مؤمن)[1].

- ب - العمل على إصلاح المجتمع

يعتبر من الأسباب الأساسية لفساد المجتمع فساد الأنظمة والقوانين، وفساد الحكام القائمين على الرعية واحتكامهم لغير أوامر الله ونواهيه، وعملهم على سن القوانين التي تتناسب مع أهوائهم ومصالحهم الشخصية، وتجاهلهم مصالح الناس العامة والخاصة، مما يدفع هؤلاء إلى الإنجراف وراء الرذائل إقتداء بحكامهم من جهة ورغبة في تحقيق المكاسب الدنيوية المادية من جهة أخرى.

وقد أدى إهمال الحكام لمصالح الناس إلى حصول عجز عن إشباع الحاجات الأساسية المطلوبة لسعادة الإنسان ومنها الحاجة إلى الأمن، الحاجة إلى الطعام والحاجة إلى النسل.

وكان من نتائج عجز الإنسان عن إشباع حاجاته بالطرق الحلال أن عمد إلى إشباعها عن طريق الجريمة والاعتداء على حقوق الآخرين، وكان لإنتشار الجرائم والاعتداءات بشكل واسع أثره في وعي كثير من العلماء في سائر المجالات الدينية والتربوية والجنائية لخطورة الأمر، فقاموا بوضع الأسس التي تساعد في التخفيف من هذه الجرائم، ومن هذه الأسس التربية السليمة منذ الطفولة في المدرسة والأسرة والحي، تأمين الحاجات الاجتماعية والاقتصادية، الرقابة على الإعلام.

- 1 - أساليب التربية السليمة

يتميز المنهج التربوي الحالي بانعدام التربية الدينية داخل المدارس والجامعات باستثناء بعض المدارس الإسلامية الحديثة، فغالبية المدارس نظامها علماني، تقتبس أنظمتها من الأنظمة الغربية القائمة على عدم تعليم

(1) مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، م.س، ج2، ص41.

الدين في المدارس، وقصر هذه المهمة على الأهل في البيت، مما يجعل تصرفات الطفل غير محكومة بالمبادئ الدينية، فهو إن تعلّم المبادئ الدينية في المنزل كوجوب الصلاة في أوقاتها، فإن لوجوده فترات طويلة في المدرسة، مع منع إدارة المدارس طلابها من إقامة الصلاة ومع ملاحظته لعدم التزام أكثرية مجتمعه بذلك، أثر في جعله يتخبط بين المفاهيم وتطبيقها.

إضافة إلى ذلك فإن المناهج التربوية تتضمن كثيراً من المغالطات التي قد تسيء إلى تربية الطفل والشاب، فعندما يقرأ الطفل القصص الخرافية مثل الأميرة النائمة التي تبقى نائمة فترات طويلة نتيجة تعرضها للسحر، يزرع في عقل هذا الطفل أن للسحر قدرة على تغيير الواقع، والشاب الذي يدرس في صف الفلسفة النظريات الفلسفية المعادية للإسلام، كنظرية مالتوس الداعية إلى تحديد النسل خوف الانفجار السكاني، قد يعيش في صراع داخلي يصعب الخروج منه، لذلك يجب أن تكون البرامج المدرسية مشتملة على توجيه ديني في كل موادها لكي تتعاون الأسرة والمدرسة على بناء الفرد السليم.

ـ أ ـ **وقت الفراغ**: إن للمدرسة دوراً هاماً في توجيه الفرد إلى الاستفادة من أوقات الفراغ، وقد حث رسول الله (على الإستفادة من وقت الفراغ، فقال عليه الصلاة والسلام:

(إغتنم خمساً قبل خمس، شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك)[1].

وقد أكد علماء التربية المعاصرون على دور المدرسة في توجيه الفرد إلى الاستفادة من وقت الفراغ، فقال «برتراند راسل»: «إن من أهداف التعليم خلق وتنمية الإتجاهات التي يمكن بها أن تتيح للفرد إستخدام وقت فراغه بذكاء»[2].

---

(1) الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، م. س، ج4، ص 306.

(2) السدحان ،عبد الله ناصر، وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب، مكتبة العبيكان، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الاولى، 1415هـ .، 1994 م.، ص 48.

ويؤدي حسن الاستفادة من وقت الفراغ إلى سد أبواب الرذيلة، وقد شّدد رسول اللهﷺ على أهمية الوقت فقال عليه الصلاة والسلام:

(الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك)[1].

فالإنسان إذا لم يملأ وقته بالشيء المفيد ملأه بالشيء الضار من إتباع الملذات ومعاشرة رفقاء السوء، وقد جاء العلم الحديث يؤكد على «أهمية وقت الفراغ وضرورة الاستفادة منه من حيث إمكانية تحقيق العديد من الحاجيات الأساسية للفرد من خلال الأنشطة التي يمارسها في وقت الفراغ، إذ يتمكن الفرد من إشباع:

ـ 1 ـ حاجاته الجسمية، بإزالة التوترات العضلية وتنشيط الدورة الدموية.

ـ 2 ـ حاجاته الاجتماعية، بالعمل الجماعي والتعامل بروح الجماعة في العديد من الأنشطة التي تمارس في وقت الفراغ مما يقضي على الإنطواء في حياة الفرد.

ـ 3 ـ حاجاته العملية العقلية، بكسب المزيد من الخبرة والمعرفة والمهارة وتعلم معلومات جديدة.

ـ 4 ـ حاجاته الإنفعالية، أو ما يسمى بالدوافع اللاشعورية أو الدوافع المكبوتة التي قد تدفع الفرد إلى بعض السلوك إذا كَبَتَها»[2].

ـ ب ـ دور الأسرة: لا يقتصر استغلال وقت الفراغ على المدرسة فقط، لأن الطفل والشاب يقضي فترات أطول في المنزل مع أسرته، مما يجعل للأسرة دوراً بارزاً في تشجيع الولد على الإستفادة من أوقات فراغه ومراقبته ومراقبة أقرانه الذين يمضي معهم هذه الأوقات، وذلك لأن للرفاق دور كبير في إفساد الطفل أو الشاب، إما بسبب رغبته بالإقتداء بهم، وإما

---

(1) العجلوني، اسماعيل بن محمد، كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1403 هـ، 1983م، ج2، ص457. يقال ان هذا الكلام ليس حديثا انما هو من كلام بعض الحكماء.

(2) السدحان، عبد الله بن ناصر، وقت الفراغ وأثره في انحراف الشباب، م. س، ص51.

لرغبته في جذبهم إليه وكسب وّدهم، وقد شدّد الإسلام على حسن الصحبة فقال عليه الصلاة والسلام:

(الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل)[1].

وللأسرة دور كبير أيضاً في تأمين الاستقرار والأمان للطفل المنتمي إليها، لأن هذين العاملين إذا فُقِدا في الأسرة اندفع الطفل إلى خارج المنزل للبحث عنهما، مما يُفقد الأهل القدرة على مراقبة تصرفات الولد وتوجيهه عملاً بالمسئولية التي ألقاها الله سبحانه وتعالى على عاتقهم، وقد حدد رسول اللهﷺ هذه المسئولية بقوله:

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع في أهله وهو مسئول، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسئولة، والعبد راع في مال سيده وهو مسئول، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول)[2].

وهذه المسئولية تقتضي أن يعامل الأهل الطفل بالشدة في مواضع الشدة وباللين في مواضع اللين، وأن يتحلى الأبوان بالأخلاق الحميدة، وأن يكونا أول من يطبق الأحكام الإسلامية التي يُعَلِّمَانِها لولدهما، لأنهما يشكلان بالنسبة إلى الطفل القدوة التي يقتدي بها، «والقدوة الصالحة من اعظم المعينات على تكوين العادات الطيبة حتى أنها لَتُيَسِّرُ معظم الجهد في كثير من الحالات، ذلك أن الطفل يحب المحاكاة من تلقاء نفسه، وأطفال المسلمين يحاكون أبويهم في الصلاة حتى من قبل أن يتعلموا النطق، ويصبح تعويدهم عليها أمراً سهلاً في الموعد المحدد ...»[3].

وكذلك الأمر بالنسبة لكافة الأخلاق، فالأب الذي ينهى إبنه عن الكذب، وإذا حضر زائر لا يريد لقاءه يقول لابنه: قل له إنني لست هنا،

---

(1) ابو داود، سنن ابو داود، كتاب الأدب، حديث رقم 4833، م. س، ج5، ص 168.

(2) سبق تخريجه.

(3) قطب، محمد، منهج التربية الاسلامية، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة العاشرة، 1412هـ.، 1992م.، ج2، ص 148.

يعلّم الطفل الكذب، ويجعل الطفل يتبع نفس أسلوب والده لاعتباره أن ما فعله والده صحيح لأنه لا يكذب.

وللأهل أيضاً دور مهم في تعزيز الطفل لثقته بنفسه ولتنمية قدراته، فإذا عاش الطفل في جو أسرة تُشعِره بأنه فاشل، ولا يصلح لشيء، وأنه غير مرغوب فيه، فإن ذلك مما يساعد على انحراف الولد في المستقبل.

ـ 2 ـ تأمين الحاجات الاجتماعية والاقتصادية

يعتبر علماء الاجتماع أن من أهم الأساليب المؤدية إلى الوقاية من الجريمة تحسين مستوى الفرد الاجتماعي والاقتصادي، وهذا ما أكده وزراء الشؤون الاجتماعية العرب في اجتماعهم الذي انعقد في الرباط في تشرين الثاني 1979 م، حيث جاء في الوثيقة الختامية للاجتماع تحديد للتنمية الاجتماعية وأهدافها ومجالاتها بأنها التنمية التي «تعنى بكل التغيرات المنشودة لاحداث تحسين مطرد ومتزايد في مستوى معيشة الفرد، وذلك عن طريق ما يتحقق له من اشباع لحاجاته لفردية والاجتماعية، ويتمثل ذلك في حاجاته إلى الغذاء والصحة والتعليم والعمل والسكن والثقافة والتزويج والشعور بالانتماء والأمن إلى جانب حاجاته الروحية والنفسية وحاجاته إلى الطمأنينة على حاضره ومستقبله»[1].

وقد أكد الباحثون على أن تأمين هذه الحاجيات هي من الأساليب الوقائية من الوقوع في الجريمة، ومن هنا فان من واجبات الدولة حل مشكلات الشباب الاجتماعية والاقتصادية للحيلولة بينه وبين التردي في أحضان الرذيلة، فإن لم تستطع القيام بهذه الواجبات كلها «فعليها أن تعاون في تيسير بعض أسبابه كتوفير المسكن، أو تقرير إعانة لتزويج الشباب أو غير ذلك من الوسائل وهي كثيرة»[2].

---

(1) العوجي، مصطفي، دروس في العلم الجنائي، السياسة الجنائية والتصدي للجريمة، م. س، ج2، ص 395.

(2) الجندي، محمد الشحات، جريمة اغتصاب الاناث في الفقه الاسلامي، م. س، ص24.

والأمر بالتزويج أمر حث عليه الإسلام منعاً للوقوع في الفتنة فقال عليه الصلاة والسلام:

(إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)[1].

ومن هنا جاء التأكيد على أن ترك التزويج يؤدي إلى الفساد وإلى قيام الرجل والمرأة بإشباع غرائزهما بوسائل أخرى.

ـ 3 ـ الرقابة على الإعلام

ورد في الباب الثالث ذكر الإعلام ودوره في نشر الرذيلة عن طريق بث الخلاعة من جهة وبث أخبار الجريمة من جهة أخرى، وورد أيضاً ذكر كيفية استنباط بعض المجرمين أفكارهم الإجرامية من الوسائل الإعلامية.

ومن هنا تأتي أهمية الاعتناء بوسائل الإعلام من حيث بث الخبر ونشره إقتداء بالآداب الإسلامية في ذلك، فالقرآن الكريم مثلا لم يعرض «قصة محددة خاصة بجريمة الزنا، نظراً لبشاعتها ونظراً لأن القرآن الكريم يعلّم الناس الحياء والآداب السامية، وذلك رغم ورود بعض الحوادث الخاصة بذلك في الأثر، ألا أن القرآن الكريم أورد في آياته بشاعة الأمر وبيّن حدوده وأحكامه دون أن يذكر قصة محددة في ذلك حتى يحفظ حياء المسلمين، فالأمر الذي يتكلم عنه الإنسان بالتلميح غالباً ما يكون أشد وقعاً على النفوس في التصريح به»[2].

ويمكن لرجل الإعلام الاستفادة من الأسلوب القرآني في نشر الخبر من عدة نواح:

«ـ 1 ـ عدم استخدام العناوين المثيرة للخيال لدى القراء في قصص الجرائم عامة وقصص جرائم الزنا خاصة وذلك لكونها شهوة مشتهاة أصلاً لدى الجنسين، وبالتالي فإن الكثيرين ممن لا يستطيعون التحدث بمثل هذه

---

(1) ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، م.س، ج4، ص305.

(2) كحيل، عبد الوهاب، الجريمة والجنس، م. س، ص133.

الأمور يشبعون شهواتهم بقراءة هذه القصص المثيرة.

- 2 - عدم استخدام الإثارة باللفظ والتصوير اللفظي أو الصور في قصص جرائم الزنا لأن هذه الجرائم دون غيرها من الجرائم مشتهاة، وهي مثيرة لخيال المراهقين والشباب، وهي خطيرة في عصر تعقدت فيه أمور الزواج والذي هو الحل الحلال البديل، وإذا ما استثير الخيال أصبحت النفس الغَوِيَّة سهلة في يد الشيطان.

- 3 - عدم تبرير مسلك الجريمة، إذ نجد بعض الصحف أحياناً تبيّن أن شاباً وقع في مأزق ولم يجد ألا هذا الطريق لإنقاذ نفسه، أو أن امرأة أو فتاة قد تمّ اغتصابها بالقوة وإنها انهارت واستسلمت إزاء الضغط أو إستعمال القوة[1]، إن مثل هذه القصص قد تؤدي ببعض من يقعن في مثل هذه المآزق إلى الاستسلام فيما يذكرن مثل هذه القصة، وربما يستسلمن دون مقاومة أو بعد مقاومة ضعيفة ...

- 4 - عدم ذكر الأسماء حتى لا يفتضح أمر المجرم وتسودّ الدنيا في عينيه بعد أن يصبح معروفاً في المجتمع إذ يقترن اسمه بجريمته غالبا، مما يجعله لا يجد غير الجريمة لينخرط في طريقها ويتمادى فيها.

- 5 - التركيز على الوعظ والتخويف من الله تعالى ومن غضبه ومن عقابه لإيقاظ الضمير في نفس الفرد وحثه على أن يكون مواطناً صالحاً.

- 6 - فتح باب التوبة وطريق الأمل للعودة إلى حظيرة المجتمع الصالح كما فعل القرآن الكريم»[2].

كما أن من أضرار نشر الجريمة الإيحاء بعجز السلطة عن القضاء على الجريمة، إذ إن كثيراً ما يؤدي فرار المجرم من العقاب في النهاية إلى تشجيع من عنده الاستعداد الإجرامي على الإقتداء به.

أسلوب النشر الوقائي: يعتبر من الأساليب الوقائية المفيدة في نشر

---

(1) تستخدم بعض الأفلام السينمائية اساليب اغرائية عن طريق تبيان ان المرأة تمتنع عن الاستجابة للرجل في بداية الاغتصاب الا انها تستسلم في النهاية بارادتها.

(2) كحيل، عبد الوهاب، الجريمة والجنس، م. س، ص145.

الإعلام إرشاد الناس إلى سبل الوقاية من الجريمة وكيفية حماية أنفسهم منها، وتشمل هذه الإرشادات:

«أولاً: سبيل حماية منازلهم من الاعتداء عليها بإتباع الوسائل الفنية في تجهيز مداخلها ومراقبة الداخلين إليها، والتزود بالأجهزة الكاشفة لما وراء الجدران والأبواب الخارجية (التلفزة الداخلية) والأجهزة المنذرة كالصفارات.

ثانياً: سبل حماية الممتلكات الفردية بإتباع نظام الترقيم المعتمد في أكثر من دولة، حيث يرقم الأثاث والأجهزة برقم سرّي خاص بمالكها.

ثالثاً: سبل حماية السيارات من السرقة بتجهيزها بآلات قطع التيار الكهربائي والصفارات وما شابه من أجهزة حديثة.

رابعاً: وجوب استعمال الشيكات والحوالات المصرفية قدر المستطاع للحؤول دون حمل النقود وتعرض حاملها للسلب.

خامساً: عدم ترك الأولاد والمسنين بمفردهم في الشوارع والمحلات العامة.

سادساً: التعاون مع الشرطة بإعلامها بكل ما يثير الشبهة حول علاقته بجريمة محتملة أو جريمة وقعت، فالتعاطي بين الشرطة والمواطنين ... شرط أساسي في تأمين الوقاية.

سابعاً: التوجيه التقني لاكتشاف بعض الجرائم التي يمكن أن يقع ضحيتها المواطن، كالتعرف على النقود المزورة مثلاً، أو الوقوف على فساد المواد الغذائية، كالتحقق من تاريخ صنعها الحقيقي»[1].

ومن الأساليب الوقائية المفيدة في نشر الخبر أسلوب نشر أحدث الاكتشافات والاختراعات الحديثة التي تبين الأمراض والأضرار التي تسببها الجريمة، ومن الأمثلة عن مثل هذه الأخبار ما ورد في جريدة النهار نقلاً عن وكالة رويتر تحت عنوان «العنف في الجنس يتسبب بالعمى المؤقت»:

---

(1) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، م. س، ج2، ص422 ـ 423.

«رصد ثلاثة أطباء عيون في الولايات المتحدة عدداً من الحالات شكا فيها أناس يتمتعون بصحة جيدة فقد النظر بصورة مؤقتة دون سبب واضح.

وبعد سلسلة من الاختبارات اكتشف الأطباء أن كل حالات فقدان النظر المؤقت حدثت عقب ممارسة جنسية عنيفة تأثرت بها أوعية العين الدموية أو الشبكية»[1].

وإن نشر مثل هذا الخبر يمكن أن يبث الرعب في قلب المغتصِب الذي يخاف على نفسه من المرض.

إحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال عز وجل:

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[2].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض على الكفاية، «ويصير فرض عين على القادر إن لم يقم به غيره، والقدرة هو السلطان والولاية، فذوو السلطان أقدر من غيرهم، وعليهم من الوجوب ما ليس على غيرهم»[3].

وجعل فقهاء الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تحت باب الحِسْبَة، والحسبة «هي أَمْرٌ بالمعروف إذا أُظْهِرَ تَرْكُهُ ونَهْيٌ عن المنكر إذا أُظْهِرَ فِعْلُه»[4].

وقال تعالى:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ﴾[5].

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19243، تاريخ 22/ 9/ 1995، الصفحة الأخيرة.
(2) سورة التوبة، الآية 71.
(3) ابن تيمية، الحسبة في الاسلام، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ص6.
(4) الماوردي، الأحكام السلطانية، م. س، ص245.
(5) سورة آل عمران، الآية 104.

وقد أدى إهمال الحكام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى الفساد الذي تشهده بعض الدول الإسلامية، ومن الأمثلة على إهمال الحكام هذا الأمر ما ورد على لسان جمال عبد الناصر عندما شكا إليه أحد الأئمة من ظاهرة الميني جيب[1] قال جمال عبد الناصر في جريدة الأهرام 4/ 11/ 1968: بأن «الكلام عن الميني جيب الكلام ده في الحقيقة غير مقبول .. العالم كله يتطور .. الحقيقة مثلا هو بيتكلم عن الميني جيب .. أنا لو طلعت قانون يمنع الميني جيب .. معنى ده إيه؟.. معناه أن البوليس له الحق أن يتعرض لكل ست في الشارع سواء كانت لابسة ميني جيب أو مش لابسة ميني جيب .. وهذا في الحقيقة شعور يؤذي كل واحد فينا .. مين اللي عليه أنه يعمل هذا القانون .. كل رب عيلة عليه أنه يعمل هذا القانون»[2].

ومن المبررات التي يتخذها أنصار الدعوة إلى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قول الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾[3].

وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه رداً على من يتذرع بهذه الآية: «وإنكم تضعونها في غير موضعها، وإني سمعت النبي ﷺ يقول: إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»[4].

الشروط التي يجب توافرها في المحتسِب: اشترط الفقهاء شروطاً يجب أن تتوفر في المحتسِب، منها: العلم والرفق والصبر، «العلم قبل الأمر والنهي والرفق معه والصبر بعده، وإن كان كل من الثلاثة مستصحباً في هذه الأحوال، وهذه كما جاء في الأثر عن بعض السلف ورووه مرفوعاً وذكره القاضي أبو يعلى في المعتمد «لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ألا من كان فقيهاً فيما يأمر به فقيهاً فيما ينهى عنه، رفيقاً فيما يأمر به رفيقاً

---

(1) الميني جيب: التنورة القصيرة المرتفعة فوق الركبة.

(2) أيوب، ياسر، الانفجار الجنسي في مصر، م. س، ص84.

(3) سورة المائدة، الآية 105.

(4) ابن تيمية، الحسبة في الاسلام، م. س، ص41 ـ 42.

فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به حليماً فيما ينهى عنه»[1].

فلا يجب على المحتسِب أن يستعمل القوة والزجر قبل التأكد من ارتكاب الناس للمحظورات، وكل ما يستطيع فعله أن ينهاهم عن مواضع الريب، «فإذا رأى وقفة رجل مع امرأة في طريق سابل[2] لم تظهر فيهما إمارات الريب لم يعترض عليهما بزجر ولا إنكار لما يجد الناس في هذا.

وإن كانت الوقفة في طريق خال، فخلو المكان ريبة، فينكرها ولا يعجل بالتأديب عليهما حذراً من أن تكون ذات محرم، وليقل: إن كانت ذات محرم فَصُنها عن مواقف الريب، وإن كانت أجنبية فَخَفِ الله تعالى من خلوة تؤديك إلى معصية الله تعالى، وليكن زجره بحسب الأمارات»[3].

ومن الأمثلة التي وردت في التاريخ عن وجوب ترك الفعل إذا أدى إلى الريبة والشك ما ورد عن عبيد بن عمير، قال: «بينما عمر بن الخطاب يمرّ في الطريق فإذا هو برجل يكلم امرأة، فعلاه بالدِّرَّة، فقال: يا أمير المؤمنين إنما هي امرأتي، فقال له: لِمَ تقف مع زوجتك في الطريق تعرضان المسلمين إلى غيبتكما؟ فقال: يا أمير المؤمنين الآن قد دخلنا المدينة ونحن نتشاور أين ننزل، فدفع إليه الدرّة وقال: قصّ مني يا عبد الله، فقال: هي لك يا أمير المؤمنين فقال: خذ واقتص، فقال بعد ثلاث: هي لله قال: الله، لك ما فيها»[4].

وقد يقول بعض الناس إن هذا الأمر قد تخطاه الزمن مع وجود الاختلاط بين الرجل والمرأة في كل المجالات وفي كل الطرقات، ألا أن المطلوب ليس زجر كل رجل وامرأة يمشيان على الطريق يحترمان أنفسهما ولا يقومان بما يسيء لأنفسهم وللآخرين، إنما المطلوب زجر كل امرأة ورجل وضعا أنفسهما في موضع ريبة، كالوجود في مكان خال، لأن من

---

(1) ابن تيمية، الحسبة في الاسلام، م. س، ص48.

(2) سابل: مُتَّخِذ سبيلا، اي طريق عام يغشاه الناس باستمرار.

(3) الماوردي، الأحكام السلطانية، م. س، ص249.

(4) الطنطاوي، علي، أخبار عمر وأخبار عبد الله بم عمر، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1970م.، ص202 ـ 203.

يلتجئ إلى هذه الأماكن عادة يهدف إلى البعد عن أعين الناس، وكثيراً ما تحدث حالات اغتصاب في مثل هذه الأماكن، فإذا حصل تدخل من قبل المحتسِب، فقد يستطيع أن ينقذ المرأة من المجرم.

وهذه الشروط التي أوجب الإسلام على المحتسب الاتصاف بها هي ما تحاول الدراسات الحديثة التأكيد على أهمية اتصاف رجال الشرطة بها، مع وجود اختلاف كبير بين هدف المحتسِب الذي هو مرضاة رب العالمين في الدرجة الأولى وبين هدف الشرطي الذي ينفذ القانون الوضعي ويهدف إلى الحفاظ على وظيفته والحصول على الترقية.

وقد أكدت هذه الدراسات على ضرورة اتصاف الرجل الشرطي «بالتربية المدنية الصحيحة والأخلاق السامية والإطلاع العلمي والثقافي اللازم لإدراك المحيط الإنساني والاجتماعي الذي يتعامل معه، وكذلك لاستيعاب المهام الموكولة إليه والوقوف على مبادئ وأسس وأساليب التدخل الشرطي في حياة المواطن، مع ما يتطلبه من معرفة واسعة وأسلوب في التعامل وفهم لقضايا ومشاكل الناس وطرق حلّها ضمن إطار القانون، وما أوتي من صلاحيات وفقاً للأنظمة الإدارية التي ترعى وظيفته»[1].

كما أكدت الدراسات أيضاً على أهمية انتشار العنصر البشري في الأماكن الخطرة لتوفير الأمن والسلامة للمواطنين، وكان مما اقترحته (اللجنة الإقليمية للوقاية من العنف والإجرام): «توفير القدر الكافي من الوجود البوليسي في الأماكن ذات الدرجة الكبيرة من الحضرية، وحمل مراكز البوليس في مختلف الأحياء على عدم إهمال البلاغات التي ترد إليها ولو كانت عن سرقات صغيرة، وأخذ المجرمين بالشدة في الأحكام الصادرة بإدانتهم، وتبصير المواطنين بواجبهم في التعاون مع قوات الضبط في سبيل تعقب الجناة»[2].

---

(1) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م.س، ج2، ص511.

(2) بهنام، رمسيس، المجرم تكوينا وتقويما، م. س، ص11.

المبحث الثاني
الاهتمام بالضحية

يدعو العلم الجنائي الحديث إلى الاهتمام بالضحية، ويتخذ هذا الاهتمام اتجاهين: الاتجاه الأول «يرمي إلى دراسة وضع الضحية كعامل مهيىء ومساعد على وقوع الجرم من قبل المعتدي، والثاني يرمي إلى إيجاد الوسائل الكفيلة بإنقاذ الضحية ومساعدتها على تجاوز ما أصيبت به من أذى نتيجة لوقوع الجرم عليها وتأمين كافة الضمانات القانونية والعملية للمحافظة على حقوقها»[1].

ومن هذا الاتجاه يمكن تقسيم البحث في حماية الضحية من الجرم إلى قسمين: القسم الأول يتناول دور الضحية في المساعدة على عدم وقوع الجرم، والقسم الثاني يتناول كيفية مساعدة الضحية بعد وقوع الجرم.

- 1 - دور الضحية في المساعدة على عدم وقوع الجرم

تقوم ضحية الاغتصاب في بعض الأحيان بتصرفات تؤدي بطريقة غير مباشرة إلى ارتكاب الفعل مما يفقدها كثيراً من الحجج والبراهين في حال جرت محاكمة الجاني، وتأتي هذه التصرفات نتيجة الآراء الغربية المتحررة التي تتغلغل في عقول كثير من النساء، والتي تعتمد على مبدأ الحرية والمساواة وغير ذلك من الأفكار التي ورد ذكر بعضها سابقاً.

وكان من نتائج هذه الأفكار والمبادئ التي اعتنقتها المرأة أن انعكس الأمر على تصرفاتها التي يعتبرها بعض المغتصِبين مشجعة في عملية الاغتصاب، ومن هذه التصرفات: الإباحية في اللباس، والإساءة في التصرفات.

أولاً: الإباحية في اللباس

تزعم كثير من النساء أن المساواة بالرجل هو حق وصلت إليه المرأة نتيجة مجهودها الشخصي، ونتيجة الثورة التي قامت بها ضد الرجل، ألا

---

(1) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م. س، ج2، ص126.

أن الواقع يشير إلى أن ابرز الدعاة إلى تحرير المرأة هم الرجال وابرزهم في العالم العربي قاسم أمين، وهؤلاء إنما فعلوا ذلك من أجل غاياتهم الشخصية. والمرأة التي تدعي التحرر لا تزال مقيدة، مقيدة بسلاسل الرغبة في لفت أنظار الرجل ونيل إعجابه، مما يدفعها إلى فعل تصرفات لا تمت إلى الأخلاق بصلة من اجل الوصول إلى هدفها، ومن هنا فإذا تمادت المرأة في «اعتماد مظاهر الإغراء، فذلك عائد، إلى حد بعيد، إلى الوضع الدوني الذي حكم الرجل به عليها ولا يزال إذ يجعل من نفسه مبرر وجودها وغايته، وأقامها في موقع التبعية حياله بحيث يتوقف مصيرها على رضاه، مما يؤول بها إلى التهالك على استجلاب هذا الرضى بشتى وسائل الإغراء إذ يصعب عليها أن تحس بأنها موجودة فعلاً إذا لم تتوصل إلى استلفات نظره إليها وإعجابه بمظهرها الجسدي»[1].

والمرأة طبعاً لا ترغب في الحصول على جميع الرجال، وخاصة من تظن أنهم دون مستواها، ألا أن تصرفاتها اللاواعية لا تجذب إليها إلا نوعية معينة من الرجال الذين يحاولون الإساءة إليها، ولذلك يلاحظ أن هناك كثيراً من النساء المثقفات يقمن بتصرفات تسيء إليهن، فترتدي إحداهن الثياب القصيرة إتباعاً للموضة أو لأن الأمر اكثر جاذبية مما يجعل الرجل يفهم بأن حرية المرأة ستجلب له مزيداً من الحرية الجنسية، وهو يفهم تصرفها التحرري بأنه دعوة عامة له للاستفادة من هذا التحرر.

ثانياً: الإساءة في التصرفات

تقوم المرأة المعاصرة في الدول الغربية وفي بعض المجتمعات العربية ببعض التصرفات التي تؤدي إلى الإساءة إليها دون أن تعي أن تصرفاتها كانت السبب وراء هذه الإساءة، ومن هذه التصرفات: الصعود في الاوتوستوب[2]، الإباحية في الاختلاط، التواجد في الأماكن النائية.

ـ أ ـ الصعود في الاوتوستوب: يعتبر كثير من الناس أن الاغتصاب

---

(1) بندلي، كوستي، المرأة في موقعها ومرتجاها، م. س، ص 32.

(2) الأوتوستوب: التنقل على الطرقات العامة بواسطة السيارات العابرة وليس سيارات الاجرة.

يحصل للمرأة التي تضع نفسها في مواقف مشبوهة مثل الصعود في الاوتوستوب في ساعة متأخرة من الليل، ففي دراسة أجريت سنة 1978 م. في جامعة ايللنوي ILLENOIS في شيكاغو على شباب وفتيات «تبين أن الفتاة إذا صعدت اوتوستوب فهي مسئولة عن الاعتداء إذا حصل لها، واعتقد هؤلاء التلاميذ أنه بقبولها الصعود مع رجل غريب فهي تحثه على الجريمة، ويجب أن تتوقع حدوث مثل هذا الشيء، وشعر التلاميذ أن الضحايا يجب أن يروا نتيجة عملهن، لأنهن إلى حد ما يستحقون ما حصل لهن»[1].

ويشبه اغتصاب الاوتوستوب ما يحصل عندما تتعرف الفتاة على الرجل في أحد النوادي الليلية، أو في إحدى الحفلات العامة أو الخاصة، ويحصل بينهما نوع من الإلفة مما يدعو الرجل إلى أن يعرض على المرأة إيصالها إلى المنزل، وهنا قد ترضى المرأة بالإيصال نتيجة رغبتها بتوفير إيجار النقل، أو لظنها بأن هذا الرجل لن يؤذيها لما أظهره من أدب ودماثة، إلا أن ما يحصل هو أن الرجل يعتبر القَبول بالإيصال تشجيعاً له على الممارسة الجنسية.

- ب - **الإباحية في الاختلاط**: تنتشر في كثير من الأوساط الشبابية، عبارة فلان صاحب فلانة، وفلانة صاحبة فلان، وهذه الصحبة وإن فهمها بعض الناس على أن الهدف من وراءها التسلية، وإيجاد رفيق للسهرات والحفلات، مع السماح ببعض التصرفات البسيطة التي لا تخرج عن اللمم، إلا أن الاستمرار في هذه العلاقات الشاذة يمكن أن يؤدي بالرجل إلى الإعتداء على الفتاة، ولذلك فمتى رضيت الفتاة بالخروج مع الرجل أو دعته إلى منزلها أو وافقته على الصعود إلى منزله وتسامحت معه في بعض التصرفات، فإنها في مثل تلك الحالات تكون مشجعة له على عملية الاغتصاب في حال حصلت، وتتحمل المسئولية الأولى في الأذى الذي يمكن أن تتعرض له.

- ج - **التواجد في الأماكن النائية**: يعمد كثير من الشبان إلى الالتقاء

---

(1) LEDRAY, LINDA, RECOVERING FROM RAPE, P: 27.

في الأماكن البعيدة عن العيون بغية الحصول على بعض اللذة الممنوعة، ولعدم وجود أمكنة أخرى لمثل هذه اللقاءات، ولذلك كثيراً ما تحصل حوادث الاغتصاب من قبل الغرباء الذين يريدون الاستفادة مما استفاد منه الشاب المرافق للفتاة، ولعدم وجود النجدة من الشرطة أو من المارة في تلك المناطق، لذلك «يجب على الإناث أن يتجنبن السير في المناطق النائية أو المنعزلة، حتى ولو كنّ مع صديق أو حبيب أو حتى زوج، لأن من يرتكبون جرائم الاغتصاب كثيراً ما يكمنون في هذه المناطق يتربصون لمن يأتي إليها من الذكور والإناث، وأغلبهم ليسوا أزواجاً ولا مخطوبين، وإنما هم عشاق يبحثون عن أماكن منزوية أو خالية ليمارسوا العبث الجنسي بمنأى عن الأنظار، والواقع أن كثيراً من جرائم الاغتصاب التي ترتكب في هذه الأماكن لا تبلغ إلى الشرطة لخوف الإناث من الفضيحة، أو تجنباً لما سوف يصيبهن إذا علم الأهل أو الزوج»[1].

ومن التصرفات التي يمكن أن تسيء إلى المرأة أيضاً دون أن تنتبه التواجد مع رجل غريب في مكان مغلق مثل المصعد مثلاً[2]، حيث أثبتت الدراسات أن بعض المغتصِبين يهتمون بمثل هذه الأماكن لاصطياد زبائنهم.

ـ 2 ـ كيفية مساعدة الضحية بعد وقوع الجرم

يهتم العلم الجنائي الحديث بالضحية ومحاولة إعادة تأهيلها إلى الحياة الاجتماعية بعد حدوث الجرم، والتخفيف من معاناتها الجسدية والنفسية والاقتصادية، وقد «ورد في التقرير الذي رفعته اللجنة الأميرية لرئيس الولايات المتحدة وصف لمعاناة الضحية منذ حصول الاعتداء عليها: معاناة جسدية ونفسية واقتصادية وتهكمية، وضياع للإنسان ضمن الجهاز القضائي ونفقاته، وغالباً سخط من قبل محامي الدفاع وتحدٍ لا

---

(1) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الإناث، م. س، ص266.

(2) من المؤسف ان الإغتصاب داخل المصعد لا يقتصر على المصاعد الصغيرة داخل الأبنية بل ان هناك حوادث تحصل في المصاعد الكبيرة، فقد حصلت حادثة في احدى مستشفيات بيروت وفي احد مصاعدها، حيث قام عامل المصعد بمحاولة الاعتداء على احدى زائرات المستشفى، وأدى ذلك الى تكتم المستشفى عن الحادث وطرد العامل من عمله.

يطاق من قبل المجرم الذي ما يلبث أن يطلق سراحه، وتهديدات شتى وعجز مالي وطرد من العمل للتغيّب المتكرر بسبب وجوب حضور جلسات المحاكمة التي تؤجل ثم تؤجل ... إلى ما هناك من معاكسات وسلبيات تكاد تقضي على الضحية وتفقدها أي أمل في عدالة القضاء وتحسسه بوضعها الذي غالباً لم يكن لها يد في إحداثه»[1].

ومن هنا جاء التركيز على ضرورة الاهتمام بالضحية ومحاولة إنقاذها من نتائج ما حصل لها، ومن النقاط التي يجب التركيز عليها:

- 1 ـ تشجيع الضحية على الإبلاغ عن الجرم.
- 2 ـ معالجة الآثار الناتجة عن الاغتصاب.
- 3 ـ تأمين الحماية للضحية.

تشجيع الضحية على الإبلاغ عن الجرم

يعتبر كثير من الباحثين القانونيين أن من ابرز الوسائل التي تخفف من انتشار الجرائم هو إبلاغ الشرطة عنها بإعتبار أن ذلك من شأنه «أن يحول دون استمراء المجرمين للجريمة في حالة عدم الإبلاغ عنهم وتوقيع العقاب عليهم، وهو ما يؤدي إلى زيادة الجرائم ... مع ملاحظة أن المجرم الذي يرتكب الجريمة ثم لا تبلغ عنه المجني عليها يصبح أشد جرأة وأكثر اتقاناً لأساليب ارتكاب الجريمة والتخطيط لها، وبالتالي يصبح من الصعب القبض عليه وتقديمه للعدالة، في حين يقبض على غيره من المجرمين الجدد ...»[2].

ومن أهم النقاط التي يجب إتباعها للتشجيع على التبليغ نقطتين:

- 1 ـ عدم حصر التبليغ بالمجني عليه أو بأهله واقاربه، وخاصة في حالة زنى المحارم، ويذكر أن هذا الأمر متبع في فرنسا، فجاء في المادة 62 في قانون العقوبات الفرنسي «تلزم كل من علم بسوء معاملة قاصرين

---

(1) العوجي، مصطفى، دروس في العلم الجنائي، الجريمة والمجرم، م. س، ج2، ص129.

(2) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الإناث، م. س، ص152.

دون الخامسة عشرة أو حرمانهم، إبلاغ السلطات الادارية أو القضائية عنه»[1].

ـ 2 ـ حماية الضحية من تعرض رجال الشرطة لها أثناء التحقيق وتوجيه الأسئلة الإتهامية لها، ولذلك اقترح أحد علماء الجريمة «كونكلين» «التوسع في إستخدام النساء في الشرطة المختصة بجرائم الاغتصاب حتى يجنب النساء المغتصَبات الحرج ... كما يقترح أن يكون إدلاء الضحايا بشهادتهن أمام المحاكم في جلسات سرية لا يسمح للجمهور بحضورها»[2].

وقد حصلت بعض التطبيقات لهذه المقترحات في كيب تاون في أفريقيا حيث جرى التحقيق مع طفلة تعرضت للاغتصاب، فقد «وقفت طفلة صغيرة في الخامسة من عمرها في غرفة مبهجة رُسمت على جدرانها صور ملونة تشرح لإختصاصية اجتماعية في جنوب أفريقيا بمساعدة دميتين إحداهما لرجل وأخرى لإمرأة كيف اعتدى عليها صديق أمها جنسياً.

وتابع المتهم وقاضي التحقيقات والمحامون في نفس مبنى المحكمة في كيب تاون شهادة الطفلة من خلال كاميرا تلفزيونية.

والدور الرئيسي الذي تقوم به الإختصاصية في المحكمة التي أنشئت في آذار عام 1993 هو توجيه أسئلة إلى الأطفال يسألها المحامون والقاضي عبر سماعات أذن، ثم تنقل الإختصاصية الأسئلة التي غالباً ما توجه بلغة قانونية للطفل بأسلوب ودي ومتعاطف، واعتبرت أن «الميزة الكبرى هي أن الطفلة غير مضطرة لمواجهة المجرم أو محامي الدفاع الذي قد يكون عدوانياً للغاية في توجيه الأسئلة، الوسيط هو وسيلة الاتصال بين الطفل والمحكمة»[3].

ويظهر أن هناك اتجاه في لبنان إلى إنشاء مكتب خاص لحماية

---

(1) PRUVOST, PIERRE, LE GUIDE JURIDIQUE PRATIQUE, P: 422.

(2) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الإناث، م. س، ص152.

(3) جريدة الديار اللبنانية، العدد 2485، تاريخ 30/ 7/ 1995، ص16، «طفلات ودمى تحت ميزان العدالة».

الطفولة، وهذا ما أشار إليه العقيد سعيد عيد، رئيس شعبة التخطيط والتنظيم في المديرية العامة لقوى الأمن الداخلي إلى أن هناك «توجه لدى وزير الداخلية والمدير العام لقوى الأمن إلى إنشاء مكتب لحماية الطفولة عند وضع المرسوم التظيمي الجديد لقوى الأمن الداخلي. فالأمور المتعلقة بالإعتداءات الجنسية على الأطفال تحال الآن على مكتب حماية الآداب. لكن كل الأمور المتعلقة بالأطفال سيحال على مكتب حماية الطفولة عندما ينشأ. وستكون لعناصر هذا المكتب تنشئة خاصة تؤهلهم للتعاطي مع الأطفال، وسيستعان بإختصاصيين من خارج قوى الأمن»[1].

- 3 - تأسيس المؤسسات التي تهتم بالضحايا

تنتشر المؤسسات التي تهتم بضحايا الإغتصاب في كل أنحاء العالم، فقد ذكرت مؤلفة كتاب Recovering From Rape في نهاية كتابها عناوين 278 مركزاً من مراكز الإعتناء بضحايا الاغتصاب منتشرة في الولايات المتحدة»[2].

وهذا الأمر إن كان معروفاً في الخارج إلا أنه في لبنان لا يوجد مؤسسات مخصصة بمعالجة هذه الحالات، بل هي تعالج حالات أخرى قد تنتج عن الإغتصاب كحالة البغاء، ومن هذه المؤسسات، مؤسسة «الأمل» التي من أهدافها مساعدة ضحايا البغاء لإستعادة كرامتهن الإنسانية والتعرف إلى مجالات حياة مختلفة.

إضافة إلى ذلك فقد عمدت جمعية «تنظيم الأسرة» الى تأمين رقم هاتفي يمكن لأي شخص يعاني من مشكلة أن يعرضها، وتقوم المساعدة الإجتماعية بتوجيه المستمع إلى اختصاصي في علم النفس مثلاً يستقبله بسعر مخفوض[3].

---

(1) جريدة النهار اللبنانية، العدد 19860، 30/ 9/ 1997، ص8.

(2) LEDRAY ,LINDA ,RECOVERING FROM RAPE, P: 221 - 246.

(3) جريدة النهار اللبنانية، العدد19862، تاريخ2/ 10/ 1997، ص8.

ـ 4 ـ معالجة الآثار الناتجة عن الاغتصاب

يحصل بعد عملية الاغتصاب أن تشعر المرأة المغتصَبة بالذنب، لخوفها من أن تكون قد شجعت الجاني على فعلته إما بسبب سوء تصرفها، أو بسبب لباسها أو غير ذلك، إلا أن الاغتصاب قد يحصل في كثير من الأحيان لفتيات أو نساء لم يرتكبوا أي فعل لاأخلاقي، حتى أن هذا الأمر قد حصل لنساء كبيرات في السن وقد بلغ عمر إحداهن الخامسة والثمانون، مما يعني أن جريمة الاغتصاب كغيرها من الجرائم لا تميز بين أحد من الناس، وإن أسبابها التي ورد ذكرها في سياق البحث كثيرة ومتنوعة، ومن هنا فلا يجب على المرأة أن تلوم نفسها على هذا الفعل، خاصة أنه يحدث رغم إرادتها، والله سبحانه وتعالى رفع الإثم عن كل فعل حصل بالإكراه فقد قال عليه الصلاة والسلام (إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه)[1] .

والفقهاء قالوا برفع الإثم عن المرأة المغتصبة، بل جعلوا لها حقوقاً تستحقها كالمهر والأرش في بعض الحالات، ومن هنا فعلى الاختصاصيين الذين يهتمون بالضحية الإهتمام بإعادة ثقة الضحية بخالقها وبنفسها، ويجب التركيز على أن ما حصل لها هو شيء قدري لا مفر منه، عملاً بقول رسول الله ﷺ: (لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأنّ ما اخطأه لم يكن ليصيبه)[2] .

ـ 5 ـ حلول طبية معاصرة

انتشرت في العصر الحالي فتاوى معاصرة في حل مشكلة الفتاة التي تفقد بكارتها بالإكراه، ومنها إباحة عملية رتق غشاء البكارة، وقد تحدث أحد الأطباء عن هذه العملية فقال: إنها تُجرى بطريقتين: التضييق والترميم، العملية الأولى تُجرى قبل وقت قصير من الزواج، بينما تستمر عملية الترميم لفترات طويلة، كما أشار أيضاً إلى أن هذه العملية يمكن

---

(1) سبق تخريجه.

(2) ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي بشرح صيح الترمذي، أبواب القدر، م.س، ج8، ص312.

القيام بها أكثر من مرة، خاصة إذا تمت بالطريقة الأسهل أي التضييق[1] .

ومن العلماء المعاصرين الذين أباحوا هذه العملية في حالة الاغتصاب العلامة الشيخ محمد حسين فضل الله في محاضرة ألقاها في مستشفى الشرق الأوسط قال فيها:

«هذه حالات تحدث، وربما تُخدع إنسانة فتفقد عذريتها، وربما تُغتَصب إنسانة فتفقد عذريتها، وربما يترك هذا الموضوع تأثيراً سلبياً على حاضرها ومستقبلها بحيث تتعرض حياتها للخطر إنطلاقاً من الذهنية المتخلفة التي تُحَمِّل المرأة مسئولية شرف العائلة ولا تحمل الرجل مسئولية الشرف، فالرجل الذي يعتدي تنطلق العائلة من أجل أن تحميه وأن توكّل له محامٍ للدفاع عنه، أما المرأة التي لا تنحرف بل تُغتَصب أو تُخدَع أو يُشاع عنها ذلك فإن الجميع، حتى ولو كانوا حجاجاً، لا يحفظون إلا هذا البيت من الشعر:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم

...في هذه الحالات إذا كانت حياتها معرضة للخطر أو معرضة لعارٍ كبير يجوز للطبيب في هذه الحالة أن يقوم بعملية رتق الغشاء بقلب مطمئن، لأن مسألة هذه المجافاة في الحقيقة التي يصر الناس على أن يواجهوها حتى ولو كانت بنحو الخديعة، الناس يحبون أن يخدعهم الآخرون، ولا يحبون أن يصارحهم الآخرون، لذلك لا مانع من أن يقوم الطبيب بنفس مطمئنة وبضمير مرتاح بعملية رتق الغشاء ويعتبر أنه حفظ حياة إنسانة أو أنه حفظ ظروف إنسانة في حاضرها ومستقبلها، لا مانع شرعياً في هذه الحالة»[2].

والواقع أن في إباحة هذه الأمر خطأ كبير لأن فتح هذه الباب سيجعل لكل فتاة مجالاً لتلجّه كمخرجٍ لها في أزمتها، وقد قال أحد

---

(1) جريدة السفير اللبنانية، سفير الناس، العدد 14 تاريخ 14/ 1/ 1996، ص 9.

(2) جريدة النهار اللبنانية، فضل الله، محمد حسين، «شرعا يجب التطور بالانسان وجسده»، العدد 19260، تاريخ 12/ 10/ 1995، ص17.

الأطباء: «إن كل واحدة تأتي لإجراء عملية التقطيب تدعي أنه تم الاعتداء عليها، فنضطر لتصديقها حتى لا نفتح تحقيقا»[1].

ـ 6 ـ تأمين الحماية للضحية

تؤكد بعض الأبحاث على استخدام النساء وسائل الحماية الشخصية لمواجهة أعمال العنف التي قد يتعرضن لها، ومن هذه الأبحاث، بحث الباحثة «كاترين ألويل: التي استنتجت «إنه في سنة 1991 هناك ما لا يقل عن ستة ملايين ضحية استجابوا لجرائم العنف الموجهة نحوهم بإستخدام وسائل الحماية الشخصية، وان 60 % منهم إشترك في محاولة لارتكاب جريمة، ووجدت كذلك أن الكثيرين من المواطنين الاميركيين قد بدأوا بأخذ القانون بيدهم لحماية أنفسهم وعائلاتهم وذويهم من المجرمين وذلك كنتيجة حتمية لضعف الاستجابة من الشرطة والمحاكم لقضاياهم»[2].

ومما يزيد الأمر سوءاً أن الشرطة لم تكتف بعدم تأمين الحماية لهؤلاء الضحايا، بل إنها تنصح الضحية التي تتعرض للاغتصاب بالاستسلام وعدم مقاومة الجاني، وهناك ملخص أصدرته الشرطة في الولايات المتحدة حذرت فيه الإناث من الاغتصاب وجاء فيه: «أوضحت البحوث المتعمقة التي أجريت على ظاهرة الاغتصاب أن محاولات الدفاع عن النفس مثل الصراع، والرفس، والخربشة، واستعمال الغاز المسيل للدموع وغيره من الأسلحة، عادة ما يثير غضب المغتصِب ويدفعه إلى إصابة الضحية بأضرار بدنية شديدة بالتأكيد، ومن هذا يتبين إلى أي حد يكون من غير المنطقي ومن الظلم مطالبة الضحايا بمقاومة الاغتصاب»[3].

ومما يدعو إلى الدهشة والاستغراب أن مثل هذه المؤسسات التي تحقق مع الضحية بعد عملية الاغتصاب تدعي أن الفتاة لم تقاوم لأنها كانت راغبة في الفعل ومشجعة عليه.

---

(1) جريدة السفير اللبنانية، سفير الناس، العدد14، تاريخ 14 / 1/ 1996 ،ص9.

(2) مجلة العلوم الاجتماعية الكويتية، العدد 22، ربيع / صيف 1994، العنوان: «جرائم العنف وضحاياها، المؤتمر السنوي لجمعية علم الاجرام الأميركية»، ص222.

(3) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الإناث، م. س، ص139.

المبحث الثالث
مساعدة مجرم الاغتصاب

تنقسم المساعدة التي يمكن إعطاءها للمجرم إلى قسمين: مساعدة قبل وقوع الفعل، ومساعدة بعد وقوعه، وتشمل المساعدة الأولى منع أسباب الفتنة عن المجرم، مثل: التربية والتوجيه، والرقابة على وسائل الإعلام، والمساعدة على إشباع حاجات الفرد بالطرق الحلال، كالتشجيع على الزواج وغير ذلك مما مرَّ ذِكره.

فيما تشمل المساعدة الثانية مساعدة الرجل على تزكية نفسه وتربيتها لمنعها من السقوط في الرذائل، وقد وعد الإسلام من يقاوم غرائزه ويمنعها عن الحرام بالجنة، فقال عليه الصلاة والسلام:

(سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)[1].

ـ 1 ـ مساعدة مجرم الاغتصاب

يعاني المجرم المتهم بالاغتصاب من مشاكل كثيرة تمنعه من التوبة ومعاودة الحياة الطبيعية، ومن هذه المشاكل ما يتعلق بنظرة الناس إليه، ومنها ما يتعلق بعدم وجود العلاج الشافي له، والذي يساعده على عدم العودة إلى ارتكاب الجرم مجدداً.

ـ أ ـ نظرة المجتمع إلى مجرم الاغتصاب

يساهم المجتمع بشكل غير مباشر في إيذاء المجرم ونبذه ومساعدته على تكرار جريمته، إذ أن النظرة الاجتماعية للمجرم بعد استيفاء عقوبته «تجعله موضع نفور من أفراد المجتمع وتفقده ثقتهم به فيحرصون على نبذه

---

(1) الهندي، كنز العمال، م.س، ج16، حديث 44040.

من مجتمعهم، وبذلك تتضاءل أمام الجاني فرص الحصول على عمل شريف يستطيع عن طريقه كسب عيشه، فيفقد ثقته في جدوى الأساليب المتفقة مع أوامر القانون ونواهيه ويجد نفسه مضطراً إلى الاندفاع من جديد في تيار الجريمة»[1].

أما بالنسبة للمجرم الذي اتهم بجريمة الاغتصاب فان نظرة الناس إليه تبقى نظرتهم إلى مغتصب ولو بَرَّأه القانون، لذلك فمن المفيد في هذا المجال ذكر الباب الذي شرّعه الإسلام لحماية مثل هؤلاء الأشخاص من عبث العابثين وهذا الباب هو حد الفرِيَة، فقد جاء في الفقه الإسلامي فيمن ادّعت على رجل أنه غصبها نفسها ما يلي: «لو ادعت امرأة على رجل أنه غصبها على نفسه، فإن كان من أهل الصلاح والطهارة أقيم عليها حد القذف وحد الزنا لإقرارها على نفسها»[2].

فقد ورد من أحكام «ابن سهل في امرأة رمت رجلاً أنه اختدعها وافتضها، وشهد في ذلك الرجل جماعة من خيار الناس ممن يعرفه إنه من أهل الطهارة والحالة الحسنة، وإنهم لا يعلمون أن ينسب إليه في هذا شيء، وشُهِد على المرأة أن هذه المرأة منسوب إليها الردي، فأجاب المشاوَرون في ذلك بأن الحد الواجب على المرأة للرجل الذي رمته حد الفرية ثمانون سوطاً»[3].

ـ ب ـ علاج مجرم الاغتصاب

يفقد مجرم الاغتصاب سواء كان من المعتدين على النساء أو من المعتدين على الأطفال كل اهتمام من قبل المسئولين داخل السجن حيث يقضي عقوبته، أو من المسئولين والمجتمع خارج السجن بعد انقضاء فترة سجنه.

---

(1) رمضان، عمر سعيد، دروس في علم الإجرام ،م. س، ص146.

(2) ابن فرحون، تبصرة الحكام، م ـ س، ج2، ص. 156 انظر ايضا: ابن حزم، محمد بن علي الأندلسي الظاهري، المحلى،مطبعة الإمام، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ، ج11، ص291.

(3) ابن فرحون، تبصرة الحكام، م. س، ج2، ص169.

ففي أحد السجون الفرنسية قال أحدهم وهو في السادسة والعشرين من العمر محكوم عليه بالسجن أربعة عشر عاماً لاعتدائه على طفل: «سأعيد الفعل، هذا بديهي ... سيتركوني هكذا، بدون جواب، عام 2005 عندما أخرج، سأكون نفس الشخص، نفس الغرائز، ولا أحد يسمعني، إذاً سأعود مجدداً لأبحث عن الضحية، وسيكون الأمر أقوى مني»[1].

- 1 - العلاج الإسلامي لمجرم الاغتصاب: يعتبر الحديث السابق دليلاً واضحاً عن عجز السلطات بكافة أجهزتها عن مساعدة مجرم الاغتصاب داخل السجن وخارجه، ولعل ما ينفع في هذا المجال هو تقوية إيمان المجرم بخالقه عن طريق تبيان أهمية الإيمان بالله سبحانه وتعالى في التخفيف من المعاصي، وتبيان أهمية التوبة في محو الذنوب، لأن في هذا حافزاً كبيراً على الاستمرار في الحياة، وكذلك تبيان الأدوية الإسلامية النافعة في هذا المجال، من الصبر والتوكل على الله، واللجوء إليه بالدعاء طلباً للمساعدة في الخلاص من الآفات التي يعاني منها، والاستغفار عما مضى من ذنوب، وتبيان رحمة الله وعفوه عن عباده، فقد قال الله ﷻ:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[2].

وتبيان الطريق المساعد على كسب المغفرة وكسب العون من الله سبحانه وتعالى، وهو الإكثار من العبادات والنوافل، وقد قال ﷺ في الحديث القدسي:

(من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب وما تقرّب إليّ عبدي بشيء احبّ إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، ونظره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وان سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في نفس عبدي المؤمن، يكره الموت وأنا اكره مساءته)[3].

---

(1) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D'INNOCENCES, P: 199.

(2) سورة النساء، الآية 48.

(3) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، م. س، ج7، ص190.

ومن العبادات المفيدة في كسر شهوة الفرج عبادة الصوم، فقد قال رسول الله ﷺ:

(من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء)[1].

ومن وسائل إصلاح المجرم أيضاً استخدام أسلوب الترهيب والتخويف بعقاب الله الذي فرضه على عباده في الدنيا والآخرة، ومن القصص المفيدة في هذا المجال قصة إبادة الله سبحانه وتعالى لقوم لوط بسبب مخالفتهم لسنة الله تعالى، وإتيانهم الذكور دون الإناث.

ـ 2 ـ العلاج الطبي لمجرم الاغتصاب:

تتعدد الأصوات الداعية إلى علاج مجرم الاغتصاب قبل خروجه من السجن، وذلك بغية التقليل من فرصة عودته إلى الإجرام بعد خروجه، ومن الحلول المطروحة والمطبقة في عدد من البلدان حلول متعلقة بالناحية الجنسية، وحلول متعلقة بالناحية النفسية.

ـ 1 ـ الحلول المتعلقة بالناحية الجنسية

تنقسم الآراء حول معالجة مجرم الاغتصاب جنسياً بين رأيين، الرأي الأول يرى في الخِصاء حلاً لمجرمي الاغتصاب الذين لا أمل لهم بالشفاء، «ففي عام 1929 صدر في الولايات المتحدة القانون الذي يسمح بخصي المجرم الجنسي إذا رضي هو بذلك، أو إذا طلبه بنفسه على أساس أن دافعه الجنسي يتسبب في ارتكابه للجرائم، مما يجعله خطراً على المجتمع أو يؤدي إلى معاناته نفسياً واجتماعياً»[2].

إلا إن هذا القانون ألغي بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة الحملات التي شنها عليه أنصار حقوق الإنسان، والواقع يشير إلى أن الخصاء يعبر عن عجز السلطات عن مساعدة الجاني، ومن هنا جاء الرأي الثاني الذي يرى العلاج «بالحقن بالمضادات التي تخفف من هذه الشهوة ولكن يجب

---

(1) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، م. س، ج1، ص229.

(2) المجدوب، أحمد علي، اغتصاب الإث، م. س، ص15.

أن ينبع من هذا موافقة المجرم نفسه أو تحت طلب القضاء، وتأتي النتائج سريعة تؤدي عند بعض المجرمين إلى خفض الجاذب الجنسي وضعف العملية الجنسية نفسها»[1].

وهذا الأمر يمكن الأخذ به مع كثير من الحذر ممن يسيء استخدامه، وممن يستخدمه بغية الإيذاء والإضرار بالآخرين لمصالح شخصية.

- 2 - الحلول المتعلقة بالناحية النفسية

عمدت بعض الدول إلى إنشاء مؤسسات خاصة للعناية بمجرمي الاغتصاب ومساعدتهم على التغلب على نزواتهم، ومن هذه المؤسسات مؤسسة PINEL بينال التي تأسست في مونتريال في كندا وتعنى بمجرمي الاعتداء على الأطفال، وقد قال أحد المجرمين الذي يعالج في هذه المؤسسة: «اليوم أنا أعيش في الواقع، تخيلاتي تراجعت، وعندما تزداد وتثبت على شيء ما، هنا يستدعي الأمر التصرف وطلب المساعدة، منذ مدة كدت أقع مجدداً، ولكن تغلبت على الأمر بعد أن تكلمت إلى الطبيب، فأنقذت نفسي وأنقذت الطفل»[2].

ويقول الدكتور الكندي Mc KIBBER ماك كيبر عن عمل هذه المؤسسة: «نعتمد على المريض نفسه، على قدرته على فهم قصته وتصحيح ميوله، نحن نعطيهم المفاتيح، القدرة على الاختلاط بالجماعة والتوجه شيئاً فشيئاً نحو الكبار، نحو اهتمامات ونشاطات الكبار، وهكذا يجد الشخص الذي يعتدي على الطفل بأن ميوله تضاءلت، وهذا أمر طبيعي كلما ازداد اختلاط الشخص بالمجتمع يبتعد عن الأطفال وكلما أحسّ نفسه منبوذاً عاد إلى الإعتداء على الأطفال»[3].

فاهتمام مثل هذه المؤسسات بهذه النوعية من المجرمين يرتكز على إيجاد رادع داخلي عند المجرم يمنعه من معاودة جرمه وإيجاد رغبة قوية لديه في الخلاص من جرمه، إلا أن ما أغفلته مثل هذه المؤسسات إن مثل

---

(1) PICAT, JEAN, VIOLENCES MEURTRIERES ET SEXUELLES, P:86.

(2) MENEY, PATRICK, LES VOLEURS D'INNOCENCES, P: 202.

(3) MENEY PATRICK, LES VOLEURS D'INNOCENCES, P: 232.

هذا الرادع لا يقوى إلا بوجود خوف شديد داخل الفرد من العقاب على فعله إذا عاد لارتكابه، وبما أن مثل هذا العقاب لا يجده مثل هذا المجرم في السجن، فإن ما يجب أن يخاف منه هو عقاب رب العالمين الذي يراه حين ارتكابه الفعل، وقد قال ﷻ:

﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[1].

فإذا كانت الذرة مع صغر حجمها لا يغفل الله عنها، فكيف بذنوب العبد الذي تجرأ على مواجهة ربه بها، لذلك عرّف جبريلعليه السلام الإحسان في حديث رسول اللهﷺ بقوله:

(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فانه يراك)[2].

(1) سورة يونس، الآية 61.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الايمان، م. س، ج1، ص 18.

الخاتمة

تتعدد النتائج التي يمكن استخلاصها من سياق البحث تبعاً لاختلاف نوع الاغتصاب الذي ارتكب على الضحية، إذ أن نتيجة الاغتصاب الجماعي في الحروب تختلف عن نتيجة الاغتصاب الفردي، كما تختلف عن نتيجة اغتصاب المحارم.

ولا بد قبل استخلاص نتائج البحث من تقسيم هذه النتائج إلى قسمين:

القسم الأول يتعلق بالنتائج العامة التي يمكن استنتاجها من المعلومات التي وردت في البحث.

القسم الثاني يتعلق بالنتائج الخاصة العائدة إلى الإحصاء الذي أجريته على 116 حالة من حالات الاغتصاب التي أعلنت عنها تقارير قوى الأمن الداخلي والتي جرى نشرها في جريدة النهار[1]، ومن ميزة هذا القسم انه يعطي فكرة واضحة عن واقع جريمة الاغتصاب في المجتمع اللبناني، حيث يعطي فكرة واضحة عن عمر الضحية والمجرم، إضافة إلى علاقة المجرم بالضحية، وغير ذلك من النتائج الهامة.

القسم الأول: النتائج العامة

تتعدد النتائج التي يمكن استخلاصها من هذا البحث حول هذه

(1) هذه الحالات بالطبع ليست كل ما حصل في لبنان في الفترة التي جرى فيها الإحصاء، ولكنها مقتصرة على ما نشر منها في تقارير قوى الأمن الداخلي وفي جريدة النهار تحديداً.

الجريمة وأسباب ارتكابها، إلا أنه يمكن استخلاص النتائج التالية:

ـ 1 ـ إن جريمة الاغتصاب لا يخلو منها مجتمع من المجتمعات القديمة والحديثة، وإن كانت تتفاوت نسبتها بتفاوت تقدم الشعوب والتزامها الأخلاقي بالقيم والمبادئ، إذ ثبت من جراء قراءة التاريخ ارتباط هذه الجريمة ارتباطاً وثيقاً بالفساد الأخلاقي.

ـ 2 ـ إن اغتصاب الحروب وسيلة لإخضاع الشعوب وإذلالها، وهو أيضاً لم يخل منه مجتمع من المجتمعات، حتى المجتمع الإسلامي عانى من هذه الظاهرة، فقد حصل ذلك في العهد العباسي أثناء ثورة الزنج، كما حصل في بعض الغزوات العادية، حيث كانت تحدث بعض الاعتداءات من الغانمين على النساء قبل القسمة، إلا أن إقامة الحكّام الحدود على مرتكبي الجرم كان له أثر كبير في الحد من هذه الجريمة، ويمكن في هذا العصر أيضاً إعادة إحياء هذه الأحكام حتى عند الشعوب غير الإسلامية، إذ يمكن للمحكمة الدولية مثلاً محاكمة المجرمين الذين يقومون بالاعتداء على النساء في الحروب.

ـ 3 ـ إن تحديد العوامل التي تساعد على ارتكاب الجرم مثل العوامل الطبيعية، والعوامل العضوية ... لا يمكن الركون إليها واعتبار أنها أسباب تخفيفية يجب الأخذ بها عند النطق بالحكم، لأن كثيرا من الناس يعانون من تأثير هذه العوامل على حياتهم ولكنهم لا يقومون بجرم الاغتصاب، مما يدل على قدرة الإنسان على السيطرة على انفعالاته والتحكم بتصرفاته.

ـ 4 ـ العمل على إيجاد حلول للعوامل الاجتماعية والاقتصادية التي تمنع الشباب من الزواج، من تسهيل للمساكن، ووضع خطط إسكانية تساعد ذوي الدخل المحدود على بناء الأسر ... مع تكثيف الإرشاد إلى أهداف الزواج الأساسية من حصول الاستقرار والأمن، والدعوة إلى عدم المغالاة في المهور، وتوجيه الأهل إلى أهمية اختيار الزوج المؤمن الخلوق.

ـ 5 ـ بث المبادئ الإسلامية السليمة، وتكثيف الدعاة الذين يوضحون أهداف اليهود القائمة على إلهاء الناس بالملذات الدنيوية

وإبعادهم عن الهدف الأساسي لوجودهم، وهو عبادة الله سبحانه وتعالى.

ـ 6 ـ توعية النساء إلى الهدف من وراء الدعوة إلى الحرية والإباحية، وهو استغلالهن عبر السيطرة على عقولهن بواسطة أفكار ومبادئ تضرّ بهن و تؤدي إلى فقدانهن لكرامتهن الإنسانية التي حفظها لهن الإسلام عندما فرض عليهن الحجاب ليحميهن من عبث العابثين، وعندما حصَّنهن بالزواج من الرجل المؤمن الذي يؤمن لهن الحماية والاستقرار.

ـ 7 ـ الرقابة على الإعلام ومنع بث أو نشر أخبار العنف والجنس التي تحرك الغرائز وتساعد على ارتكاب الفعل.

ـ 8 ـ مساعدة ضحايا الاغتصاب عن طريق إعادة الثقة بأنفسهن، والعمل على إيجاد حلول للحالات الناتجة عن الاغتصاب، كحالة الإجهاض، وحالة ولادة الأطفال غير الشرعيين واحتضانهم وتربيتهم التربية الإسلامية السليمة.

القسم الثاني: النتائج الخاصة

تدلّ النتائج التي جرى استخلاصها من الإحصاء الذي أجريته على 116 حالة من حالات الاغتصاب التي حصلت في لبنان من الفترة الممتدة من 27/ 7/ 1991 إلى 17/ 11/ 1995، على النتائج التالية:

عمر الضحية:

من عمر 4 ـ 7	%7
من عمر12 ـ 15	%27
من عمر16 ـ 18	%22
من عمر19 ـ 30	%29
من عمر 30 ـ 50	%8
من عمر 50 ـ 80	%7
	%100

يستخلص من هذه النتائج أنه ليس هناك عمر محدد تكون فيه الضحية اكثر عرضة للاغتصاب من غيره، إذ أن أعمار الضحايا المذكورين أعلاه يبتدئ بسن الثانية عشرة ويصل إلى سن الثمانين، مما يؤكد على أن المجرم لا ينظر إلى شخصية المرأة التي يعتدي عليها بل أقصى ما يريده هو إشباع شهوته مع أي شخص كان.

ويمكن أيضاً الاستنتاج أن المجرم المعاصر فَقَدَ أدنى درجة من درجات الشرف والاستقامة، وذلك باعتدائه على الأطفال والشيوخ الذين أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بحمايتهم بقوله :(ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقّر كبيرنا)[1] .

جنس الضحية

أنثى	%88
ذكر	%12
	%100

تدل هذه النتيجة على ظاهرة خطيرة هي ظاهرة الاعتداء على الذكور وما ينتج عنه من احتمال تحّول كثير من المغتصبين إلى الشذوذ الجنسي، أو احتمال اصابتهم بالأمراض النفسية المعقدة.

كما يدلّ الأمر على انقلاب الرغبة الجنسية عند كثير من الأشخاص الذين يرتكبون هذا الجرم، لأن في الإتجاه إلى اللواط دليلاً على فقد الرغبة بالنساء، كما أنه ينذر بعقاب رب العالمين، حيث أوجب لعنته على من قام بمثل هذا العمل.

(1) ابن العربي المالكي، عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، أبواب البر والصلة، م. س، ج7، ص106.

عمر المجرم

العمر 15 ـ 20	%5
العمر 21 ـ 30	%28
العمر 31 ـ 40	%29
العمر 41 ـ 70	%30
العمر 71 ـ 80	%8
	%100

يستنتج من هذه الأرقام أن أعمار المغتصبين تتراوح بين 21 إلى 70 سنة، مما يدلّ على عدم وجود سن معينة يمكن إعتبارها سناً خطرة يمكن أن يتجه فيها الشاب إلى سلوك درب الجريمة، إلا أن في ارتفاع عدد المغتصبين عند كبار السن نقطتين هامتين يمكن استخلاصهما منه:

ـ 1 ـ إن حصول الاغتصاب من قبل الأشخاص الذين تجاوزوا سن النضج وحتى سن الزواج، يدلّ على أن هذه الجريمة ليست جريمة جنسية لإحتمال أن يكون هؤلاء الأشخاص قادرين على إشباع حاجاتهم بالطرق الحلال.

ـ 2 ـ إن حصول الجريمة من قبل كبار السن، يمكن إرجاعه إلى رغبة هؤلاء في إثبات قدراتهم الجنسية من جهة، أو إلى خلل عصبي أصابهم في الكبر كالجنون الشيخوخي الذي سبقت الإشارة إليه خلال البحث.

جنس المغتصِب

ذكر	%98
أنثى	%2
	%100

تدل هذه النتيجة على حصول حالات اغتصاب لم يذكرها القانون في السابق، وهو إكراه المرأة الرجل على الزنا، وهذه النتيجة وإن كانت قليلة إلا أنها تدلّ على نتائج الفساد الذي أصاب المجتمع وكان للمرأة نصيبها منه، كما يمكن الاستدلال به على سعي كثير من النساء لإشباع شهواتهن المحرمة لعجزهن عن إشباع هذه الحاجات بالطرق الحلال، مما ينذر

بالعواقب التي يمكن أن تؤدي إليها العنوسة.

جنسية المجرم

لبناني	%76
غير مذكور	%11
مصري	%5
كردي	%2
سوري	%2
سوداني	%1
كولومبي	%1
بنغلادشي	%1
سري لانكي	%1
	%100

تدلّ هذه النتيجة على أن أهل البلد هم اكثر الناس قياماً بفعل الاغتصاب، مما ينفي مقولة بعض الناس أن اغلب مرتكبي جريمة الاغتصاب هم من المهاجرين والغرباء عن البلد، كما يدلّ على فساد الرجل اللبناني وتحوّله إلى جرائم العنف والجنس للتعبير عن الصعوبات الحياتية التي تواجهه.

المحافظات

غير مذكور	%49
بيروت	%38
الشمال	%5
جبل لبنان	%5
البقاع	%2
الجنوب	%1
	%100

تدل هذه النتائج على أن العاصمة هي المحافظة التي تقع فيها أغلب جرائم الاغتصاب، ولهذه النتائج دلالات عديدة، منها:

ـ 1 ـ انتشار الجرائم الجنسية في المناطق ذات الكثافة السكانية المرتفعة.

ـ 2 ـ فقدان كثير من شباب وشابات المدن للقيم الأخلاقية الرادعة، نتيجة غياب الضبط الأسري، والتوجيه المدرسي السليم.

ـ 3 ـ عجز كثير من الشبان عن الزواج، نتيجة الغلاء المعيشي المتمثل بغلاء الشقق السكنية وغلاء مهور بنات المدينة وكثرة متطلباتهن من جهة أخرى.

وتدل نسبة الأرقام المتدنية في باقي المحافظات على احتفاظ هذه المناطق بمبادئها وأخلاقها وتسهيل زواج أبنائها، ووجود الرقابة الاجتماعية، كما يمكن الاستدلال منه على امتناع كثير من الضحايا عن الإبلاغ عن الجرائم نظراً لتعلق هذه الجرائم بجرائم الشرف والأخلاق.

علاقة الضحية بالمجرم

غير مذكور	%27
جار	%16
محارم	%16
سيد	%15
معرفة	%7
خادم	%6
غريب	%5
خطيب سابق أو مطلق	%4
سائق سرفيس	%2
بائع يانصيب	%1
أستاذها	%1
	%100

تدل هذه النتائج على الحقائق الآتية:

إن أكبر نسبة اغتصاب تحصل في ثلاث حالات، حالات الجيرة، حالات المحارم، حالات الخدم، ولكل حالة أسبابها الخاصة.

اغتصاب الجيران

تستنتج من ارتفاع نسبة أرقام حوادث اغتصاب الجيران إلى الحقائق التالية:

ـ 1 ـ كثرة الاختلاط الذي يحصل بين الجيران وما ينتج عنه من رفع للكلفة بين أفراد البيتين، ومن التهاب مشاعر بعض الشباب الذين ما يلبثون أن يتعلقوا بهوى جاراتهم، فإذا عجزوا عن الحصول عليهن بالطريق الحلال، فسرعان ما يعمدون إلى الطريق الأسهل أي الاغتصاب.

ـ 2 ـ ذهاب الحياء عند كثير من الجيران، حيث تدخل الجارة إلى بيت جارها وهي ترتدي ثياب النوم التي لا تخلو من بعض الإباحية، خاصة في فصل الصيف، وكذلك الأمر بالنسبة للرجل الذي يدخل بيت جارته بالسروال القصير (الشورت) الذي يفتقد للشروط الشرعية.

اغتصاب المحارم

ينذر ازدياد نسبة اغتصاب المحارم بخطر جسيم، إذ أنه إضافة إلى الأثر الذي يتركه على نفسية الضحية، فإنه ينذر بفقدان المرء أدنى الأماكن التي تشعره بالأمان والراحة.

اغتصاب الخدم

يدل ارتفاع نسبة ارتكاب جريمة الاغتصاب بين السيد وخادمته، أو بين الخادم وسيدته، على مخاطر تواجد هؤلاء الغرباء في البيوت، إذ كثيراً ما يحصل نوع من الإلفة بين الطرفين، إما بسبب قيام الخادمة بدور ربة البيت واهتمامها بشؤون سيدها، وإما بسبب ذهاب الحياء عند بعض السيدات اللواتي يتصرفن بإباحية أمام الخدم الغرباء.

مكان الجرم

منزل المجرم	%38
منزل الضحية	%29
غير مذكور	%25
السيارة	%3
الطريق	%3
الفندق	%1
الشاليه	%1
	%100

تدل هذه النتائج على أن غالبية جرائم الاغتصاب حصلت في منزل المجرم أو في منزل الضحية، وهذا الأمر يمكن استخلاص عدة أمور منه، منها:

ـ 1 ـ معرفة الضحية بالمجرم في كثير من الحالات، مما يجعلها ترافقه إلى منزله أو يرافقها إلى منزلها، وهذا قد يدل على أن المغتصب يمكن أن يكون قد فسر رفضها ومقاومتها له على أنه امتناع ظاهري عن الفعل مع الرغبة الدفينة به، عملاً بالمثل القائل: «يتمنعن وهن راغبات».

ـ 2 ـ الإباحية في تصرفات بعض الشابات حيث يسمحن لأنفسهن بجلب رفاقهن إلى منازلهن أو مرافقتهن إلى منازلهم، وما ينتج عن هذه الخطوات من التفسير الخاطئ لبعض الشباب لتصرفات الفتاة، بأنها ما فعلت ذلك إلا لأنها لا تمانع في حصول علاقة جنسية.

وفي النهاية لا بد من التوضيح أن هذا البحث لا يتناول إلا جريمة واحدة من جرائم الاغتصاب المنتشرة في العالم، والتي جعل لها الله سبحانه وتعالى عقوبة تتناسب مع جسامة الفعل، إلا أن هناك أنواعاً أخرى من جرائم الاغتصاب منتشرة في العالم تستوجب التعريف بحكم الشرع فيها، من هذه الجرائم، جرائم اغتصاب الأرض وجرائم اغتصاب الأموال والحقوق، والأخطر من ذلك جرائم اغتصاب العقول التي يتم بواسطتها

تعطيل العقول عن طريق بث الأفكار والمذاهب المدمرة والتخريبية.

وأخيراً أحمد الله على نعمة الإسلام ونعمة الإيمان، كما أحمده على توفيقه لي في إتمام هذا البحث، وأختم الكلام بالحمد الواجب في نهاية الأعمال:

﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

(1) سورة يونس، الآية 10.

فهرس المصادر والمراجع[1]

- القرآن الكريم

كتب السنن

1 ـ سنن ابن ماجه، ابن ماجه، أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ـ لبنان، بدون دار نشر.

2 ـ سنن أبي داود، أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الحديث، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1389هـ، 1969م.

3 ـ سنن الدارقطني، الدارقطني، علي بن عمر، دار المحاسن للطباعة، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

4 ـ السنن الكبرى، البيهقي، أبي بكر احمد بن الحسين، مطبعة مجلسة دائرة المعارف العثمانية، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة، 1354هـ.

5 ـ صحيح البخاري، البخاري، أبو عبد الله بن اسماعيل بن المغيرة بن بردزبة، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

6 ـ صحيح مسلم شرح النووي، مسلم، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة، 1401هـ، 1981م.

7 ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلاني، ابن حجر، دار الريان للتراث، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1407هـ، 1987م.

---

(1) تمت فهرست المصادر والمراجع بدل فهرست المؤلفين كما هو معتمد في متن الكتاب لسببين:

ـ 1 ـ تسهيلاً للقارىء الذي في كثير من الأحيان يكون على معرفة باسم الكتاب دون اسم المؤلف.

ـ 2 ـ تسهيلا لعملية تصنيف الكتب حسب محتواها.

8 ـ كشف الخفاء ومزيل الألباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، العجلوني، اسماعيل بن محمد، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1403هـ، 1983 م.
9 ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، الهندي، علاء الدين، المتقي بن حسام الدين، مكتبة التراث الاسلامي، حلب ـ سورية، الطبعة الأولى، 1390هـ، 1970م.
10 ـ المستدرك على الصحيحن، الحاكم النيسابوري، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
11 ـ مسند الامام احمد بن حنبل، ابن حنبل، احمد، اشراف سمير طه المجذوب، المكتب الاسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م.

مصادر الفقه

الفقه الحنفي

12 ـ أحكام القرآن، الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، مطبعة البهية المصرية، مصر، بدون رقم الطبعة، 1347هـ.
13 ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، علاء الدين الحنفي، مطبعة شركة المطبوعات العلمية، مصر، الطبعة الأولى، 1327هـ.
14 ـ التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة التاسعة، 1413هـ، 1992م ..
15 ـ فتاوى قاضيخان، الأوزجندي، المطبعة الأميرية، بولاق، بدون رقم الطبعة، 1310هـ.
16 ـ القوانين الفقهية، ابن جزي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
17 ـ كتاب الخراج، الأنصاري، ابو يوسف، بدون دار نشر، القاهرة ـ مصر، الطبعة الخامسة، 1396هـ.
18 ـ اللّباب في شرح الكتاب، الميداني، عبد الغني الغنيمي الدمشقي الحنفي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

الفقه الشافعي

19 ـ الأحكام السلطانية، الماوردي، مطبعة الوطن، مصر، بدون رقم الطبعة، 1298هـ.
20 ـ أحكام القرآن، الشافعي، محمد بن إدريس، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، 1395هـ، 1975م.

21 ـ التنبيه في الفقه الشافعي، الشيرازي، ابن اسحاق الفيروزأبادي، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1403هـ، 1983م.
22 ـ المصنف، الصنعاني، أبي بكر عبد الرزاق بن همام، المجلس العلمي، جوهانسبرغ، بدون رقم الطبعة، 1392هـ، 1972م.

الفقه الحنبلي

23 ـ الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
24 ـ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيّم الجوزية، تحقيق محمد جميل غازي، مكتبة المدني ومطبعتها، جدة ـ المملكة العربية السعودية، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
25 ـ الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، مكتبة المثنى، بغداد ـ العراق، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
26 ـ المغني، ابن قدامة المقدسي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، 1392هـ، 1972م.

الفقه المالكي

27 ـ أحكام القرآن، ابن العربي المالكي، تحقيق محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1377هـ، 1958م.
28 ـ بداية المجتهد ونهاية المقتصد، ابن رشد القرطبي، مطبعة الاستقامة، مصر، بدون رقم الطبعة، 1371هـ، 1952م.
29 ـ تبصرة الحكام في الأقضية ومناهج الحكام، ابن فرحون، برهان الدين ابراهيم بن علي بن ابي القاسم المالكي، راجعه وقدم له عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1406هـ، 1986م.
30 ـ عارضة الأحوذي شرح صحيح الترمذي، ابن العربي المالكي، دار العلم للجميع، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

الفقه الظاهري

31 ـ المحلّى، ابن حزم، محمد بن علي الأندلسي الظاهري، مطبعة الامام، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

كتب التاريخ

32 ـ آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني، زكريا محمد، دار صادر، بيروت ـ لبنان، 1380هـ.

كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية

33 ـ الأخبار الطوال، الدينوري، أبو حنيفة، تحقيق عبد المنعم عامر، مراجعة جمال الدين الشيّال، دار إحياء الكتاب العربي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، بدون تاريخ.
34 ـ أخبار النساء، ابن قيّم الجوزية، دار مكتبة الحياة، بيروت ـ لبنان، 1408هـ، 1988م.
35 ـ إغاثة الأمة بكشف الغمة، المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ـ مصر، 1957م.
36 ـ تاريخ أخبار القرامطة، ابن سنان، ثابت، وابن العديم، حققه سهيل زكار، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، 1391هـ، 1971م.
37 ـ تاريخ الطبري وتاريخ الرسل والملوك، الطبري، محمد بن جرير، دار المعارف، مصر، بدون رقم الطبعة، 1969م.
38 ـ العقد الفريد، ابن عبد ربه، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1411هـ ، 1991م.
39 ـ القرامطة، ابن الجوزي، عبد الرحمن، تحقيق محمد الصباغ، المكتب الاسلامي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1970م.
40 ـ الكامل في التاريخ، ابن الأثير، دار صادر، بيروت ـ لبنان، 1385هـ، 1965م
41 ـ كتاب الأغاني، الأصفهاني، أبو الفرج، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ، 1986م، وأيضاً دار صعب، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
42 ـ مروج الذهب، المسعودي، المكتبة التجارية الكبرى، بدون بلد النشر، الطبعة الثالثة، 1377هـ، 1958م.
43 ـ المستظرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، دار الندوة الجديدة، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
44 ـ مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، دار القلم، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة، 1406هـ، 1987م.
45 ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، الأتابكي، ابن تغري بردى، دار الكتب المصرية، القاهرة ـ مصر، 1351هـ، 1932م.
46 ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، التنوخي، أبي علي المحسن بن علي، تحقيق عبود الشالنجي، جميع الحقوق محفوظة له، 1391 هـ، 1971م.

كتب التفسير

47 ـ أسباب النزول، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

48 ـ تفسير الرازي، الرازي، الفخر، المطبعة البهية، القاهرة ـ مصر، 1357هـ، 1938م.
49 ـ تفسير سورة النور، ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1404هـ، 1983م.
50 ـ تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، عماد الدين إسماعيل، ابن كثير، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1415 هـ، 1994 م.
51 ـ جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري، محمد بن جرير، المطبعة الميمنية، مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
52 ـ فتح القدير، الشوكاني، محمد بن علي محمد، دار الخير، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1992م.
53 ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل، الزمخشري، جاد الله محمد بن عمر، دار الكتاب، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.

كتب اللغة

54 ـ القاموس المحيط، الفيروزأبادي، محمد بن يعقوب، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، 1415هـ، 1994م.
55 ـ لسان العرب، ابن منظور، دار صادرللطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، 1374هـ، 1955م.
56 ـ المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، الراغب، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، الطبعة الأخيرة، 1381هـ، 1961م.

طبقات الفقهاء

57 ـ الأعلام، الزركلي، خير الدين، بدون دار نشر، بدون رقم الطبعة والتاريخ ..
58 ـ الفهرست، ابن نديم، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الولى، 1415هـ، 1992م.

مصادر متنوعة

59 ـ رسائل ابن حزم الأندلسي، ابن حزم، محمد بن علي الأندلسي الظاهري، تحقيق احسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1987 م.
60 ـ رسائل الجاحظ، الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1384هـ، 1965م.

61 ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيّم الجوزية، دار الوعي، حلب ـ سورية، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
62 ـ الفرق بين الفرق، البغدادي، عبد القادر الإسفرائيني التميمي، مكتبة محمد علي صبح واولاده، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
63 ـ كتاب الحيوان، الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، 1388هـ، 1969م.
64 ـ الملل والنحل، الشهرستاني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
65 ـ نزهة المتأمل ومرشد المتأهل من الخاطب والمتزوج، السيوطي، جلال الدين، دار امواج للطباعة والنشر والتوزيع، بدون بلد نشر، الطبعة الثانية، 1989م.

فهرست المراجع

66 ـ أبغض الحلال، عتر، نور الدين، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الرابعة، 1405هـ، 1985م.
67 ـ ابن الرومي، حياته من شعره، العقاد، عباس محمود، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة السابعة، 1968 م.
68 ـ الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي، عيسوي، عبد الرحمن، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، 1404هـ، 1984م.
69 ـ الأحكام الشرعية للإ سرائيليين، ابن شمعون، حي، بدون دار نشر، 1912م.
70 ـ الأحوال الشخصية ومحاكمها للطوائف المسيحية في سوريا ولبنان، مالك، حنا، دار النهار للنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1991م.
71 ـ أخبار عمر وأخبار عبد الله بن عمر، الطنطاوي، علي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1970م.
72 ـ أخلاقيات العمل الإعلامي، مكاوي، حسن عماد، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1994م.
73 ـ الأسرة المسلمة أمام الفيديو والتلفزيون، كجك، مروان، دار الكلمة الطيبة، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1407هـ، 1986م.
74 ـ أصول علم افجرام والعقاب، عبيد، رؤوف، دار الفكر العربي، الطبعة الرابعة، 1977م.
75 ـ أضواء على الحرب النفسية، السيّد، جمال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1972م.
76 ـ إعتداءات إسرائيل على قطاع غزة و سيناء، أكتوبر1956 ـ 8 مارس 1957،

جامعة الدول العربية، بدون دار نشر، 1380هـ، 1960م.
77 ـ الإعلام وأثره في نشر القيم الاسلامية وحمايتها، نصر، محمد ابراهيم، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1398هـ، 1978م.
78 ـ الإعلام والمرأة، فهيم، فوزية، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة، 1986م.
79 ـ اغتصاب الإناث في المجتمعات القديمة والمعاصرة، المجدوب، أحمد علي، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م.
80 ـ أفول شمس الحضارة الغربية، من نافذة الاباحية، غزال، مصطفى فوزي، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، الطبعة الثانية، 1408هـ، 1988م.
81 ـ الإكتئاب والإنتحار، عفيفي، عبد الحكيم، الدار المصرية اللبنانية، بدون بلد نشر، الطبعة الأولى، 1410هـ ،1990م ـ
82 ـ الإكراه واثره في التصرفات، شفرة، عيسى زكي عيسى محمد، مكتبة المنار الاسلامية، الكويت، الطبعة الأولى، 1406هـ، 1986م.
83 ـ الإنسان بين المادية والاسلام، قطب، محمد، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة الحادية عشرة، 1413هـ، 1993م.
84 ـ الإنسان في القرآن الكريم، العقاد، عباس محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
85 ـ الإنسان والحضارة، الحوراني، يوسف، المكتبة العصرية، صيدا ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1976م.
86 ـ أنظمة الزواج في لبنان، معوّض، أنطوان يوسف، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، 1970م.
87 ـ أهل الفن وتجارة الغرائز، القاعود، حلمي محمد، دار الاعتصام ،مصر، بدون بلد نشر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
88 ـ البابية والبهائية، النمر، عبد المنعم احمد، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
89 ـ بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة، جاد الحق، علي جابر جاد الحق، الأزهر الشريف، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
90 ـ بروتوكولات حكماء صهيون، نويهض، عجاج، دار الإستقلال للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1990م.
91 ـ البغاء عبر العصور، خيّاط، سلام، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، الطبعة الأولى، 1992م.

92 ـ البغاء في القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، بدون رقم الطبعة، 1961م.
93 ـ البغايا والبغاء، غانم، عبد الله عبد الغني، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ـ مصر، بدون رقم الطبعة، 1990م.
94 ـ تاريخ التشريع الاسلامي، الخضري، بك محمد، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، 1387هـ، 1967م.
95 ـ تاريخ الحروب الصليبية، رنسيمان، ستيفان، ترجمة السيد الباز العربي، دار الثقافة، بيروت ـ لبنان، الطبعةالأولى، 1967م.
96 ـ تاريخ الحضارات العام، كروزيه، موريس، منشورات عويدات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1964م.
97 ـ تاريخ الحضارات العام، موسينيه، رولان، منشورات عويدات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1966م.
98 ـ تاريخ العالم، هامرتن، جون، مطبعة مصر، مصر، بدون رقم الطبعة.
99 ـ تحقيق في مجزرة، مجازر صبرا وشاتيلا، كابليوك، أمينون، الدار التقدمية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1987م.
100 ـ التخلف الاجتماعي، سيكولوجية الانسان المقهور، حجازي، مصطفى، معهد الإنماء العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة، 1992م.
101 ـ التشريع الجنائي الاسلامي، عودة، عبد القادر، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة عشر، 1415هـ، 1994م.
102 ـ تفسير القرآن الكريم، شلتوت، محمد، دار العلم، القاهرة ـ مصر، الطبعة الرابعة، 1966م.
103 ـ تفسير المنار، رضا، محمد، مطبعة حجازي، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
104 ـ تقاليد الحب والزواج في جزر هاواي، بنغلت، دانيلسون، دار الحمراء، بيروت ـ لبنان، 1990م.
105 ـ تل الزعتر الشهيد والشاهد، الإتحاد العام للمرأة الفلسطينية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1977م.
106 ـ التلفزيون والأطفال، كرم، جان جبران، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1988م.
107 ـ تهافت الفكر المادي التاريخي في النظر والتطبيق، البهي، محمد، مكتبة وهبه، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثالثة، 1395هـ، 1974م.
108 ـ تهذيب سيرة ابن هشام، هارون، عبد السلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة عشر، 1408هـ، 1988م.

109 ـ ثلاث رسائل في نظرية الجنس، فرويد، سيجموند، إشراف محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1409هـ، 1989م.
110 ـ جرائم الاغتصاب، حرب، عفاف، بدون دار نشر، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1993
111 ـ الجريمة والجنس، كحيل، عبد الوهاب، مكتبة التراث الاسلامي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1412هـ ، 1991م.
112 ـ الجريمة والعقوبة في الشريعة والقانون، صدقي، عبد الرحيم، مكتبة النهضة العربية، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1408هـ، 1987م.
113 ـ الجريمة والمجتمع، الساعاتي، سامية حسن، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1983م.
114 ـ الجنس في العالم القديم، فريشاور، بول، ترجمة فائق دحدوح، دار علاء الدين، دمشق ـ سورية، الطبعة الرابعة، 1405هـ، 1994م.
115 ـ الجنس وعلماء الاسلام، عيسى، إبراهيم، مكتبة مدبولي الصغير، القاهرة ـ مصر، الطبعة الولى، 1414هـ، 1993 م.
116 ـ الحجاب، المودودي، ابو الأعلى، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة، 1400هـ، 1980م.
117 ـ الحديث النبوي وعلم النفس، نجاتي، محمد عثمان، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1413هـ، 1992م.
118 ـ الحرب الخفية، فلسفة الجاسوسية ومقاومتها، نصر، صلاح، بدون دار نشر، الطبعة الثانية، بدون تاريخ.
119 ـ حرب العقل والمعرفة، نصر، صلاح، الوطن العربي، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
120 ـ الحرب والمجتمع، بوتول، جاستون، ترجمة عباس الشربيني، دار النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، 1983م.
121 ـ حسر اللثام عن نكبات الشام، بدون كاتب، بدون دار نشر، مصر، 1895م.
122 ـ الحضارات الأفريقية، بولم، دنيز، ترجمة نسيم نصر، منشورات عويدات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1988م.
123 ـ حضارة بابل وأشور، لوبون، جوستاف، ترجمة محمود خيرت، المطبعة العصرية، مصر، الطبعة الأولى، 1947م.
124 ـ الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، القرضاوي، يوسف، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة، 1391هـ، 1971م.
125 ـ حول التفسير الاسلامي للتاريخ، قطب، محمد، المجموعة الاعلامية، جدة ـ المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة، بدون تاريخ.

126 ـ الحياة الاجتماعية في مصر القديمة، فلندرزتيري، و ـ م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة، 1975م.
127 ـ خطر التبرج والاختلاط، رمضون، عبد الباقي، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثامنة، 1412هـ، 1993م.
128 ـ دروس في علم الإجرام، رمضان، عمر السعيد، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
129 ـ دروس في العلم الجنائي، العوجي، مصطفى، الجزء الأول: الجريمة والمجرم، الجزء الثاني، السياسة الجنائية والتصدي للجريمة، مؤسسة نوفل، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1987م.
130 ـ الرق في الاسلام والأمم الأخرى، إبراهيم، عبد الحميد محمد، مكتبة مدبولي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م.
131 ـ الرق ماضيه وحاضره عالم المعرفة، الترمانيني، عبد السلام، الكويت، الطبعة الثانية، 1405هـ، 1985م.
132 ـ روح الشرائع، مونتسكيو، ترجمة عادل زعيتر، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة، 1953م.
133 ـ الزنا ومكافحته، كحالة، عمر رضا، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثالثة، 1402هـ، 1982م.
134 ـ الزواج في العالم، عادات وتقاليد، سعد، راجي، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1992م.
135 ـ سر تطور الأمم، لوبون، جوستاف، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، دار النفائس، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ، 1987م.
136 ـ السلوك الجنسي في مجتمع رأسمالي تبعي، المرنيسي، فاطمة، دار الحداثة، بدون بلد النشر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
137 ـ سيكولوجية الجنس، شوقي، مدحت، الدار المصرية للنشر والتوزيع، قبرص، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1989م.
138 ـ سيكولوجية المرأة وأسباب انحراف المرأة، كيّال، باسمة، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة، 1403هـ، 1983م.
139 ـ سينما الاغتصاب والعنف، لاشين، هشام، المركز العربي الدولي للصحافة والنشر والاعلام، بدون بلد النشر، الطبعة الأولى، 1992م.
140 ـ شرح قانون العقوبات، القسم الخاص، حسني، محمود نجيب، دار النهضة العربية، القاهرة ـ مصر، 1992م.
141 ـ شريعة حمورابي واصل التشريع في الشرق القديم، مجموعة من المؤلفين،

ترجمة اسامة سداسة، دار علاء الدين، دمشق ـ سورية، الطبعة الثانية، 1993م.
142 ـ شهادات ماسونية، حمادة، حسين عمر، دار قتيبة، دمشق ـ سورية، الطبعة الثانية، 1403هـ، 1983م.
143 ـ الطاقات النسائية العربية، حطب، زهير، مكي، عباس، معهد الانماء العربي، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
144 ـ الطب النفسي الشرعي، الخولي، محمد كامل، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
145 ـ الطلاق وخطره على الأطفال، باحارث، عدنان حسن، دار المجتمع للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1414هـ، 1993م.
146 ـ الظاهرة الإجرامية، صدقي، عبد الرحيم، دار الثقافة العربية، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة، 1989م.
147 ـ العادات الجنسية لدى المجتمعات الغربية، المجدوب، أحمد علي، الدار المصرية اللبنانية، الطبعة الأولى، 1991م.
148 ـ عالم العصور الوسطى في النظم والحضارة، كولتون، ج.ج، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الأولى، 1964م.
149 ـ العدوان البشري، أنتوني ستور، ترجمة محمد أحمد غالي، إلهامي عبد الظاهر عفيفة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الأولى، 1975م.
150 ـ العفة ومنهج الاستعفاف، العقيلي، يحيى بن سليمان، دار عودة، الكويت، الطبعة الثانية، 1412هـ، 1992م.
151 ـ عقائد وتيارات فكرية معاصرة، شامة، محمد، دار قطري بن فجاءة، الدوحة، الطبعة الأولى، 1413هـ، 1993م.
152 ـ العقوبة البدنية في الفقه الاسلامي، دستوريتها وعلاقتها بالدفاع الشرعي، جاد، الحسيني سليمان، دار الشروق، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1411هـ، 1991م.
153 ـ العلاقات الجنسية والدين، صارجي، بشارة، دار العلم، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1974م.
154 ـ عمل المرأة في الميزان، البار، محمد علي، الدار السعودية، جدة ـ السعودية، الطبعة الرابعة، 1413هـ، 1992م.
155 ـ عنف الإنسان او العدوانية الجماعية، انطونيني، فاوستو، ترجمة نخلة فريفر، معهد الانماء العربي، 1989م.
156 ـ في ظلال القرآن، قطب، سيد، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة السادسة عشرة، 1410هـ.

157 ـ القانون الجنائي العام، العوجي، مصطفى، الجزء الأول: النظرية العامة للجريمة، والجزء الثاني: المسؤولية الجنائية، مؤسسة نوفل، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1988م.
158 ـ القانون الروماني، بجاني، إميل، معهد بيروت للحقوق، بيروت ـ لبنان، 1984م.
159 ـ قصة الحضارة، ديورانت، ول، ترجمة زكي نجيب محمود، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثانية، 1956م.
160 ـ قضاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، التستري، محمد تقي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة العاشرة، 1403هـ، 1983م.
161 ـ قضية تحرير المرأة، قطب، محمد، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 1410هـ.
162 ـ كتاب الفقه على المذاهب الأربعة، الجزيري، عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة، 1410هـ، 1990م.
163 ـ كتاب القوانين، ابن العسال، المكتبة الجديدة، مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
164 ـ الكتاب المقدس، جمعية الكتاب المقدس في الشرق الأدنى.
165 ـ الكنز المرصود في قواعد التلمود، نصر الله، يوسف حنا، دار نظام للصحافة والنشر والتوزيع، سورية، الطبعة الثانية، 1388هـ، 1968م.
166 ـ الكهّان في مصر القديمة، سونيرون، سيرج، ترجمة عيسى طنوس، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ـ سورية، الطبعة الأولى، 1994م.
167 ـ كيف تؤثر وسائل الاعلام، الحضيف، محمد بن عبد الرحمن، مكتبة العبيكان، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1994م.
168 ـ كيف طرد الفلسطينيون من ديارهم عام 1948، بالوميو، ميخائيل، دار الحمراء، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1990م.
169 ـ لبنان في التاريخ، حتي، فيليب، ترجمة أنيس فريحة، مؤسسة فرنكلي المساهمة للطباعة والنشر، بيروت ـ لبنان، نيويورك، 1950م.
170 ـ للحقيقة فقط، الأسعد، منذر، دار المعارج الدولية للنشر، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1995م.
171 ـ اللقيط في الاسلام، قرقوتي، حنان، مؤسسة السنين، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1995م.
172 ـ ما فوق مبدأ اللذة، فرويد، سيجموند، ترجمة إسحاق رمزي، دار المعارف، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة، 1980م.

173 ـ الماسونيه في المنطقة 245، أبو إسلام، أحمد عبد الله، بدون دار نشر، القاهرة ـ مصر، الطبعة الخامسة، 1413هـ، 1992م.
174 ـ المجرم تكويناً وتقويماً، بهنام، رمسيس، منشأة دار المعارف، الاسكندرية ـ مصر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
175 ـ المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، البار، محمد علي، دار القلم، دمشق ـ سورية، الطبعة الأولى، 1410هـ ، 1990م.
176 ـ مذاهب فكرية معاصرة، قطب، محمد، دار الشربيني، القاهرة ـ مصر، الطبعة الثامنة، 1993م.
177 ـ المرأة في موقعها ومرتجاها، بندلي، كوستي، سلسلة دراسات مسكونية، مجلس كنائس الشرق الأوسط، 1994م.
178 ـ المسئولية الإعلامية في الإسلام، محمد، سيد محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة ـ مصر، الطبعة الأولى، 1403هـ، 1983م.
179 ـ المسؤولية الجنائية في الفقه الاسلامي، بهنسي، أحمد فتحي، بدون دار نشر، بدون رقم الطبعة والتاريخ.
180 ـ مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة فيها، شيفر، شارلز، ترجمة نسيمة داود، منشورات الجامعة الأردنية، عمان ـ الأردن، الطبعة الأولى، 1989م.
181 ـ مشكلات الشباب الجنسية والعاطفية تحت أضواء الشريعة الإسلامية، واصل، عبد الرحمن، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1401هـ، 1981م.
182 ـ مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام، القرضاوي، يوسف، مكتبة وهبه، القاهرة ـ مصر، الطبعة السادسة، 1415 هـ، 1995 م.
183 ـ معركة التقاليد، قطب، محمد، دار الشروق، القاهرة ـ مصر، الطبعة السابعة العشرة، 1413هـ، 1993م.
184 ـ مقدمة في الانحراف الاجتماعي، كارة، مصطفى عبد المجيد، معهد الانماء العربي، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1985م.
185 ـ ملف جواسيس العالم، مور، روجر، دار الكتاب العربي، دمشق ـ سورية، بدون رقم الطبعة، 1990م.
186 ـ من طريق الخداع، اوستروفسكي، فكتور، وكلي، هوي، ترجمة هشام عبد الله، ماهر الكيالي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1990م.
187 ـ منهج التربية الإسلامية، قطب، محمد، دار الشروق، بيروت ـ لبنان، الطبعة العاشرة، 1412هـ، 1992م.

188 ـ منو سمرتي، أو شرح منو، حقي، احسان، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1409هـ، 1988م.
189 ـ موسوعة علم النفس، رزوق، اسعد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1976م.
190 ـ موسوعة ميثولوحية واساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، نعمة، حسن، دار الفكر اللبناني، بيروت ـ لبنان، بدون رقم الطبعة، 1994م.

191 ـ المورد، البعلبكي، منير، دار العلم للملايين ،بيروت ـ لبنان، الطبعة الثانية، 1969م.
192 ـ الموضة في التصور الاسلامي، عبدالله، فاطمة، مكتبة السنة، القاهرة ـ مصر، بدون رقم الطبعة، 1411هـ، 1991م.
193 ـ النازحون اقتلاع ريفي، بركات، حليم، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت ـ لبنان، 1968م.
194 ـ وقت الفراغ واثره في انحراف الشباب، السدحان، عبد الناصر، مكتبة العبيكان، الرياض ـ السعودية، الطبعة الأولى، 1415هـ، 1994م.
195 ـ ويلات وطن، فيسك، روبرت، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، 1410هـ، 1990م.
196 ـ يوميات مراسل حربي في البوسنة، غانم، يحيى، دار الاعتصام، بدون دار نشر، 1993م.

الجرائد والمجلات

197 ـ مجلة الأرض ـ تصدر عن مؤسسة الأرض للدراسات الفلسطينية، دمشق.
198 ـ مجلة الأفكار ـ بيروت، لبنان.
199 ـ مجلة الأمان ـ تصدر عن المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر، بيروت، لبنان.
200 ـ جريدة الأنوار ـ بيروت، لبنان.
201 ـ مجلة التصوف الإسلامي.
202 ـ مجلة الحكمة البريطانية ـ لندن، بريطانيا.
203 ـ جريدة الحياة ـ لندن، تصدر عن الشركة المركزية للطباعة والنشر والاعلام والتوزيع بريطانيا.
204 ـ مجلة الداعي ـ تصدر عن الجامعة الاسلامية، دار العلوم، ديوبند، الهند.
205 ـ جريدة الديار ـ تصدر عن مؤسسة النهضة، بيروت، لبنان.

206 ـ مجلة الرابطة السعودية.
207 ـ مجلة الرسالة الاسلامية ـ تصدر عن دارالرسالة الإسلامية للثقافة والنشر، بيروت، لبنان.
208 ـ جريدة السفير ـ تصدر عن دار العروة الوثقى، بيروت، لبنان.
209 ـ مجلة الشراع ـ تصدر عن دار صفين للطباعة، بيروت، لبنان.
210 ـ مجلة صوت فلسطين ـ تصدر عن ادارة التوجيه المعنوي والسياسي في جيش التحرير الفلسطيني، دمشق.
211 ـ مجلة العالم ـ تصدر عن مؤسسة الإعلام والنسر، لندن.
212 ـ مجلة العلوم الاجتماعية، تصدر عن مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت.
213 ـ مجلة الكفاح العربي ـ بيروت، لبنان.
214 ـ جريدة اللواء ـ بيروت، لبنان.
215 ـ مجلة المسلم المعاصر.
216 ـ مجلة المسلمون.
217 ـ مجلة الموقف ـ تصدر عن المركز الوطني للدراسات والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
218 ـ جريدة النهار ـ تصدر عن «النهار»، بيروت، لبنان.
219 ـ مجلة الوسط، تصدر عن شركة الوسط المحدودة، بريطانيا.
220 ـ مجلة الوعي الاسلامي، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت.

221 - Allo Paris, 1985
222 - Journal, September, 1992
223 - ORIENT.LE JOUR

المراجع الأجنبية

224 - Du Sexe a la Seduction, Symons, Donald, Edition, Sand, 1994.

225 - Histoire des relations sexuelles, Maroli, Daniros, P.U.F. Que sais - je, Paris, 1965

226 - J'avais douze ans, Sweighoffer, Nathalie, France Loisiers, Paris.

227 - J'etais sa petite princesse, Nelly, Edition Fiscot, France.

228 - L'agression sexuelle et l'enfant, Scroi, Suzanne, Edition de Trecarne, Canada .1986.

229 - L'amour et la haine, Melanie,Klein, P.B.Payot. Paris 1972.

230 - La vie quotidienne des civils en France pendant la grande guerre 1914, Perreux, Gabriel, Hachette ,1966.

231 - Le Crime absolut, Manuell, Roger et Heinnuch Fraentel, Edition Stock, Paris 1967.

232 - Le Deuxième Sexe, De Beauvoir ,Simon, 9ème edition.

233 - Les assassins sont parmis nous, Wiesenthal, Simon, Opera Mundi, Paris, 1967.

234 - Les troubles mentaux, Heuyer, Georges, presses universaires de France, Paris, 1968.

235 - Le Psychopathe, Debray, Quentin, P.U.F 1981.

236 - Le Viol, Brownmiller, Suzan, Editions Stock,Paris,1976.

237 - Le viol, Mackellar ,Jean, petite bibliothèque, Paris ,Payot, 1978.

238 - Les voleurs d'innocences, Meney, Patrick, Paris, Frances Loisiers, 1992.

239 - Recovering from rape, Ledray, Linda,Fitzherd and Whitesade Limited, Canada.

240 - The sexual offender and his offenses, Kapman, Benjamin, Julian Press, NewYork 1954.

241 - The History of human marriage, Westermark, Edward, Macmillian and co., London ,1925.

242 - The origin and developpement of the moral ideas, Westermark, Edward Macmillian and co., London.

243 - Violences Meurtrières et sexuelles, Picat, Jean, P.U.F. 1982.

المجلات القضائية

244 ـ قانون العقوبات اللبناني، المجلة القضائية، منشورات دار صادر، بيروت.

فهرست الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	5
المقدمة	7
الباب الأول :عرض تاريخي لجذور جريمة الاغتصاب	
الفصل الأول: جريمة الإغتصاب عند الأمم القديمة	13
تمهيد: فوائد الاطلاع على التاريخ	13
المبحث الأول: الفساد عند الأمم القديمة	19
1 ـ الفساد في التاريخ المصري	19
2 ـ الفساد في التاريخ البابلي	21
3 ـ الفساد في التاريخ اليهودي	22
4 ـ الفساد في التاريخ الفارسي	24
5 ـ الفساد في التاريخ الهندي	25
6 ـ الفساد في التاريخ الصيني	26
7 ـ الفساد في التاريخ الياباني	27
8 ـ الفسادفي التاريخ اليوناني	28
9 ـ الفساد في التاريخ الروماني	33

الموضوع	الصفحة
10 ـ الفساد في التاريخ المسيحي	34
المبحث الثاني: الاغتصاب عند الأمم القديمة	38
1 ـ الاغتصاب في العصور البدائية	38
2 ـ الاغتصاب في التاريخ المصري	43
3 ـ الاغتصاب في التاريخ البابلي	45
4 ـ الاغتصاب في التاريخ اليهودي	48
5 ـ الاغتصاب في التاريخ الفارسي	56
6 ـ الاغتصاب في التاريخ الهندي	56
7 ـ الاغتصاب في التاريخ الصيني	58
8 ـ الاغتصاب في التاريخ اليوناني	59
9 ـ الاغتصاب في التاريخ الروماني	62
10 ـ الاغتصاب في التاريخ المسيحي	63
الفصل الثاني: جريمة الاغتصاب عند العرب منذ الجاهلية والى العهود الاسلامية	73
المبحث الأول: الإكراه على الزنا في العصر الجاهلي	73
المبحث الثاني: الإكراه على الزنا كما ورد في القرآن والسنة	80
المبحث الثالث: الإكراه على الزنا في عصور الانبياء وقدامى الصالحين	86
المبحث الرابع: الإكراه على الزنا في العهود الاسلاميةالأولى	101
1 ـ عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم	101
2 ـ عهد الخلفاء الراشدين	103

الموضوع	الصفحة

3 ـ العهد الأموي 111

4 ـ العهد العباسي 112

الفصل الثالث: جريمةالاغتصاب في العصر الحديث 127

تمهيد: فائدة الاحصاء 127

الاغتصاب في العالم 137

1 ـ الاغتصاب في اميركا 142

2 ـ الاغتصاب في بريطانيا 152

3 ـ الاغتصاب في فرنسا 155

4 ـ الاغتصاب في ايطاليا 157

5 ـ الاغتصاب في الصين 158

6 ـ الاغتصاب في الحرب العالمية الثانية 160

7 ـ الاغتصاب في العالم الاسلامي في الهند والبوسنة 163

8 ـ الاغتصاب في العالم العربي ـ مصر ـ الكويت ... 170

9 ـ الاغتصاب في فلسطين المحتلة 177

10 ـ الاغتصاب في لبنان 186

الباب الثاني: العوامل المؤثرة في انتشار جريمة الاغتصاب

الفصل الأول: العوامل الفكرية المؤثرة في جريمة الاغتصاب 197

تمهيد: دور اليهود في نشر الفساد 197

المبحث الأول: انتشار المذاهب الفكرية المعاصرة 205

1 ـ التيار الرأسمالي 205

2 ـ التيار الشيوعي 212

الموضوع	الصفحة
3 ـ البابية والبهائية	214
المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية الناتجة عن التأثر بالفكر الغربي	216
1 ـ تحرير المرأة	216
2 ـ الاباحية	220
3 ـ الخلوة والاختلاط	225
المبحث الثالث: الإعلام	231
1 ـ الإعلام قديماً	231
2 ـ أنواع وسائل الإعلام ـ التلفزيون ـ السينما ـ الصحافة ...	231
الفصل الثاني: عوامل مساهمة في انتشار جريمة الاغتصاب	263
المبحث الأول: العوامل الطبيعية والجغرافية(الطوبوغرافية)	263
المبحث الثاني: العوامل الاجتماعية	265
1 ـ الفرق بين الحضر والريف	265
2 ـ العوامل التربوية	271
3 ـ تأخر سن الزواج	276
4 ـ الخمر	279
5 ـ المخدرات	284
المبحث الثالث: العوامل الاقتصادية	287
1 ـ الفقر	287
2 ـ استغلال السلطة	291
المبحث الرابع: العوامل السياسية	305
1 ـ استغلال الجواسيس	305

الموضوع	الصفحة

2 ـ الاعتداءات خلال الحروب 310

3 ـ الاعتداء على المهاجرات 315

4 ـ الاغتصاب داخل السجون 316

الفصل الثالث: العوامل العضوية المؤثرة في جريمة الاغتصاب ... 319

المبحث الأول: الاسباب العضوية للجرائم الجنسية 320

المبحث الثاني: الأمراض العضوية 325

المبحث الثالث: الأمراض العقلية 336

المبحث الرابع: أنواع أخرى من المغتصبين 338

الباب الثالث: الآثارالناجمة عن الاغتصاب وكيفية الوقاية منها

الفصل الأول: آثار الاغتصاب على النفس 349

المبحث الأول: الأثر النفسي للاغتصاب عند المرأة 349

المبحث الثاني: الأثر النفسي للاغتصاب عند الطفلة 356

المبحث الثالث: التشتر على الجريمة 362

الفصل الثاني: آثار الاغتصاب على المجتمع 369

المبحث الأول: الاجهاض 369

المبحث الثاني: نسبة ولد الزنا 375

المبحث الثالث: الطلاق 381

المبحث الرابع: قتل النفس 386

المبحث الخامس: القتل 389

المبحث السادس: البغاء 394

الفصل الثالث :سبل الوقاية من جريمة الإغتصاب 403

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول: الوقاية من الجريمة	403
أ ـ التشديد على اهمية الايمان بالله تعالى	403
ب ـ العمل على اصلاح المجتمع	405
المبحث الثاني: الاهتمام بالضحية	417
1 ـ دور الضحية في المساعدة على عدم وقوع الجرم	417
2 ـ كيفية مساعدة الضحية بعد وقوع الجرم	420
3 ـ تأسيس المؤسسات التي تهتم بالضحايا	423
4 ـ معالجة الآثار الناتجة عن الاغتصاب	424
5 ـ حلول طبية معاصرة	424
6 ـ تأمين الحماية للضحية	426
المبحث الثالث: مساعدة مجرم الاغتصاب	427
1 ـ مساعدة مجرم الاغتصاب	427
2 ـ العلاج الطبي لمجرم الاغتصاب	430
الخاتمة	433
فهرس المصادر والمراجع	443

كلية الامام الاعظم للدراسات الاسلامية
المكتبة

011FS55678

2003/1/689